الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس
(316 هـ - 422/928 - 1030 م)
تاليف
د. سعد عبد الله صالح البشري
1417 هـ - 1997 م
الحياة العلمية في
عصر الخلافة في الأندلس
(323 هـ - 428 هـ/935 مـ - 1040 م)

تاليف
د. سعد عبد الله صالح البشري
هذا العمل هو رسالة ماجستير في "الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس" من جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم: التاريخ الإسلامي.

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وإي الله التوفيق
شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الذي بنيعته تتم الصالحات، ثمن لاستذائي الفاصل
سعادة الدكتور أحمد السيد درّاج الذي تفضل بالإشراف على إعداد هذه
الرسالة وبذل الكثير من الجهد في سبيل إخراج هذا العمل العلمي المتواضع،
فكان أمّد الله في عمره في إشرافه أباً مشققاً واستاذَا موجهًا فله مني عظيم
الشكر وجمال العرفان.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الدكتور محمد سعد الرشيد الذي
كان له أطيب الأثر في ترسيخ العزم نحو استكمال دراستي العليا، ولا يفوتي
أنّ أشيد بجهود كلٍ من: سعادة الدكتور عليان الحازمي وسعادة الدكتور علي
الحكيجي، والقائمين على مركز البحث العلمي وفي مقدمتهم سعادة الدكتور
ناصر سعد الرشيد، لمابذلوه ويبذلونه من جهود مؤثرة للرقي بالدراسات
الإسلامية والبحث العلمي.

وأخيراً أشكر كلٍ من: مدّة لي يدا العون والمساعدة لإنجاز هذا العمل...
فلجميع من الله الثواب العظيم والأجر الجزيل، والله ولي التوفيق...
المقدمة:

«نطاق البحث وتحليل المباحث»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين.

أما بعد.

فإن تأريخنا الإسلامي المجيد حافل بالكثير من وجه الإبداع الحضاري والتي هي أحق ما يكون بالدراسة والبحث والتي من شئانا أن تضيء الكثير من الزوايا المظلمة في تاريخ الحضارة الإسلامية، فقد كان للمسلمين عبر تاريخهم نشاط مشرف في ميادين الحضارة المختلفة وانطلق عن ذلك النشاط الكبير كيان حضاري عظيم أسهم في تقدم البشرية نحو أفضل.

وكان للأندلسيين في هذا النشاط سهم فاعل ووجه واضح لينكر، حيث شهد القرن الرابع الهجري/ العاشر اليبردي في الأندلس ازدهار عامليا حضاريا شاملا في كافة وجوه النشاط الإنساني ومنها بطيعة الحال الميدان العلمي.

والحق أن ميدان الحياة العلمية في الأندلس لم يحظ بالدراسة والبحث الكافيين إذ انصرف الكثير من الباحثين إلى دراسة الأحوال السياسية في فترة ما، أو البحث في حقبة من تاريخ جهاد المسلمين مع النصارى، أو الكتابة عن عصر أمير أو خليفة، وأكثر ما يكتب عن الحياة العلمية والأدبية يتمثل فيما أخرجه الباحثين من دراسات أدبية، كالآدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة لأحمد هيكيل، وتاريخ الآدب الأندلسي لإحسان عباس، ودراسات في الآدب الأندلسي لسامي العاني، والآدب الأندلسي ومواضعه وفنونه لمصطفى

٧-٧٧
الشيمة وفي الأدب الأندلسي لجودت الركابي، وأدباء العرب في الأندلس وعصر
الانبعاث لبطرس البستاني إلى غير ذلك من الكتب المؤلفة في هذا الحقل.
ورغم هذا فقد كانت هناك بعض الدراسات حول الحضارة الأندلسية
والبحث في وجهها المختلفة بوجه عام، ككتاب حضارة العرب في الأندلس
ليفي بروفيسال وكتاب الحضارة الإسلامية في الأندلس لعبد الرحمن الحجي
وكتاب الإسلام في إسبانيا للطيفي عبد البديع، وكتاب تاريخ الفكر الأندلسي
لاخرج جوناثان بانتيما، وهو جهد مشكور للمؤلف حيث أن الكتاب المذكور يأتي
في طليعة ماصتـَنـَعِ من الحركة الفكرية في الأندلس، وذلك رغم أن المؤلف قد
أغفل الكثير من جوانب النشاط العلمي في الأندلس بالإضافة إلى أن محاولته
من جعل الكتاب شاملاً لجوانب الحركة الفكرية من أول تاريخ المسلمين في
الأندلس إلى زوال سلطانهم هناك أدت إلى عدم استيفاء الموضوع وإعطائه حقه
من الدراسة.
كما خصص أحمد أمين الجزء الثالث من موسيعته: ظهر الإسلام عن
الحياة العقلية في الأندلس بصورة عامة.
وبالإضافة إلى ما تقدم فقد قدمت رسائل علمية تبحث في تاريخ الأندلس
وحضارتها وما يهمنا هنا مايقصد بالحياة العلمية، فكان من بينها رسالة لنيل
درجة الماجستير حول الحياة العلمية في بلنسية منذ الفتح سنة 962هـ إلى سنة
949هـ. إعداد: كريم عقيل حسين.
ويتضح من عناوينها أن الدراسة منصبة على مدينة بلنسية فقط وما قدمه
علماؤها من جهود علمية، وهذا بلا شك خطوة جيدة ولكنها مقصورة على
منطقة محدودة من الأندلس.
كما أعد محمود علي مكي رسالة علمية للحصول على درجة الدكتوراه
حول التيارات الثقافية بين الأندلس والشرق وأثراها في الحركة العلمية في
الأندلس.
وقدّ الزميل يوسف حوالة للحصول على الماجستير في التاريخ الإسلامي رسالة عن بني بكر في أشبيلية، وقد خصص الباب الأخير من أبوابها عن التطور الحضاري في أشبيلية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وقد تناول فيه الحركة العلمية النشطة آنذاك.

ويبدو مما تقدم أن ميدان الحياة العلمية في الأندلس لم يفوت حقًا من البحث والدراسة، ولذلك اتجه اهتمام الباحثين إلى دراسته على النحو الذي أوضحته.

ولما كان ليول الباحث أثر في تقرير ما سوف يقوم به من دراسات علمية، فقد كنت في دراستي للتاريخ الإسلامي أميل إلى مباحث منه بالأندلس ذلك القطر العزيز على نفس كل مسلم يكمن لتاريخ أمه كل وراء وتقدير.

وقد انصبعت اهتماماتي على مايختص بالحياة العلمية والنشاط العلمي الذي برع فيه الأندلس سوين وأبدعوا في مجالاته المختلفة، وكثيرًا مالفت أنظري الأعداد الهائلة من علماء الأندلس الذين تضمهم كتب التراجم فحفظت سيرهم وجهودهم العلمية، ولو كان ذلك على وجه الامتناع والإيجاز.

ونظراً لأن ميدان العلم هو الوجه المشرق للحضارة الإسلامية في الأندلس، وبه تجلّى فضلهما وإبداعهما، وكانوا به في موقف العداء والبذل والمشاركة في بناء الحضارة الإنسانية، لهذا كله فقد تعمقت الرغبة ورسخ الميل في النفس نحو البحث والدراسة في هذا الحق الحضاري المهم والذي لم يلقّ من العناية والإهتمام حتى الآن مايساوى أهميته وعظمة شأنه في النشاط الحضاري للأندلس.
وبعد الإطلاع على سير الحركة العلمية في الأندلس منذ دخول المسلمين إليها وحتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لوحظ أن الازدهار الحقيقي للعلوم والأدب كان في عصر الخلافة تستغرق القرن الرابع الهجري تقريباً، ففيه بلغ الأندلسيون درجةً وفيرةً من التطور الحضاري والازدهار العلمي، وأثبتوا فيه قدراتهم العلمية المتفقة.

وبناء على ما قدم فقد كان عصر الخلافة هو محور الدراسة في هذا البحث والذي امتد منذ إعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة سنة 361 هـ/ 970 م. و حتى سنة 374 هـ/ 982 م.

والحق أن مثل هذه الدراسات المتعلقة بالحضارة هي من أشقر ما يتعرض له الباحث، وذلك عائد إلى ندرة المادة العلمية المتصلة بموضوعه، فإن موضوعا كموضوع الحياة العلمية في عصر الخلافة يكاد يستند في معلوماته إلى كتب الترجمات والطبقات، وكما هو معلوم فإن هذه الكتب تضم المئات بل الآلاف من الترجمات لعلماء الأندلس في مختلف العصور، وهذا بلى شكل يجعل الباحث أكثر دقة في تتبع سير العلماء الذين عاصروا الفترة التي ينوي دراستها، وذلك لا يتم إلا بعرفة تاريخ ميلاد ووفاة كل منهم وارتباطهما بذلك العصر، كما أن كتاب الترجمات الإسلامي إلى جانب ما تتصف به من إيجاز في الكثير من الترجمات تكاد تكون مادة العلمية منصب على علماء الدين وعدد من علماء اللغة وأهل الأدب مما دعى الباحث إلى التنقيح عن جهود العلماء الآخرين في فروع العلم الأخرى من رياضيات وفلسفة وطب وكمية وتاريخ وجغرافيا في كتب الطبقات المختصة بكل منهم.

- 10 -
وكان للمنهج الذي سار عليه أغلب المؤرخين المسلمين من التركيز في كتاباتهم على الجانب السياسي والعسكري - أثر في ندوة الكتابة عن وجهة النشاط الحضاري ومن بينها النشاط العلمي الذي لا نكاد نجد من بين مصادر التاريخ الأندلسي مصدرًا سخيا في هذا الميدان للعلم إلا مانجده في كتب الطبقات التي ترجمت لأهل العلم في عصور معينة وليست شاملة للتاريخ الأندلسي جميعه.

وقرأ للأعداد الهائلة من العلماء الذين عاشوا في عصر الخلافة، وكان لهم شأن في حقول المعرفة المختلفة فقد حاولت أن اختار أبرزهم وأكثرهم تأثيراً في الحركة العلمية بما قدموه من جهود موافقة في مختلف أبواب المعرفة.

وكان للإعتماد الأكبر على كتب الترجمة أثر في محاولة الخروج على ظاهرة الترجمة المحدودة للعالم إلى رسم الصورة العامة للحياة العلمية بجوانبها المختلفة وهي بلا شك محاولة تحتاج إلى دراسة عميقة لنصوص الترجمة وتستند في تحقيق نتائجها إلى عناصر التحليل والاستنتاج والاستنتاج، وقد حاولت ذلك قدر الإمكان.

و فيما يتعلق بالبحث فقد كان لطبيعة المادة العلمية وتوفرها أثر في تشكيل خطة البحث. وقد رأيت أن يصدر البحث بتمديد عن الحياة العلمية في عصر الإمارة وذلك لتتضمن الرؤية عن حقيقة ماضي عصر الخلافة من نشاط علمي ومدى قيمته كنواة طيبة لم تتم بعد. وكان الحديث عن الحياة العلمية واللغة والتاريخ والجغرافيا، والعلوم التجريبية.
ويعود هذا التمهيد ثانٍ إلى موضوع الحياة العلمية في عصر الخلافة.

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: دراسة أهم مظاهر النشاط العلمي في عصر الخلافة.

القسم الثاني: نشاط العلم والأدب في عصر الخلافة.

فالقسم الأول يتفرع إلى أربعة فصول وهي ملائمة:

الفصل الأول: يتعلق باهتمام الخلفاء بالحركة العلمية، ومدى ما أسهموا به في دفع عجلة العلم، والعمل على ازدهار الحركة العلمية، وهذا الفصل يتفرع - إلى أربع نقاط. الأولى تتعلق بالخلفية عبد الرحمن الناصر وكيف أن عمده يمثل الخطوة الأولى نحو قيام التهذبة العلمية بما كان يتسم به من رحمة واستقرار أنصرف فيه الناس نحو تحصيل العلم والأدب.

والنقطة الثانية: تتعلق بالخلفية العالم (الحكيم المستنصر) والذى. يعد عهد بحق العمود الفقري لازدهار العلم في عصر الخلافة لما اتصف به الحكم المستنصر - من حب للعلم وأكرام للعلماء وما سعى إليه من وسائل مهمة للنهوض العلمي في بلده. أما النقطة الثالثة: فتتعلق بعصر (هشام المؤيد) ويكون الحديث فيها عن شخصية المنصور بن أبي عامر باعتباره صاحب الأمر حقيقيا ومدى ما أسهم به في نشاط الحركة العلمية، ثم عن ابنه المظفر عبدالله.

وحفظه على جهود أبيه في رفع شأن العلم والعلماء.

وأما النقطة الرابعة: فعن قيام الفتنة وسقوط الخلافة وأثر ذلك على الحركة العلمية.

١٢
أما الفصل الثاني: فعن الرحلات العلمية وأثرها في النهضة العلمية في الأندلس ويتباهب هذا الفصل إلى نقاط ثلاث، أولها ارتحال علماء الأندلس إلى المشرق في طلب العلم، وكيف أن الأندلسيين كانوا يحملون في أنفسهم أجمل صورة عن المشرق، وحرصهم التام على الرحيل إلى هناك للقاء العلماء والشيوخ، وثاني النقطة عن نتائج الرحلات العلمية للأندلسيين إلى المشرق، وماذا جنوه الأندلسيون من ذلك، وثالث النقطة: عن بروز الشخصية العلمية الأندلسية في عصر الخلافة وكيف أن الأندلسيين قبل ذلك كانوا بدورهم في دائرة التقلد لأخوائهم من المشارقة ثم مالبوا بعد فترة من الزمن وكان ذلك في عصر الخلافة أن أنطلقوا بينون لهم كيانا علمياً عن شخصيتهم العلمية المستقلة وابداعهم الحضاري.

أما الفصل الثالث: فعن الكتب والمكتبات في الأندلس، ويتفرع إلى ثلاث نقاط:

الأولى: عناية الأندلسيين بالكتب، وكيف أنهم تميزوا بحبهم الشديد للكتب وتصنيف العلم حتى أن الأميين منهم كانوا يجرون العلماء في اتخاذهم المكتبات داخل دورهم.

الثانية: اهتمام الأندلسيين بجمع الكتب وإنشاء المكتبات، وفيه يتعرض البحث إلى أبرز من عرف عنه جمع الكتب وإنشاء المكتبات، وقد بدأت بالخليفة الحكم المستنصر باعتباره أشهر من عرف عنه ذلك.

الثالثة: حرفة الورقة في الأندلس وأثرها في النشاط العلمي. وقد صدرت الحديث عن ذلك بظهور صناعة الورق في الأندلس وبراعة الأندلسيين من أهل شاطبه في ذلك، ثم تحدثت عن دور الوراقين في ازدهار الحركة ١٣.
العلمية، وكيف أن هذه الفئة من المسلمين قد أسهمت في نشاط العلوم والآداب ونهضة العلم بشكل كبير وملموس.
وأما الفصل الرابع: فمن أزدهار التعليم في الأندلس، ويتفرع إلى نقاط ثلاث:
الأولى: مراكز التعليم في الأندلس، وكيف أن الأندلسيين كانوا يتققون علومهم في المساجد والجامعات، وعلى وجه التحصين جامع قرطبة وجامع الزهراء.
الثانية: طريقة التعليم عند الأندلسيين، ومنها يتضح ما أولاهم الأندلسيون لهذه الناحية من الاهتمام.
الثالثة: عناية الخلفاء بالتعليم، وفيها يبرز دور الحكم المستنصر في تشجيع الناس على طلب العلم وتوفير وسائله بالمجان لم يعتقد تحمل نفقات الدراسة ومدى تأثير ذلك على الرعية التي سارعت إلى العلم والمعرفة.
أما القسم الثاني من الرسالة فينقسم إلى أربعة فصول:
الفصل الأول، وكان الحديث فيه عن العلوم الدينية، والذي يشعر بحسب ما تضمه إلى أربع نقاط، الأولى: [الفقه] ومدى إسهام الأندلسيين في ازدهار الدراسات الفقهية، وتبرع الكثير منهم في ذلك وما قدموه من انتاج علمي نفيس.
الثانية: [الحديث] ونشاط الكثير من الأندلسيين في ذلك وبرز أعداد كبيرة منهم في دراسة الحديث وما صنفوه في ذلك.
ثالثة: [علوم القرآن] وازدهارها فيما يتعلق بالقراءات والتفسير.
وقد حقق الأندلسيون في القراءات نتائج علمية كبيرة حتى عرف عن الأندلسيين.
أنهم أصحاب القدح المعلي في القراءات فخرج من بينهم علماء لايزال يحتل بعضهم منزلة رفيعة بين المسلمين.

وكذلك في التفسير أظهر الأندلسيون نبوغا كبيرة فكان لهم في ذلك العلم انتاج علمي نفيس.

الرابعة: كان الحديث فيها عن علم الكلام وموقف الأندلسيين منه، وقد بينت كيف أنهم بما اتصفوا به من التزام بالذينهم المالكي كانوا أشد بغضًا لأصحاب الكلام ومن يخرج على السنة المطهرة.

والفصل الثاني عن الأدب والنحو وعلوم اللغة، ويشتغل إلى نقطتين: 

الأولى: عن الأدب وهو بدورة ينقص إلى نثر وشعر. والثاني يشمل النثر الفنى وهو أسلوب الرسائل الديوانية والأخلاقية والوصايا.

والنثر الأدبي يقصد به الأدب التأليفى أي تأليف كتب أدب بمفهوم القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي.

وقد أشرت في ذلك إلى جهود الأندلسيين ومقدار ما استهدوا به من انتاج علمي رائع لا يزال بعضه يشهد لهم بالقدر العلمي الكبير.

وفي الشعر نبغ الكثير من الأندلسيين، وقد أشرت إلى أبرزهم في ذلك.

الثانية: وتعلق بالنحو وعلوم اللغة، وكيف أن الأندلسيين حققوا في ذلك نتائج علمية كبيرة، فكانت لهم تصنيف قيمة لأيزال بعضها يحتل مكانه رفيعه بين كتب النحو واللغة.

وأما الفصل الثالث فعن العلوم الإنسانية، ويتفرع هذا الفصل إلى ثلاثة نقاط:

١٥٠
الأولى: عن التاريخ وأهميته لدى الأندلسيين وحرصهم على تخليد مآثر بلدهم، وأبرز من ظهر في ميدان التاريخ مع الإشارة إلى نتائجه العلمي.

الثانية: عن الجغرافيا وكيف أنها قد ارتبطت لدى مؤرخي الأندلس بالتاريخ، وأنهم كانوا يصدرن كتاباتهم التاريخية بمقدمة جغرافية، وقد أشار بعضهم إلى الحديث عن تصادمهم في ذلك، هذا بالإضافة إلى الرحلات الجغرافية وما قام به الأندلسيون في ذلك.

الثالثة: عن الفلسفة، وفيها تحدثت عن بداية الاشتغال بها وسبب ضعف الدراسات المتعلقة بها، ثم ما كان للرحلات العلمية إلى الشرق من تأثير في ظهور بعض المشتغلين بها، وكيف أنه كان للخلفاء أثر في ازدهارها ثم ما أعقب ذلك من اضعاف الاشتغال بها على يد المنصور ابن أبي عامر، ومكانه ابن حزم الأندلسي في ميدان الفلسفة ومناقشة "نظرية المعرفة".

الفصل الرابع: يتضمن الحديث عن العلوم التجريبية، ويتشعب هذا الفصل إلى ثلاثة نقاط.

الأولى: تصل بالرياضيات والفلسفة، وفيه تطرقت إلى الحديث عن بداية اشتغال الأندلسيين بهذه العلوم وأسباب ضعف الانتشار بها في بداية الأمر.

ثم ماترتب على الرحلات العلمية للأندلسيين إلى الشرق من آثار مهمة في نشاط تلك العلوم إلى جانب دور الخليفة الحكم المستنصر في ازدهارها. ثم تطرقت إلى نشاط الرياضيات والفلسفة في عصر الخليفة وبرز الكثير من العلماء في تلك العلوم وما قدموه من انتاج علمي نفسي. ويتراوح في مقدمتهم مسلم بن أحمد المجريطي الذي كان بنشاطه الجم مدرسة كبيرة أخرجت الكثير من
العلماء وفي مقدمتهم ابن السمح وابن الصفار وقد حفظ لنا من تصنيف
الأخير مخطوط في الفلك أشار إليه الباحث وطُلق على محتوياته.

النقطة الثانية: عن الطب وبداية الدراسات الطبية ودور أهل الدما في
ذلك، وآثار التحيات الثقافية في ازدهار العلوم الطبيعية، وقد تحدث عن أبرز
من نبغ في الطب في عصر الخلافة والثاني في مقدمتهم الطبيب الجراح خلف بن
عباس الزهراوي الذي نال بجهوده العلمية منزلة رفيعة ليس في الأندلس فقط
وإنما في أوروبا أيضاً. وياتي في مقدمة جهود تلك دراساتها الطبية القيمة في
ميدان الجراحة كذلك الطبيب عريب بن سعد ومصنفه في الطب السمي (خلق
الجذور) ودببر الجبال والملود)، كما يأتي في مقدمة أطباء ذلك العصر
حسن بن جلجل وانتاجه العلمي في الطب والصيدلة وغير هؤلاء من الأطباء
السابعين آنذاك.

النقطة الثالثة: عن الكيمياء، وقد أشرت في البداية إلى جهود
المسلمين في ازدهار هذا العلم ودور الأندلسيين في ذلك، ثم ينتقل الحديث إلى
جهود العلماء مسلمين مجريطي ودراساتهم المهمة في ذلك وقد ضمن دراساته
تلك كتابه المخطوطين رتبة الحكيم وغاية الحكيم وخاصة الأول فقد حيوى الكثير
من المعلومات القيمة في الكيمياء، كما تحدث عن بعض العلماء ممن نسب
اليهم الاشتغال بهذا العلم كعبد الله بن محمد المعروف بالسري وعبد الله
ابن محمد الذهبي، وأخيراً ذكرت أهمية العلاقة بين الكيمياء والصيدلة ومدى
ماكان يولي الأطباء للكيمياء من عناية واهتمام بالزهراوي وابن جلجل.
وأمّا الخاتمة، فتتضمن نتائج البحث ومدى تأثير هذه النشاط العلمي
الأندلسي في عصر الخلافة في أوروبا آنذاك.

وأخيراً فإنني أتقدم بوافر الشكر إلى أستاذي الكبير سعادة د. أحمد
السيد، دراج لما أسداه لي من إشراف وتوجيه وإلى كل من مدد لي يد العون في
سبيل إخراج هذه الدراسة، والتي آمل أن تساهم في بعث الاهتمام بالدراسات
التاريخية والحضارية للأندلس، وكشف وجه الإبداع فيها، والله من وراء
القصد.

سعد عبد الله البشير
شوال 403 هـ
لما كان موضوع البحث يقوم على وصف الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس وذلك من خلال ما قام به علماء ذلك العصر من جهود علمية فقد كان الإعتماد الأكبر في كتابة هذا البحث على كتب الترجم والطبقات، وقبل الإشارة إلى أهم المصادر المطبوعة يجد التنويع ببعض المخطوطات التي أُندت منها في بعض جوانب البحث.

المخطوطات:

1. «التصريف من عجز التأليف» للطبيب خلف بن عباس الزهراوي القرطبي من علماء عصر الخلافة، والمخطوط يقع في أجزاء كثيرة ولكن الجزء المتعلق بالجراحة هو ما أُندت منه حيث ينسب لهذا الطبيب الامام الكثير من الاكتشافات العلمية في ميدان الجراحة الطبية وهو أمر يشهد للأندلسيين بالنبوغ العلمي، فكان المخطوط الطبي يتضمن الأسس العلمية الصحيحة للجراحة الطبية التي نقلها الغرب وأفاد منها.

2. «تاريخ علماء الأندلس» لمحمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني (ت ١٦١ حـ/٢٩٧ م) والمخطوط عبارة عن معجم ترجم لعلماء الأندلس حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي و مما يُعرف له أنه لم يصلنا كاملاً حيث بقي منه جزء يقع في ١٨٢ ورقة مكتوبة بخط أندلسي. وقد أُندت منه في بعض جوانب البحث وخاصة فيما يتعلق بتراجم بعض العلماء كابن مسيرة وموقف الناس منه ورأى الخشني في سيرته، وكان لأهمية ذلك المخطوط أن اعتمد عليه ابن الفضلي في تأليفه كتابه «تاريخ علماء الأندلس».  

١٩
والجدير بالذكر أن هذا الخطوط مؤشر من مؤشرات الازدهار العلمي في حقل التاريخ والتراجم في عصر الخلافة.

3 - "غاية الحكم" خطوط يتضمن الكثير من المعلومات الفلكية والرياضية والجغرافية والكيميائية للعلامة القروطي مسلمة بن أحمد المجريطي - ت 329 هـ - وقد أشار بعض الباحثين إلى مخطوط غاية الحكم وأنه ملوف مجهول ولكن الحق أنه من تأليف العالمة المذكور. وقد أفادت منه عند الحديث عن الكيمياء والجغرافيا.

4 - "رتبة الحكيم" مسلمة بن أحمد المجريطي الأدنف الذكر. وهذا المخطوطة يعتبر من أعظم ما ألفه الأندلسيون في علم الكيمياء، فقد تضمن الكثير من المعلومات القيمة التي توضح مدى إزدهار ذلك العلم وتطوره في الأندلس. وللذا فقد استفدت منه عند الحديث عن الحديث عن الكيمياء وازدهارها آنذاك.

ولكن ما يؤخذ على مسلمة تعمده الفوضى في كلامه عن الكيمياء وعملياته المختلفة، وهو منهج سار عليه الكيميائيون حتى قال ابن خلدون في المقدمة من 404 (وكلمه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي ألفاظ يتعذر فهمها على من يعاني اصطلاحاتهم في ذلك).

5 - "القصص" وهو من تأليف الأديب صائد بن الحسن الربيعي (ت 450 هـ/ 1061 م) وموضوع المخطوط الأدب، وقد صاده من المشرق إلى الأندلس في عصر المنصور بن أبي عامر الذي اراد أن يجعل منه نداء وخلفاً للأديب المشرقي القايلي الذي حظي بمنزلة عالية لدى الخليفة الحكم المنتصر. ولهذا نرى المنصور يشجع صاعد على البحث والتأليف فيؤلف...

- 20 -
له كتابًا في الأدب أسماه (الفصول)، ونظراً للمتافسة بين أدباء ذلك العصر فقد وقف الأدباء لصادف بالرعدان فنتبعاً كتابه بالنقد اللاذع حتى قذف به المنصور في النهر. رغم ذلك فقد أبابه المنصور عليه بخمسة آلاف دينار، ولا شك أن ذلك المخطوطة حافل بالكثير من ألوان الأدب من شهر ونظر إلى جانب ماضٍ من الدراسات اللغوية جريباً على سنة التأليف الأدبي. وقد استندت من مقدمة المخطوطة في التعرف على سيرة الأديب صاعد وحياته العلمية باعتباره أحد أدباء عصر الخلافة، بالإضافة إلى كون المخطوطة صورة من صور النشاط العلمي في ميدان الأدب آنذاك.

٦- «العمل بالإستطلاع» من تأليف أحمد بن عبد العزيز الصفار (ت ٤٢٥هـ).

٦٣- ١٠٠ م)، ويشير القاضي صاعد في طبقات الأمم إلى أن اسم أبيه عبد الله، ووضوح المخطوطة كما يوضح عناوينه في ميدان الفلك وكيفية العمل بتك الآلة الفلكية المسماة بالإستطلاع وتوضيح أجزائها، ومهمة كل منها، ويتضح للمطلع على تلك المخطوطة المهارة الفائقة والمارسة العملية الجيدة التي تمثل بها ابن الصفاء.

ويستدل من أسلوب المخطوطة أنه موجه لطلاب العلم المشتغلين بالفلك، حيث يوضح لهم المؤلف النهج العلمي السليم في استخدام الاستطلاع، والمخطوطة إلى جانب ذلك يضم الكثير من المعلومات الفلكية التي اختضعها ابن الصفاء لحاجة المسلم الزمنية والمكانية، حيث سعى إلى تعيين القبلة وأوقات الصلاة، وكيف يتم ذلك، وقد نشر هذا المخطوطة بمجلة معهد
الدراسات الإسلامية بمدريد، وبعد الإطلاع على المخطوطة وما نشر تبين أن هناك اختلافًا كبيرًا بينهما، فضلاً عن أن ماتشر يعد ناقصًا عما ورد في المخطوطة. وقد أُفتقد من ذلك المخطوطة عند الحديث عن الفلك وتطوره في عصر الخلافة.

7- «ريحان الألباب وريعان الشباب» للمؤرخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم السعري، الذي اكمل تأليف كتابه المكروفي شعبان 57هـ/1171م، وموضوع المخطوطة في التاريخ والأدب. ويضم معلومات قيمة عن توازي بعض الدول الإسلامية وسير الخلافة، وقد أفادني فيما يختص بخلفاء بني أمية في الأندلس، بالإضافة إلى أهمية ما حواه من نصوص مهمة عن سير بعض العلماء كالقاضي وصاعد بن الحسن الربيعي.

8- «خلق الجنين وتدبير الحبائي والمولود» للطبيب عريب بن سعد القرطبي الذي عاش في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم ابنه الخليفة الحكم المستنصر، وكان يتمتع بعلم واسع في الطب إلى جانب رسوخه في التاريخ، والمخطوطة المشار إليه في الطب. وقد ضمنه خبراته ومعارفه الطبية في هذا الجانب المهم من الطب وهو طب الأطفال، وقد أفادني عريب نزولاً على رغبة الخليفة الحكم المستنصر وما من شك أن ماتضمه ذلك المخطوطة من المعلومات الطبية القيمة يعدّ دليلاً وشاملاً على تطور الطب في ذلك العصر والمستوى الرفيع الذي بلغه أطباء آنذاك وقد أفادني عند الحديث عن ميدان الطب وازدهاره في عصر الخلافة.
بـ المصادرون المطبوعة:

يأتي في مقدمة هذه المصادرون المطبوعة مايلي:

١ - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ / ١٤٩٢ م) ولهذا الكتاب بما يضمه من ترجمات كثيرة لعلماء الأندلس يعد من أهم ما رجعت إليه في استعراض جهود العلماء في حقول المعرفة المختلفة، ولكن الغالب فيما ضمه الكتاب من ترجمات كان منصباً على علماء الدين من فقه وحديث وتفسير القرآن. وتبرز أهمية الكتاب في معاصرة المؤلف للكثير من العلماء الذين ترجم لهم، ولهذا فما أورده عناهم من معلومات تعد أصدر وأصح ما توصل إليه الباحث لأنها قد أتت عن طريق المشاهدة والمعاينة، وقد استمر ابن الفرضي أيضاً في تأليفه لذلك الكتاب على كثير من الكتب التي فقدت ولم تصلنا وهو بذلك قد حافظ لنا نصبياً مما ضيعه الزمن ولا شك أن هذا فيه دلالة على قيمة الكتاب وأهميته.

٢ - جلدة المقتبس للحميدي (٤٨٨ هـ / ١٠٤٥ م) وقد صنفه حمدي وهو بالعراق، ويتميز الكتاب بأنه أكثر تنوعاً في ترجمته حيث لم يقصره على أهل الحديث والفقه بل تعداه إلى ترجمة أهل الأدب والشعر مورداً في ثناياهم الكثير من طرائف الأخبار وروايات الأشعار. ولهذا فإنه يلاحظ على ذلك الكتاب مسحة من الأدب فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من بيت أو أبيات شعر. وتبرز شخصية الحميدي العلمية من خلال ماضيه ذلك الكتاب من المعلومات القيمة عن علماء الأندلس وخاصة إذا علمنا أنه ألفه.
من حفظه. وقد استنفدت من ذلك الكتاب في الكثير من تراجم العلماء في مختلف تخصصاتهم العلمية.

٣ - "بغية الملتسم" للضبي (٩٩٩ هـ / ١٥٩٨ م) وقد اعتمد في تأليفه لكتابه المذكر على كتاب جذوة المقتبس للحميمي فنقل منه كثيراً وضاف الكثير. ولم يعد الباحث الفائدة من ذلك الكتاب فإن نقل الضبي عن الحميدي فيه تأكيد للمعلومات بالإضافة إلى ما نجده من تراجم أخرى لم ترد في جزء المقتبس.

٤ - "الصلة" لابن بشكوال (١٨٢ هـ / ١٨٨ م)، وقد ألفته ابن بشكوال ليكون ذيلاً على كتاب ابن الفرضي الأنف الذكر، ويعد كتاب الصلة من أهم كتب الترجم وأعظمها فائدة وتبرز أهمية الكتاب في أنمؤلفه كان كثيراً ما ينكر على بعض العلماء في ذلك بمعلومات قيمة توضيح لنا ما كان عليه المجتمع الادبي من علم ومعرفة فهو يتحدث BASSEBA عن محنة أحمد بن فرح الجياني وسبب سجنه وحرص الطلب على حضور دروسه في السجن، كما يتحدث عن نشاط العلماء أحمد بن سعيد وتخصصه قسماً من داره ليقوم فيه بتدريس طبة العلم.

٥ - "الحلة السيراء" لابن الأبار (٩٥٠ هـ / ١٥٥٩ م - ١٢٧٠ م)، وتبرز أهمية ذلك الكتاب فيما يتعلق بميدان الأدب والشعر وذوب النباهة منها من الخاصة والعامة، والكتاب يفيدنا بال كثير مما اتصف به بعض الخلفاء والأبرار من بنى أمية من التحليل بالأدب ومهاراتهم في الشعر، ولذا افادني عند الحديث عن الأدب والشعر.

٢٤ -
6- "التكملة" لابن الابار، ولعل أهمية ذلك الكتاب تتضح لنا إذا علمنا أن مؤلفه قد قضى في تأليفه نحوًا من خُمسين سنة. وفي الكتاب نصوص علمية مهمة تتعلق بعلماء الرياضيات والفلكل والطب، وهي معلومات لا نجدها في كتب الترجم السابقة. ولهذا فقد كان اعتماد الباحث عليه كبيرًا في ذلك.

7- "المقتبس" لابن حيان (1962م - 378هـ / 977م - 777م) وكان اعتماد الباحث على ماعثر عليه من أجزاء، فالجزء المتعلق بتاريخ الأندلس من سنة 1231هـ إلى 1372هـ والذي حققه محمود علي مكي أمدا بموارد قيمّة عن الحياة العلمية في عصر الإمارة.

كما أن الباحث أفاد من الجزء الذي حققه عبدالرحمن الحجي والذي تضمن تاريخ خمس سنوات من عصر الخليفة الحكم، أي من سنة 1266هـ - 1364هـ / 1954م - 1974م) وتبرز أهمية هذا الجزء في أن ابن حيان نقل الكثير عن سبقه من المؤرخين كالأزراوي ومحمد بن يوسف الوراق وهو بهذا قد حفظ لنا نصوصًا مهمة ممّا فقد من كتب أولئك المؤرخين.

وقد أفاد منه الباحث في الكثير من جوانب البحث كالحديث عن الأدباء والشعراء في عصر الحكم، وكذلك فيما ورد عن تربة هاشم المؤيد وتلقيه العلم على الكثير من العلماء إلى غير ذلك.

وأفاد الباحث أيضًا من الجزء الخاص بعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر والذي يبدأ من سنة 320هـ إلى 323هـ ويضم (767 صفحة).

وقد نشر هذا الجزء بـ تاليتا وف. كورنيطي وف. صبح بالمغرب 26.
الأسباني العربي للثقافة بمدريد سنة 1979م. وقد حوى هذا الجزء معلومات مهمة عن فتنة ابن مسرة ووقف السلطة في عهد الخليفة – عبد الرحمن الناصر منها، وما لقبه أتباع ابن مسرة من تنفيذ وكذلك ضمّ معلومات عن شعراء بلاط الخليفة الناصر، وهذا كله قد أفاد الباحث في استكمال الكتابة عن بعض جوانب البحث.

ورغم ماتقدم فقد الباحث يلحظ في المقتبس وغيره من كتب التاريخ الإهتمام العميق بالأحوال السياسية والعسكرية والفن والثورات التي قامت آنذاك في حين أن الجانب الحضاري وما يتضمنه من علوم وأداب وشيوخ الفكر لا تحظى باهتمام كبير اللهم إلا إشارات متفرقة.

8- «المجب في تلخيص أخبار المغرب» للمراكشي (ت 1429 هـ/ 1609 م) وقد أفاد منه الباحث فيما يتعلق بسيرة الحاج المقبل بن أبي عامر وشخصيته العلمية إلى جانب مذكراته عن الفقيه القرطبي ابن حزم وسعة علمه و منزلته الكبيرة بين علماء عصره وقدرته الواسعة على التأليف في أبواب المعرفة المختلفة.

9- «المغرب في هيلي المغرب» لابن سعيد (ت 185 هـ) وقد أفاد الباحث منه فيما يختص ببعض الترجم كحديثه عن الحافظ ابن عبد البر النمري والفيدسوف الشرقي أبو وهب عبد الرحمن العباسي وغيرهما من العلماء فمن لهم أهمية في كتابة البحث واستيفاء جوانبه المختلفة.

10- «البيان المغرب» لابن عذاري (ت القرن السابع الهجري). وعلى الرغم مما غلب على الكتاب من السرد التاريخي للأحداث السياسية والعسكرية إلا أنه حوى معلومات في غاية الأهمية عن الناحية العلمية كحديثه عن اهتمام
الحكم المستنصر بشئون التعليم وعنايته بإنشاء المدارس لأبناء الفقراء والمحتاجين تيسيره العلم لهم مجاناً.

١١ - "نفح الطيب" للمقري التلمسي (ت ٤١٨ هـ) ، وهذا الكتاب يعد في مقدمة المصادر التي أدمت الباحث بالتكثير من المعلومات المهمة المتعلقة بالحياة العلمية ، مؤلف الكتاب اعتمد في تأليفه على كتب من سبقه من المؤرخين ، وقد ضاع الكثير من تلك الكتب ، فكتابة بمثابة سجل حفظ الكثير مما ضاع ، بالإضافة إلى أن الكتاب بحجمه الكبير يعد موسوعة تاريخية في تاريخ الأندلس وحضارتها.

ومن نظرة التنوع النشاط العلمي وتعدد حقول المعرفة من شريعة وأدب وتاريخ وطب وفلسفة لجا الباحث إلى كتب الطبقات والتي يختص كل منها بفئة من العلماء كالطبابة أو الأدباء . ومن تلك الكتب:

١٢ - "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل الطبيب الأندلسي وقد ألفه سنة ٣٧٧ هـ.

ويعتبر كتابه من أهم الكتب المتعلقة بتراجم الأطباء ، وتزداد أهميته فيما يتعلق بالنهضة الطبية في الأندلس وتراجم أطبائه ، والكتاب نفسه يعد شاهداً على رقي الحركة العلمية في ميدان الطب مؤلفه من علماء عصر الخلافة بل أبرزهم في الطب.

١٢ - "طبقات الأمام" لصادق بن أحمد الطليطي (ت ٤٣٣ هـ) ، وهذا الكتاب أهم مصدر اعتمد عليه في دراسة النشاط العلمي في ميدان العلوم التطبيقية كالطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء . وقد ألف صاعد كتابه
للتعريف بجهود الأمم المختلفة في دراسة تلك العلوم حتى إذا تعرض لأهل بلده من الأندلسيين كشف لنا عن الكثير من الجهود الموفقة لهم في ذلك وما قدموه من نتائج علمية قيمة. ولذا كان اعتماد الباحث عليه كبيرا. هذا بالإضافة إلى أن القرن الزمني لتاليف الكتاب من عصر الخلافة يعمق صدق ما أورده المؤلف عن علماء الخلافة للرؤساء القريب من أحداث ذلك العصر وسير علمائه.

١٥ - معون الأنبياء في طبقات الأطباء» لابن أبي اصبيعة (٦٢٠ هـ - ٧٦٨ هـ). وقد أفاد منه الباحث كثيرا فيما يختص بالطباء الأندلسي وخاصة فيما أوردته عن سيرة الطبيب الأندلسي ابن جلجل وترجمة كتاب ديستوريديس. فالفكر بوجه ماضية من تراجم علماء الطب في العالم الإسلامي بصورة عامة إلا أن الباحث اعتمد عليه في حديث عن الطب والأطباء في الأندلس، والجدير بالذكر أن ابن أبي اصبيعة قد اعتمد في كتاباته عن الأندلسي على كتابه ابن جلجل وصاعد بن أحمد الآلفي الذكر.

١٥ - «طبقات النحويين واللغويين» لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ / ٩٩٩م).

وقد أفاد منه الباحث فيما يتعلق بالحديث عن النحو واللغة ودور الأندلسيين في ازدهار تلك العلوم.

وتبدو أهمية ذلك الكتاب فيما أورده الزبيدي عن نحوية الأندلس ممن عاشوا في عصره. ونعد ملاحظاته عنهم في غاية الأهمية لكتابه سيطره العلمية بمنهج علمي سليم وبنظره فاحصة اثبتت عن علمه الواسع بالنحو واللغة و مدى ما أسهم به معاصره في تطورها.
١٦ - «الذخيرة في محاさん أهل الجزيرة» لابن يسائي الشنيري (ت ٥٤٢ هـ).
ويأتي ذلك الكتاب في طليعة الكتب التي افاد منها الباحث في ميدان الأدب والشعر، فقد قصد المؤلف من تأليفه لكتابه المذكور الإشادة بمحاさん أهل بلده في ذلك فترته من شعبيه الأدباء والشعراء وأورد الكثير من نماذج إنتاجهم الأدبي، وقد اعتمد الباحث عليه في ترجمة بعض أدباء وشعراء عصر الخلافة.

١٧ - «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجنزري (ت ٨٣٣ هـ)، وقد ألمى في ترجمة الكتابين من علماء القراءات في العالم الإسلامي، ويتضمن الكثير من ترجمة علماء الأندلس ولذلك أفاد منه الباحث فيما يتعلق بالقراءات.

هـذه هي أهم المصادر التي رجع إليها الباحث، ولكن هناك الكثير من المصادر التي اعتمد عليها في كتابه البحث والتي اسهمت بقدر كبير في إنجازه وإخراجه بالصورة التي هو عليها الآن ويجدها المقارء مثبتة في قائمة المصادر والمراجع الملحة في آخر البحث.

ـ وبالإضافة إلى المصادر فقد اعتمد الباحث على الكثير من المراجع العربية والأجنبية ومن أهمها:
كتاب «الإسلام في إسبانيا» للطفي عبد البديع، والكتاب رغم صغر حجمه إلا أنه ضم الكثير من المعلومات القيمة عن العالم والأدب في الأندلس، ومن كتب الحضارة الإسلامية كتاب تراك العرب العلمي في الرياضيات والفلسفة لقدري طوقان، وكتاب «الإسلام والحضارة العربية» لكرد علي،

ـ ٧٩ ~
وكتاب "تاريخ الفكر العربي إلى ابن خلدون" لعمر فروخ، وكتاب "ظهر الإسلام" لأحمد أمين وخاصة الجزء المتعلق بالحياة العقلية عند أهل الأندلس، فقد سرد المؤلف جهود الأندلسين في وجه المعرفة المختلفة وإن كان ذلك على وجه الاقتداس.

وكانت الفائدة جليلة من كتاب " تاريخ الفكر الأندلسي " لانخل بالنثيا، ترجمة حسين مؤنس الذي تتبع حركة النشاط العلمي بصورة عامة، وكذلك من كتاب "حضارة العرب" لغوستاف لابون الذي ضم الكثير من المعلومات المهمة عن حضارة العرب في الأندلس.

كما أفاد الباحث من كتاب "حضارة العرب في الأندلس" للإليفي بروفيسال ومن كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" للكاتبة الألمانية زيخريد هونكه، الذي تجد به إشارات مهمة إلى ما بذله الأندلسون في رقي الحضارة الإنسانية وخاصة فيما يتعلق بالطب.

وفي ميدان العلوم التطبيقية أفاد الباحث من كتاب "تراث الإسلام" لزنيد وأخرين وهذا الكتاب يتضمن الكثير من المعلومات التي تؤكد عمق التأثير العلمي للمسلمين في أوروبا.

ومن المراجع الأوربية التي اعتمد عليها الباحث في كتابة هذا البحث يأتي في مقدمتها كتابان، وهما:

1- Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain.
   Printed in West Germany 1972.

هذا بالإضافة إلى بعض المقالات المنشورة في عدد من المجالات العلمية

ويأتي في مقدمتها:

- مقال حسين منس "الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس"، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد الثالث ج 7 و 8، 1955.
- مقال عبد الجليل الراشد "التقدم الفكري عند أهل الأندلس حتى عصر المرابطين، مجلة المؤرخين العربيين، العدد الثالث عشر.
- مقال خوسيه ريبيرا "المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا"، ترجمة جمال مجريز، مجلة معهد المخطوطات، 1978، ج 1.
- مقال أ. شاهين "أثر العرب في الطب"، وهي محاضرة ألقيت بجامعة إسكوتس 1971.

هذا وسيجد القارئ في قائمة المصادر والمراجع الملحة بالبحث

حصراً تاماً بكل مرجعته إليه من مصادر ومراجع وبحث.
تهيأ

الحياة العلمية في عصر الإمارة

- العلوم الدينية:

بدايتها - انتشار المذهب المالكي في الأندلس وأبرز علمائه آنذاك

宽容هم العلمي.

- الأدب والنحو وعلوم اللغة:

بداية الاستغلال بها وبرز العديد من العلماء فيها كحبس بن ناصح

ويحيى الغزال في الشعر، والقلطاق وفرج بن سلام في اللغة والنحو.

- العلوم الإنسانية:

بدايتها، أبرز المؤرخين عبد الملك بن حبيب، ومن الجغرافيين محمد

الرازي، وفي الفلسفة عناية الأمير عبد الرحمن الأوزسطي بها. وظهر ابن

مسرة.

- العلوم الطبيعية:

تأخر الاشتغال بملك الدراسات، أبرز من ظهر من الفلكين: مسلم بن

أحمد - يحيى بن السمينة ابن فرسان - في الطب: يوشع الحوناني - حمدين

بن إبان - يحيى بن إسحاق.

- 33 -
لم يشهد عصر الولاة في الأندلس نشاط علميا كبيرا كما حدث فيما تلاه من عصور.

وقد جاءت الأستاذ أثناء بالتهاب الصواب عند ما عل قضاية انصرف الناس عن الأدب وشغوف الفكر في عصر الولاة بأن المسلمين الفاتحين كانوا محاربين فقط، وأن هذا الأمر وحده كان كافيا لانصرفتهم عن الميدان العلمي في نظره. (1)

و所以我们 لنرد على هذا الرأى أن نوضح أن المسلمين الذين فتحوا الأندلس، ومن هاجر إليها بعد الفتح، كان بين صفوفهم الكثير من العلماء والفقهاء أمام: حنبل بن عبد الله الصنعاني ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري، وعبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي، وميسى بن نصير. (2) بل إن التاريخ حفظ لنا خبر دخول أحد صحابة رسول الله ﷺ الأندلس، وهو الملقيم الأفريقي. (3)

وأما من شك أنه كان لبؤلاء التابعين وغيرهم من الفقهاء المجاهدين دور كبير في تفقيه الناس، والعمل على ارشادهم إلى تعاليم الإسلام وبالتالي في قيام حلقات العلم والدرس، وبناء على هذا فإن الرعي الأول من الفقهاء

(1) تأريخ الفكر الأندلس، ترجمة حسن مؤنس، ص 1.
(2) الحمدي: جدة المقتبس، ص 6.
(3) ذكر المقرى في كتابه (نفح الطيب، ج 2، ص 530) كلام العلماء عن هذا الصحابي *يُذكَر* الإبراهيم وابن بشر والبرادر عندهم في تراجعهم من صحابة رسول الله ﷺ. ثم يشير إلى ابن الهاجري في تاریخه الكبير يعود له الحديث التالي: (ابن المتنى صاحب رسول الله ﷺ، وكان قد حدت بافريقية من رسول الله ﷺ قال: من قال رضيت بالله وبإسلام دينا ومحمد ﷺ نيابة، فانتي الزعيم لأخذك بيده، فدخلنا الجنة) كذا ذكره البخاري بالكتابة.
المجاهدين في الجيش الفاتح كانوا نواة طبية للنشاط العلمي في الأندلس، وبخاصة في حقل العلوم الدينية، ومن هذا يتضح أن الجيش الفاتح لم يكن محارباً فحسب بل كان هادياً ومرشداً للناس، فمن كان يضمه من طوائف العلماء وأهله المعروفة.

وقد استمر عمر الولاة الذي بُديء بالولاية عبد العزيز بن موسى ۹۵ هـ / ۱۳۷۳م حتى ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي هُرِمَ أمام الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشامmelon بالداخل ۱۳۸ هـ / ۷۵۵م.

وكان الأمير عبد الرحمن قد هرب من بطش العباسيين الذين قضوا على إبائه في المشرق، وتمكن من أن ينصب نفسه أمير على الأندلس بعد أن استعان باليمنيين الذين لم يرضوا بسلوك وأهليهم يوسف المتخصص لجماعة من المضربة، بالإضافة إلى مساندة مواطني الأمير عبد الرحمن الذي استطاع أن ينزل بخصمه يوسف هزيمة متكررة شنت شمله وفرقت أتباعه، وتم لعبد الرحمن دخول قرطبة في عيد الأضحى من نفس السنة (۱) ليبدأ بتوحيد حكم الأندلس عصرًا جديداً وهو (عصر الإمارة).

ومن الطبيعي بعد أن استقرت الأوضاع في الأندلس أن ينصف الناس إلى البناء الحضاري وتحصيل العلوم والآداب، وكانت العلوم الدينية آنذاك هي قطب الرحى في النشاط العلمي، ومدار البحث والدرس؛ لارتباطها الشديد بالعقيدة التي يعتنقها الفاتحون، والتي من أجلها تحملوا مشاق الفتح ونصب الجهاد في سبيل الله.

(۱) الحميدى: المصدر السابق، ص ۸ - الضيبي: بغية الملتمس، ص ۱۲ - المراكشي: المجلب، ص ۲۹
العلوم الدينية:

في بداية الحديث عن العلوم الدينية يجد بنا أن ننظر إلى موضوع
دخول الذهب المالكي للأندلس فقد كان الذهب الأزهري هو الذهب السائد في
الأندلس قبل دخول الذهب المالكي، وينسب إدخاله إلى الأندلس إلى الفقيه
الشامي صعصعة بن سلام (ت 192 هـ/710 م)، وهو أحد أصحاب الإمام
الأزهري (1) وقد دخل صعصة الأندلس في عهد عبدالرحمن الداخل حيث
تولى منصب الفتيا في عهده، وشطرا من عهد ابنه هشام، كما درس على يده
كثر من طلاب العلم، وأخذ عنه العلماء أمثال: عبدالملك بن حبيب ومعثمان بن
أيوبي (2).

وكان الذهب الأزهري أتباعه في الأندلس، الذين كان لهم الفضل في
انتشاره هناك. فكان هو السائد في الأندلس، والعلم عليه في الفتاوى
الشرعية والقضية، إلا أنه نتيجة للرحلات العلمية التي قام بها علماء الأندلس
إلى الشرق فقد وجدت بعض الذهب طريقها إلى الأندلس، وخاصة الذهب
المالكي الذي لقي قبولاً واسعاً هناك، ثم أصبح الذهب السائد في الأندلس،
وينسب إدخال هذا الذهب إلى العلامة الأندلسي زياد بن عبد الرحمن الخصي
(ت 199 هـ/814 م). وقد ورد هذا اللقب بهجرته، وأخذ علومه الأولى فيها.
ثم شهد رحالة إلى الشرق بقصد الحج، وبعد أدائه شعائر الحج اختبر إلى مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها المنبع الأصيل للثقافة الإسلامية.

(1) هو الإمام أبو عمر عبد الرحمن بن عمرو بن يحمر، والأزهري نسبة إلى الأزهار بطن من
حمر، ولد بعلبك (88 هـ/706 م)، ومر في الحديث والفقه، واهتمام إماماً جليلًا له
ذهب مستقل إلا أنه اكتسب أمام الذهب الأخرى وقد توفي سنة 157 هـ/773 م، بلبنان.
(2) ابن زيد الموصلي: مساند المسايق، ص 75-86 هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص 217.
(2) ابن الفضلي: تاريخ علماء الأندلس، ج 1، ص 202-203، الحميدي: الجذوة، ص 244.
ف클ي هناك مالكا إمام دار الهجرة (١)، وروى عنه الوطاء، وأخذ عنه الكثير من العلم في ميدان الفقه، ثم عاد إلى وطنه لينشر مذهب أستاذه مالك ويعمله لطلابه (٢).

على أنه يروى أن غازى بن قيس (ت ١٩٩ هـ / ٤٣٤ م) هو أول من أدخل موطا ملاك إلى الأندلس، فقد كان مؤدياً ومعلماً بقرطبة وسنى له الارتحال إلى الشرق حيث أخذ الموطأ عن مالك بن أنس والقراءات عن نافع بن أبي نعيم وقد وصف غازى بقوة الحفظ وبباء الذاكر (٣).

وقد يبدو هذا بعض التناسق ولكن من خلال التدقيق في دراسة سيرة كل من الفقهين يتضح أن زيدا كان أكثر نشاطاً وأسرع سباقاً في نشر مذهب مالك، وأن غازى كان أكثر حفظاً واستيعاباً للموطأ إلى جانب اهتمامه وعنايته بالقراءات، ويتضح هذا من ذكره الحمدي في ترجمته لهما من أن غازى كان أكثر حفظاً، وزيداً أسرع بتعريف الناس بمنهج مالك، وكانوا قبلة على مذهب الازتعالي (٤).

ويا ت الفقيه يحيى بن يحيى الليثي (١٥٢ -٢٣٤ هـ / ٧٨٩ -٨٤٨ م) في مقدمة علماء المالكية الذين بثوا المذهب المالكي في الأندلس وعملوا على نشره في ميدان الفتاوى والقضاء وقد رحل يحيى إلى الشرق وسمع من مالك (٥).

(١) هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر من حمير صاحب المذهب الذي اختص به وكان لزامته وديننه لا ينطبق الحكام بل كان يقول الحق ولا يرضي الباطل، فالفقهاء السابقين في بيعتهم فنكرنا به، ووصف بالفقه والعلم الواسع وأنه نقيه الجواز وسيدها في العلم وقد توفي (١٧٩ هـ /٧٨٩ م) (ابن النددي: الفهرست، ص ٢٨ - ابن تيمية المعرف، ص ٢٢٨ - ابن نبات: سرر العين، ص ١٤٨ - ١٤٨).

(٢) القششي: تاريخ علماء الأندلس (مطبوع) ورقة ١٥٨.

(٣) ابن الجوزي: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، ص ٢.

(٤) جذوة المقتبس، ص ٢١٨ - ٢١٩.

٣٧ -
وغيره من العلماء، وكان مالك يسمي عاقل الأندلس، وبعد أن تزود بالعلم والخبرة عاد إلى وطنه ليتبوأ مكانه رفيعا لدى الأمير هشام ومن بعده ابنه الحكم وحفيده عبد الرحمن الأوسط، وكان ليحيى بذلك قول مسموع في تعين قضاء المالكية في مناصب الدولة ووظائف القضاء، فحمل الناس على الاهتمام بالمذهب المالكي ونشره في البلاد.

(1) وقد أشار إلى ذلك ابن حزم بقوله: (300) مذهبان انتشر في بدء أمرهما بالرياضة والسلطان، مذهب أبي حنيفة فإنه أولا؛ ولي قضاء أبو يوسف كانت القضاء من قبله، فكان لا يولي قضاء البلد من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال أفلاق إلا أصحابه المنتزمين إلى مذهب. ومذهب مالك بن أنس عندنا، فإن ليحيى بن أبي كثير كان مكونا عند السلطان مقبول القول في القضاء فكان لايقب ضاقت في أقطارنا إلا بمشارته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا والرياضة. فقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به.

وكان لسعة علم ليحيى وفضله يستشار لدى الأمراء إلا أنه لم يتولى منصب من المناصب لزهده وتقشفه وعده الكثير من المؤرخين قصبه الأندلس والمقدم بين علمائها، ورواية لوطن عن مالك تعد أشهر الروايات.

(1) الحمدي: نفح المصدر، ص 282-283.
(2) الحمدي: الجذوة، ص 283-284، البغية، ص 111، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 6، ص 144.
(3) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ص 62.

- نتيجة لشهرة روايته تلك فقد حظيت برونقية متداخلة بين العلماء حتى عصرنا الحاضر ولا تزال هناك الكثير من نسخ الموطا برواية ليحيى المذكور.

- 38 -
والجديد بالذكر أنه كان إلى جانب دور هؤلاء العلماء في نشر المذهب المالكي كان هناك دور بارز للأمير هشام بن عبد الرحمن (172 هـ - 778 هـ) الذي وصف بحسن السيرة ونقاء السيرة ونقاء السيرة. وأنه كان مكرماً للعلماء باراً بهم، ولما وصلت أتباعه عادله وكرم خلقه إلى سمع الإمام مالك بن أنس سرًّه بذلك وأثنى عليه قائلًا: ودت أن الله زينًا موسناً به. (1) وكان هذا سبباً في ميل هشام إلى المذهب المالكي والعمل على نشره في وطنه وبيته بين رعيته. (2)

ويشير ابن خلدون إلى سبب اتباع الأندلساني لمذهب مالك بأن رحلاتهم كانت في الغالب للحيز وأنه متنهى سفرهم، والمدينة يمتدت هي مركز العلم هناك ومنها خرج إلى العراق، فاقتصر على الأخذ عن علوم المدينة وعلى رأسهم مالك، وأنهم مالوا إلى الحجاز لتطبيق الحالة في البادر، وأنهم لم يعانون حضارة أهل العراق فاقتصر على أساسة البذاء على أهل الحجاز. (3)

وأما ذكره ابن خلدون له نصيب من الصحّ إلا أن جانباً مما ذكره يحتاج إلى إيضاح ومناقشة وهو قوله: "وأنهم مالوا إلى الحجاز لتطبيق الحالة في البذاء ولم يعانون حضارة أهل العراق فاقتصروا لمساحة البذاء على أهل الحجاز"، وهو بهذا الوضع قد بلغ في إلحاقه سمة البذاء بأهل الحجاز وتصويرهم بالتفخيم عن غيرهم، وأنهم قاصرون عن رتبة الحضارة التي بلغها.

(1) أخبار مجموعة (مجاهل المؤلف)، ص 126.
(2) المقرئ: نفح الطيب، ج 3، ص 230.
(3) المقدمة: ص 449.
أهل العراق، وكيف أن الأندلسيين الموصوفين في نظرته بما وصف أهل الحجاز قد مسوا لهم لتشابه المعاناة والرؤية المشتركة الناجحة عن القصور الحضارية، وتخلفهم عن غيرهم من الناس.

وهذا ولا شك مجانبة للصواب، فالحجاز آنذاك بما ضمه من مواطن الهادية كمeka المكرمة التي شغِّل فيها دور الإمام، والمدينة المنورة قاعدة الإسلام، ومنبع العلم والمعرفة، لهما الفضل الجلي، واليد الطويل على حضارة الإسلام، ومنه خرج رواد الحضارة الإسلامية الذين رسموا لأهل العراق حضارتهم. وهو أمر اعترف به ابن خلدون حيث قال: "والمدينة يومئذ هي مركز العلم هناك ومنها خرج إلى العراق" فلماذا يسمى أهل المدينة بالبداوة؟

وفي الفترة التي تم فيها تأثير الطهي الملكي في الأندلس - أي حوالي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي - كانت المدينة تزهو بنشاطها العلمي وما أسدها للعالم الإسلامي من علم ومعرفة على أيدى علماء أجناس باني في مقدمتهم العلامة مالك بن أنس الذي وصف بما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالم أعلم من عالم المدينة" قال الحميدي قال سفيان أظنه مالك بن أنس وكذلك رواه إبراهيم بن المتنز الحزامي عن سفيان بن عيينة، قال وكان سفيان يقول: أراه مالكاً.

وكتب التراجم تشيد بريح الكثير من علماء خراسان وفارس والعراق والشام إلى المدينة، وأخذهم عن علمائها وفروعها (2)، فمن أين أنت تلك

(1) ابن مذبهر: الانتقال، ص 16 - ابن كثير: البداية والنتيجة ج 6، ص 251.
(2) معرفة ما كانت عليه المدينة من مكانة علمية، وما استحقت للحضارة الإسلامية من جهود مثيرة، انظر الخطوط البحتية / الرحلة في طلب الحديث، ص 88 - 92، 144-145. وكذلك عمر كحالة: مقدمات وباحث في حضارة العرب والإسلام، ص 137 - 138 - 137 - 138 - 40 -
الصورة البدائية التي رسمها ابن خلدون لأهل الحجاز؟ وآين كانت تلك الحضارة التي بهرت أنظار الأندلس؟ ففرضت عليها التراجع أمامها، والذكوعق الاحتكاك بها، وأي مدينة رفيعة في ذلك الزمن يتهبها أولئك العلماء يحتضون عن الاقتراب منها؟ فمنهم وهم متعثر في بداهم نحو إخوانهم الحجازيين الذين يعانون مثلهم وجه التخلف والبداوة. وهو ما صوره ابن خلدون والغال فيه.

وله فان صفة الدعاوة، والفرق الحضاري المزوم بين أهل الحجاز، وأهل العراق غير حاصل، وليس سببا في تتأثر الأندلسين بالذهب المالكي، فالرحلات العلمية التي قام بها الأندلسيون إلى المشرق، واتجاههم إلى المدينة، كان من واقع ما تتعمته به المدينة دار الهجرة من مكانه علمية، وما ضمته من التابعين الذين كانوا ألقى ببنيطة رسول الله ﷺ، وأخذهم عن صحابه الكرام، وقد يكون للعداء السياسي بين العباسيين والأمويين أثر في انصراف الناس عن أخذ العلم عن أهل العراق ولا سيما في الفترة الأولى من عصر الأمة الأموية التي تميزت بحدة العداء بين الطرفين، وإن كان من المعروف أن الخلاف السياسي بين الدول الإسلامية لا ينحصر على أفراد الرعية في كل شعب من شعوب تلك الدول. إلا أنه قد يكون له تأثير على نفسيات الناس، ومن ثم على ضروب سلوكيتهم المختلفة في تعاملهم مع بعضهم البعض.

وكان من نتائج انتشار ذلك المذهب وكونه المذهب الوحيد الذي سار عليه الأندلسيون بوجه عام أن زالت أسباب الخلاف التي تنشأ عادة بين المذاهب المختلفة، بالإضافة إلى أنه كلف لهم الوحدة المذهبية والاستقلال المذهبي - الذي قصده الحكام الأمويين بعد أن استقلوا سياسيا عن خصومهم العباسيين.

---

(1) انظر في ذلك آدم ميرز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص 295.
(2) زكريا هاشم: فضل الحضارة الإسلامية، ص 511- 512.
واستسلم الأندلسيون بمذهب مالك وخلاصوا له، وقاوموا ماعداه، حتى وصف أهل قرطبة بانهم أشد الناس محافظة عليه، وأنهم لا يرون عاملا أو حاكم لا يقضي به.

بل إنهم كانوا كثيرا ما يشيرون به في محافظتهم العلمية، وينتقدون في الحفاظ عليه الكثير من الأشاعر. ويبقى من هم استنكارهم على الخارجين على مذهب مالك (فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوذ وإن عثروا على معتزلي أو شيعي أو نحوهما ربما قتلوا).

ووبعد هذا فقد كان هناك علماء يتبعون في فقههم مذاهب أخرى. كمذهب الشافعي أو المذهب الظاهري، فقد ذكر الحندي أن الفقيه قاسم بن محمد (ت 277 هـ / 880 م) كان شافعيا.

كما أن الفقيه عبد الله بن محمد بن قاسم (ت 272 هـ / 885 م) كان يتبع في فقهه المذهب الظاهري فقد درس على يد منشئي المذهب الظاهري أبي داود سليمان المصفى في الشرق، ثم عاد ليشره في الأندلس إلا أنه لم يحافظ التوفيق في ذلك.

ومن هناك العديد من العلماء الذين اتبعوا مذاهب أخرى ولكنهم لم يلقو قبولا لدى أهل الأندلس.

وكان لتشدد الأندلسيين في اتباع مذهبهم أنهم في معاملتهم لأن خلفهم فقد ناصروا العداء لبقي بن مخلد (ت 201 هـ / 816 - 889 م) الذي انتقل إلى الشرق لأخذ من علمائه وفتخائمه ثم عود حاملا معه الوانا.

(1) المقرئ: النفح، ج 3، ص 216.
(2) المقرئ: السلفي أخبار وترجم أندلسي، ص 27، ص 7، ص 71.
(3) المقدسي: أحسن التقسيم، ص 237.
(4) الجهة: ص 229.
(5) المتالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 429.
مختلفة من كتب العلم، ككتاب القفق للشافعي وكان لخروج بقي على مذهب
مالك وما عرف عنه أثر في تصدى الكثير من الفقهاء له فوسترهم باتهم لدى
الأمير محمد بن حسن (ت 278 هـ - 388 م) وكان هذا الأمير مصوفاً
بالعلم وأكرام أهل فحقق في أمر هذه الدعوى وما قام به خصوم بقي فيتنين له
مجانبتهما للحق وما افتراقهما من إثم وبراءة بقي مما يعمون فأعماله ورفع
 منزلته وأمره بنشر علمه بين الناس (1).

وكان بقي المذكور يعد من أعلام الفقهاء والمحدثين في عصر الإمارة،
وكان لرحلاته العلمية إلى المشرق أثر كبير في توسيع دائرة علمه وثقافته وعلو
مقامه العلمي بين علماء عصره (2).

ومن أهم شمار رحلته تلك ما عاد به إلى الأندلس من كتب العلم والمعرفة،
والتي كان لها بلا شك أثر كبير في تطع الأندلسيين نحو دراسة وبحث مسائل
العلم المختلفة، فما جلبه بقي من الكتب المشرقية مصنف ابن أبي شيبة (3)
وكتاب القفق للشافعي، وتاريخ خليفة بن خياط (4)، وكتابه في الطبقات، وسيرة
عمير بن عبد العزيز للدوقي (5).

(1) ابن حيان: المقتبس، ج 2، تحقيق محمود علي مكي، ص 263 - 264.
(2) ابن حيان: المصدر السابق، ج 2، ص 264.
(3) هو أبو بكر عبد الله بن محمد من المحدثين المصنفين (ت 235 هـ / 849 م) له كتاب كثيرة
منها كتاب السن، وفيه كتاب التفسير وكتاب المسند في الحديث (ابن التميم)
الفهرست، ص 260.
(4) هو خليفة بن خياط، في خليفة الشيباني العصفرى محدث نسبه إخمدي صنف
التاريخ في عشرة أجزاء طبع منه جزء واحد والكتاب الطبقات طبع جزء واحد، ووصف
خليفة بالمراهقة في خلق ويفة العلم، (الزركلي: الأعلام، ج 2، ص 316).
(5) هو أحمد بن ابراهيم بن كرير العبدلي له مؤلفات كثيرة في الحديث (ت 246 هـ / 860 م)
ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ج 2، رقم 246.
ويرز في عصر الإمارة فقهاء كثيرون غير ما تقدم، كالفقيه عبد الملك بن حبيب (ت ۲۳۹ هـ / ۸۵۳ م) وكانت له رحلة إلى الشرق حيث لقي مالكا عالم المدينة وأخذ عنه وعن أصحابه وتزود بالكثير من العلم على أيديهم ثم عاد إلى الأندلس وأسهم في نشاط الحركة الفقهية فألَف كتاباً في الفقه سماه
(الواضحة في الحديث والمسائل على أبواب الفقه) (۱).

ويظهر أن لهذا المنصف منزلة قيمة بين فقهاء الأندلس، حتى قال فيه ابن حزم (والملكيون لا تماثل بينهم في فضله واستحسانهم إياها) (۲).

ولم يكن عبد الملك مقتمراً في علمه على الفقه وعلوم الدين، بل كان أديباً ومؤرخاً وفلكياً، ولكن الفقه غلب عليه، وفي هذا يقول ابن حيان: قرأت بخط عبده الشاعر قال:

كان يحيى بن يحيى وأصحابه الفقهاء يهمنون عبد الملك بن حبيب، لتقدمهم عليهم بعلوم لم يكونوا يعرفونها، ولا يشرعون فيها إذ كان مع تقدمه في الفقه والحديث واللغة مفتناً في العلوم القديمة (۳).

ونظراً للإقبال المتزايد من الأندلسيين على دراسةذهب المالكي، فقد نجم عن ذلك أن توفر البعض من العلماء على شرح ودراسة ذلك الذهب وتناولوا كتب مالك بالبحث والشرح المستفيضة.

فمن نسب إليه ذلك من الفقهاء عيسى بن دينار (ت ۲۱۲ هـ / ۸۷۷ م) الذي سار على نهج إخوانه الأندلسيين في الرحل إلى الشرق ليأخذ عن علمائه، ثم مالبث أن عاد ليتولى منصب الفتياً وكان لسعة علمه وغزارة معارفه أن وصف بأنه أفقي من يحيى بن يحيى عالم الأندلس الألف ذكر، وقد أثني

(۱) الحمداني: الجردية، ص ۲۸۲.
(۲) المقرئ: الفقه، ج ۳، ص ۱۷۱.
(۳) المقتبس: تحقيق محمود مكي، ص ۴۸. م ۴۴.
عليه غير واحد من العلماء فقال أحدهم (كان عيسى بن دينار عالما متقاً متفقاً وهو الذي علم المسائل أهل مصرنا وفتحها) وقال فيه آخر: فقهه الانداس
 عيسى بن دينار، ووالها عبد الله بن حبيب، ومعاقله يحيى بن يحيى(1).
وكان لهذا الفقيه جهد بارز في ميدان البحث والتأليف العلمي فتألف كتاباً فيما أسماه "الهداية" وصف بالدقة وشموله للمعنى الفقهية على المذهب المالكي(2).
وتتابع العلماء في تناول الموطأ بالشرح والاضاح، وكان للفقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين(3) (ت 270 هـ / 883 م) جهد مشكور في شرح موطأ
مالك وتوضيح مسائله(4).
وإلى جانب ماذكرنا فقد شارك الفقيه مالك بن علٍ القطني في هذا الميدان حيث صنف كتاباً في الفقه عالج فيه الكثير من مسائل الفقه على المذهب المالكي، ووصف كتابه بالدقة والقيمة العلمية الكبيرة(5).

الحديث والتفسير

من دلائل التفوق العلمي لعلماء المسلمين الأوائل تنوع معارفهم، وتشعب
مهاراتهم العلمية في أكثر من علم، فبقي بن مخلد السباق الذكر بعمل هذه
الصفة بما كان يتمتع به من براعة في العديد من العلوم، فهو ماهر في
الحديث والفقه والتفسير، وألف في كل هذه العلوم تقريباً.

(1) ابن الفضي: المصدر السابق، ج 1، ص 126 - أحمد مزين: ظهر الإسلام، ج 3،
ص 50.
(2) المقرئ: النفح، ج 3، ص 167 - أحمد مزين: المرجع السابق، ج 3، ص 50 - محمد
مخلوف: المرجع السابق، ص 64.
(3) جناب الاستاذ لطيف عبد الرازق، رحمه الله، حينما اشار إلى شرح الموطأ هر
إبراهيم بن مزين، ولكن الصحيح ما هو مشار فيه بالنظر كما ارده المؤرخون ونصته عليه كتب الترجم.
(5) المقرئ: النفح، ج 3، ص 168.

_ 45 _
وفيما يتعلق بالحديث يعتبر من أبرز العلماء الذين اهتموا بدراسة الحديث وعلومه المختلفة فقد كان يمثل مدرسة عظيمة ذات أثر واضح في الرقى العلمي في الأندلس، ويجدهد بقي العلمية (صارت الأندلس دار حديث ومدّدار ، وإنما كان الغالب على أهلها من قبل ذلك رأي مالك وأصحابه، والتفقه في المسائل المدنية، فكانوا ينصبون لأهل الحديث ولا يرضونهم). (١)

ولا شك انّ بقياً قد أثرى بذلك ميدان الحديث، ولفت أنظار الأندلسين إلى حقل الحديث وعلومه بعد أن غلب عليهم فقه مالك، وكان تأثير بقي واضحًا، وسهّل جلياً حتى قال فيه ابن الفاضلي: "وقي بن مخلد مال الأندلس، حديثاً ورواية" (٢).

وبناء على ذلك فإنّ بقياً هو رائد الحركة العلمية في ميدان الحديث، ودراساته المختلفة التي أُشرت وأيضعت، وكانت قاعدة صلبة لدراسات علمية قيمة تمت فيما تلى ذلك من عصور، وما ألفه في الحديث مصنف، وروى وفيه ألف وثلاثمائة منهم ورتب أحاديث كل منهم على أسماء الصحابة وروى فيه ألف وثمانية منهم ورتب أحاديث كل منهم على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند حتى قال فيه ابن حزم: "لا أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاظه في الحديث وجودة شيوخه فإنه روى عن مائتي رجلاً وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير" (٣).

وضعه ابن الفاضلي بأنه ليس له نظير وأنه لم يصنف مثله قطعاً (٤).

وكان الحديث محمد بن يضاح (١٩٠ - ٢٧٨ هـ / ٨٨٠ - ٩٠٠ م) نذاً قوياً

(١) ابن حيان: المصدر السابق، ص ٢١٤.
(٢) تأريخ علماء الأندلس: ج ١، ص ٩٢.
(٣) المسند: الجدوع، ص ١٧٧.
(٤) تأريخ علماء الأندلس: ج ١، ص ٩٢.
لبقي من مخلد في ميدان الحديث ودراساته المختلفة، واستطاع أن ينشر علومه في هذا الميدان. ومحمد بن وضاح ويبقى صارته الأندلس ميدانا نشاط في مجال الحديث وأسناده(1).

ولم يقتصر النشاط العلمي على هذين العالمين بل كان هناك الكثير من المحدثين الذين قدموا جهوداً موفقة في حقل الدراسات العلمية المتعلقة بالحديث وعلومه. ومن هؤلاء قاسم بن ثابت بن حزم (250-302 هـ/ 868-914 م) الذي صنف كتاباً في شرح الحديث أسماه «الدلائل» بلغ فيه درجة رفيعة من الاتفاق إلا أن الندية حالت دون أن يتم فاكحه أبوه من بعده(2).

أما فيما يتعلق بالتفسير. فنسب الفضل الكبير في ازدهاره وروق دراسته إلى العلامة بقي السالف الذكر، حيث ألف مصنفًا فيما في تفسير القرآن الكريم والذي لقي قبولًا منقطع النظير في الأوساط العلمية، وطلبته شهرته الافتراق حتى ذكر الحمدي أن صديقه ابن حزم أشاد به فقال: «هو الكاتب الذي أقطع قطاعاً لا استثني فيه أنه لم يلفق في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره(3).»

وفيما فإن ميدان الدراسات الدينية في عصر الإمارة لقي تنشيطًا حسنًا بفضل مالبته علماء الأندلس آنذاك من علم ومعرفة، وكان علماء الأندلس في بداية الأمر يستنجدون في اكتساب معارفهم على أهل المشرق الذين سبقواهم إلى طريق تلك العلوم. إلا أنهم لم يبقوا عند هذا الحد، بل أضافوا الكثير من عبدهم وجوده بقي بن مخلد شاهد على ذلك.

(1) ابن الفرخجي: نسخ المصدر والجزء والصفحة.
(2) ابن الفرخجي: المصدر السابق، ج1 ص 367-368.
(3) من دلائل النشاط العلمي في ميدان الحديث في عصر الإمارة ما ألفه معارض بن مروان بن عبد الملك من أهل القرن الثالث الهجري فقد ألف ماجوداً لألفا المحدثين وأسماءهم وأئمةهم من المصنفين. (انظر اتثنى: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 401).
(4) الجذوة، ص 242-246.
(5) النسخة، ص 177-245 - البغية، ص 245-467
الادب والنحو وعلوم اللغة:

يحتل الأدب واللغة والنحو المرتبة الثانية بعد العلوم الدينية من حيث
الإحترام لدى الأندلسين بالعلوم في بداية الحركة العلمية التي بلغت ذروتها في
عصر الخلافة.

ومنها يدهش الدارس للحركة الأدبية في الأندلس أن الكثير من علماء
الأندلس في كافة حقول العلم يتصنف في سيرتهم العلمية بولن من ألوان الأدب،
كالبلاغة أو قول الشعر.

ويأتي الفقيه عبد الملك بن حبيب في مقدمة هؤلاء العلماء، فإنه إلى جانب
كونه فقيهاً محترماً، كان أدبياً بارعاً كما أن بقى بن مخلد اتصف بهذه الصفة.
وكذلك الفقيه أبو بسليمان (ت 114 هـ) كان إلى براءته في الفقه
ومهارته في الفتيات، ضعيفاً في النحو والشعر والعروض منسوبي إلى البلاغة.

ولنبدأ في الكلام عن هذا المجال بالشعر الذي ظهرت بوادر تأليقه
باعتباره وجهة من وجهة الأدب منذ عصر الإمارة، فهي بداية عصر الإمارة
نجد الأمير عبد الرحمن الداخل من ذوي الوراثة في قول الشعر، وله أشعار
جيده تدل على ملكة راسخة في الشعر والأدب.

وقد أتصف الأندلسين بقول الشعر وغلب على الكثير منهم حتى كادوا
أن يكونوا جميعهم شعراء، وأصبح الشعر ظاهرة عامة للشعب الأندلسي
ساعدتها ظروف البيئة السياسية، والاجتماعية، والطبيعية حتى أصبح على مم
كل الإنسان، فهو في نظر العامل والمؤلف الأندلسي أنشودة تشجعهم.

(1) ابن الف ⇒ المصدر السابق، ج 1، ص 16.
(2) للوقوف على نماذج من شعره انظر: أخبار مجموعة، ج 2، ص 117ـ 118، ونفح الطيب، ج 2،
ص 38، 42، 44.
(3) سامي الثاني: دراسات في الأدب الأندلسي، ص 110.
وهم بهذا ( أشعار الناس فيما كره الله تعالى في بلادهم، وجهله نصب أعينهم
من الأشجار والأنهار والأطيار... لا يئازهم أحد في هذا الشأن) (1)

(2) ومن شعراء عصر الإمارة، يحيى بن حكم الغزال (157 هـ) / 772 - 874 م، وقد وصف بالبلاغة في قول الشعر، والنباهة في انتقاء صوره، وتفتنه في ضروبه المختلفة. وله أتصف به من بلاغة وخلق نبيل وشخصية قوية، أرسل في عدة سفارات إلى القسطنطينية، إلى ملك النورمان (2)، وذلك من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط. وفي أحد سفارتهم تلك، فقد استحب صديقه يحيى بن حبيب، وكان قد ركب البحر وشاهدًا أموره المتلاطم وعائلا الخطر.

منه يقول:
قال لي يحيى وصرنا
بين موج كأجبال
وتولتنا عصوف
من جنوب وشمال
عرى تلك الجبال... الخ (3)

(1) المقرئ: النفيع، ج 3، ص 155.
(2) أنتمي يحيى الغزالي أول الأمر في سفارة إلى الإمبراطور تيرفيليوس إمبراطور القسطنطينية، ردا على سفارة التي بعثها إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 226 هـ / سنة 840 م. وقد استحب يحيى في سفارته تلك صديقه يحيى بن حبيب. وحقق الغزال نجاحا كبيرا في رحلته السياسية التي استهدفت منها توظيف مرأى الصداقة بين الدولتين.

(3) عندما غزا النورمان ولايات الأندلس الجنوبية الغربية بعث ملكهم واسمه هوريك إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم في طلب الصلح فاجابه الأمير إلى ذلك وبعث إليه بوفد يرأسه الغزال واستحبه في رحلته طويلة يحيى بن حبيب وقد عاناه من رحلتهما البحرية الكثير من المشق والاختيار. ووصف الغزال تلك الأموال في البحر في شعره، وهو ما أشارنا إلى بعضه في المتن. ونظرا لما تمثله الغزالي من لباقته بنكاء، وأدب رفيع فقد حاز على اعجاب الملك، والملكية وكانت رحلته موقفه وناجحة ( انظر: محمد عبد الله عنان: تراجع إسلامية، ص 161 - 162, 172 - 173).

(3) الحمدي: الجنة، ص 374 - 375, ص 49.
وليفني أشعار كثيرة في مواضيع مختلفة، وقد طال به العمر حتى بلغ أربعة وتسعين سنة. وقد جمع شعره أحد العلماء وهو حبيب بن أحمد، وكان الغزال بمجرد عصره عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية ثم ابنه هشام. فالحكم فعبد الرحمن الأوسط وتوفي في إمارة الأمير محمد.

ويقف الشاعر عباس بن ناصح الثقفي في مقدمة شعراء تلك الفترة، وقد اهتم به والده فجعله من صغره ورباه على المعرفة والأدب، ولا بلغ مبلغ الرجال رحل إلى المشرق فتردد في طلب غبة العرب، والثقفي بكبار الأدباء والشعراء هناك أمثال الاصمعي ثم مالبه أن عاد إلى وطنه ليتلقى ذكره بين الأدباء وأهل الشعر ثم رحل إلى المشرق ليلقى الشاعر المشرقي الحسن بن هاني الحكيم، فتألقت منه الكثير وغنم من مجالسته والتقرب إليه، وكان عباس بن ناصح يتعاطى معه قول الشعر حتى قبل أن ابن هاني شهد له بالفضل عليه.

وتصوف شعر عباس بالجزالة، وأنه كان يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة. وقد أُنتج ابن يدعى عبد الوهاب كان كابيه شاعراً بارعاً بل إن هذا كان له أباً ورع في الشعر ومهر في فنونه، ومن العجيب أنهم تولوا القضاء جميعاً ويرعوا في الشعر جميعاً أيضاً.

وهذا يباكش يعبطينا دلالة على ما لم ينفع به الكثير من علماء الأندلس من قول الشعر والبهارة فيه، ويؤكد مذهب إليه الباحث من أن الكثير من الأندلسيين بمختلف اتجاهاتهم العلمية يكونون يخلون من أدب أو شعر وأنها سمة غلبت على علماء الأندلس.

(1) المصدر: نسب المصدر والصفحة: أحمد أمين، المراجع السابق، ج2، ص 161-167.
(2) ابن الفضلي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 297.
(3) ابن الفضلي، نسب المصدر والجزء، ص 297.
ويبرز في عصر الإمارة من الشعراء أيضاً عباس بن فرناس الذي وصف بالأدب وقول الشعر، وكان في عصر الأمير عبد الرحمان وابنه الأمير محمد، ولعباس أشهر رائعة وقصائد بديعة ذكراها في مدفع الأمراء، ويشير ابن حيان إلى قوله: (كان عباس بن فرناس يصنع للأمير محمد قطعا من رقيق الأشعار تنظم بدمه، وتصوغ قيائه فيها الألحان فتغني بها، فنجزل عليها صلته) (1)

وظهر الشاعر مؤمن بن سعيد (ت ۸۷۶ هـ / ۱۴۷۳ م) منافسا قريبا لعباس بن فرناس حتى عد من فحول الشعراء آنذاك. وكان مواليا للأمير مسلمة بن محمد بن عبد الرحمن ضد خصمه الشاعر محمد بن عبد العزيز العتيبي الذي كان مختصا بخيوه الأمير السابق (2).

هذا بالنسبة للشعر، وللباحث أن الأندلسيين لم يكونوا أقل شانا من غيرهم في التفان في أبواب الأدب، بل إنه يتضح من سير هؤلاء الشعراء تفوق بعضهم على بعض شعراء الشرق فعباس بن ناصح قد فضله الحسن بن هاني على نفسه كما أنه سباني معنا عند الحديث عن الأدب في عصور الخلافة كلام الشاعر المشرق البتقي عن الأندلس وأبيهها أحمد بن عبد ربه وكيف أن الأول اثني عليه، وهذا فيه دلالة على ما أشار إليه الباحث من تفوق الأندلسيين وأنهم لا يقلون كفاءة عن آدابهم من المشرق.

أما ما يتعلق بميدان النحو وعلوم اللغة، فإن عباس بن ناصح قد كان من رحلات إلى الشرق علما كثيرا، ومعارف جمه في اللغة وعلومها، فقد كان من أهل التقدم في ذلك (3) وسبقت الإشارة إلى ترده في رحلات هنالك على أحياء العرب في طلب لغتهم مما أورثهم عمرا في معرفة اللغة العربية وعلومها، وأنه

(1) المقتبس: تحقيق محمود مكي، ص ۲۸۵ - ۲۸۶.
(2) الوثوق، نماذج من شعره أنظر: نفس المصدر، ص ۲۶۵، ص ۲۶۵ - ۲۶۷.
(3) ابن حيان: المصدر السابق، ج ۲، ص ۱۱۴ - ۱۱۵.
(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج ۱، ص ۲۹۷ - ۲۹۸.
لقي الكثير من علماء البصرة والكوفة فتنزول منهم بالكثير من المعارف(١). وبمن برع في اللغة والنحو محمد بن يحيى المعروف بالقلقاط (ت ٢٠٦ هـ / ٨٢٤ م) وكان إلى مهارته في ذلك بارعاً في الشعر(٢).

ولم يكن أحد يضاهيه صديقه الحكيم محمد بن أسماعيل في سعة علمه باللغة غيره. ولهذا عُد القلقاط من أبرز النحويين. وكان لسعة علمه أثر في انصرف الناس إليه يقتبسون من علمه ويكتسبون من معارفه في ذلك(٣).

وإلى جانب من ذكرنا فقد كان للفقيه عبد الملك بن جليب دورًا بارزًا في رقي الدراسات اللغوية. فقد وصف بالعلم في اللغة والإعراب، وأنه صنف كتاباً في ذلك أسماه: (إعراب القرآن)(٤).

أما في ميدان الأدب بمفهومه الشامل، فقد برز أدباء اسهموا في نشاط الدراسات الأدبية. و يأتي في مقدمة هؤلاء الأدباء فرج بن سالم القرطبي الذي كان مهتمًا بالأخبار والأشعار وألوان الأدب المختلفة، وكان له أثر في تعريف الأندلسية على كتاب الأدب المشرقي، حيث أدخل كتاب الجاحظ عمر بن بحر مثل البيان والتبيين، وغيرها إلى الأندلس وكان فرج قد درس على يد العلامات المشرقي المذكور وأخذ عنه العلم(٥) وهو بذلك قد فتح لإخوانه من الأندلسين باب البحث والدراسة في الأدب وفنونه المختلفة ولا شك أن مثل هذه الكتب كان لها تأثير في النشاط الأدبي لدى الأندلسين.

(١) ابن الغضب: المصدر السابق، ج١، ص٨٩٦.
(٢) الحمدي: الجدوى، ص٨٩.
(٣) احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ج١، ص١٧٩.
(٤) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق مكي، ص٤٨٤.
(٥) ابن الغضب: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٥.
كما أسهم الأديب عثمان بن سعيد الكناني (ت 730هـ / 1332م) في حركة الدراسات الأدبية بما قدمه من جهود علمية كتشف فيه كتابا في شعراء الأندلس، إلى جانب تقنينه في الأدب والبراعة فيه وحرصه على جمع الكتب في هذا الميدان (1).

وبمن عاش طفرا من عمره في عصر الإمارة الأدبي الذائع الصيت أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه (ت 428هـ / 1036م - 1336م) والذي اشتهر بكتابه القيم « العقد » والذي سوف نتحدث عنه بالتفصيل عند كلامنا عن الأدب في عصر الخلافة.

وبناء على ما تقدم فان ميدان الأدب والنحو واللغة قد شهد آنذاك نشاطا، حيث يُثبت فيه الأندلسيون قدرتهم الفائقة على طرق ميادين العلم المختلفة في مدة وجيزة، فظهر فيهم علماء بارعون أسهموا في صنع الكيان العلمي الأندلسي. ولم يبقوا عاليا على المشرق وثقافته، فإن تلقيهم علمهم على أيدي المشارقة لم يمنعهم من الانطلاق نحو ميادين البحث والتأليف، فبرزت لديهم مؤلفات وتصانيف قيمة تشهد بما وصلوا إليه من علم ومعرفة في ميدان الأدب.

العلوم الإنسانية:

وبهذا يتعلق بهذه العلوم، فقد تأخر الاشتغال بها عما سواها من العلوم الأخرى ولكن مع ذلك فقد برج البعض في الاشتغال بها فأسهموا في دفع الحركة العلمية بما جادت به مواهبهم ومعارفهم.

وفي هذا الميدان يتصدر التاريخ والجغرافيا تلك العلوم. وقد اتفق الأندلسيون إلى هذه الناحية، رغبة في تخليل مثار وطنهم والحفاظ على تراثهم.

والجدير بالذكر أن التاريخ عند المسلمين قد نشأ في أحضان الحديث، فنتيجة لحرص العلماء على صحة الأحاديث ومعرفة صحيحها من سقيهم.

(1) ابن الفضلي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 32-53.
فقد دفعهم هذا إلى الاهتمام بتراجم الرواة ومعرفة سيرهم وهو ذلك قادهم إلى ميدان التاريخ والتراجم، ومن هنا نلمس ارتباط التاريخ بالحداث عند المسلمين.

وفي عصر الإمارة نرى الفقيه عبد الملك بن حبيب على علم ومعرفة بالتاريخ، حيث عمس إلى تصنيف كتاب في التاريخ، وهذا الكتاب يتناول تاريخ العالم من ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها ثم تاريخ آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء والرسل حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء حتى يصل إلى فتح الأندلس ففيه في ذكر شأنتها وما فيها من الكنوز ذاكراً لأساطير مختلفة عن الجبان وأحوالهم، وقد أكمل هذا الكتاب بعد عبد الملك تلميذه ابن أبي الرقاع، وما يذكر أن عبد الملك استعان في تأليف كتابه هذا ببعض شيوخ المصريين(1).

ومن أورَ في التاريخ والجغرافيا المؤرخ محمد بن موسى الرازي الذي قدم قربة سنة 249هـ / 863م وكان تاجراً في أول أمره ثم حصلت له حظوة لدى الأمير محمد، وكان يندب في مهمات صعبة كالإصلاح بين الثائرين والفصل في الخصومات الجارية بينهم، ولحمد بن موسى جهوده موفقه في التاريخ والجغرافيا.

وقد أشار سفير مولاي إسماعيل إلى كارلوس الثاني ملك إسبانيا وذلك في كتابه "رحلة الوزير" إلى كتاب اسمه الرايات لمحمد بن موسى الرازي، وأورد كلما على لسان أحد علماء القرن الخامس الهجري من أنه وجد نسخة(2).

(1) انخل بالبتا : تاريخ الفكر الأندلسي، ص 196-197، أحمد أمين : ظهر الإسلام، ج 2، ص 273-275
(2) وأشار أحمد أمين في كتابه المذكور ص 277 إلى هذا الكتاب بقوله (وقد عثر على هذا الكتاب ولا يزال موجوداً في مكتبة أكسفورد في إنجلترا ويوص من أطلع عليه أن ليس له قيمة تاريخية كبيرة).
من هذا الكتاب في خزانة الراضي بن المعتمد ويذكر فيها رايات المسلمين الداخليان الأندلس (١).

ومحمد بن موسى الطارقي المذكور أُب لأسرة أنجبت علماء نوابغ في التاريخ والجغرافيا وسوف نتحدث عنهم عند تعرضنا ليديان التاريخ في عصر الخلافة.

وبما يتصال بالفلسفة فلم يكن لها انذاك سوق نافقة لدى الأندلسيين الذين كانوا يبدون الناس عن الأشغال بها وإذا عدنا إلى الوراء قليلا وتذكرنا موقفهم من الخارجين على الذهب المالكي لاتضح لنا مدى نقمتهم الشديدة على الخارجين على السنة من نوايا الآراء الكلامية والفلسفة.

وإذنا ما تقدم فإنه ينبغي أن ينسب إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط ادخال الفلسفة إلى الأندلس وذلك لما اتصف به من حب لها وشفق بكتبها. فقد كان يبت رجاه في الأقطار وخاصة المشرق للبحث عن كتب الفلسفة وتصانيف الفكر اليوناني والهندي والفارسي (٢).

وقد أشار السيوطي والمُقرى إلى أهتمام الأمير عبد الرحمن الأوسط بكتاب الفلسفة وشبهه في وله بهذا العلم باللائمون العباسي (٣).

وأما يذكر عن الأمير عبد الرحمن الأوسط أنه أغدق الصلاة على أهل العلم وقربهم إليه وأدنى مجالسهم، وأنه كان يؤدي مجالس العلم بين...

(١) حسين محسن: الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، ٢٤٠، ص ৭٧، ج ٢٧، خبر الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ২٧٧.
(٢) لينغ بروفيسور: حضارة العرب في الأندلس، ص ٦٣.
(٣) تاريخ الخلافة، ص ٤٦٣، النفح، ج ١، ص ٣٤٧.
يده، ونظرا لاعجابه بالفلسفة فقد ترجم ما وصلت إليه يده من كتب الفلسفة اليونانية.

وكان هناك ارتباط بين الفلسفة وعلم الكلام من حيث اعتماد العقل في الجدل والمناظرة، فقد وجد آنذاك علماء اقتحموا ميدان الكلام، ومنهم يحيى بن يحيى المريدي المعروف بابن السمينة المتوفي سنة 547 هـ، واصل رحلته إلى الشرق وتعزز على مدارس المتكلمين ومال إلى مذاهبهم واطلق على تخصصاتهم ونتيجة لهذا فقد كانت له أراء في هذا الميدان تخفف كلام أهل السنة.

وقد عاش في عصر الإمارة الفلسطية محمد بن عبد الله بن مسرة كما أدرك عصر الخلافة فقد توفي سنة 547 هـ، وسوف نتحدث عن حركة الفلسفية في ميدان الفلاسفة في عصر الخلافة.

وبناء على ما تقدم يتضح أن هذه العلوم لم تكن خلوا من النشاط العلمي وإن كان هذا النشاط لم يبلغ ذروته إلاّ في عصر الخلافة، ويمكن القول أن جهود الأندلسيين في هذه الدراسات كانت نواة لشرح علمي شامخ شهد هذه عصر الخلافة فجهود الرأئي في التاريخ والجغرافيا دفعت أبناءه من بعد إلى مواصلة السير في هذه الدراسات، فكانوا من أبرز علماء التاريخ والجغرافيا في عصر الخلافة، كما أن ابن مسره الذي عاش جزءًا من حياته في عصر الخلافة قد استمد ثقافته من حياته الأولى في العصر السابق.

وهكذا يتبين أن عصر الإمارة كان فترة خصبة نبتت فيها القدرات العلمية وترعرعت لتعطي نمارها فيما بعد يانعة طيبة.

(1) إبراهيم الشريفي: التاريخ الإسلامي ، ص 167 - السيد عبد العزيز سالم: قرطبة في العصر الإسلامي : مجلة المؤرخ العربي، العدد الثالث عشر ص 72 وما بعدها.

(2) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 188.
العلوم الطبيعية:

الحق يقال أن هذه العلوم لم تشهد اقبالاً كبيراً في عصر الإمارة، فقد ظهرت بوادر الأشغال بها في منتصف القرن الثالث الهجري في أواخر عصر الإمارة وذلك في عهد الأمير الخامس من أمراء بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن فقد (تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم، ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة) (1).

وكان علم الفلك وما يلحق به من التنجيم يجد له مكانة في نفوس بعض الحكام فهددتنا البرق أن الأمير هشام بن عبد الرحمن أرسل في طلب أحد المنجمين ويدعي الضبي من أهل الجزيرة الخضراء وكان في بداية توليه هشام الإمارة، وقد عرف الضبي بالبراعة في الفلك وأنه (كان في علم التنجوم والمعرفة بالحركات العلوية بطليوس زمانه حذقاً وإصابة) (2) ولما حضر لدى الأمير طلب منه النظر في أمره من خلال مهارته في التنجيم ودراسة ظواهره فأخبره بأنه سوف يحكم لفترة يستقر بها حكمه، ويستقيم أمره إلا أنه سوف يدوم ثمانية أعوام فقط، فتأثر الأمير بهذا الخبر وقال: لو أن هذه المدة كانت في سجدة لكان تقليل ثم مال إلى الهدوء والصلاح (3).

ورغم موقفنا من التنجيم وأن الشريعة الإسلامية دعت إلى نبذه، ووصفنا أهل بالكتب والإدعاء، إلا أن هذه الحادثة تعتبرنا دلالة على مكانة للمشتغلين به من مكانة لدى الأمراء وفي قصور الحكام.

(1) صلعدي: طبقات الأمم، ص 86
(2) نفح الطب، ج 1، ص 325
(3) نفس المصدر والجزء والصفحة

- 57 -
ومن المشتغلين بالفلك، أبو عبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة، المعروف "صاحب القبلة"، وقد عرف بهذا لأنه كان يسر(1) في صلاته كثيراً، وكان مهتماً بعلم الفلك راصداً لحركات الكواكب وتأثيرها على الأرض وما ينتج عن ذلك. وقد وقف منه الأديب أحمد بن عبد ربه موقفًا معاديًا لخروجه على الشروع بما ادعاه من آراء فلكية حول الأرض واختلاف الفصول بين الشمال والجنوب، فيقول من قصيدة له:

"أبا عبيدة ما السؤال عن خبر أبيت إلا شذوداً عن جماعتنا كذلك القبلة الأولى مبسطة زعمت بهرام أو بيزنيخ يرزتنا وقت: إن جميع الخلق في ذلك الأرض كريمة حفظ السماء بها صيف الجنوب شتاء للشمال بها ويتبين من خلال هذه الأبيات بعض الآراء العلمية التي كان يؤمن بها أبو عبيدة، ومنها حقائق علمية معروفة ككريمية الأرض، وأختلاف الفصول باختلاف الموقع الجغرافي للأرض، وهذا آراء صحيحة ليس فيها ما يبرز هجوم أبي عبد ربه على ذلك الفلكي وخاصة إذا علمنا أن العلماء أثنا عليه ووصفوه بالصدق والأمانة(2).

(1) يقول عنه ابن الفضلي في كتابه تاريخ علماء الأندلس، ج. 2، ص. 126، (سمي بصاحب القبلة، لأنه كان مؤلماً بالشريعة في بلده، فقتنا بذلك فلكل كان يسر له صاحب القبلة). 
(2) مصدر السابق، ص 86-87، احسن عباس: المرجع السابق، ص 121.
قدري طوفان: ترت العرب اللمع، ص 262.
(3) اطلع ابن الفضلي: تاريخ علماء الأندلس، ج. 2، ص. 126-127.
وكان ليحيى بن يحيى المروف بالسمينة معرفة واسعة بالفلكل والرياضيات إلى ما تميز به من ميل نحو الاعتزال وأهل الكلام. كما عرف عن الأمير محمد بن عبد الرحمن نباهته في الرياضيات وخاصة في ميدان الحساب، وكان لذكائه في ذلك أن قام على محاسبة أهل خدمته، وتعقب أمورهم المالية بنفسه، ودلهم على مواضع الخطأ والزلزل في أعمالهم من خلال معرفته وتقوية في الحساب.

وأخيرًا لا يفوتنا أن نشير إلى العلامة الفلكي الرياضي عباس بن فرناس الذي مر معنا في ميدان الشعر سابقا - فقد كان بارعا في الفلك ذكيا نبيها - في معالجة فنونه المختلفة إلى جانب مهارته في الهندسة وعمق معرفته بمسائلها، وقد دفعه ذلك إلى صنع آلة لمعرفة الوقت وأسماها [المقانة] وقد أحكم صنعها ونقش عليها أبياتاً منها:

ألا إنني للدين خير أداة إذا غاب عنكم وقت كل صلالة (٣)
وله أعمال غير ذلك تشهد بنبوغه في الهندسة والفلكل وقد نسب إليه من ذلك اختراع صناعة الكريستال (البلور)، كما صنع في منزله هيئة السماء، يخيل للناظر فيها النجوم والرعود، وتصور احتمال الطيران، وأحتال في ذلك فطار مسافة بعيدة إلا أنه لم يحسن الاحتيال في هبوطه فتاترى في مؤخره ولم يدر أن الطائر إنما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنباً (٤).

وفيما يتعلق بعلم الطب، فقد كانت الحاجة إليه شديدة بطبيعة الحال فقد كان الحكام بحرص أن أشد الحرص على أن يتوفر في قصورهم أعداد من

(١) منبع: إمارات الدكتور، ص ٧٨-٧٩ - CGFloat طوقان: المرجع السابق، ص ٢٦.
(٢) أخبار مجموعة (مؤلف مهجول)، ص ١٤، ص ٢٦-١٤.
(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٧، ص ٢٥.
(٤) نظم عبد الديه: الإسلام في إسبانيا، ص ٨، ص ٥٥-٧٤.

MuslimSpain - its History and: ١٨٣ cult ure, P.
الطباء يقومون على علاجهم ووصف ما يحتاجون إليه من الأدوية والغذية المناسبة لصحة أبنائهم، لذا نرى أن المشتغلين بالطب آنذاك كان موطناً
نشاطهم مقصوراً على قصور الحكام والأعيان تقريباً.
وصف صاعد الطبيبي بداية اشتعال الأندلسين بالطب لأنه لم يكن بالأندلس من استوعبها ولا حق بالمقدمين فيها، وإنما كان غاية أكثرهم دراسة بعض فروع شقيقة من وجوه الطب والتداعوي ليتسنى لهم بذلك اللحاق بخدمة الحكام رغبة في الجاه والمنزلة وأنهم كانوا يعولون في دراستهم للطب على كتاب للنصاري يدعى الأبريشم(1).
والفح أن هؤلاء الأطباء بمنهجهم هذا قد تخلوا عن دراسة الطب دراسة العلم والمعرفة إلى دراسته من أجل المصمحة والمنفعة المادية، وهذا بلا شك كافٍ بأن يخذ من تعمقهم في دراسة الطب دراسة صحيحة ليكون علمهم قاصراً على بعض أساليب التداوي التي يرونها ضرورية في علاج من يقومون على خدمتهم في الأمراء والحكام ووصف الأذى المفيدة لهم. ول هذا ننس أنه لم يظهر آنذاك طبيب بارع حاذق في الطب عارف به معرفة واسعة بخلاف عصر الخلافة الذي أنجب أطباء كان لهم شهرة عالمية بفضل مبادرته من علم واسع بالطب ومتاحية المختلفة.
ومن أطباء تلك الفترة يونس بن أحمد الحراني الذي تبرأ مكانة عالية لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط، وعما جرى لذلك الطبيب في قصر الإمارة أن نصر الخصي أقدم على محاربة قتل الأمير عبد الرحمن، عندما رفض أن يستجيب لحظيته طرور في توليه ابنها عبد الله ولاية العهد بدلاً من محمد، وكان لرفض الأمير آثره في أغصانه طرب وخادمها نصر، فنظر الأخير فيما لو تولى الأمير محمد بعد أبيه كيف يغلق عن موقفه هذا؟ وانتهى إلى الذهاب (1) طبقات الأمم، ص. 3، 104.
- 60 -
إلى الطبيب الحراني الذي اغراه بمنصب كبير على رغبته في عمل شراب
يحتوي سناً ليتمكن من ادراك هدفه بقتل الأمير عبد الرحمن. وكان من عادة
الأمير يصيبه فتور في شرب دواء يُشكك ألمه على أثره، وفي مثل تلك الحالة
شكى الأمير عليه في داره نصر إلى الحيران، وطلب منه السم، لكن الطبيب
أخبر جارية الأمير قبل أن ينفذ نصر خ طته. وعندما أحضر الدواء تظاهر
الأمير بعدم رغبته في ذلك، وطلب من نصر أن يشربه بدلاً من فاطمه التردد.
ولكن الأمير أكره عليه شربه فشربه ثم انطلق إلى داره يسأل عن الطبيب،
ويستخبره عن دواء يمنع مفعولا السم فاختار عليه بلين الماعز ولكن السم كان
أسرع مفعولاً فمات نصر قبل حصول ذلك).

ومن خلال هذه القصة نلمس ما كان عليه الأطباء آنذاك، وما كانوا
يتمتعون به من مكانة داخل قصور الأمراء، وأن مهمتهم كانت خطيرة، تتعلق
بحياة الأمراء وسلامتهم. بل هذا فقد كانت الأمنية أولى الصفات التي يراها
الحكام في أطبائهم.

ويتصل بالطب حقل الصيدلة وتركيب الأدوية، وبرز في هذا الميدان
حمدين ابن إبان وكان في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن وقد وصف هذا
الطبيب بالمهارة في تركيب الأدوية وحسن العلاج، وعلى منواله الطبيب
النصراني جواد (277-272 هـ/885-882م) الذي برغ في تركيب
الأدوية وضع العقاقير والمصحات الطبية النباتية، وكان الطبيب النصراني
خالد بن يزيد بن رومان ماهرا في تركيب الأدوية، حيث العلاج يستند في
علاجه إلى التجارب الطبية وكانت ترتبط بالطب البيجيدي النصراني نسباً

(1) ابن حيان: المصدر السابق، ص 16 - 15 -
- 61 -
بن جريج علاقة صداقة وود وكانت بينهما مراسلات علمية حيث أرسل الأخير
إلى خالد رسالة طبية في البول وحالتة تبعاً لحالة المريض(1).

وبلحق بهؤلاء الأطباء الطبيب النصراني يحيى بن اسحاق وكان طبيبا
لدى الأمير عبد الرحمن الناصر قبل اعلانه الخلافة، كما أن أباه اسحاق كان
طبيباً لدى الأمير عبد الله، وكان لتضطلع يحيى في الطب أن ألف كتابا في
خمسة أسفار سلك في تأليفه مسلك الأوائل وسماء الإبريشم (2).

والجدير بالذكر أن القفطاني أشار إلى أن يونس الحراني السالف الذكر
كان في بداية نزوله الأندلس قد أدخل معه دواء من الشراب كانت السقية منه
بخمسين ديناً وذلك لعلاج الأوجاع الباطنية وما يتعلق بذلك مما كان سبباً في
تهانئ الناس عليه فعلت حالة واثرى ثراء كثيراً. وقد اجتمع عشرة من الأطباء
فاضروا شيئاً من هذا الدواء وفحص كل منهم جزءاً منه ووقفوا على أهميته
ونفاسته وسالوا الحراني عن تركيبه واعداده فأعلمهم بسر ذلك مما كان له أثر
في انتشار ذلك الدواء وتفشي طريقة تركيبه واعداده بين أطباء ذلك العصر(3).

وهذا بلاشك يعطي نظرة دلالة على التأثير المشرقي في الأندلس. وكيف أن
الأندلسيين كانوا كثيري الاهتمام بكل ما يصلهم من تأثيرات علمية فيد رسوها
يضيفون إليها ولم يبحثوا حتى ابتكروا أساليب جديدة للعلاج اسهموا بها في
نمو الدراسات الطبية وبذلك كانوا أهل عطاء وبذل في ميدان الحضارة
الإنسانية.

(1) ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص 66–67 بالثنايا، المرجع السابق، ص 411–412.
ابن أطيح: عيون الأطباء في طبقات الأطباء، ص 488.
(3) أخبار العلماء، باخبر الحكاءاء: حرف اليا، ص 258. وانظر عمر فروخ: عبقرة العرب في
العلم والفلسفة، ص 125.
ويبعد لنا بعد هذا العرض الموخدم للنشاط العلمي في عصر الإمارة أن الآثار العلمية التي وصلت إليها عن الأندلس في هذه الفترة قليلاً، وهذا يعود إلى عاملين:
أولاً:

ضياع تلك الآثار بالفتن وبالزمن.

وثانيهما:

أن الأندلسيين كانوا كثيرى الاعجاب بالمشاركة يأخذون عنهم علومهم ومعارفهم وأن الإنتاج العلمي للأندلسيين لم ينضج آثاره إلا بعد القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.(1)

هذا بالإضافة إلى الأندلسيين كانوا في عصر الإمارة أكثر اهتماماً وامشغالا بعلوم الدين التي ترتبط بعقيدتهم، فكان الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر يغلب على نشاطهم العلمي ثم ما بثوا أن انطلقوا في ميادين العلم الأخرى في العصر التالي.

(1) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، ص 576، 23.
القسم الأول

دراسة لأهم مظاهر النشاط العلمي في عصر الخلافة
القسم الأول
الفصل الأول

اهتمام الخلفاء بالحركة العلمية

عبد الرحمن الناصر
الحكم المستنصر
هشام المؤيد (والمنصور بن أبي عامر وولده عبد الملك)
أثر قيام الفتنة وسقوط الخلافة على الحركة العلمية.
الخليفة عبد الرحمن الناصر (١٣١٣ - ١٣٠٠ هـ / ٥٨٨ - ٥٧١ م)

كان للخلفاء أثر في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس. كما أن عصر الخلافة الأموية في الأندلس يمثل الانطلاقة الواسعة في ميادين الحضارة والبناء الفكري.

ولنشك أنه كان للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي أثر واضح في انعكاسات الرعي نحو ميادين النشاط الحضاري بمختلف وجوهه. وقد تبنى الخلافة عبد الرحمن الناصر الذي اعترض سنة الأموية ١٩٦٤ هـ/ ٩٨١ م، أن يقدر الأحوال، ويضيع على الفتن، فقد تولى السلطة في البلاد. في وقت كانت فيه في غاية من الفوضى والخروج على نظام الأمن والاستقرار حتى وصفها أحد المؤرخين بقوله:

(جمرة تحتد، وثار تضطرم شقاصا ونفاقا، فأخمد نيرانها، وسكن زلالها)١

وبعد أن قررت قيادته على البلاد، وتم له الأمر، ودانت له الأندلس تلبب بامير المؤمنين سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م. وذلك بعد أن رأى ضعف العباسيين بالشرق، وغلب الأتراك عليهم، وبعد أن رأى خصومه الفاطميين قد تلقوا بالاقباق الخلافة وتنسوا بالخلافاء (وظهر من انساع ملكه، وقوة سلطانه، وأقبال دولته، وحكم نار الفتنة على اضطرارما بسك جهة، وانقياد العصاة لطاعته ماتعجز عن تصوره الأهلام، ونكل في تحسيره الأتمام)٢.

وكان لنشأة عبد الرحمن الناصر أثر كبير في سيرته وفي موقفه من النشاط العلمي في الأندلس فما كان يبلغ أشهبه حتى ظهر نجابته، وأبدى بالرغم من صغره نباهة وتفوقاً في العلم، ومعرفة فقد درس القرآن والحديث.

---

(١) ابن عذاري: البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، ص ١٥٨.
(٢) ابن الآبار: الحلة السيناء، ج ١، ص ١٣٧ - ١٩٨ - ١٩٨٦.
وهو طفل لم يجاوز العاشرة، وبرع في اللغة والشعر إلى جانب فنون الحرب والفلسفة\(^1\).

ويمن العلماء الذين تلقى على أيديهم العلم الفقيه المحدث قاسم بن أصبغ البياني (۲۴۴ - ۱۴۸۸ هـ/ ۶۸۵ - ۷۵۱ م) فقد سمع منه العلم، وأخذ عنه الفقه والحديث وعلوم الدين بوجه عام، وذلك قبل توليه الخلافة\(^2\).

وإذا كنا متحمسين في أن ألمع فترة علمية شهدتها الأندلس كانت في عصر ابنه الحكم المستنصر الذي لا تخلي ترجمته في أي كتاب من الثناء والإشادة بفضله العظيم على الحركة العلمية، فإنه من الحق أيضا أن ننسب جنابا كبيراً من ذلك الفضل إلى أبيه الذي أسس قواعد الحضارة، ومهد للتنوير الفكري والتقدم العلمي في بلده، فلم يتسلم الحكم المستنصر الحكم في الأندلس إلا بعد أن بذر أبوه بذور العلم والمعرفة، وغرس شجرة الفكر التي انبعت ثمارها في عصر ابنه الحكم المستنصر.

وفضلًا عما اتصف به عبد الرحمن الناصر من حزم وقوة وحنكة سياسة، فقد كان (يرتاح الشعر). وينبسط إلى أهله، ويراجع من خاطبة به من خاصته\(^3\)، وفي هذا إشارة إلى ما كان يتمتع به من ملكه أديبة حملته على الاهتمام بالشعر والتقرب إلى نووية من الشعراء وأهل الأدب، وما دفعه إلى الاهتمام بالأدب والشعر ما كان يتصف به هو من إجادة للشعر، هذا وتحفل بعض كتب التاريخ والأدب بمئات من شعره\(^4\).

---

\(^1\) محمد عنان: تراجع إسلامية، ص ۱۷۱.

\(^2\) ابن الفضيي: المصدر السابق، ج ۱، ص ۲۶۴-۳۶۵.

\(^3\) ابن الآبار: المصدر السابق، ج ۱، ص ۲۰۰-۲۰۳.

\(^4\) اقترب من هذا الصدد ابن الآبار: المصدر السابق، ج ۱، ص ۱۹۹-۱۹۶، الازدي: بدائع البديع، ص ۱۸۸-۲۷۹-۲۰۰. كما ينسب إليه اجتهاده للشريعة، وبراعة فيه اقترب ابن سعود: المغرب في حلي المغرب، ج ۱، ص ۱۸۴-۱۸۵، ۱۸۶-۱۸۵.
وكان باظ عبد الرحمن الناصر يحمل بالكثير من العلماء والأدباء، فقد ضم قصره العلامة الأديب أحمد بن عبد ربه. وكذلك أدبي المشرق أبا علي القالي الذي وفد في عهده وتبناه مكانة سامية بين علماء بلاط الخلافة في قرطبة، كما أنه كان بين فقهاء عصره منذر بن سعيد البولوني، وقاسم بن اصبع الباني، ومن الأطباء خلف بن عباس الزهراوي أعظم جراح في الإسلام إلى غير ذلك من أهل العلم والمعرفة الذين تيسر لهم الإنصراف إلى العلم في مناخ مناسب كفل لهم سبل العطاء والإنتاج العلمي، وقد كان عبد الرحمن الناصر مكرما لهم حريصا على وضعهم فيما يناسبهم من المنازل، كما أجهز في تخير قضائطه من أولى العلم والمعرفة.

وكان لاهتمام عبد الرحمن الناصر بالعلم، وشغفه بالكتب، أن اشتهر ذلك عنه حتى بلغ ملوك عصره فاحب أحدهم وهو الامبراطور البيزنطي ارجانوس أن يرسل له هدية علمية تحوى على رضاه ومودته، فبعث إليه (1327 هـ / 948 م) بكتابين من تصنيف الأوائل، أحدهما في الطب وهو كتاب ديسفوردس في النبات مصورا باللغة الإغريقية واللاتينية في التاريخ وهو كتاب هروديش باللاتينية.

وكان لعنايته بالعلم والمعرفة أن اندفع إلى جمع الكتب والعمل على حيازتها، وينسب إليه تأسيسه نواة المكتبة الكبرى التي ازدهرت في عهد ابنه. 

(*) الزبيدي: طبقات النحويين، ص 207.

(2) الأشبيري: ريحان الابناء وريعان الشباب (مخطوطة) ورقى 1139.

(3) ابن أبي اصبع: عيون الأنباء، ص 443 - 444، أحسن عباس: المرجع السابق، ص 670.
الحكم المستنصر، فقد أسس مكتبة قيمة في قصره وخصص بها الكتب النفسية.
والتأليف النادر في وجه العلم المختلفة ومنها هدية إرمانوس (1).
وبناء عليه فإن عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر كان بداية جديدة
لإمبراطورية أزدهرت فيه العلوم والآداب، وإنصرف العلماء فيه إلى تحريل
العلم وتصنيف الكتب في شتى حقول المعرفة. ولا يرب في ذلك فان الكثير من
كتب العلم التي ألفت في عهده لتدل على ما اتسم به من مناخ حسب نمت فيه
القدرات العلمية فأعطت ثماراً مهيبة في ميدان الفكر وأصبحت حاضرة الخلافة
قرطبة دارًا للعلم ومراكزاً ثقافياً زاهراً استقطب العلماء من أقاصي البلاد،
وأجذب الطلاب من نواحي الأندلس المختلفة بعله ومن خارجها في صورة تؤكد
عظمتها ذلك العصر ومدى ماحقته الأندلسيون من نشاط علامة كبير.
وكانت وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر (عام 661/961هـ) (2) بعد
أن قضى في الحكم ما يقارب نصف قرن، وفي الخلافة أربعة وثلاثين عاماً
tقريبًا حفلت بجلال الأعمال وروائع الأنشطة في الميادين السياحية
والأقتصادية والعسكرية والعلمية.

(1) ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، ص 122 - أنخيل بالثية: تاريخ الفكر
الأندلسي، ص 10.
(2) الأميراطور أرمانوس 1 هو قسطنطين السابع، تولى الحكم من سنة 912 إلى 959م
وكان في بداية تواجيه الحكم صغيرة، فقام بالوصاية عليه عمه ثم انفرد بالحكم سنة 945م.
وعرف منه ميله إلى العلم والأدب ومنه مكتبة الكتاب (سعود عبد الفتاح عاشور: إحدى
العصور الوسطى، ج 1، ص 40 - 49).
(2) جانب أبو عبد الله الأشبيلي الصواب في كتابه المخطوطة ريحان الألباب ورقه 139.
عندما ذكر أن الخليفة عبد الرحمن الناصر توفي عام 665هـ. ولكن الحقائق أنه وقعت كما أكده
المصدر التاريخي كان عام 661/961م. انظر في ذلك ابن الفضلي: تاريخ علماء
الأندلس، ج 1، ص 7.
والميدي: جنوة المقتبس، ص 16، والضبي: بقية اللطين، ص 17.
الحكم المستنصر (300 هـ / 917 - 977 م) :

يعتبر هذا الخليفة بدون مبالغة أعظم خلفاء الأندلس علمًا وأدباً، فقد كان له عنانية واهتمام بألعابه بكل ماله صلة بالعلم والمعرفة وأكسبه ذلك علمًا واسعاً وأدركنا سليماً لقضايا العلم حتى أصبحت آراؤه في ميدان العلم حجة لدى العلماء (1).

وكان لحبه للعلم وشغفه بالعلم المعرفة أن كان سباقاً إلى ميدانها فاستهم في ازدهار الحركة العلمية في عصره أسلاماً بارزاً، ولنبالغ إذ اعتبرنا بجهوده العلمية رائدة في النهضة العلمية في عصر الخلافة.

وكان لنشأة هذا الخليفة أثر كبير في تشكيل سلوكه تجاه الحركة الفكرية. فقد درس على الكثير من العلماء، منهم الأديب محمد بن إسماعيل القرطبي (321 هـ/934م) الذي تلقى على يديه بعض العلوم كالأدب والتحو والحساب وأفاد منه دراسة العلوم بطريقة تحليلية عميقة، إذ وصف هذا الأديب بعمق التفكير ودقة التعبير في اشتهائه بالعلم (2).

ودرس علوم الدين من حديث وتفسير وفقه على يد العلماء قاسم بن أصبغ الذي رحل إلى الشرق حيث جلب معه مصنفات ومعلومات كثيرة فأفاد منها الحكم ودرس على يديه هو وإخوته أيضاً (3).

ومن استفاد منه الحكم واقتبس من علمه، اللغوي علي بن معاذ بن سمعان الرعيني وكان من أهل الأدب واللغة إلى جانب مهارته في التاريخ والانساب وقد استقدمه الحكم إلى قهره حيث أخذ عنه الكثير من المعارف (4).

(1) ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص200-201.
(2) السفدي: الواقي بالوفيات، ج2، ص16.
(3) ابن الغردي: المصدر السابق، ج1، ص16-316.
(4) المراكشي: الآبل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص410.
بالإضافة إلى ذلك فقد سمع من علماء آخرين كأحمد بن دحيم، ومحمد بن عبد السلام الخشني، وزكريا بن خطاب، وابن ثابت بن قاسم بعد أن بلغ الحكم درجة من الحفظ والمعرفة (1).

كامل هؤلاء العلماء وغيرهم كان لهم تأثير في تكوين شخصية الحكم الثقافية فقد أفاد منهم إفادة عميقة في مبادئ العلوم الدينية والابدية والتاريخ والانساب.

شخصية الحكم العلمية:

لقد نتج عن اقبال الحكم على دراسة العلوم والاداب، ومجالسه للعلماء أن أثر ذلك في شخصيته تأثراً واضحاً، فظهرت عليه علامات النبوغ الفكري، ودلائل التفوق العلمي في درساته العلمية المختلطة، مما كون لديه نظراً صائباً وعميقاً لمسائل العلم، وكان في حياته شديد المطالعة لكتبه، دائماً النظر فيها يتبع في قرآتها التنظير التحليلي والفكر الشامل (تينتي من ذلك بغراب) لا تكاد توجد الأعنه لكترة مطالعته، وعناية بهذا الفن، وكان مؤثراً به مامونا عليه صار كماله حجة عند شيوخ الينسانيين وأئمتهم، فينقلونه من خلالي ويجعلونه(2).

وقد أشاد به المؤرخون ووصفوه بالإطلاع الغزير والنظرة العميقة

الفاحصة لما يقرأه من كتاب العلم (3).

(1) الاقترب من نظرة، خ 1، ص 395.
(2) ابن الآبار: الجلالة السيرة، خ 1، ص 202.
ومن الأمثلة على أن أقوال الحكم كانت حجة لدى العلماء ما أشار إليه الحميدي عند ترجمته للأديب ابن عبد ربه حيث بعد ايراده تلك الترجمة (هذا آخر ما رأى بخط الحكم المستنصر وخطه حجة عند أهل العلم عندنا لأنه كان عالما ثابتا). (1)

وعليه فإنه لسعة إطلاعه وزراعة علومه وثقافته فقد تولى لديه نظارات صائبة واراء قيمة في فروع العلم وفنونه المختلفة، وكان يعلق على كتبه بل ويصحح ما اخطأ فيه غيره من العلماء فلم يكن همه جمع الكتب وحشدها في خزائن قصره بل كان يطلع عليها ويناقش ما يوجد فيها ب بصيرته نافذة ورأي حكيم، يعنيه في ذلك ثقافته وتكوينه العلمي وفي هذا يقول ابن الآبار (وقلما تجد له كتابا كان في حزائنه إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم، يقرأه ويكتب فيه بخطه إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه نسب المؤلف ومواده ووفاته والتعريف به وذكر انساب الرواه له). (2)

وهكذا يبدو واضحا القدر العلمي العظيم في شخصية الحكم. وكيف كان لحياته الحافلة بالعلم وجهة الكتاب أثر كبير في علما مكانته العلمية ورسوخته في فنون العلم.

ومن روى له من كتابات وتعليقات على الكتب التي طالعها ما ذكره القاضي صاعد في ترجمته لمؤرخ اليمني الحسن بن أحمد الهمداني منصبه: (وجدت بخط أمير الأندلس الحكم المستنصر بالله عبد الرحمن الناصر لدين الله - أن أبا محمد الهمداني توفى بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة). (3)

(1) جدولة المنتصف، ص 101.
(2) الطبقات الأمراء، ج 1، ص 23.
(3) طبقات العلوم، ص 78، ص 80. 74 -
ولا ريب بعد ماذكرنا أن الحكم المستنصر قد قدم إلى الحركة العلمية
دفعة من النشاط فكان من نتائج علمه الواسع ومعرفته العميق بالتاريخ أن
صنف كتابا في أئناس العلماء والعلويين القادمين إلى المغرب(1)، وقد
استعان في تأليف ذلك الكتاب بما كان يتلقفه من أفكار العلماء الذين يدون
عليه سواء في ولايته للعهد أو بعد توليه الحكم. فقد عرف عنه حبه للعلماء
وشغله بعلم الأنساب، ورغبته في معرفة أئناس الناس وتبنيها من خلفه عليه
ذلك، يدل عليه ما ذكره ابن البار من اهتمامه بأئناس المؤلفين ومن يروي لهم
وإلى جانب ذلك فقد كان للحكم اهتمام باللدب وكان يقرض الشعر
ونسبت إليه أشعار كثيرة(2).

وكان للغابة النشاط العلمي في عهد الحكم المستنصر أثر في ذهب بعض
الكتاب كمظالمي لين بول إلى القول بان انصرف الحكم إلى العلم واهتمامه
بالكتب وعنايته بها قد ادى عدم تعلمه إلى الفوز والجهاد من جهة وأتيغاله
تربية ابنه هشام الذي لو اهتم به لما حدث من تغلب الفيبر على السلطة من جهة
اخر(3).

وسوف نتناول هناك التهمة الأولى ونؤجل الأخرى إلى حديثا عن هشام
المؤيد، فالحق يقال أننا لم أمعنا النظر في سيرة الحكم المستنصر لدركنا
مجانية الاستاذ الذكور للصواب في نقه الموجه للحكم الذي لم يكن ليغفل عن
تبعاته الجسم، ويتوازي عن قتال أعدائه وجهادهم وحسم وجهة الفتنة
والاضطراب فقد أذمنا التأريخ بما يثبت أن الحكم كان إلى جانب كونه عالما

(1) المقري : التفخج، ج 5، ص 60 - البغدادي : هدية العارفين، ج 1، ص 323.
(2) انظر في هذا المصدر : ابن البار : الحطة، ج 1، ص 202 - المقري : التفخج، ج 1، ص
295.
(3) قصة العرب في إسبانيا : ترجمة على الجارم، ص 141 - 142.
كان مجاهاذا أيضاً ورجل سياسة فيقول الحميدة: (وكان الحكم المستنصر
مواصلة لغزو الروم، ومن خالقه من المحاربين). (1)
كما أن ابن الخطيب وصفه بالعامة العالية في الجهاد، وأن ملوك عصره
هادئوه وسائلوه لقبرته ورائه. (2)
ولا ننسى أن عصر الحكم كان يعتبر عصر سلام نسبي من ممالك
النصارى. وذلك بعد جهود أبيه عبد الرحمن الناصر وعقده معاهدات الصلح
مع ممالك النصارى. وإذا قيس عبد الحكم بعده أبيه عبد الرحمن من حيث
جهاده للملوك النصارى. وبعيد المنصور بن أبي عامر فإن عهد الحكم يعتبر عهد
سلام نسبي. ورغم هذا فكان الحكم كان يعد نفسه للجهاد، مثلما يعدها لقراءة
كتب العلم والاستغال بالعمرات.
اهتمام الحكم المستنصر بالنشاط العلمي، ووسائله في ذلك:
اتباع الحكم في دفع عجلة العلم في بلاده وسائل عديدة. وقد نجح في
غايته هذه فإن أهم تلك الوسائل الناجحة مايلي:
أولاً: العناية بالعلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف:
فقد سعى إلى تقريب أولي العلم والعرفة، وأكررهم وتثبتهم المناخ الملائم
الذي يستطيع فيه أولئك العلماء الاتصاف إلى العلم والبحث العلمي في حقول
العرفة المختلفة. وبالتالي تيسر السبل أمام الانتاج الفكري حسب تخصص
كل منهم. وفي هذا يقول الامام الشافعي: (وفي أيامه كثر العلماء وأدلو بما
عندهم وألفوا التراث، وصنفوا التصانيف). (2)
(1) جزيرة المقتبس، ص 161. وأنظر المراكشي: المعجم، ص 78. المقرئ: النفح، ج 1،
ص 283.
(2) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، ص 478.
(3) ريحان الألفاب (مخطوط) ورقة 139، ص 1.
- 76 -
ومن العلماء البارزين في عهده في ميدان العلوم الدينية يحيى بن عبد الله
ابن يحيى الليثي ومحمد بن قاسم الثغرى، وابن الفخري، وأبو محمد عبدالله
ابن شريفة الخميسي، ويعيش بن سعيد الوراق، وأحمد بن محمد بن مفرح -
وغيرهم.

وفي ميدان الأدب واللغة يبرز أبو علي القالي، والحسن بن الناويل، وأحمد
بن فرج الجيباني، وعبد الله بن مغيث (ابن الصفاء)، ومحمد بن الحسن
الزبيدي، وابن القرطبة.

وفي الطب، يظهر عريب بن سعد، وسليمان بن حسان المعروف (ابن
جلجل)، وأحمد بن يونس الحراني، وخلف بن عباس الزهراوي الذي يعد أحد
أطباء الجراحة في الإسلام.

وفي الرياضيات والفقه، يظهر مسلمة بن أحمد الجربيري، وابن السمح
، وأبو الصفاء، وأبو زيد الاستحقاق القرطي و غيرهم كثير.

كل هؤلاء العلماء اسهموا في ازدهار العلوم والأدب بما أضافوه من
ضرورات الإنتاج العلمي القيم. وهو ما سوف نأتي على ذكره فيما بعد.

ثانياً:

من الوسائل التي تبعها الحكم في النهوض بالمستوى العلمي العناية
بالكتب والاهتمام بجمعها وحيازتها من كل مكان، ذلك أن الحكم رأى أنه لن
يتم نشاط علمي في بلاده ولن يستطيع ربط المشتغلين بالعلم في وطنه إلا بتوفر
وسائل الثقافة والعلم لهم. فكان حرصه على الكتب ناتجا عن اهتمامه العلمي
ورغبته في تيسير الامكانيات العلمية لشعبه، وقد بلغ من حبه للكتاب وشغفه

- 77 -
بها أنه لم يسمع في الإسلام بخلاصة بلغ مبلغ في اقتتاء الكتب والدوإين وايثارها والتتهم بها(1).

ونتيجة لهذا الاهتمام البالغ بالكتب باعتبارها أوعية العلم ومصادره فقد كان للحكم المستنصر وسائل اتباعها في جميع الكتب وحيازتها ، وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عند حدوثنا عن اهتمام الأندلسيين بالكتب.

ثالثاً:

عناية الحكم المستنصر بالعلم ، فقد كان حرصه على توفير المناخ العلمي المناسب لرعيته ، عظيم العناية بشؤون التعليم وتوفيره لأفراد الرعية وسنفصل القول عن ذلك في موضعه.

(1) ابن الأبار - الحلة السيراء ، ج1 ، ص1902.
هشام المؤيد بن الحكم والمنصور بن أبي عامر وأبنائه عبدالله
وعبد الرحمن:

من الحق أن نقول أن هشام المؤيد بن الحكم لم يكن له من الأمر شيء.
ذلك أن المنصور محمد بن أبي عامر المعافري استطاع أن يتدرج في مناصب
الدولة أثناء عهد الحكم المستنصر، وقد تظاهرت عدة عوامل على بروز وتاهل
نجمه، ومنها ما اتصف به من إقبال راجح وأدب وعلم إلى جانب حسنكته السياسية
في انتهاز الفرص واغتنامها بالإضافة إلى ما تمتع به من جراءة وأقدام حتي
استطاع أن يتسمم مناصب رفيعة في الدولة إلى أن بلغ به الأمر تولي وكالة
املاك زوجة الخليفة الحكم ( السيدة صبح ) التي رأت في محمد بن أبي عامر
معالم الذكاء وقوة الشخصية فركت إلى رأيته وتصرفاته، فلما توفي الخليفة
الحكم المستنصر ضمن لها بتصرفه السليم استقرار الأمر لابنها هشام، وكان
يستخدم نفوذه من مكاناته السيدة صبح باعتبارها أم هشام المؤيد. فاستمال إليه
الجيش، وقرب إليه أعيان الدولة وسما زال يضرب منافسيه بعضهم ببعض
حتى استقر له الأمر فتوجب هشام المؤيد وتولي السلطة الفعلية في البلاد(1).

وبناء على ماتقدم فإن جديدنا سيكون عن شخصية المنصور بن أبي عامر
ومدى ما اسهم به في تطور الحركة العلمية انطلاقا من كونه صاحب الأمر
والشأن في الدولة بعد أن أبدى على الخليفة هشام ستارا من العزلة، وحجر
عليه، مما أبعده عن النظر في مهام الأمر التي تناط بأصحاب الأمر
عاده(2).

(1) المراجل : المجلد 48 ص 49.
(2) مزى ستانيلى بن بول ضعف شخصية هشام المؤيد وعدم قدرته على الاضطلاع بمهمات
الدولة إلى انتماء أبيه الحكم المستنصر في العلم ونشغله بالكتب، والحق أن الحكم
المستنصر لم يكن غافلا عن تربية ابنه هشام فقد حرص على تنشئته نشأة سليمة بان عينه
لتربيته وتعليمه كبار العلماء ومنهم العلاقة أحمد بن محمد القطبلي الذي ذكر عنه
أبن حياني في المقتبس ، ج 3 ص 77 أن الخليفة الحكم خصص له قسما في دار الملك =
79 -
أما عن المنصور بن أبي عامر فقد نشأ نشأة علمية، حيث كان تلميذاً
نبيها تجلت فيه ملامح الذكاء، والطهارة منذ أن كان صغيراً، وأصله من
الجزيرة الخضراء (1) شريف المبت، كريم الأصل، ولا كانت قرطبة تمثل
النهضة الحضارية والعلمية بوجه خاص فقد شهد رحالا إليها، فطلب العلم
والآداب وسمع الحديث، ومهر في ذلك (2) وأظهر المنصور نبوغاً في دروسه
وبما تلقاه من علم، وكان من أساتذته الذين تلقى العلم عليهم الآداب أبو علي
القلالي، حيث أخذ عنه الآداب واللغة، ودرس على ابن القوطي النحو كما درس
الحديث على العلامة أبي بكر بن معاوية القرشي (3).

وكان لتكوينه العلمي ونشأته الثقافية أثر كبير في سلوقه ومؤوقفه من
الحركة العلمية، والجدير بالذكر أن الحركة الأدبية بلغت في عهده منزلة رفيعة،
حيث كان يويلها رعايته واهتمامه، ولم يكن تشجيعه للشعراء والآداب مجرد
استيفاء لشعور من مظاهر السيادة، واستكمال لوذة الآباء مما يفعله نور
السلطان والحكم عادة بل كان ذلك لتقويه الآداب والشعر (4).

(1) الجزيرة الخضراء وسطى مدن الساحل الجنوبي واقرب مدن الأندلس مجازاً إلى العدو، وهي
أول ما فتح من الأندلس ( الحميري : الروض المطر ، ص 47 )
(2) الحميري : الجزيلة ، ص 78 - اين الآخر : الكامل ج 8 ، ص 178.
(3) ابن مذار : البيان الغريب ، ج 2 ، ص 271.
(4) علي أحمد : المنصور بن أبي عامر ، ص 151 - 157.
اهتمام المنصور بن أبي عامر بالحركة العلمية:

لأن وُسم التاريخ المنصور بسمة المستبد بالحكم، فإن التاريخ أيضاً لا ينسى له حسناته ومأثرك السامية. ولنّ قلنا إن الأدب والشعر لم يبلغ ذروة نشاطه إلا في عهده، أما بلغنا في ذلك، فقد احتشد في بلاط نواب العلماء وجهابة الأدب، وكان يويلهم رعايته ويغدق عليهم ضروب الكرم والعطاء. فمن إدياء بلاط المنصورين ضاع بن الحسن الربيعي، وكان متضالعاً في الأدب واللغة والشعر وقد احتل مكانة سامية بين أدباء قرطبة، كما أن الأديب حسان بن أبي عده كان له باع طويل في الأدب والشعر. ومما أن الأديب زيادة الله بن علي، وفي الشعر ضم بلاط المنصور شاعرين يعتبران من أتينغ ما أخرجته الأندلس من الشعراء، وهما يوسف بن هارون الرمادي وأحمد بن دراج القسطلي، وإلى جانب هؤلاء أبرز أدباء وعلماء كثيرون سنتعرض للحديث عنهم فيما يخص كل منهم.

وفي حقل العلوم الدينية لمع اسم الفقيه أبو مروان المعيطي، وأبو عمر أحمد بن عبد الملك، وابن الفرضي، وأبي حزم الفقيه المشهور. كل هؤلاء العلماء أثروا ميزان العلم بما أضافوه من إنتاج علمي يساهمهم في ذلك ما حياه لهم المنصور من عون وكرم.

ولم يكن سخاً المنصور ورعايته للعلماء تلقفت عند حد فقد ذكر أن المنصور اغتمم لموت الفقيه القاضي محمد بن زرب (197/381-919م) فكتب له رواية يُكرم، واستدعي ابنه محمد وهو طفل ومنحه علاجًا جزيلًا. وفي هذا يقول النباهي: (وليس ذلك من أفعال المنصور بدع فقد كان في حسن معاملته للناس وولوفه ومنزلة لا يقبل بوصفها كتاب، حتى يقال أنه لا يأتي الزمان بمتنه في فضله، ولا ظفر من الإيدي بشكوله). (1)

(1) تاريخ قصة الأندلس، ص. 88.
ومن دلالات الاهتمام العلمي لدى المنصور شغفه العميق بمجالات العلم،
حتى بلغ من عنايته بهذا الشأن أن كان له في كل أسبوع مجلس يجتمع فيه
اقطاب الفكر من العلماء والأدباء وينخذون في التناظر فيما بينهم، والكلام في
شتي مسائل العلم والأدب بين يديه، ولم يكن يشغله عن حضور تلك المجالس
والندوات العلمية إلا الجهاد (1).

ونظر لتقريبه للشعراء فقد أدخل نظاماً جديداً في تصنيف شعراء بلاده
وسوف نفصل الحديث عن هذا النظام عند حدثنا عن الشعر.

ومن المؤسف بعد ما ذكرنا أن يتحمل البعض من الكتاب على المنصور
وأن ينتهم عصره بأنه ينسم بالاضمحلال الفكري والتخلف الحضاري عما
سبقه من العهود.

فقد جاء الاستاذ بالنثيا الصواب عندما وصفه بقوله (وكان من نتائج
استبداده أن تعثرت الحضارات الأندلسية في سيرها على أيامه)، وقوله (وإذا
استثناينا بضعة فقهاء مالكيين من طبقة ابن الحذاء (محمد بن يحيى بن
أحمد) ومضخة مؤرخين من طراز ابن الفرضي الذي كان أول من وضع معاجمه
الرجال بالأندلس فإن عصر المنصور لا يمتاز بآية شخصية من الطراز الأول
في ميدان العلم والفنون (2)، وقد وافقه أحمد هيك في هذا الرأى (3).
والحق أن بالنثيا بما صوره من صورة قائمة لعهد المنصور يتضح أنه
ابعد ما يكون من الصواب، ذلك أن المنصور كما ذكرنا عنه من اهتمام بالحركة

(1) الحميدي: الجذع، ص 77. المراكشي: المعمود، ص 16. احسان عباس: المرجع السابق،
ص 75. وانظر في هذا المصدر الحميدي نفس المصدر ص 274، 275. المقر: النفح، ش 1.
ص 71، 72، 77، 79، 80، 81.

(2) تاريخ الفكري الأندلسي، ص 16.

(3) الادب الأندلسي، ص 784، 785.
العلمية، وحرصه على انطلاقتها امته استمراراً للروح النشطة للنهضة العلمية في عهد الخليفة الحكم المستنصر، ولعل موقف المنصور من كتاب الفلسفة والتنحيم وإحرقها أدأ إلى تفكر سيرته، ووقعه من العلم المشار إليها في نظر البعض من العلماء الذين لم يمنعوا النظر في أعماله، بل اكتفوا بموقفه السابق كشاهد على عداه للعلم وتعلقه ليسير الحركة العلمية، صحيح أنه أحرق وغير الكثير من كتاب الفلسفة والفلسفة، ولكن من جانب آخر بدل الكثير من الجهد في سبيل العلم والمعرفة.

والجدير بالذكر أن إحرار المنصور للكتاب لم يكن بدافع الكرامية للكتاب، ولكن رأي من مصلحته السياسية وهو السياسي المحترم أن يعمل على استرخاء الفقهاء الذين كانوا ينظرن للفلسفة والتنحيم نظرة تنتمي بالكرامية والمفتى الشديد مصراد بحركته تلك كسب ود الفقهاء والقضاء على كل ما من شأنه الخروج عليه وتعكر صفو الجو السياسي ضده. وليس هذا معناه أن المنصور بن أبي عامر كان يؤيد الخوض في مسائل الفلسفة والتنحيم التي تقدم في تعاليم الدين وقضايا الشريعة بل كان المنصور صريح العقيدة سليم النتيجة فيما يتعلق بالدين يدل على ذلك ما أورده ابن عازر عليه فيقول: (كان المنصور متسما بصحبة باتنة واعترافا بذاته وخوف من رهبة وتكيد جهاده، وإذا ذكر بالله ذكر وإذا خوف من عقابه ازدجر) (1).

وعليه فإن إقدام المنصور على إحرار الكتب لم يكن بدافع الرغبة في محو تلك العلوم بل كان ذلك وسيلة لقطع الطريق على من يريد أن يتهمه بفساد عقيدته وضعف إيمانه، وعلى الرغم من حدوث ذلك فان تلك الحركة لم تؤد إلى ذلك الجفاف الفكري الذي صوره بعض الكتاب، بل كان تيار الثقافة في قوته وتفقهه مما كان في عهد الخليفة الحكم المستنصر، ولا إدل على ذلك من بروز

(1) البيان الغرب، ج 2، ص 289.

83 -
علماء نابغين في وجه الفكر المختلفة في عهده، وقد أشرتنا إلى بعضهم سابقاً، وبالإضافة إلى ذلك تألق اسم الفقيه المؤرخ ابن عبد البر النمري الذي لا يكاد أن يخفى أي دارس للحركة العلمية في القرنين الرابع والخامس الهجريين في الأندلس.

كما برز في ميدان العلوم الطبيعية علماء كبار في الطب. تألق اسم الطبيب حسان بن جلجل الذي صنف كتابه في طبقات الأطباء والحكماء في عهد المنصور عام 272 هـ. وفي الرياضيات والفلسفة برز الاعلام مسلم بن أحمد المجريطي وتلاميذه النوابغ أمثال ابن السمح وغيرهم. وفي ميدان التاريخ ظهر ألمؤرخ أبنه الأندلس وهو أبو مروان حيyan بن خلف (المولود سنة 977 هـ/ 577 م) وسنا بصدع الاحصاء من ظهر من نوابغ الفكر في عصر المنصور. ولكن، يهمنا الآن أن نوضح أن عصره كان خصباً مطاعم في ميدان العلم.

وقد أشار أحمد هيكل إلى أن قوة الدفع الثقافي في عصر الحجاب كان في مستوى قوة الدفع في الحالة، إلا أنه لا يلبث أن يشير إلى أن سير الحركة الثقافية كان بطيئاً ثم يعود فيعترف بفضل المنصور صاحب الحياة العلمية فيقول: (وربما كان من عوامل استمرار الثقافة الأندلسية في تلك الفترة على شيء من السير أن المنصور بن أبي عامر كان على صلة قديمة بالثقافة قد ارتبط بها منذ نشأته وأنه كان على صحة قوية للعلماء قد أخذ نفسه بها منذ ولايته).)

وعليه فإن المنصور وأنجح في الاستبداد بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيدين بالإضافة إلى موقفه من كتب الفلسفة فاننا رغم ذلك لا نملك إلا أن نعجب.

(1) الأدب الأندلسي، ص 274.
بًسواء في ميدان السلم بما يشمله من خضارة ومدنية أو في ميدان الحرب كمجاهد في سبيل الله (1).

عمر المختار عبد الملك بن المنصور:

وبعد وفاة المنصور تولى ابنه المختار عبد الملك الحجابية، وكانت السلطة المطلقة بيده كابيه. وكان ذلك عام (1963 هـ / 1901 م)، وصار المختار على خطأ أبيه في الجهاد، وكان عصره خيرا وسلمانا على الرعية حتى وصفت أيامه بأنها كانت أعياداً وأن الأندلس بلغت فيها نهاية الجمال والكمال (2).

غير أن المنصور لم يكن كابيه في الإهتمام بالعلم والأدب، ورغم ذلك فانه كان بارا بالعلماء والأدباء فقد (تمسك بمن كان استخلصهم ذبوه من طبقات أهل المعرفة من خطيب وشاعر ونديم وشطرنجي ومعدل وتاريخي وغيرهم)، حفظا لصنائع والده، وقياما برسمه فقررهم على مراتبهم، ولم ينقسمهم سوى الفوز

(1) من المؤسف ان يخلع بعض الكتاب على المنصور صفات لا تليق به كزعيم اسلامي مكافح.

فقد جاذب أحمد هيكل الصواب عندما وصف سيرته في الجهاد بهما أدت إلى وفاة الغنائم مما ساعد على انتشار الله والإقبال على اللذاذ. وإن المنصور نفسه قد انهمك في هذه اللذاذ، وما تسكته بالدين، خروجه للجهاد الا مجاملة للقيق، ويكفينا للرد على هذا الاتهام إن نستشهد برأي المؤرخ ابن عذارى في كتابه البيان المغربي ج 2، ص 289 حيث يقول (كان المنصور متسنا بصحة باتنه، واعترافاً بذنبه، خوف من ربه وكرهه جباهه. وإذ ذكر بالله وإذا خوف من عقابه ازدجر....) كما يذكر الحميدي في جلوبة المتنبى ص 74 (انه غزاة يزيد على خمسين غزاة وكان في انحرافه عن الجهاد يجمع غيار ثيابه حتى إذا دفعته إشارة

(2) Ibn al-Arabî: al-Muṣlib al-salabî, ج 1، ص 270.

- 85 -
بخصوصيته، وكانت ترفع إليه بطائق أهل الشعر ويصلهم على تساهلهم في
مدينه لا تمانهم من نظره فيها (1).
وفي هذا دليل على مخالفته المنصور بعد موته من اهتمام بالعلماء
والادباء. وقد تمثل ذلك في التواجد الكبير لأهل المعرفة بمختلف خبراتهم في
بلاط عبدالملك بن المنصور الذي برهن على كونه خير حافظ لقيادة المسيرة
 العلمية بعد والده.
وبعد حكم دام سبع سنوات توفي عبدالملك المظفر ليتولي أخيه
عبد الرحمن منصب الحيازة غير أن عبد الرحمن أساء التصرف بتقرية الخليفة
هشام وباشره على أن يعهد له بولاية العهد وقد أدى ذلك إلى رؤال نفوذه
والقضاء على سلطته، وكان أسرعهم سخطا وكراهية له الأمويين والقرشيين.
وقد استغل هؤلاء غيبة عبد الرحمن بن المنصور في غزوة فقتلا صاحب الشرطة
وجعلوا الخليفة هشام المؤيد الذي رضخ لأمر عبد الرحمن في توليه العهد، وما
لبث أن قتل الأخير بعد أن انقض عليه أعوانه عند عودته إلى قرطبة ليتولى الأمر
محمد بن هشام الملقب بالمهدي (2).
قياس الغنطة وسقوط الخلافة وأثر ذلك على الحركة العلمية:
نظراً لموقف البرير من مساندة العامريين فانهم لم يجدوا لهم مكاناً لدى
الخليفة الجديد مما دفعهم إلى اختيار من تطمئن إليه قلوبهم، فاردوا تقديم
هشام بن سليمان بن الناصر إلا أن خصومهم عاجلون وقضوا على هشام
وأمر الملك يقتله مما دفع البرير إلى مبايعة سليمان بن الحكم بالخلافة وقبوه
بالمستعين وقد دخل في معارك مع الملك وتم له دخول قرطبة مما أضطر
المهدي إلى الاستعانة بالانفوش ولكن المستعين هزمهم وحاصر قرطبة مما دفع
المهدي إلى احضار هشام المؤيد وبايع له بقصد أن يسكن الأوضاع، ولكن

(1) ابن بسام: النحاة في محسن أهل الجزيرة: القسم الرابع، ج1، ص 106 - ابن الخطيب :
أعمال الأعلام، تحقيق ليقي بروفسال، ص 84.
(2) الغندة: نفح الطيب، ج1، ص 34، ص 246 - 235 - 226 - 86 -
المستعين والبرير استمروا محاصرين قرطبة وقتل المهدي خلال ذلك ونصب الناس هشاماً واستطاع المستعين أن يدخل قرطبة عام 402هـ/1011م وما لبثت الأندلس أن دخلت في مرحلة قاتمة من الفوضى والصراع السياسي(1).

ورغم أن المستعين أظهر بسلوكه هذا لوناً من الغامرة والمخاطر بنفسه في سبيل الخلافة، إلا أنه وصف بالأدب ووصف الشعر حتى قال فيه ابن بسام:

(كان سليمان من مدت له في الأدب غاية كفي دونها أهل الأدب، ورفعته في الشعر رادية مشى تحتها كثير من الشعراء والكتاب(2).

ومن المؤلم ونحن نتحدث عن الحياة العلمية أن نذكر ما أصاب ذخائر الكتب التي خلفها الخليفة الحكم المستنصر، حيث اضطر الحجاب واضح إلى إخراجهما وبيعهما أثناء حصار المستعين والبرير لقرطبة.

(3) 402هـ/1111م(3)

وقد وصف صاعد طريقه ببيع تلك الكتب ببيعها بوركس ثمن وأنتهت قيمة وأتت في أشعار الأندلس(4).

ولن شك أن كان تلك الطريق في تفرق كتب العلم وجهها إيجابياً، فقد بثت تلك التصانيف والكتب في الأندلس مما أدى إلى اتساع نطاق المعرفة العلمية والمقابل الشامل على كتب العلم والاستفادة منها فكانت المشاركة الفعلية على نطاق واسع، وكان تفرق تلك الكتب بمثابة إشعاع أضاء أنحاء الأندلس بعد أن كان مركزاً في قرطبة، مما حمل الناس في مدنهم المختلفة على الاهتمام بالعلم والأدب.

(1) الجندية، ص 16 - 19 - المراكشي: المجدب، ص 66 - 67 - 67 - 68.
ولا يفوتنا أن نشير إلى البربر حين دخوّلهم قرطبة قد نهروا ما تبقى من تلك الكتب التي بقيت بعد حركة البيعة، وهكذا فقد كانت نهاية مكتبة الحكم المستنصر التي ضمت ما يقارب أربعمائة ألف مجلد — كما يقال — نهاية مؤله لورثته ومحبي العلم أما بالنسبة لأهل الأندلس فقد كانت نعمة لهم، حيث تسنى لهم تلك الكثير من نفائس الكتب، ودرر التصانيف وخاصة إذا ما علمنا أن الأندلسيين اشتهرموا بحب الكتب وجمعها فكان ذلك سبيلًا إلى تحقيق أمالهم وأمانهم.

وكان من آثار الفتنة ونتائجها، مقابل بعض العلماء ممن كان لهم سهم وأفر في النشاط العلمي، وفي مقدمة هؤلاء العلماء المؤرخ والمحدث ابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس، والقاضي محمد بن سعيد السري صاحب كتاب روضات الأخبار في الفقه وغيره من الكتب، وصديقه محمد بن قاسم الأموي وقد أورد خبرهما ابن بشكوال في كتابه الصلة(١).

ورغم هذه الأحداث المؤله فإن للفتنة أيضا وجهًا إيجابيًا بالنظر إلى موقف العلماء وحالهم مع الفتنة فقد خرج الكثير من علماء قرطبة وأدبائها إلى المدن الأخرى، فكانوا بمثابة مصابيح أضاءت المدن التي رحلوا إليها واستقروا فيها، مما كان سببًا في نشر المعرفة والنهوض العلمي، فقد كان تشتت العلماء وتفريقهم في مدن الأندلس عاملًا من العوامل التي أدت إلى الازدهار العلمي في عصر ملوك الطوارق في مدن أندلسية كالشبيلية وغرناطة، وطليطلة، وودانية، وغيرها.

وبينتهي عصر الخلافة بزوال نفوذ آخر خليفة وهو هشام المؤيد(٢) الذي خلص لتكون نهاية خاتمة للكثير من عصر يبدأ عصر آخر له سماته السياسية التي تختلف عما سبقه، ورغم تلك الأحداث المؤله التي عصفت بالكيان السياسي للدولة الأموية منذ نهاية عهد عبد الملك المطلب إلا أن الحركة العلمية لم تتوقف بل ظلت تشق طريقها وتؤتي أكلها.

---

(١) ج ٣، ص ٤٨٩ - ٤٩٠.
(٢) انظر في تفصيل تلك الأحداث بعد مقتل المستعين إلى نهاية عصر الخلافة.

الحميدي: الجذرة، ص ٢٧ - ٣٢، والقربي ج ١، ص ٤٢٨ - ٤٣٨.

١٨٨ -
الفصل الثاني

الرحلات العلمية وأثرها في النهضة العلمية في الأندلس

١ - ارتحال علماء الأندلس إلى الشرق في طلب العلم

٢ - نتائج الرحلات العلمية للأندلسيين إلى الشرق

٣ - بروز الشخصية العلمية الأندلسية في عصر الخلافة
ما يفتخر به المسلمون من سلسلة التطور الحضاري والتفوق العلمي ما اعتاد عليه علماؤهم من اتخاذ الرحلات والأسفار بين مراكز العلم في العالم الإسلامي عادة حميدة وسنية كريمة للتزود بالعلوم واكتساب المعرفة، وقد تولد عن ذلك نشاط علمي باهر في الدولة الإسلامية.

والجدير بالذكر أن هناك موقف الإسلام عن العلم والحث على طلبه أكثر في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية، فقد حث الإسلام على العلم والسعي في طلب وتحصيله. حتى روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:
(من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقاً إلى الجنة) وقال عليه الصلاة والسلام: (إن تغدر فتتعلم بابًا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة)، وفي حديث آخر (اطلوا العلم ولو بالصين).

وانطلاقاً من هذا الحرص على اكتساب المعارف والتزود بالعلم وتحمل ضروب المشقات وأنوار العمل، لم يدخن المسلمون في تاريخهم الطويل آية وسيلة من الوسائل التي تعنيهم على بلوغ ذلك الهدف السامي مما كان له أثر كبير في نجاح المسلمين في بناء حضارتهم التي عاشت في كنفها الامة الإسلامية والبشرية جمعاء.

من هذه الوسائل كانت الرحلات العلمية والتي اعتبرها علماء المسلمين ضرورة يجب أن يسلكه طالب العلم في حياته العلمية، وهكذا يتبين (أن الرحلة في طلب العلم وإتقان المشيكة مزيد كمال في التعلم).

وكان علماء الإسلام يرحلون في طلب العلم بين مراكز العلم في الدولة الإسلامية من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، وكانت بغداد، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، القاهرة، والقرويين، وقروطبة وغيرها أكثر مدن الإسلام أشتغالاً بالعلم، وكانت مقصود العلماء، وقبيلة طلاب العلم.

(1) الغزالي: أحياء علماء الدين، ج 1، ص 88، والحديث الأول أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، والثاني أخرجه ابن عبد البر من حديث ابن ذر، والثالث أخرجه ابن عدي، وبيهقي في المدخل والشباب من حديث ابن تيمية وقال البعيعي: متنة مشهور وآسانيده ضعيفة.
(2) ابن خلدون: المقدمة، ص 452.
ا - ارتحال علماء الإندلس إلى الشرق في طلب العلم:

كان بين الأندلس والمشرق تيار علمي خارج يتمثل في أفواج العلماء الذهابية والآثيوية بين القطرتين حتى شهدت بحركة سير التم في الذهاب والإياب.

وكان علماء الإندلس أكثر الناس رحلة إلى الشرق يتلقون على علمائه العلم ويأخذون من شيوخه الوان المعرفة ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون ما اكتسبوه، وأصبح هذا ديدتهم حتى لو أتانا تصفحنا كتاب التراجم لوقفنا على مدى عنايتهم بذلك. فلا تخلو سيرة أي منهم من الارتحال في طلب العلم حتى عرف ذلك منهم ووصفهم المقدس بقوله: (يحبون العلم وآلهه، ويكثرون التجار والغريب).

وكان العالم الإسلامي آنذاك وحدة ثقافية له كان فكري واحد لا يختلف، فالعقيدة الإسلامية صبغت كل نشاط بصبغة واحدة، فلا اختلاف بينهم مهما بدت المسافات، ومهمة قامت من حواجز سياسية نتيجة ظهور كيانات متعددة فيه في مختلف العصور كالعباسيين في الشرق، والفاطميين في مصر، والأمويين في الأندلس، وما دام الأمر كذلك فلا غرابة أن يتجه الأندلسيون إلى المشرق الذي بقيهم في مجال الحضارة بميادينها المختلفة ومنها ميدان العلم. فقد كان الكثيرين من علماء الأندلس يرون في الرحلة إلى المشرق وأخذهم عن شيوخهم تشريفا وفخراً بين علماء بلدهم. وعلى العكس من ذلك كان عوام العالم على الإقامة في وطنه واكتفاء بتلقي العلم على سير بلهده فقط فيه إشارة إلى قصوره عن ادراك ما ناله الآخرون، وفاز به المرحلون في طلب

(1) أحمد إبراهيم: المرجع السابق، ص. 34، 35 - سامي العلمي: دراسات في الأدب الإسلامي، ص. 98 - جبران طه بير: ابن عبد ربه وموته ص. 47.
(2) أحسين التقسيم، ص. 236.
(3) إحسان عباس: المرجع السابق، ص. 38 - 39.
العلم، الذين اتبحث لهم الفرصة في لقاء العلماء في كل قطر إسلامي، والأخذ عنهم مشافهة.

ومما يدل على عناية الأندلسيين بهذه الظاهرة أن الكثير من أصحاب الترجم يعنون بذكر البلدان التي ارتحل إليها من يترجمون لهم من العلماء فذا لم تكن لأحدهم رحلة وصفه بالانقباض والاعتقالي على لقاء الناس، فذكر الخشني في ترجمته لأحد العلماء وهو عبد الرحمن بن إبراهيم الزيداوي الوشقي (١) قوله عنه: (وكان ملتزمًا للانقباض عن أهل زمانه لم تكن له رحلة) (٢).

بذل إن العالم منهم إذا لم تكن له رحلة كان يعاب لديهم، كأنه بذلك قد لحقه نقش كبير في شخصيته العملية (٣).

ولا يعني هذا القول أن من لم تكن له رحلة لم يكن عالما، أو صاحب معرفة بالعلم الذي اختص به، بل تقصد أنه لم يتوفر له ما توفر لغيره من العلماء الذين كانوا الصعب وتحملوا المشاق في سبيل التزود بالعلم، وتوسيع دائرة معارفهم بتنوع مصادر ثقافتهم ودراساتهم (فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها) (٤).

وكان الحج إلى مكة يمثل هدفا دينيا باداء هذا الركن الإسلامي من جهة ويطلب العلم بعد ذلك من جهة أخرى، فكان علماء الأندلس يؤدون الحج ثم يнежمون إلى المدينة، لقاء شيوخها وعلمائها ممن أخذ عن الصحابة وتابعهم، فيأخذون منهم العلم وغالبا ما يكون الحديث والفقه والتفسير والقراءات.

(١) الوشقي، نسبية إلى مدينة وشقة بينها وبين سرستقة خمسون ميلا، وتقع شرقي مدينة تطلبه.
(٢) الحربي: الجريدة، ص ١٩٤ -١٩٥.
(٣) تاريخ علماء الأندلس (مخطوطة) ورقة ٥٠ ب.
(٤) أحمد أمين: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٤.
(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٤٨.
وكان من نتائج استقرار الأحوال السياسية في الأندلس أن نطلق الناس نحو البناء الحضاري، وأخذوا يتعلمون الوسائل في ذلك. وعلى رأس هذه الوسائل العلم الذي أصبح القاعدة الأساسية في نشاطهم الحضاري. ويعتبر عصر الإمارمة بداية انتطاق نحو المعرفة، وكان انطلاقاً هذا يتمثل في أجمل صورة في رحلاتهم العلمية إلى مراكز العلم في الشرق، فبعد أن استتب الأحوال على يد الأمير عبد الرحمن الداخل، وبعد أن زالت مخاوف العباسيين من الأمويين في الأندلس، ولم يعد هناك ما يبرر عزلة الأندلسيين عن المشرق، فكان الانتفاح على المشرق في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل، ورحل الأندلسيون في بداية نشاطهم العلمي في طلب العلم الدينية إلى المدينة بصفة عامة باعتبارها مركز العلم، والمتبوع الأصيل لهذه العلوم، واما اتسعت دائرة الاشتغال بالعلوم الأخرى كالرياضيات والفلك والفلسفة والطب وغيرها اتفجت المعتون إلى بغداد مركز هذه العلوم ومحور نشاطها آنذاك.

ولم يعد الكثير من أولئك العلماء الفرضة في الاستفادة من مراكز العلم التي تقع في طريقهم إلى المشرق، فكان انطلاقاً منهم الأندلس إلى المغرب ليتوجهوا نحو القرى التي كانت من مراكز العلم المهمة آنذاك، ثم منها إلى مصر حيث مدينة الإسكندرية التي كانت بدورها ذات نشاط علمي كبير وإلى جانبها مدينة الفسطاط ثم القاهرة بعد بنائها، والتي لم تكن أقل شأناً من غيرها من مراكز العلم في الدولة الإسلامية. ومن مصر تتشعب أفواج العلماء الأندلسيين لتكون في اتجاهين: إلى الحجاز لأن يطلب العلم الدينية، وإلى العراق من يرغب في دراسة العلوم الأخرى، والتي سبق أهل العراق إلى الاشتغال بها.

وكانت بغداد آنذاك تمثل بوتقة انصهار فيها تيارات علمية مختلفة من نتاج حضارات أخرى لليونان والهند، والفرس بالإضافة إلى ما أضافه علماء
المسلمين من انتاج فكري قيم خاص بهم، وهذا فضح المشرق على الأندلس لا ينكر، وقد ترتبت على ذلك نتائج علمية مهمة استمرت في بناء الكيان العلمي الأندلسي، ولكن البعض رأى في هذا الإسهام صورة تختلف حقيقة الحال.

ب - نتائج الرحلات العلمية للأندلسيين إلى الشرق:

لما كان الأندلسيون قد نهجوا طريق الرحلات العلمية فإنه من الطبيعي أن يكون تلك الرحلات نتائج مهمة وأثار كبيرة، فبعد تلقي العلم على شيوخ وعلماء المشرق كانوا يسدون رحالهم إلى وطنهم ليثبتوا ماتوصلوا إليه من علم ومعرفة.

ويختلف كل فرد منهم عن الآخر في الفترة الزمنية التي يقضيها في اغتربة العلمي عن وطنه، فهي تتباين بحسب قدرة وطاقتة كل منهم على مواصلة الانتقال بين مراكز العلم المنتشرة في العالم الإسلامي بمختلف أقطاره كالعراق ومصر والهند واليمن وغيرها.

وكان الكثيرون يعودون بعد رحلة طويلة وغيبة طويلة وهم أكثر علماء وأسوه معرفة في قديم وطموحهم في بناء كيانه العلمي، ومن يشار إليه بالبطان في هذا الميدان الفقيه إبراهيم بن هارون الصموئي الذي ذكر عنه أنه أقام أربعين سنة في قرطبة لطلب العلم، وكان هذا الفقيه من أهل أشبيلة(1).

كما أن العلامة الوليد بن بكر بن مخلد المتوفي (536هـ) ضرب المثل في تحمل أعباء السفر في سبيل العلم، فقد رحل إلى مصر والشام والعراق والجاحان وخاراسان وما وراء النهر فسمع عن الكثير من العلماء والشيوخ(2).

(1) ابن الفرخاز: المصدر السابق، ج 1، ص 167 - 182 (وأشبيلة عاصمة البرتغال الآن).
(2) ابن الغردي: التنبيب الزاهي، ج 1، ص 20 - 21 (النجم: تذكرة الفلك، ج 2، ص 168 - 169).
(3) وفقه على ماكان يحمله العلماء المسلمون من مصاعب ويصعب، بناء السفر. انظر:
ابن الخطيب: الرحلة في طلب الحديث وكذلك عبد الفتاح أبو غلبه: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل.

- 94 -
وأشرت الرحلات العلمية للأندلسيين، فعاد الكثير منهم بعلم واسع، ومعارف غزيرة. هذا بالإضافة إلى حملهم ألوان التصانيف، وضرب التأليف النفسية لأهل الشرقي في مختلف حقول المعرفة. وفي مقدمة هؤلاء العلماء الفقيه بقي بن مخلد المتوفي سنة 276ه - الذي عاد إلى الأندلس بكتب عديدة في الرحلان مختلفة من العلم كالفقه، والتاريخ والتراجع والتي كان لها بلا شك تأثير عظيم في مسيرة الحركة العلمية الأندلسية بف ضي لما فتحته تلك المصنفات من آفاق واسعة للبحث العلمي للأندلسيين. فاقتربوا على دراسة تلك الكتب والنظر فيها، والإفادة من المناهج العلمية في البحث والتأليف والتي سبقهم إليها المشارقة.

ولعل من أبرز ما نتج عن الرحلات العلمية في عصر الآمارة ما حقق على أيدي العلماء الأندلسيين الرحلين إلى الشرقي من تأثير قوي في ميدان العلوم الدينية وخاصة في الفقه فقد استطاع العلماء زياد بن عبد الرحمن الخميسي (ت 192 ه/708م) ومن بعده الفقيه يحيى بن يحيى الليثي نشر المذهب المالكي في الأندلس. فالأول بذر البذرة الأولى للمذهب والآخر عني بها وأسهم في نموها حتى ساد المذهب المالكي في الأندلس.

وتابع علماء الأندلس على هذا النموذج في نقل العلوم والمعارف إلى وطنهم فبالإضافة إلى مسبوق فقد رحل الديب قاسم بن ثابت (250 ه- 208/568-914م) إلى المشرق في طلب العلم، فكان من نتائج رحلته أن جلب معه كتاب العين للخليل بن أحمد (1) وهو كتاب في اللغة وعلومها كان له تأثير كبير فاقتربوا على تصفحه وإفادة منه.

(2) ابن الفقيه: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص. 310. 90 -
وكان الشاعر الأندلسي عباس بن ناصح الثقفي - المعدد من شعراء عصر الإمارة - يمثل رحلاته العلمية أوضح التأثير الثقافي للمشرقي في الأندلس، فلقائاه للأصمعي والحسن بن هاني، وتردد على أحياء العرب هنالك انعكس على ثقافته التي أسهمت بدورها في نشاط الحركة العلمية الأندلسية.

ولنا يفوتنى ان أشير إلى أن عباساً المذكور لعب دوراً مهماً في نقل التراث الفكري المشرقي إلى الأندلس، فقد كان الأمير عبد الرحمن الأوست مهتماً بجمع الكتب وكان لثقته في عباس، ومدى ما كان يتمتع به من علم واسع ومعرفة بالوان المعرفة ان أوكيل الامه مهمة جمع الكتب العلمية النفسية واستنساخها من المشرق، وقد قام عباس بهذا النور على الوجه الكامل.

وفي عصر الإمارة أدخل العالم الأندلسي فرج بن سالم إلى الأندلس بعض كتب الأندلسي عمار بن بحر المعروف بالجاحظ، والذي التقى به في العراق وأخذ عنه العلم.

وقد فلا بشر فيه إشارة مهمة إلى مدى التأثير العلمي للمشرقي في الأندلس في عصر الإمارة الذي كان يمثل مرحلة الإقبال والنقل والتي ما لبثت أن خفت حدتها بعد فترة من الزمن لتأخذ الأندلس طريقها نحو استقلال الشخصية العلمية والمشاركة في بناء الحضارة الإسلامية.

ومن لا شك فيه أن عصر الخلافة يمثل وجهة جديدا في البناء الحضاري للأندلس، فقد اخذت حركة نقل التراث الفكري المشرقي التي كانت على أشدها في عصر الإمارة تخف وتهدأ.

ففي عصر الخلافة بدأ الأندلسيون يتوجهون نحو الاعتماد على أنفسهم في بناء كيانهم العلمي، وذلك أصبحوا في موقف العداء والبذل العلمي، ولا

---

(1) ماهر حداد: المكتبات في الإسلام، ص 121 (ملقب عن ابن سنيد: المغرب في حلي المغرب، ج 1، ص 45-72).

(2) ابن الغرفي: المصدر السابق، ج 1، ص 250.
يعني هذا انهم قطعوا علاقتهم بالشرق بل ظلوا على اتصال به ويعملون ولكن في صورة أقل مما حدث قبل هذا العصر. ومن هنا نجد أن ظاهرة انتقال الكتب كانت تم مابين الشرق إلى الغرب على الأغلب، حيث أن الشرق - في عصوره الأولى على الأقل - كان متقدما على الأندلس في ميدان النشاط الفكري والتاليف (1).

وفي عصر الخلافة دخلت بعض الكتب الشرقية إلى الأندلس، فقد عاد أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني (ت 560 هـ/ي 1069 م) إلى الأندلس حاملا معه رسائل الصفا وكان أول من أدخلها (2).

وكان العلماء مسلمون بن سعيد يرحل إلى الشرق في طلب كتاب العلم وجمعهم ثم يعود إلى الأندلس حاملا ألوان التصانيف في مختلف فروع العلم (3) وسوف نفصل الحديث عنه فيما يختص بالكتب عند الأندليين.

ويتضح من خلال سير من تقدم من العلماء أن التأثير الفعال للرحلات العلمية للأندلسيين كان في عصر الإمارة. ولكن لما كان لذلك التأثير من القوة والدفع ما نتج عنه ازدهار النشاط العلمي، ورقي الحركة العلمية بعد ذلك - أي في عصر الخلافة - فقد روى وجوب الإشارة إلى أولئك العلماء، ونظرا لخشية التكرار فسوف نؤجل الحديث عن أهم الشخصيات العلمية المرتبطة إلى المشارق، إلى حين التعرض لكل منهم فيما يختص به من علم.

وكانت تحدث موجات رحل رعاة العلماء المشرق إلى الأندلس ليشروا علومهم هناك. وللحراك بذلك الجاه والمنزلة عند السلطان؛ وياتى في مقدمتهم من ذوي الشهرة العلمية الأديب اللغوي أبو على القالي الذي حظي

---

(1) ماهر حماده: الربع السابق، ص 191.
(2) مساعد: لقاءات الأدب، ص 95-96. ابن أبي اسماع: عيون الأنباء، ص 484-485.
(3) ابن بشكوال: الطلبة، ج 1، ص 25.
بمنزلة كريمة لدى الخليفة عبدالله الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، وبعده أيضاً في عصر المنصور العلامة صاعد بن الحسن الذي دخل الأندلس (1280/1960م) وقد أسهم العالمان في نشاط الدراسات الأدبية واللغوية في الأندلس وخاصة أبو علي القالي (1).

وقد عقد القدرُ بابًا ضمنه إبراز علماء الشرق الوافدين إلى الأندلس فقال (اأعلم أن الداخليين للأندلس من الشرق قوم كثيرون لا تحتصر الأعيان منهم فضلاً عن غيرهم ومنهم من اتخذوا وطناً، وصيرها سكنًا إلى أن وافقته مهنيه. ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضيت بالأندلس مكنيه) (2).

وهذا يكشفننا ما كانت عليه الأندلس آنذاك من نشاط علمي جذب العلماء من خارج الأندلس للمشاركة في نهوض الحركة العلمية. كما أنه يدل على ما كان يتمتع به حكام الأندلس من حب للعلم وتشجيع للعلماء، وما رحيلى أبي علي القالي، صاعد بن الحسن إلى الأندلس إلا دليلاً على ذلك.

ومن كبار العلماء الوافدين على الأندلس، الحديث عبدالرحيم بن أحمد التميمي البخاري (482/1086م) الذي عده العلماء طبقة ابن حزم وابن عبد البر النميري، ووصفه المقرري بقوله: (الذي اعتقد أنه لم يدخل الأندلس من أهل المشرق أحفظ منه الحديث، وهو ثقة عدل ليس له مجازفة والحق أبلغ) (3).

والحق أن دخل هذا العلماء الأندلس فيه دليل على ما بلغته من مستوى علمي باهر إذ أن هذا الفحص رغم ما وصف به من حفظ للأحاديث وتشكل في علم الحديث إلا أنه سمع من شيوخ الأندلس (4) وكفى بذلك شهادة على الازدهار العلمي للأندلسيين آنذاك وكيف أنهم أصبحوا في موقف العطاء العلمي.

(1) سوف تتعرض إلى مكافحته العلمية عند الحديث من الأدب واللغة.
(2) تهذيب الطبيعة، ج 2، ص 96.
(3) نفس المصدر والجزء، ص 62-64.
(4) المصدر السابق، ج 2، ص 86.

- 98 -
وممن وفد على الأندلس من العلماء تابث بن محمد الجرجاني الذي وصفه ابن الخطيب والكامل وذلك لسعة علمه، وعمق معرفته بالأدب واللغة بالإضافة إلى ما تمتع به من فروسية وشجاعة(1).

وكان على منواله الأديب أبو وهب عبد الرحمن العباسي (ت 344 هـ/ 955 م) الذي وصف بتنوع معارفه وتغذيه في العلوم والآداب، وأنه كان ينهج طريقة الفلسفة في التفكير والكلام (2).

برزت الشخصية العلمية الإندلسية في عصر الخلافة

وكم قلت من قبل كان للرحلات العلمية التي قام بها الأندلسيون إلى الشرق لتحسين العلم والآداب أكثر كبير في وسم نشاطهم العلمي بسمة مشرقية. وكانت هذه السمة أكثر وضوحًا فيما قبل عصر الخلافة، ولعل ذلك عائد إلى ما فرضه التقدم الحضاري للمشرق حيث تجاوزmandaً من سيادة فكرية على بقية الأقطار الإسلامية الأخرى ممن لم يصل في مستوى حضارته ورقية العلمي آنذاك.

وكان المشرق إبان ذلك الوقت يمثل في نظر الأندلسنين مصدر الحضارة ومنبع العلم مما فرض عليهم الاتجاه في رحلاتهم العلمية إلى مراكز العلم في الشرق ليقتبسوا الوان الثقافة عن علمائهما وفقهائهما (3).

ولا أدل على إعجاب الأندلسنين بالشرق، وما كانوا يجدون نحوه من آيات الأجلال والأكبار من أبيات شعرية قالها الفقيه الأندلسن المشهور ابن حزم حيث ضمنها إعجابه بالمشرق وحنيته إلى لقاء علمائه فيقول من ضمن تلك

(1) الإحاطة في أخبار غزالة، ج 1، ص 454.
(2) ابن سهيد: المصدر السابق، ج 1، ص 528-529.
(3) أحمد محسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص 313-314. عبدالله كريم التراتي: مساحة إنهيار الوجود العربي في الأندلس، ص 665.
الأبيات:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة
ولو أنني من جانب الشرق طالع
وأني نحو العراق صباية
ولا غروان يستحش الكلف الصب
فجئنت بيدي التشف والكرب

فابن حزم رغم قدراته العلمية العميقة، وما كان يتمتع به من علم واسع
في الكثير من العلوم والمعرف، كان لا يزال يطلع إلى الشرق، ويرنو بناظره
إلى أكثاف العراق، حيث نوابغ العلماء، ويجا بذة الفكر الإسلامي.

وأهم ميادين العلم، التي اصطبغت بسمة التقليد والمحاكاة عند
الاندلسية هي الدراسات الأدبية ولكن رغم ذلك فإن: (من الخطأ الكبير ألا
يخلينا عند دراسة الأدب الإندلسي إلا هذا الاستقلال في الشخصية الأندلسية
لأننا ندرس ادباً يعتقد إلإ حضارة مشتركة في الشرق والغرب، فلو لم يكن
التقاليد مقصوداً لكان التشابه أيضاً محتوباً) (1).

وعليه فإن الدراسات العلمية والوان الثقافة في أقطار العالم الإسلامي
مشارقة وغربه تخضع في مجموعها لسمة التشابه، وذلك لارتكازها على لغة
وثقافة إسلامية واحدة وهذا بلا شك يؤدي بالضرورة إلى ما وصفنا، فمن
العسير إذن أن يطالب الأندلسيون بالتواصل إلى نتائج علمية لم يصل إليها
المشارقة مادام الأمر على هذه الحال.

أما بالنسبة للعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وقراءات، فمن عوامل
وجود الشبه والتقارب بين الدراسات الأندلسية والشرقية هو اتحاد المصدر وهو

(1) المبدي : الجنوبي، ص. 261.
(2) أحسن عباس: المرجع السابق، ص. 26 - 40.
القرآن الكريم والسنة الشريفة، والذان انبثقت عنهما علوم الدين الذاكره فمن الطبيعى وقد اتحد المصدران أن تتحدد النتائج أو تنتقاب (1). أما بقية العلوم الأخرى فقد كانت بعيدة نسبياً عن دائرة التقدير وبالتالي خلت الكثير من جوانب دراستها من سمة التشابه.

ويشير عبد الكريم الوراهي إلى قضية التأثير العلمي للمشرق في الأندلس وهو في ذلك يبدى اقتناؤه بأن صورة الحركة العلمية في الأندلس انعكاس للثقافة المشرقية فيقول – بعد عرض مسبى لذلك الموضوع – (وإذما ما يجعلنا نعتقد أن دراسة الحياة الفكرية في الشرق تغني إلى أبعد الحدود عن دراستها في الأندلس العربية) (2).

ولا شك أن في هذا القول مجافاة للصواب وتجنباً سافراً على التأثير الثقافي الأندلسي ووصفه بالصورة التقليدية وأنه مجرد انعكاس لصورة الثقافة المشرقية في مرأة التقليد والمحاكاة.

روح الحق أن الأندلسيين قد حققوا نشاطاً صعباً في عصر الخلافة وما تلاه من عصور حضارة علمية تشهد لهم بطول الباع والنبوغ الفكري حتى قال ابن حزم في هذا الصدد – بعد أن ذكر براعة أهلها في العلم والمعرفة – (وبلنا هذا على بعد من ينبوع العلم، ونذلما عن محلة العلماء فقد نكننا من تأليف أهلها ما أن طلب مثلها بفارس والأهواز ؛ وديار مصر ودياب ربيعة واليمن وشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأزبابها) (3).

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج 2، ص 272 - 278.
(2) مسألة أثرها الوجود العربي في الأندلس، ص 177.
(3) المقرى: النفح، ج 2، ص 177.
فأين وجه الحق بين هذين القولين. إن الحق بلا شك يبدو واضح السمات جليًا ظاهراً في قول ابن حزم الذي هو أثر أخبار بما كان عليه بلده وما ضمه من علماء بارعين أسهموا في نشاط الحركة العلمية وقدموا للعلم عطاء سخية يتمثل في انتاجهم العلمي النفيس والذي لا يزال أهل الشرق يكتون له أعظم تقدير وتكرير إلى وقتنا الحاضر.

وإذا كان من الانصاف أن تشير إلى فضل ما قدمه المشترق للأندلس في الميدان العلمي فإن من الحق أيضاً أن نشير إلى أن الأندلسيين بعد ذلك وخاصة في عصر الخلافة نفزوا من دائرة التقليد إلى محيط الإبداع العلمي مع بروز الشخصية العلمية في ميدان الفكر، ففي القرن الرابع الهجري بدأت الحركة العلمية الأندلسية تتخذ قابلاً جديداً وشكلاً مغايراً لما سبق فضلاً عن سعيها إلى أثاث ذاتها، واستقلالها الشخصي عن المشترق فاهتمت منذ ذلك الحين بحاضرها واد ركها مايشبه الشعور القومي، وكان للحكم المستنصر أثر بارز في بناء الكيان العلمي للأندلس، والعمل على استقلال الشخصية العلمية للأندلس ورفع شأنها وذلك بما هيئ من مسائل علمية لتحقيق ذلك الهدف، فإذا بالمكتبة الأندلسية تزخر بعيون التصانيف والمؤلفات وهكذا وجدت الأندلس رجالاً وتأريخاً وفكرة فتحدثت عنه وخلدته.

وبعد هذا كله فمن غير الانصاف أن ننفي عن الأندلسيين سمة الإبداع وبالتالي نصفهم بالتبعية الثقافية للمشرقي وضمحل شخصيتهم العلمية في موجة التقليد والمسايرة لغيرهم.

(1) انظر فيما بعد القسم الثاني لتلمس الإنتاج العلمي الرائع للأندلسيين في مختلف الروان المعرفة.
(2) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص 79.
وعليه فإن النهضة العلمية في الأندلس آنذاك بلغت النزوة، وأصبحت في
درجة لا تقل عن نظرياتها في المشرق بدليل الأعداد الهائلة لعلماء الأندلس في
شئين حقول المعرفة وما انتجه من نفائس الكتب في ذلك، والتي أضافت معها
الشخصية العلمية للأندلس التي استقلت إلى حد كبير(1).

وتبعا لذلك فإن هناك دلائل ومؤشرات انتهقت عن شعورهم بحتمية
الاستقلال الفكرى، وأثابت قدرتهم على صنع حضارتهم وصبغها بالسمة
الاندلسية. وتتجلى لنا نزعة الأندلسيين إلى الاستقلال وتعلقهم إلى إثبات
قدراتهم الشخصية في المتعرك العلمي بما يروي من الحكم المستنصر الذي
كان يفاخر بعلماء بلده ويعتبر بقدراتهم العلمية أمام منافسيهم من أهل
المشرق، فيقول في أحد علماء الأندلس: "إذا فاخرنا أهل المشرق ببيحي بن
معين فأخيرناه بشاك بن سعيد(2).

ويحيى المذكور (١٥٨ - ١٣٣٢ هـ / ٧٧٧ - ٨٤٧ م) أحد حفاظ الحديث
وعلمائه الكبار من أهل المشرق. ووصفه الذهبي بسيد الحفاظ وكان ذا بصر
بالجرح والتعديل(3) وقد كان هذا العلماء يمثل علماء الولاة وثقافته الرفيعة
مثلاً بارزاً على التقاليد العلمي للمشارقة. ونا كان خالد بن سعد متصلنا في
الحديث ومعرفة علومه كان هذا دافعاً لل الخليفة المستنصر للإعزاز بمكانة وتبوعه
الواضح وكوثه فخر الأندلس كما أن يحيى فخر أهل المشرق في الحديث.

ومما روى في ذلك أن الأديب المنشري صاعد بن الحسن نجل على
الحاجب المتصور بن أبي عامر، وكان صاعد يرتدي ثياباً جديدة، فمشى
جانب البركة لأزدحام الحاضرين في الصحن، فزلقت رجله فسقط، فضحكه

__________________________________________________
(1) أحمد هيلالي: الأدب الاندلسي، ص ١٩٠.
(2) ابن العاد: شعراء الذهبي في أصحاب من نهب، ج ٣، ص ١١.
(3) الأزكي: الأعلام، ج ٨، ص ١٦٢، ١٧٣.
المقحور والحاضرون وأشار بإخراجه من الماء فأخرج وقد أدرسه البرد فأمر
له بكسوته وأشار عليه بان يصف حالته وسقوطه في الماء شعرفا. فقال صاعد
ببيتا من الشعر استبرده المقصور. وكان في الحاضرين أبو مروان الجزيدي
أحد أدباء الأندلس فانشده شعراما لسان صاعد يصف سقوطه في الماء
وأدب أبو مروان في ذلك مما أدخل السرور على المقصور فقال:

"له درك: قطناك باهل العراق ففضلتهم فين نقيس بعد (1)!
وتؤكد هذه الحادثة ما سبق قوله من تلطع الأندلسين إلى قمة التنافس,
وصدرة الموقف العلمي آنذاك.

وبعدهما وقد أبو علي القالي على الأندلس سنة 373هـ / 984م، أمر
الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يرافقه وفد من العلماء، ويصحبه إلى ان يصل
إلى بلاد الحلفاء، وفي طريقهم إلى قرطبة، كانوا يتجاذبون الحديث في الأدب
حتى قال أبو علي القالي ببيتا من الشعر، إلا أحد الأدباء من الوفود ويدعى ابن
رفاعة الألبيري عارض أبا علي في كلمة وردت في ذلك البيت، ولكن الأخير
تمسك برأيه حولها، مما أشادات ابن رفاعة، فانصرف عن صاحبه الوفد قائلا:

"مع هذا يودع علي أمير المؤمنين ويتجمش الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت
مسيح بين الناس لا تغلف الصبيان فيه؟ والله لا تبعته خطوة وفارق الوفد،
ونما وصل خبر ذلك إلى الحكم المستنصر وكان للعهد قال: الحمد لله الذي
جعل في بادية من يغبني من يخطئ وافد أهل العراق اليانا (2).

ولا شك أن هذه القصة تضيف قوة إلى ما أوردها من ظواهر الاعتزاز
بالشخصية الأندلسية، وتوضح مدى قتتهم بمستواهم الفكري أمام الثقافات

(1) الازدي: بديان البداء، ص55-36-51، المقرئ: النفح، ج2، ص95.
(2) المقرئ: النفح، ج3، ص71-77.

- 104 -
الأخرى الواردة عليهم بل أنهم أصبحوا على قدم المساواة مع أندادهم من أهل المشرق حضارة وعلما، حتى روى المقرى أن ابن سعود - المؤرخ الإندلسي - قال أنشدنا والدي للحفاظ أبي الطاهر السفلي قال وكنى به شاهدا، ويدله

مفتخرًا:

بلاد اذربيجان في الشرق عندنا كأندلس بالغرب في العلم والأدب، فما أن تكد الدهر تلقى مميزًا من أهليهما إلا وفد جد في الطلب (1).

وقد أبدى أبو على القالي عن الإندلس، وتحث عن نظرته إلى اهالي الاقليم، التي يراها في طريقه إلى الإندلس، ودرجاتهم في العلم، فلما وصل إلى القيروان خرج منها لاحظ أن كلنا بعد دياره عن القيروان كما كان ذلك أدعى إلى قلة فهمهم وقصر علمهم، حتى كأن قربهم أو بعدهم من المدينة المذكورة - مقياسا على نباهتهم أو قصور أفهامهم، وحتى قال أبو علي: إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأت في أفهامهم بقدر نقصاء هؤلاء عن قبلكم، فسأحتاج إلى ترجمان بهذه الأوطان (2).

ولكن هل صدق ظن أبي علي فأحتاج إلى ترجمان في مخاطبة أهل الأندلس، وتحت مجتمعهم؟ وهل كان الإندلسيون على بعدهم عن مراكز العلم في الشرق في مستوى علمي ضئيل، ورداءة في الأفهام، تؤكد ظن القالي، وترسخ في ذهنه ما دار في حساباته؟

إن الأمر كان بخلاف ذلك. فقد ظهرت شمس الحقيقة للقالي عندما حل بين الأندلسيين فقد هال ذلك ما رأى من تمكنهم في ضروب العلم والأدب ورسوخ أقدامهم في ذلك يقول ابن بسام بعد إيراد الخبر السابق (فبلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالعجب من أهل هذا الأفق في ذكائهم، ويتغطي عنهم عند

(1) المقرى: نفس المصدر والجزء، ص، 224.

(2) بن بسام: الدخيره، القسم الأول، ج، 1، ص، 4.

- 105 -
المباهلة والمناقشة ويقول لهم: "إن علمي علم رواية، وليس بعلم دراسة، فخذوا عن ما نقلت، فلم ألكم أن صحت".

هذا مع اقرار الجميع له يومًا بعسة العلم وكثرة الروايات والأخلاق.

الثقات(1).

ولا شك أن هذا اقرار من القائم ببراعة الأندلسية والانتشار معارفهم، وعلم مستواهم العلمي. وفي ذلك إشارة أيضًا إلى بروز الشخصية العلمية للأندلسيين وذوي القدر منهم في الميدان الفكري وأنهم ليسوا بالقليل من غيرهم علماء ومعرفة.

وإلى جانب شهادة القائل بفضل الأندلسية في الميدان العلمي فقد أورد المقري في معرض افتخار أبي الوليد إسماعيل بن محمد الشقدي بفضائل الأندلس وبراعة أهلها في العلم والأدب، وذلك ردًا على أحد علماء المغرب وهو ابن المعلم المظلي الذي فضل المغرب على الأندلس وأنها أوسع علمًا وآثر حضارة، فكتب الشقدي رسالة في تفضيل الأندلس على غيرها في ميدان العلم، وفي ختام الرسالة قال: "مخطوبًا لابن المعلم... وناحوي له حكاية جرت لي في مجلس القفيق الرئيس أبا بكر بن زهر، وكان أبا بكر بن زهر يكره فقته له: ما تقول في علماء الأندلس وكتابهم وشعراتهم؟ فقال: كتبته فلم أفهم قصده، واستبكر ما أتى به، وهكذا كنت أبا بكر ابن زهر. أي نظرته نظر المستبرد المنكر. فقال لي: اقرأ أشعار المتنبي، قلت نعم. وحفظت جميعه. قال فعلى نفسك، إذا فلتتك وتخطر بقية الفهم فلتتهم. فذكرني بقول المتنبي:

"كبرت حوال ياربهم لما بدت من الشموع وليست فيها المشرق." (1) نفسه المصدر والجزء والصفحة.

١٠٦٦
فاعتذر علی الخراساني، وقال: "قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي، حين لم أفهم مقصدك" (1).

ولكن قد يقول أحدكم إن شهادة أبي علي القالبي والعالم الخراساني السابق ذكر إنما أنت من قبل المجاملة لأن الأثنين كانا في ضيافة الأندلسين فمن غير الطبيعي أن يأتيا بغير ذلك؟ ولكن نقول: إذا صح هذا وهو أمر بعيد، فإن المتاسب وهو الذي يعد من أشهر شعراء الإسلام - إن لم يكن أشهرهم - قد شهد لابن عبد ربه الشاعر الأندلسي عندما سمع من أحد علماء الأندلس في مصر. فقد أحسن ابن عبد ربه في شعره مما أطربه المتسبب وصفق بيده وقال: "يا ابن عبد ربه لقد تائيك العراق حبوا" (2).

ثم لا ننسى أن الحسن ابن هاني المعروف "باني نواس" وهو من نوابغ الشعراء في العراق قد شهد للشاعر الأندلسي عباس بن ناصح بالتقدم عليه في ميدان الشعر وقد اشترنا إلى ذلك عند الحديث عن الشعر في عصر الإمارة. فإذا كان الأمر كذلك فقد وضع الحق وتلكت المزاعم التي ألقها البعض من الكتاب حول الحركة العلمية في الأندلس، وإنها تقليد وصورة مشوبة لثقافة الشرق.

وقد ألهف ابن حزم رسالة في فضل الأندلس وجهود علمائها في ميدان الإنتاج العلمي وخدم رسالته بعقد مقارنة بين نوابغ العلماء الأندلسيين في حقول المعرفة المختلفة وبين أندادهم من المشارقة. وتعتبر هذه الرسالة من أعظم شواهد التفوق العلمي للأندلسيين منذ بداية عصر الإمارة إلى عصر

(1) الفتح، ج 2، ص 272.
(2) المقرئ: تحقن العلماء، ج 2، ص 273-274، المقرئ: الفتح، ج 2، ص 565.
المؤلف نفسه، وهي بلاشك تعطينا دليلاً حاسماً على نضوج الشخصية العلمية للأندلسيين وتفوقهم (1).

فمن الغريب بعد ما تقدم أن يصف أحد المؤرخين والجغرافيين ممن عاصر هذه النهضة العلمية من علماء الشرق ووافق حولت الذي دخل الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر. أن يصف أهل الأندلس بقوله: «ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة (الأندلس) بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها. وضعه نفوسهم ونقض عقولهم. . . . (2).»

ويكفي لرد على هذه المزاعم ما قاله الجغرافي الشرقي واليمني عاصر ابن حوقل وهو محمد بن أحمد المقدسي لتعريف الفرق الشاسع والتباين الواضح بين ما زعمه الأول وادعاه وما قاله الثاني للحقيقة وانتصارا للحق، يقول المقدسي: (وقد دلت الدلائل واتفقت الآراء على أنه مصر جليل رفق طيب وان ثم عدلا ونشأ سياسة وطنية ومعها ظاهرة وديننا . . . غزاة أبداً في جهاد، ونفير مع علم كثير وسلطان خطي وخصوصات وتجار وفوائد) (3).

ويبدو أن سبب تحامل ابن حوقل على الأندلسيين هو تشيعه للغطاطيين وواجه لهم وهو أمر أشار إليه أثناء كلامه عن الأندلس، يقول (ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعه نفوسهم ونقض عقولهم، ويعتبر من الباس والشجاعة والفرصية والبسالة . . . (4)

(1) نظرة لأهمية هذه الرسالة ودلائلها الواضحة على التقدم العلمي للأندلسيين في عصر الخلافة وما قبله، فقد رأى ووضع في خطاه الرسالة كملحق من الملاحظات.
(2) صورة الأرض، ص 40.
(3) أحسن التقسيم، ص 322. (1) المقر: التلف، ج 1، ص 426-427.
(4) 108 -
ولقاء الرجال ومراس الأندلس والأبطال وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار حبايتها ومواقع نعمها ولذائها(1).

وبهذا يتضح لنا تحامله على الأندلسيين وتحسسه لما ولياهم من الفاطميين، ولا يستعبد أيضاً أن يكون قد دخل الأندلس كعين للفاطميين لمعرفة أحوال الأندلس والإبلاغ على مظاهر قوتها وضعفها.

وختاماً يتبين بوضوح ما نجم عن الرحلات العلمية من أثار ونتائج علمية كبيرة للأندلسيين حيث كانوا في نداء اشتغالهم بالعلوم ينقلون عن المشارقة علومهم ومعارفهم، ومرور الوقت أخذ نشاطهم العلمي يتدرج اتجاهاً مغايراً لاتجاه الأول حيث رأوا من راقي الانتقاء لوطنهم أن تكون لهم شخصية علمية مستقلة يثبتون من خلالها أنهم أقدر على صناعة حضارتهم وبناء كيانهم العلمي بأنفسهم، فكان عصر الخلافة دورة مضيئة في حين التاريخ الأندلسي تشهد لأهله بنيوهم العلمي وبقدرتهم على اثبات ذاتهم في ميدان الحضارة الإسلامية.

(1) صورة الأرض، ص 104 ـ 105.
الفصل الثالث

الكتب والمكتبات في الأندلس

أ - عناية الأندلسيين بالكتب
ب - اهتمام الأندلسيين بجمع الكتب واقتنائها، وبإنشاء المكتبات.

مكتبة الخليفة الحكم المستنصر - مكتبة المنصور بن أبي عامر - مكتبة الوزير أبي المطرف عبد الرحمن بن فطيس - مكتبة محمد بن يحيى الغافقي القرطبي.

ج - حرفة الوراقة في الأندلس وأثرها في النشاط العلمي.
1 - عناية الأندلسيين بالكتب:

 لما كان الكتاب يمثل بما يحويه من ثروات الفكر الإنساني وسيلة مهمة من وسائل العلم والمعرفة في أي عصر من العصور، وفي أي مجتمع من المجتمعات لذا فمن الطبيعي أن نقف على مقدار الأمية العظمى التي تعطي للكتاب في الحياة العلمية لدى أي أمة من الأمم، ولا كانت الأندلس قد دخلت ميدان الحياة العلمية فقد أعطت الكتاب المنزلة اللائقة به في حضم النشاط العلمي الذي عايشته وبلغت به درجة رفيعة بين الأقطار الإسلامية.

وفي عصر الخلافة كانت الحاجة ماسة إلى الكتب والمؤلف العلمي، وذلك نتيجة لازدهار الحركة العلمية والاقبال الشديد على المعرفة، وكانت قرطبة تحتل الصدارة في النشاط والازدهار العلمي، فكان أهلها أكثر الأندلسيين عنانياً واهتمامًا بالكتب حتى قال أحد علماء الأندلس يصف هذه الظاهرة العلمية عند أهل قرطبة: (وأثقلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم عن آلات التفتيح والقياس حتى أن الرئيس منهم لا تكون عنه معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب ينتخب فيها ليس إلا لأن يقول: فلان عنده خزائن كتب، والكتب الفلاني ليس هو عند أحد غيره والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفته) (1).

وقد حظي الكثير من علماء الأندلس بمكانة اجتماعية رفيعة بين أفراد المجتمع، فتعليمهم أحتلوا المنزلة السامية بين السلطان والرعية على حد سواء، لهذا فقد تطلع البعض ممن لم يتمكن من التعلم واكتساب المعرفة إلى التشبه بأولئك العلماء ومساراتهم في بعض مظاهر سلوكيهم كالاهتمام بالكتاب والعناية

(1) المقرئ: النهج، ج 1، ص 422-423.
بها. فاقتلاو يزينون منازلهم بخزانات الكتب لينالوا من وراء ذلك مكانة وجاها بين الناس، وليقال انهم من ذوى المعرفة، وعلى الاقل من محبى العلم.

ولم يكن الاهتمام بالكتب وقفاً على مدينة قرطبة، بل تعداها الى المدن الأندلسية الأخرى والتي نعتمت في بدورها بالتطور العلمي والإزدهار الثقافي وفيّ مقدمة تلك المدن اشباهية، وطليعة، ومرسيه، وغزاته، ويدرك انه كان في المدينة الأخيرة سبعون مكتبة عامة غير المكتبات الخاصة(1).

ومن دلالات عناية الأندلسيين بالكتب – حتى بين من لم تكن لهم سابقة في العلم والعرفة – ما رواه أحد العلماء القرطبيين يُدعى الحضرمي بقوله: (آتقت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقعت كتاب كان لي بطلبه اعتناه الى أن وقع وهو بطح جيد وتسفير(2) مليع ففرحت به اشد الفرح فجعلت أزيد في شنها، فرجع إلى المنادي بالزيادة علي، إلي ان بلغ فواق حده، فقلت له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوى، قال: فاراني شخصا عليه لباس رياسه، فدندوني منه وقتله له: اعذ الله سيدنا الفقه، إذ كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لفوق بلغت الزيادة بيننا فوق حده. قال: فقال لي: لست بفيه ولا أدرى ما فيه، ولكني أقامت خزانة كتب، واحتفلت فيها لا تجعل بها بين أمياء البلد، وبي فيها موضوع يتسع هذا الكتاب. فلما رأيته حسن الخط جيد التاجيل استحسنته ولم أبال بما ازيد فيه، والحمد لله على ما انعم به من الرق، فهو كثير. قال الحضرمي فاحرجني وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرق كثيرا إلا عند ملك يعطي الجوز من لاعنه أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به يكون الرق عندي قليلا وتحول قلة مابيدي بيني وبينه (3).

(1) عمر كحالة: مقدمات وبحاث في حضارة العرب والإسلام ص 244.
(2) التفسير: التاجيل.
(3) المقرئ: النفح ج 1 ص 482.

- 113 -
ونلمس في هذا النص عدة فوائد منها ما كان للكتب من أهمية عظيمة، وأنه كانت لها سوق خاصة يتم فيها بيعها وشراؤها بالإضافة إلى ذلك المستوى الفني الرفيع الذي صاحبه هذه الحركة العلمية من الاهتمام بالخط وتجليد الكتب كما أن النص دليل واضح على ما كان للكتب من منزلة سامية في قلوب الأندلسيين العالم منهم والأمي.

ونتيجة لهذا الازدهار العلمي السائد في الأندلس أن كانت هناك منافسات علمية بين المدن الأندلسية المختلفة، وأيضاً أكثر علماء ومعرفة، حتى قامت مناظرات في التفضيل بين تلك المدن. ومنجملة ما حدث من تلك المناظرات ما تم بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب (1) حيث دارت بين العالمين ابن رشد وأبن زهر مناظرة وكان كل منها يسعى إلى تفضيل مدينته على مدينة الآخر فأخذ ابن زهر في تفصيل وتقديم إشبيلية - مسقط رأسه - على مدينة قرطبة، فأنى لابن رشد قالا: ما أدرى ما تقول غير أنه إذا مات أعلم بإشبيلية فاريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية (2).

وبالرغم من أن هذه المناظرة التي حدثت بين هذين العالمين كانت في عصر الموحدين - أي في القرنين السادس والسابع الهجريين - إلا أنها تدل على أن قرطبة احتفظت بمكانتها العلمية بعد انقضاء قرنين على ما وصلت إليه من ازدهار في عصر الخلافة.

(1) أحد سلاطين الموحدين بل يعد من أشهرهم، واسمه يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الحق بن محيي بن بكر من قبيلة زياته يكني بابي يسافر يلقب بالمنصور، وكان له فضل كبير في الحاق الهزيمة بالنصارى في الأندلس سنة 172 هـ وتوقي سنة 185 هـ.
(2) المقرئ: النفيح، ج 1، ص 155 - ليفي بروفيسال: حضارة العرب في الأندلس، ص 195.
والحق أن ما أشار إليه ابن رشد في وصفه لأهل اشتقباله فيه مبالغة إذ
أنه عرف عن أهلها المناضفة الشديدة لأهل قرطبة في ميدان العلم حتى أنه
نسب إليها أعداد كبيرة من العلماء وبغايته في عصر شوك بني عباد في
القرن الخامس الهجري.
ولعل من دلالات نهضة اشتقبالها تناقلها العلمي أنه كان بها سوق خاص
بالكتب تزداد إليه أهل الأدب والعلم بحثا عن نافذة الكتب بنوادرها بالإضافة
إلى أنه كان لعربية أهلها بالكتب واشتغال الكثير منهم بتجارتها أن كان بها
شاعر يسمى شارع الوراقين (1).
وإذا يتبين أن العناية بالكتب واكتشافها لم يكن وقفا على قرطبة بل
تعداءا إلى البلدان الأخرى. كما أن الاهتمام بالكتب لم يكن موضوع عنابة
المسلمين في الأندلس فقط بل شاركهم في ذلك المسيحيون من أهل البلاد، فقد
كتب مطران قرطبة الغار في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (أن
جميع المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب و أدائهم، ويقرأون
ويطالعون كتب العرب بوضوح، ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب ببنقات
باهظة) (2).

اهتمام الأندلسيين بجمع الكتب واكتشافها، وإنشاء المكتبات: نتيجة
للزهدر العلني الذي نعمت به الأندلس آنذاك، وما استتبع ذلك من الاهتمام
بالكتب والحرص على جمعها، أن ظهرت في ذلك العصر ظاهرة العناية
بالكتب وتتفتت بين الكثير من أفراد المجتمع الأندلسي، وياتي في مقدمة من
اعتيت بجمع الكتب الخليفة الحكمة المستنصر الذي كان يستهدف من وراء ذلك

(1) خويلد ريبا: المكتبات و رواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محروس،
مجلة معهد المخطوطات العربية 6، ص 78، مايو 1989م.
(2) روبرت بريفال: آخر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسان، ص 145.
توفير وسائل النهضة العلمية في وطننا فعّد إلى جمع الكتب وحرص على
اقتباس نفائس المصنفات ونوادر التأليف الإسلامية منها وغير الإسلامية وبلغ من
جهب الكتب وسعية في جمعها أنه (لم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغه في
اقتباس الكتب والدواوين وأيثارها والتهم بها) (1).
والجدير بالذكر أن الخليفة المستنصر نهج عدة وسائل في سبيل جمع
الكتب من شتى البقاع، فكان له وراقين منتسبين في أقطار العالم الإسلامي
يسعون لاقتباس نفائس الكتب ونوادرها. ومن بين أولئك الوراقين طائفة لا زالت
مدينة بغداد للإطلاع على كل جديد في العلوم الأدب، وكان أحدهم يدعى
محمد بن طرخان يقيم بهذه المهمة على الوجه المطلوب تحقيقا لرغبة مولاه
الحكم المستنصر (2).
وهكذا نلمس مدى ما كان يوليه الخليفة الحكم لهذا الجانب العلمي من
عناية كبيرة واهتمام باللغة، وقد وصف لي في بروفيسور هذه الظاهرة العلمية
بقوله: "إن شبكة حقيقية لحساب العاهل الإسباني من الباحثين والسماسرة
والناسخين قد انتشرت واحذت أصالها تحرياتها عن التأليف في طول العالم
الإسلامي وعرضه (3).
وويا يؤكد عناية الخليفة الحكم بالكتب وما يخرجه العلماء من إنتاجهم
العليمي حرمسه على الإطلاع على ما يفتقه بعضهم قبل أن يخرجوه للناس، فقد
(1) ابن البار: اللالة السيرة، ج 1، ص 311.
(2) ابن البار: نفس المصدر والجزء 2، ص 267، ابن خليفة: العبر، ج 4، ص 414، المقرئ:
النفح، ج 45، ص 287، عبد الرحمن الحجي: التاريخ الإسلامي، ص 299، عصر كماله: 
مقدمات ومبادئ نائم الترجمة: المرجع السابق، ص 121، هذا الفاخور: 
تاريخ الآداب العربي، ج 3، ص 179، آدم متز: المرجع السابق، ج 2، ص 272، مصطلحي
الشكوك: الآداب الإسلام، ص 102، 116.
(3) حضارة العرب في الإسلام، ص 12، ص 32، 14.
بعد إلى أبي الفرج الأصفهاني بمال جزيل ليبهذ إليه نسخة من كتابه (الأغاني) فارسلت إليه قبل أن تراها الأعين في العراق (1).

وتبنت هذا الحرص الشديد على اقتضاء كتب العلم أن دخلت الأندلس اعداد هائلة من الكتب في شتى حقول المعرفة فإلى جانب الكتب الإسلامية كانت هناك كتب من تراز الأوائل ككتاب الحساب الهندسي المعروف عند العرب بالسندهند الذي صاحب دخوله الأندلس داخل الأرقام الهندية التي ما لبث أن انتقلت إلى أوروبا (2).

ومن الكتب القديمة التي دخلت الأندلس كتابا هوريشيش وديستوريدس، الأول في التاريخ والثاني في النباتات الطبية وكان الإمبراطور أرمنيوس السابع قد أهداهاما للخليفة عبد الرحمن الناصر.

ويبدو أن اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بالكنس بمعرفة كل ألواح المعرفة، فقد استجلب من بغداد ومصر والشام وغيرها من ديار المشرق عيون التأليف النفسية والمصنفات الغربية الإسلامية وغير الإسلامية (وجمع منها في بقية أيامه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعته ملك بنى العباس في الأزمان الطويلة، وتهمه له ذلك لفرط محبته للعلم وبعد همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه إلى التشبيه بأهل الحكمة من الملوك، فكثر تحرك الناس في زمانه قراءة كتب الأوائل وتعلم ماذاهمهم (3).

(2) عبد الجليل الرشيد: التقدم الفكري عند أهل الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثالث عشر، ص 12.
(3) مساعد: طبقات الأمم، ص 88.

- ١١٧ -
ولعل في هذا النص دليل على مدى التأثير الكبير الذي نجم عن دخول آلوان التصانيف والكتب العلمية إلى الأندلس وكيف أنها أثرت في مفاهيم الناس وأفكارهم فسبب اهتمام الحكم المستنصر بكتب الأوائل كتب كثيرة في عصره هذه الكتب واطبع عليها الناس وعرفوا ما فيها فكان لذلك أثر في انصارا الكثير منهم إلى دراسة علوم الأوائل كالفلسفة والرياضيات والفلك، وغيرها مما نجم عنه ظهور تيارات علمية متنوعة في هذه العلوم المشربة إليها. وهذا بلا شك أحد النتائج المهمة التي انبثقت عن ظاهرة الإقبال على الكتب العلمية واقتنائها لدى الأندلسين.

وكان لشغف الحكم المستنصر باقتناء الكتب أنه كان يبحث في مختلف أقطار العلم الإسلامXi إلى جانب انتشار من تجار الكتب نسائط مهرب ينسخون له مالا يستطيع وفراهم شراءهم من الكتب لرفاهيتها وحرص أصحابها عليها، فكان له مصدر كبير من الناسخين ينسخون له الكتب في القاهرة، وبغداد ودمشق والاسكندرية وغيرها من مراكز العلم (1).

---

(1) انخل بالثبيا: المرجع السابق، ص. 101.
مكتبة الخليفة الحكم المستنصر:

نتيجة لذلك الجهود الجبارة في ميدان العناية بالكتب والاهتمام بجمعها،
ان تقاطرت علي قروطبه أعداد هائلة منها، وأصبح لدى الخليفة الحكم مجموعة
عظيمة من المصنفات ولو تصورنا الحالة التي كانت ترد فيها الكتب إلى
الأندلس، وكيف أن أعيان الحكم المستنصر لتشرين في الاقطار قد سعوا
في جلب ما يرضي ميل الحكم، وإن قروطبة كانت تستقبل بين أونة وأخرى
إفواجها من الكتب التي يبعثها الوراقون من مختلف الأصقاع لادركتنا ضخامة
ما ضمته من تصانيف العلم، (حتى غضت بها بيوته، وضاقت عنها
خزاناته) (1).

وإزاوة هذا الوضع فقد رسم الحكم المستنصر خطة لانشاء مكتبة عامرة
تكون نفعاً للطلاب العلم أيضاً. ولا يفهم من هذا أنه لم يرث عن أبيه عبد
الرحمن الناصر شيئاً من الكتب فقددورت عليه ثروة طيبة من الكتب كانت نواة
وأساساً لكتبة عظيمة نماها الحكم ورعاها وأمدها بدخائر نفيسة من التأليف
العلمي، حتى أصبحت في - صورة فريدة لم يجمع مثلها أي خليفة في الإسلام
ولبلغ من ضخامة محتويات تلك المكتبة أن استهر أمرها في الإرساط العلمي في
العالم الإسلامي، وأصبحت مثلًا بارزاً على الازدهار العلمي والنشاط الفكري
حتى غدت تلك المكتبة من أعظم خزائن الكتب في الإسلام وتقف موقف الندم مع
خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد وخزانة الفاطميين بالقاهرة (2).

ويذكر ابن حزم محتويات مكتبة الخليفة الحكم المستنصر فيقول
(وأخبرني قلية الفتى - وكان على خزانة العلم بقمرشفي مروان بالأندلس -
(1) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج 1، ص 210.
(2) القلقشني: صبيع الأعشى، ج 1، ص. 416 - 417.
Redaction of Spain, p192: Thus Bureaucratic Moorish Culture Inspains, p37.

Irvine:

Thomas:

(1) 18\textsuperscript{th} century, c. 1000 -

(2) It was 18\textsuperscript{th}.

(3) It was 18\textsuperscript{th}.

(4) It was 18\textsuperscript{th}.

(5) It was 18\textsuperscript{th}.

(6) It was 18\textsuperscript{th}.

(7) It was 18\textsuperscript{th}.

(8) It was 18\textsuperscript{th}.

(9) It was 18\textsuperscript{th}.

(10) It was 18\textsuperscript{th}.

(11) It was 18\textsuperscript{th}.

(12) It was 18\textsuperscript{th}.

(13) It was 18\textsuperscript{th}.

(14) It was 18\textsuperscript{th}.

(15) It was 18\textsuperscript{th}.

(16) It was 18\textsuperscript{th}.

(17) It was 18\textsuperscript{th}.

(18) It was 18\textsuperscript{th}.

(19) It was 18\textsuperscript{th}.

(20) It was 18\textsuperscript{th}.

(21) It was 18\textsuperscript{th}.

(22) It was 18\textsuperscript{th}.

(23) It was 18\textsuperscript{th}.

(24) It was 18\textsuperscript{th}.

(25) It was 18\textsuperscript{th}.

(26) It was 18\textsuperscript{th}.

(27) It was 18\textsuperscript{th}.

(28) It was 18\textsuperscript{th}.

(29) It was 18\textsuperscript{th}.

(30) It was 18\textsuperscript{th}.

(31) It was 18\textsuperscript{th}.

(32) It was 18\textsuperscript{th}.

(33) It was 18\textsuperscript{th}.

(34) It was 18\textsuperscript{th}.

(35) It was 18\textsuperscript{th}.

(36) It was 18\textsuperscript{th}.

(37) It was 18\textsuperscript{th}.

(38) It was 18\textsuperscript{th}.

(39) It was 18\textsuperscript{th}.

(40) It was 18\textsuperscript{th}.
تشير إلى أن تلك المكتبة ضمت نصف مليون من الكتب القوية(1) واخيراً يأتي أحد الكتب الغربيين وهو وليم درابر فيش في كتابه المتأخر بين العلم والدين إلى مكتبة خلفاء بني أمية بقرطبة وأنها اشتملت على ستمائة ألف مجلد، وأن فهرس أسماء تلك الكتب يتألف من أربعة وأربعين مجلد(2).

ولكن ليس من حق الباحث أن يقف قليلاً قبل أن يسلم بهذا العدد الهائل من الكتب والذي تبدو فيه سما المبالغة، حقاً إن الحكم اقتني في مكتباته المذكورة أعداداً كبيرة من الكتب، ولكن الباحث في التاريخ الإسلامي يستحق أن بعض المؤرخين المسلمين قد اعتدوا الإسراخ والبالغة فيما يخص المقدار الكمية والأرقام العددية للاشياء، كاعداد الجيوش أو البنانين أو الثروات وغير ذلك ممن يرون في كثرة وضخامة عده رفعه وتمجيد لذوي الشأن من السلاطين والحكام.

ولا يستبعد أن إطلاق هذا الرقم الكبير على محتويات مكتبة الحكم المستنصر قد أتى من قليل إضفاء سمات الازدهار العلمي على عصر الحكم المستنصر الذي هو في غنى عن ذلك بما أسداه للحياة العلمية من جهود مخلصة ومثمرة لم يسبقى إلى ذلك أي حاكم في الأندلس من قبل ومن بعد وهذا ما شهد به التاريخ (3).

كما أن مصادر التاريخ الأندلسي الأولي لم تذكر أيًا من الأرقام المذكورة فيلم يشير إليها ابن الغربي أو الحميدي أو الضبي أو ابن بشكوال أو ابن البار.

(1) شمس العرب تسطع على الغرب، ص254.
(2) عمر كمال: مقدمات ومباحث، ص252 - 244.
(3) من المؤسف أن لم يبق كتاب واحد من ذخائر تلك المكتبة التي جمعها الحكم المستنصر، بيد أن لفي بروفيسال اشترى إلى أنه عثر على مجلد منها في فاس وهو يحمل تاريخ 509 ه، وفيه دلالة على أنه نسخ لامر الخليفة الحكم.

( انظر حضارة العرب في الأندلس، ص65 )
ثم أن تدقيقنا في النص الذي اورده المقرى يعطينا شيئاً من الشك وعدم التثبت من صحة الخبر، فأياديه في النص قيل: "حتىقيل" فيه إشارة إلى خلو النص من البيقين والتثبت.

مكتبة المنصور بن أبي عامر:

أتى بعد الخليفة الحكم المستنصر ابنه هشام المؤيد الذي كان معتزلاً لشئون الدولة لتسلط المنصور بن أبي عامر على الأمر وتوليه زمام الأمور، لذلك فالنصور بن أبي عامر هو الأحق بالحديث. فقد كان لمنصور مكتبة كبيرة اختص بها ولده من بعده، وكان يقوم على النظر فيها والإشراف على محتوياتها العلامية الموراق محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي القرطي (ت 531 هـ/ 1136 م) وكان لهارته في الخط وشئون الورقة أثر في معرفته الجديدة بشئون الكتب وصيانتها واصلاح ما استُحق في خطوطها من أخطاء، فكان يقوم على فحصها ويقابل بين نسختها. هذا بالإضافة إلى براعته في التاريخ فقد ألف مصنفاً في تاريخ العامرين (1).

وفي هذا دلالة على ماكان لمنصور من جهد بارز في النشاط العلمي في عصره وأنه كان يتمتع بروح علمية واهتمام بكتب العلم، وفيه أيضاً رد على من وصف عصره بالانحطاط في الميدان العلمي.

مكتبة الوزير أبي المطرف عبد الرحمن بن فطيس:

ويبرز إلى جانب ما نذكر من المعنين بالكتب علماً أجلاً عرفوا بالعناية بالكتب والاهتمام بجمعها حتى أشتهر ذلك عنهم ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس وكان في عهد المنصور بن أبي عامر (ت 482 هـ / 1090 م) وقد عرف عنه الشغف الشديد بكتب العلم.

(1) ابن الابار: الكتفلة، ج 1، ص 34- خليجان ربيرا: المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا، مجلة معهد المخطوطة العربية، ج 1، ص 74، 122.
والسعي في اقتناها فاجتمع له بذلك خزانة ضخمة من غير التصانيف وبلغ من عنايته بذلك أنه كان إذا سمع بكتاب عند أحد من كان يبحث في شرائه ويبالغ في تمنيته فاذدا لم يبه صاحبه والا انشسه ورده عليه(1) .

ونتيجة لهذا الاهتمام البالغ فقد اجتمع لدى العلامة المذكور أعداد هائلة من الكتب في شتى ألوان المعرفة وبلغ من غزارةها أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيعها مدة عام كامل وكانت هذه السنة سنة الفتنة ، وما ترتبت عليها من الاضطراب والفوضى ، ورغم ذلك فقد اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسيمه(2) .

وقد وصف ابن فرحون سيرة ابن فطيس وجعل عنايته بالكتب بقوله (جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس ) (3) .

والحق أن ذلك العالم كان يمثل الوجه المشرق للنشاط العلمي في عصر المنصور فقد أثبت من خلال سلوكه عمق اخلاصه للعلم ، وجه الشديد للكتب والتصانيف وخاصة إذا علمنا أنه استفاد من تلك الثروة العلمية ، فقد خصص له في داره مجلسا حرص على أن يتوفر فيه المناخ المناسب للبحث والإطلاع ، فكان هذا المجلس (عجيب الصنعة ، حسن الآلة ، مثب كله بالخضرة ، جعله وأبوابه سقفه وفرشه ونوره ونمارته ) ، وكل ذلك متشاكل الصفات وقد ملاه

(1) ابن بشكول : الصلة ، ج ١ ، ص ٣٠ - ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ - أمد ميزة : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٦.
(2) ابن بشكول : الصلة ، ج ١ ، ص ٣٠ - الديباج المذهب ، ج ٣٦ ، ص ٤٢٥.
(3) الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٤٧٨ - Lavoix : Catalogue Des
Monnaies Musulmanes "Espagne Et Afrique"

١٧٣ -
بدفاتر العلم وبإ规章制度 الكتب التي ينظر فيها ويخرج منها وبهذا المجلس كان
أنسه وخلوته رحمه الله(1)
ولا شك أن في هذا النص دلالة على ما ذكرناه عنه فقد كان يئس في
خلوته إلى كتب العلم فإفاده ذلك كثيراً حتى وصف بأنه (كان من جهاده
المحدثين وكبار العلماء والمسندين حافظاً للحديث وعله منسوياً إلى فهمه
وتعليمه(2).

كما اتصف ابن طيسيس بالحرص الشديد والعناية البالغة بكتبه وحفظها
وصونها من العبء والضياع، فلا يفترض فيها ولا يتسأل في اخراجها حتى إنه
لم يعر كتاباً من كتبه ابداً وإذا ما ألغ عليه أحدهم في كتاب من كتبه اعطاه
للتاسخ لينسخ منه نسخة فيعطيه أيها ولا استبقها عنه إذا لم يأخذها ذلك
الشخص(3).

وقد سلك هذه الطريقة الكثير من العلماء حرصاً منهم على كتبهم إذ
اعتروها من نفاس ما يملكون من أشياء، وكانوا يجدون نسخة في إرضاهم
من يطلب منهم كتاباً من كتبهم ينسخه وأعطاه نسخة منه وفي هذا يقول أحد
العلماء وهو محمد بن الفرج الالنصاري (ت. 460 هـ/ 560 م).

ياسعى كتابي كأنه علقة
بهجتي وكذلك الكتاب بالهج
فأنت في سعة إن كنت تنسخه
وأنت من حبيسه في أعظم الحرج(4).

مكتبة محمد بن يحيى الغافقي

وممن اشتهر بأنجم الكتب والعناية بها الأديب محمد بن يحيى الغافقي

______________________________
(1) التناهي: تاريخ قصة الإنسان، ص 87 - 89.
(2) ابن بشكوال: المصير السابق، ج 1، ص 310.
(3) ابن بشكوال: الصلاة، ج 1، ص 311.
(4) ابن بشكوال: نفس المصدر، ج 2، ص 539.
القرطبي ويعرف بابن الموصل (ت 410 هـ) وقد وصف بحبه البالغ للكتاب ومعرفته الغزارة بغرائبها ونفائسها، فكان عارفا بخطوطها حتى كان الجميع يحتكم إليه في أفضلية الخطوط وأيضاً الحسن، وبلغ من اهتمامه بالكتب أن أثراً على كل لذة حتى اجتمع لديه من الكتب مال يجتمع عند أحد بعد الحكم الستناد (1).

وكان لعرفة الغزافي بالكتاب ودرائته الواسعة بالون التصانيف أن ضمت خزاناته نسخاً بديعة من الكتب بخطوط مؤلفتها فكان لديه اصلاح المنطق بخط أبي علي القالي، والغريب المصنف أصل أبي علي، ونوادر ابن الاعرابي بخط أبي موسي الحامض، وتاريخ أبي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن مول الدمشقي وقد بيعت هذه التصانيف بعد موته وكان لنفاستها أثر بالغ في ارتفاع أثمانها حتى قومت الورقة في بعض الكتب بربع مثقال (2).

وأما من ريب أن في ذلك إشارة واضحة إلى مدى ما يتصف به الأندلس من اهتمام وعناية بالكتاب واستعداد الكثير منهم ببذل الغالي من الأثمان في سبيل المعرفة بشراء كتبها. وفيه دلالة أيضاً على الرقي العلمي الذي كان يعيشه المجتمع الأندلسي في ذلك العصر.

(2) ابن الأبار / نفس المصدر والصفحة.

المقال: هو الدينار وزن 25/4 فربه يساوي تقريباً 1/8 1/8 1/8 1/8 1/8، أشار المؤسسي في كتابه احسن التقاديم، ص. 24 إلى العملات والموازين التي يستعملها أهل الأندلس ثم ذكر ضمن حديثه المقال وأن الدينار لديهم يسل مند عنه بحبه، كما يشير ابن خلدون إلى أن وزن المقال من الذهب ثمانية عشر حبة من الشعر. وبناء عليه، فربع المقال يساوي ما وزنه من الذهب الخالص ثمانية عشر حبة من الشعر. (انظر المقدمة، ص 263).
ومما ينسف له أن الكثير من العلماء المشتغلين بالعلم والمعتنين بالكتب لا يبحث أحدهم عن مموت حتى تفرق كتبه وتجد طريقه إلى سوق الكتب لبيعها.

وهذا بلا شك ورد إلى ما يتصف به ورثة العالم من صفات العلم أو عدمها، وإن حادثة تفرق كتب الخليفة الحكم المستنصر وابن فطيس والفاقي لدليل واضح على هذه الظاهرة المؤلمة إذ قلما نجد الخلف أمينا على ما تركه السلف من تراذ علمي عزيز على النفس.

وكان البعض من المعتنين بالكتب يشتغل بالنسخ كالعلامة أحمد بن عباس بن أبي زكريا الذي برع في نسخ الكتب وكان ذا خط بديع مشتهرًا بجمع الكتب وتجميع نفائسها (مغاليها فيها، نفاجها من خصبه بها لا يستخرج منها شيئاً، لفرغ بخله بها، إلا لسابيلها حتى لقد اثرى كثير من الوراقين والتجار معها فيها وجمع منها ماله يكن عند ملك(1).

وتحظى في النص أشارة مهمة إلى الوراقين في الحركة العلمية، وأنهم أسهموا بقدر كبير في ازدهارها. وإن الكثير منهم كان يؤدي عمله في خدمة ذوي الثراء من العلماء كالعلامة المذكورة مقابل ماكانوا يلقون على ذلك من مكافآت سخية مما جعل حركة الوراق أوئذأن من أهم الحرفة في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى ما اتصلت به من رفعة وسمو لكونها في خدمة العلم والمعرفة.

وأدى جانب مانكر فقد عرف من هشام بن عبد الرحمن (ت 442 هـ/ 1051 م) جودة النسخ والإهتمام بالكتاب وحيزره للكثير منها(2).

كما أن الفقيه محمد بن يوسف بن الفرضي (ت 402 هـ/ 1012 م) كان جماه للكتب حتى اقتني منها عدداً كبيراً لم يقتنيه أحد من أهل قرطبة(3).

(1) ابن الخطيب: الإحالة، ج 1، ص 259 - 260.
(2) ابن بشكوال: إلص، ج 2، ص 165.
(3) ابن بشكوال: نسخ للصدر، ج 1، ص 253 - 267. أصل بالتحيا: تاريخ الفكر الإسلامي، ص 271.
ومن الطريقة أنه كان لأحد العلماء وهو أحمد بن محمد الأموي الطليطي المعروف بابن ميمون (535 - 460 هـ - 1009 م) مكتبة عامة مليئة بالكتب وألوان التصانيف. وحدث أن شرب حريق هائل في أسواق طليطلة وامتدت النيران إلى دار ابن ميمون فَالتهمته إلا الزاوية التي بها الكتاب، وكان في ذلك الوقت مشغولاً بالجهاد، فعجل الناس من ذلك وظلوا يختلفون إلى الدار المحترقة في دهشة وتمعج، ونظراً لم تمت به ذلك العلامة من إجادة للنسخ.
فقد كان الكثير من كتبه بخط يده (1).
وقد كان للمرأة الأندلسية جهد وافر في هذا الميدان العلمي الهام، حيث كان إدكشن وهي عائشة بنت أحمد (400 هـ / 1009 م) مكتبة عامة بالكتب، مع إتصافها بباجادة النسخ وحسن الخط (2).
كما استغل الكثير من العلماء بمهمة البحث عن الكتب في مختلف الأقطار وادخالها الأندلس، فهذا أحد هم وهو مسلمة بن سعيد (580 هـ - 1510 م) قد أبحر من احتجاز سنواته إلى الأندلس، بثمانية عشر حملًا مشدودًا من الكتب، وقد عرف عنه كثرة التجوال في أطراف بلاد المشرق لجمع كتب العلم وانتقاء نفائسها فكلما اجتمع له مقدار صالح نهض به إلى مصر ثم ينقل منها إلى الأندلس. ومن الطبيعة أنه لم يتم له ذلك إلا بجمال جزيل أعانه على شراء الكتب وبحث عن نفائسها (3).
وبهاء على ما تقدم فإن ظاهرة أقبال الأندلسين على كتاب العلم وحرص الكثير منهم على اقتناتها لهي دليل ساطع على ما انتصف به المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة من رقي علمي وازدهار حضاري رفيع.

(1) ابن بشكال: المصدر السابق، ج1، ص27.
(2) ابن بشكال: المصدر السابق، ج2، ص16.
(3) ابن بشكال: المصدر السابق، ج1، ص27 - خولان
(4) ربيبيروا: المكتبات وعوائد الكتب في إسبانيا الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، م، ج1، ص67.
والحق أن الأندلسيين بما عرف عنهم من ميل شديد لاقتناء الكتب وتكوينهم المكتبات إنما يمثلون وجهًا مشرقاً في حياتهم العلمية في صورة قلما نجدها في أي قطر من الاقطارات الإسلامية، ولا أدل على ذلك من سعي الكثير من الأندلسيين إلى دخول حلبة التناقص مع المهتمين من العلماء بذلك وعمل قصبة الحضرمي فيها ما يؤكد ذلك.

ج - حوفة الورقة في الأندلس وأثراها في النشاط العلمي:

ولا : ظهور صناعة الورق في الأندلس:

جدير بالذكر قبل الحديث عن إسهام فئة الوراقين في ازدهار الحركة العلمية إن تشير إلى أحد فضائل الحضارة الإسلامية الأندلسيَّة على أوروبا، وهي : صناعة الورق ، فقد اشتهرت الأندلس وخاصة مدينة شاطبة بصناعة الورق الفاخر الذي كان للفائدة لدى عظيم في العالم الإسلامي آنذاك. وكان بالمدينة المذكورة مصانع كبيرة للورق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ثم انتقلت صناعته إلى مدينة طليطلة منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(1).

وكان لبراعة أهل شاطبة في صناعة الورق وتفوقهم في ذلك، أن كانوا يصدرون إلى كافة أرجاء الأندلس، وإلى ذلك يشير ياقوت بقوله (وهي مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء، ويعمل الكافذ الجيد فيها، وينحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس)(2).

---

(1) عبد الرحمن بن يحيى : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ص 87 - ماهر حماد : المرجع السابق، ص 47 - محمد كرد على الإسلام والحضارة العربية، ج 1، ص 26.
(2) معجم البلدان، ج 2، ص 309.
إنه ذكر الاتجاهين كانوا يصرفونه إلى المشرق وهو ما أشار إليه الإدريسي (١).

وهذا بالفعل يعطينا دلالة واضحة على أن صناعة الورق كانت موجودة في الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بخلاف من قال بغير ذلك من الكتاب (٢).

ويبدو على ذلك أيضا ما ذكر من أنه قد عثر في مكتبة الأسبوريال على مخطوطة مكتوبة في سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٨ م على ورق مصنوع من القطن.

وتبدو على أن العرب أول من أهل الورق محل الورق (٣).

(١) عبد الرحمن بديوي: المرجع السابق، ص ٣٨٤ - روبرت بريغالت: المرجع السابق، ص ١٧٢ - أ. سيديو : تاريخ العرب العام ص ٤٧٥.
(٢) يذكر جلال مظهر في كتابه حضارة الإسلام، ص ٢٨٢ أن صناعة الورق دخلت الأندلس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، والحق ما أشار إليه أعلاه لتشتاق الأبحاث التاريخية التي تنص على أن الورق وجد في الأندلس في القرن الرابع الهجري.
(٣) الرق هو: جلد الغزال.
(٣) غوستاف لوبين: حضارة العرب، ص ٤٨٢.

١٢٩ -
ثانيا: دور الوراقين في ازدهار الحركة العلمية:
كان من نتائج صناعة الورق في العالم الإسلامي، وانتشار استعماله أن
ظهر في المجتمع الإسلامي طائفة من المشتغلين بشئون الكتاب من نسخ وتجليد
وتجاره(1)، وهؤلاء هم (الوراقين) الذين كان لهم أهم دور في الحضارة الإسلامية، وقد عرف عن وراقي الأندلس أنهم أمير الوراقين وأحذقهم في هذا
الميدان ووصفتهم بثقافة مشرفة(2).
وفي عصر الإمارة كانت دكاكين الوراقين قليلة إلا أن حرف نسخ الكتب
وتاجلها كانت مزدهرة من قبل، وخاصة فيما يتعلق بتجهيز النسخ الجذابة
للقرآن الكريم(3).
وقد نقلت في عمل في هذا الميدان الحضاري في عصر الخلافة الكثير من
الأشخاص الذين رأوا في هذه المهنة أشرف عمل يقربهم إلى الثواب الطيب
والذكر الحميد، وعلى سبيل المثال قام يوسف بن محمد الهمداني (ت 1023هـ /
1613م) بنسخ تفسير وتاريخ الطبري وتسيز الهمداني بروعة خطه وجماله(4).
وينظر للخدمات الجليلة التي يقدمها الوراقون للعلم، فقد كان الكثير من
العلماء المشتغلين بالتأليف والبحث العلمي يوظفون لديهم طائفة منهم ليقوموا
بنسخ ما يهمهم من التصانيف، فالخليفة الحكم المستنصر لعنايته الكبيرة
ب耧 العلم والمعرفة جند طائفة من الوراقين لعمل في قصره الذي ضم مكتبه
الكبيرة فخصص للوراقين جناحا كبيرا في ذلك القصر ليقوموا بأداء عملهم

1) إضافة عمر كحالة إلى هذه المهام التي يؤديها الوراقون مهمة رئيسية في بيع الورق
2) سائر أعمال الكتابة كالألقاب والمحيط (مقدمات وبحث) ص 210.
3) المختص: المصدر السابق، ص 49.
4) ابن الفرس: تاريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 260.

Thomas Irving: Falcon of Spain, P.160.
فيه(1) ولا شك أنه كان لأولئك الوراقين دور في ترتيب وتنظيم مكتبة الحكم المستنصر، وذلك لسعة ثقافتهم وعمق معرفتهم بشؤون الكتب وما يتعلق بها.

ومن أبرز أولئك الوراقين عباس بن عمرو بن هارون الكناني (295هـ ـ 379هـ / 907ـ ـ 989م) وكان من أهل صقلية، وقدم الأندلس بعد عروجه على القويروان، فدخل الأندلس 376هـ / 987م وكان الحكم المستنصر آنذاك لايزال ولايا للعهد، ولكنه كان قد عرف بحبه للعلم واكرامه للعلماء فاتصل به ذلك الوراق وأنزله الحكم المستنصر منزلة كريمة وعينته في جملة الوراقين وأمدته بكل ما يلزم له من الورق والمداد وغيرها من أدوات الوراقة(2).

وإلى جانب عباس اشتغل بالوراقة لدى الحكم المستنصر ظفر البغدادي، وكان لبراعته في فن الوراقة أن عُد من رؤساء وكبار الوراقين(3).

وتنمَّس من إطلاق لفظ «الرئيس» أنه كان هناك نظام يسود مهنة الوراقة، فكان لكل مجموعة من الوراقين رئيس يشرف عليهم في مهمة النسخ والثبت من صحة ما يقومون به ويصحح ما قد يقع منهم من أخطاء.

ومعنى عمل لدى الحكم المستنصر من الوراقين يوسف البلوطي الذي اشتهر بجوه خطة وقدرته التامة في ميدان النسخ(4).

لا ريب أن مثل هذا النشاط العلمي الحاصل بوجهه المختلف كاف لاعطاء الدليل الواضح على مدى ما حققه الحكم المستنصر للحركة العلمية من جهود، وعلى ما حققه الادنايين في ميدان العلم، وما أبدع وما وصف به دري مجال

(1) ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 146ـ المقرئ: النفح: ج 1، ص 286ـ اعتداد القصيري: فن التجليد عند المسلمين، ص 30.
(2) ابن القوشي: المصرف السابق، ج 1، ص 299.
(3) ابن الابار: الكمال، ج 1، ص 247.
(4) ابن الابار: نفس المصدر والجزء والصفحة.
النشاط العلمي في قصر الحكم المستنصر، حيث قال: (كان قصره حافلا بالكتب واهلها حتى بدأ وکانه مصنعا لا يرى فيه إلا نساخون ومجلدون ومزخرفون يحولون الكتاب بالمنمنمات (*) والرسوم الجميلة(†) .
وكان العلامة ابن فطيس - الآنف الذكر - لعانيته بالكتب واشتغاله بالعلم أن عينه لديه سنة من الوراقين يكونون في خدمته لنسخ ما يزيد من الكتب وقد قرر لهم مقابل جهودهم تلك رواتب مجزية(‡).
وكان لابي علي القالي وراقيون يعانونه على أداء عمله العلمي في البحث والتلخيص، فأعدهم وهو محمد بن الحسين الفهري لازم أبا علي القالي واستفاد من علومه وعصره وتولى مع نسخ آخر نسخ ماله يذهب أبا علي من كتبه البارع وتهذيبه من أسفله التي يخطه وخطها مما كتبه بن يديه(§).
والأجبر بالذكر أن الوراقين قد نالوا من وراء عملهم هذا منزلة رفيعة في المجتمع كما أنهم بلغوا درجة طيبة من الثراء، وقد سبق القول عن العلامة أحمد بن عباس(‡) أنه كان لاهتمامه بالكتب أن استعان بالكثير من الوراقين في جلب نفائس الكتب ومن نسخ الكثيرة منها وأنهم بذلك قد نالوا ثراء وجاهم.
وكان عملي النسخ من مهمات الوراقين وقد نالت ازدهارا كبيرا في المجتمع الأندلسي ولا عجب إذا قلنا أن النساء لعين دورا مهمأ في هذا الميدان، فكما مارس النسخ طائفة كبيرة منهم مع اتصافهم بالبراعة وجودة الخط، وكان لذلك أثر في بلوغ بعضهم منزلة عالية لدى الخلفاء حيث كان الخليفة عبد الرحمن الناصر كاتبة تدعى ( مزنة ) وصفت بالمهارة في الكتابة.

(*) الرسوم التوضيحية كالنباتات وأعضاء الجسم.
(†) ابن بشكوال: السملة، ج 1، ص 311.
(‡) ابن الابار: التكلفة، ج 1، ص 271.
(§) انظر قبل سيرة هذا العالم.

۱۳۲
وحسن الخط، كما كان للخليفة الحكم المستنصر كاتبه تدعي (بني) عرفت بالبراعة في الكتابة وسعة الأدب حتى قال في وصفها ابن بشكوال (لم يكن في قصرهم - أي الخلفاء - أنيل منها وكانت عريضة، خطاطة جدا) (ت477 هـ / 1279 م).

ومع مرور من النساء في الخط عاشت بنت أحمد القرطي (ت400 هـ / 1320 م) فقد كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتغاني بالعلم.

وعرفت الأدبية صفية بنت عبد الله الربى بالبراعة في الكتابة وجودة الخط، وقد حدث أن عاتبها أحده النساء على خطها فقالت:

فاعادة خطى فقلت لها اقصري فسوف اريك الدر في نظم إسطري وناديتك كفي كي تجد بها وقري ومنبري ليبدو لها خطى وقعت لها انظري (1) فخطت بأبيات ثلاث نظمته ليبدو لها خطى وقعت لها انظري وكان في قرطبة وأرباضها المختلفة طائفة كبيرة من النساء البارعات في الخط وكن ينسخن المصاحف بخط بديع (2).

وبذل عليه فقد اتضح ماكان عليه المجتمع الأندلسي من نشاط كبير في ميدان الحركة العلمية ولم يكن هذا النشاط مقصوراً على الرجال فحسب بل امتد أيضاً إلى النساء اللائي شاركن في بناء الكيان العلمي للأندلس ليس فقط في ميدان النسخ بل وفي ازدهار العلوم والأدب.

---------------------

(1) الصلة، ج2، ص197.
(2) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص197.
(3) الحميدي: الجذوة، ص418.
(4) ليفي بروفانس: حضارة العرب في الأندلس، ص146.

- 132 -
ولأهمية النسخ في النشاط العلمي باعتباره وسيلة من وسائل حفظ العلوم
وصيانتها من الضياع ومنشئا بين الناس، نجد أن نشير إلى الكيفية التي
كانت تتم بها عملية النسخ، فقد كانت هناك طريقتان للنسخ سهلاهما أن ينسخ
الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه، وبعد اتمامه لعملية النسخ يعرضه على
غيره لمراجعته والتاكيد من خلوه من الأخطاوثانياهما أن يملق شخص على عدد
من النسخ مثيرد نسخه للحصول على عدة نسخ منه، وبعد الفراغ من عملية
النسخ تجري المقابلة بين النسخ لمعرفة ماقد يكون في بعضها من أخطاء
وتصحيحها(1).

ومما يلقي بحرفه الورقة التجليد وزخرفة الكتاب، هو ما يزيد الكتاب
قيمة وجمالا في الباطن والظاهر، كما يرفع شأنه عند هواة اقتتاء الكتب.
فكان الوراقون يحرصون بالإضافة إلى جودة النسخ، أن يكون الكتاب على
جانب من جمال الشكل وجودة التجليد ليكون في مظهره الأنيق ملائماً لقيمته
العلمية.

وقد رأينا من قبل كيف عثر العلامات الحضرمي - الذي خرج في طلب
كتاب له – على نسخته منه لدى أحد الوراقين في سوق الكتب فسر به حسن
خظه وجودة تجليده(2).

ولكن اشتهرت شاطبه بصناعة الورق وإسهامها في دفع عجلة الحركة
العلمية بما قدمته من الورق الممتاز، فإن مدينة مالقة كانت تشتهر كمركز
لصناعة الجلود المتزجة والتجليد الفاخر(3)، ولعل من أسباب رقي فن التجليد

(1) ماهر حماده : المرجع السابق، ص 176.
(2) انظر قصته في بداية الحديث عن عناية الادباءين بالكتب.
(3) ماهر حماده : المرجع السابق، ص 182.
اهتمام الخلفاء باستقراض أمهر الملذدين من أهل الأندلس بالإضافة إلى استقراض البارعين منهم من صقلية وبغداد(1).

وأخيراً فإن الكتاب الإسلامي آنذاك حظي باهتمام وعناية بالغين، وإن ذلك على شيء فإما يدل على ما تمتع به الأندلس من نشاط وافر وقدرات كبيرة في ميدان الحركة العلمية، ويأتي الوراقون منهم في الصف الثاني من حيث الإسهام في النشاط العلمي، فقد كانوا عاملاً من عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية بما أسهموا به من نشر الكتاب الإسلامي بين أقطار المسلمين.

ونختتم الحديث عن هذا الموضوع باعتراف جميل لأحد الكتاب الغربيين حيث يقول: (بينما كانت سائر بلدان أوروبا تتصرف في القذر والحوطة، نعمت إسبانيا بمدن نظيفة منظمة ذات شوارع معبدة ومضاءة، وكان في ميسيور قرطبة وحدها أن تعتز بنصف مليون من السكان، وسبعمائة مسجد، وثلاثمائة حمام عمومي، وسبعين مكتبة عامة، وعدد كبير من دكاكين الوراقين)(2).

(1) اعتماض التصويري: فن التجلي عند المسلمين، ص. 70.
(2) ريم، لاندو، الإسلام والغرب، مترجم، ناير، بليغ، ص. 177.
الفصل الرابع

ارتفاع التعليم في الإنجليز:

أـ مراكز التعليم لدى الأندلسيين.
بـ طريقة التعليم عند الأندلسيين.
جـ عناية الخلفاء بالتعليم.
من مظاهر النشاط العلمي في عصر الخلافة نهضة التعليم وإقبال أفراد المجتمع الأندلسي على العلم والاهتمام بالعرفة.

ومن الطبيعي - عصر الخلافة يمثل الانطلاقة العلمية والنشاط الحضاري في كافة مدينته - أن نرى ميدان التعليم بمراكز العلمية قد نال من النهضة والرقي نصيبها وافرا بل كان له القدح المعلى في ذلك التطور العلمي الذي شهدته الأندلس آنذاك.

1 - موازات التعليم لدى الأندلسيين:

كان المسجد عند المسلمين يمثل المركز العلمي الذي يتلقون فيه العلوم والعارف على أيدي العلماء. ولم تكن لهم مدارس خاصة بالتعليم والتدريس إلا فيما ظهر في المشرق بعد فترة طويلة. لذلك كان اعتمادهم في حياتهم العلمية على المسجد وهو ما سلكه الأندلسيون. فقد كانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد بأنجره(1).

ولا كانت قرطبة تمثل قطب الريح في النشاط العلمي باعتبارها حاضرة الخلافة ودار الملك فقد حظي جامعها الشهير بمكانة علمية لائتاذية. فكان دوره عظيمًا في نشاط الحركة العلمية في عصر الخلافة وما تلاه من عصور حيث ضم بين أروقة حلقات العلم والدرس.

وكان طلاب العلم يدرسون في جامع قرطبة المذكور علوم الدين والأدب والتاريخ والجغرافيا والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم(2).

(1) المقرئ: تفع الطيب، ج، ص 22.
(2) يذكر عبد الحليم منتصر في كتابه تاريخ العلم ص 45 انه اتى جان تدرس العلوم الدينية في المسجد كانت تدرس العلم الأخرى من أدب ولغة ونطق وطب فكان السيوطي نذكر أن درسا مختلفة رتب في الجامعة الطاولية والبندريج في المنصف النبي الذي كتب كتاب السيوتي.
ويتسامح الكثير من الكتاب المعاصرين في إطلاق صفة الجامعة على ذلك الجمع فيذكر توماس ارنجنج ان الخليفة الحكم المستنصر قدم الكثير من الجهود الموفقة في سبيل تطوير ورقي جامعة قرطبة

كما أن جبرانيل جيبر يذكر نقلا عن نيكولسون

كانت آنذاك من أهم الأساطير العلمية وكان في جامعها - أو أن شئت فإن في جامعتها - العالم أبو بكر القرشي يحاضر في الحديث.. والأديب الكبير أبو علي القلاسي يبحث مع الطلاب في أدب العرب، وابن القوطية يلقي دروسه في النحو.

بالإضافة إلى ذلك يشير عبد الكريم التواني إلى جامع قرطبة ويضيف عليه من الصفات الجامعية ما يجعله قريبا من الوصف الحديث للجامعات فيقول وتنسقا مع العمل العلمي أمد الحكم جامعته قرطبة بكل ما تتطلبه من امكانيات بشرية ومالية وعيّن لها أخاه المنذر عميدا. ثم أخذ هو بنفسه قضي جل أوقاته بين ابتهالها واروائها يطالع ويقرأ.

ويتفق روم لاندو مع من ذكرناه من حيث وصفه بهذه الصفة، وأن تلك الجامعة التي أسسها الخليفة عبد الرحمن الناصر - في زمن سابق على إنشاء كل من الجامع الأزهر والمدرسة النظامية - كانت مرآزا للمعرفة للمسلمين والنصاري الوافدين من الشرق وأوروبا.

ومما يؤكد هذا الطابع الجامعي لجامع قرطبة أن المصادر التي تناولت تاريخ الأندلس وتراجع علمائه تشير إليه وإلى جامع مدينة الزهراء التي بناؤها

FALCON OF SPAIN, P192 (1)
(2) ابن عبد ربه رعده، ص 44.
(3) مهدا انهيار الوجود العربي في الأندلس، ص 16. 166.
(4) الإسلام والعرب، ص 178.

- 139 -
عبد الرحمن الناصر باعتبارهما المركز العلمي الذي يجتمع فيه العلماء، ويفد
إليه طلاب العلم للاكتساب المعرفة.

فقد كان الأديب اللغوي أبو علي القالي يعقد مجالسه العلمية في جامع
الزهراء فلتقتاطر أفواج الطلبه عليه للأخذ عنه وذلك في كل يوم خميس. وكان
يكتب عنه أكثر من أربعمئة من طلاب العلم في وقت إملائه الأمالي(1). بل إن
بعض حلقات العلم كانت تضم أعدادًا هائلة من التلاميذ فشير الحميدي إلى
أن الأديب عبد الملك بن زيادة الله السعدي التميمي (ت بعد 504 هـ) كان
يجتمع إليه في مجلس الإملاء بجامع قرطبة خلق كثير، وأنه لم رأى كثرتهم

أنشد:

إني إذا احتوشنتي ألف محمرة
يكتبين حديثي طوراً وأخبرني
هذي الفخار لا قعبان من ابن
نادت بغزري الأقلم معلنة
ولا ريب أن فيما تقدم دلالة على أن الجامع كان آنذاك مقر العلم والتعليم
الذي يؤدي رسالته في تعليم الناس وفتح المعرفة لهم والرقي بحياتهم الدينية
والدنيوية(2).

واتصف جامع قرطبة في عصر الخلافة بالنشاط العلمي الكبير فقد كان
بمثابة مصدر إشعاع أضواء للأندلسيين ولغيرهم الكثير من دروب المعرفة التي
قادتهم إلى درجة رفيعة من الحضارة فكان الطلاب يتواتدون إليه من شتى
أنحاء البلاد بل من جميع أنحاء العالم الإسلامي والسيمي على حد سواء في
جو اتسم بالتسامح والود من جانب المسلمين(3).

____________________________
(1) الشبلالي: ريحان الأدباء (مخطوطة) ورقة 1139.
(2) جزيرة المقتبس، ص 284 - 285.
(3) زكريا هاشم: المرجع السابق، ص 313.

١٤٠٠
ولم يكن جامع قرطبة وجامع الزهراء (4) هما الجامعيين الوحيدين في إداء هذه الرسالة العلمية بل إن مدن الأندلس الأخرى كانت تضم في جوامعها حلقات العلم وندوات الدرس، وأشهر تلك المدن أشبيلية، وطليطلة، وشاطبة، ومرسية، وغزونية من المدن التي شاركت في حركة البناء الحضاري والتطور العلمي بما قدمته من نشاط كبير تمثل فيما أخرجته تلك المدن من علماء أجلاء كان لهم انتاج علمي في حقول المعرفة المختلفة وسوف نتعرف فيما بعد لأبرزهم في حقول المعرفة والمسلم.

ورغم ما تقدم حول انحسار التعليم والتدريس بالساجد والجامع إلا أن هناك إشارات مهمة تذكرنا كتب التاريخ والتراجم الأندلسية تفيد أن كتبت تعقد بعض حلقات العلم والدرس في مواضع أخرى غير الجامع. فقد كان الكثير من العلماء على جانب كبير من الثراء وسعة العيش مما دفع بعضهم إلى المشاركة في نشاط حركة التعليم وذلك بتخصص مجالس علمية في دورهم ومن هؤلاء العلامات الطليطي أحمد بن سعيد بن كوثر (ت 420 هـ/1610 م) الذي كان يقصده تلاميذه، وهم يرون على الأربعين في وقت الشتاء فينزلهم في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنتين والحيتان بالبروس الصوف، ول توفير الدفء لمجلس كان هناك كأنها على قامة الإنسان مملوء فحماً.

(4) جامعي قرطبة انشأه المسلمين بعد ان شاطروا أهل البلاد الفتنة كندتهم في قرطبة ولم يضاق المسجد رسلة أمير عبد الرحمن الداخل وعمر شكر الكنيسة وذلك سنة 485 هـ /1776 م، بعد أن أمر البطارئي ثم أخذ الأمراء من بعدهم الخلفاء في توسيعه ويراجع فيه المؤرخ الشاميه المقتبسة من المسجد الأموي دمشق.

(المقرري: نفح الطيب، ج 1، ص 68 وما بعدها، وهما بعدها، وأحمد مختار العبدي: في تاريخ المغرب والإندلس، ص 118) أما عن الزهراء وجامعها، فهي مدينة تأخرا الخليفة عبد الرحمن الناصر على بعد سبعة كيلومترات شمال غرب قرطبة وكان قد بناتها سنة 325 هـ تحث على إنشاء ابنه الحكم المستنصر ولم يتم بناؤها نهائيًا إلا بعد أربعين سنة في عهد الخليفة الحكم وقد أشتهى بجامعها البناء. انظر (الفتح، ج 1، ص 168 وما بعدها، وكذلك أحمد العبدي المراجع السابق، ص 27، وما بعدها.

- 141 -
يتوسط المجلس فيأخذ دفته كل من المجلس فإذا انتهى التدريس قدم لهم الموائد عليها ثرايد بلحوم الخرفان بالزيت العنب أو ثرايد اللبن بالسمون أو الزبدة.

ويتضح مما تقدم مدى عمق الإخلاص للعلم والمعرفة والتفاني في نشرهما ولو كلف ذلك الإنسان راحته وما له كما أن في ذلك إشارة إلى حرص الأستاذ وشفيته على اععقاد حلقته الدروس رغم ظروف البرد القارس في فصل الشتاء.

وألى جانب ما ذكر فقد كانت بعض حلقات العلم تنعقد في السجون ولا مبالغة في ذلك فكثير من العلماء كانت تعتبرهم في حياتهم بعض الظروف القاسية التي قدوهم إلى السجن قيظلون حبيسي جددتهما مما يدفع تلاميذهم إلى مكافحة المشاق من أجل قاتهم والأخذ عنهم. ومن هؤلاء العلماء الأديب أحمد بن مفرج الجماوي (ت 1366هـ / 1776م) الذي كان تلاميذه يلتقوه به في السجن فيأخذون عنه الأدب واللغة، وكان الخليفة الحكم المستنصر قد سجنه لكلام بلغه عنـه (2).

وعلب في ذلك صورة واضحة من صور الإخلاص للمعرفة بصورة من صور الوفاء من التلاميذ لأساتذتهم، فهؤلاء التلاميذ لم يتوانوا في سبيل لقاء شيخهم حتى ولو كان في أقصى المواضع وفي أجواء السجن كما أن في ذلك إشارة مهمة إلى ما كان يتمتع به ذلك الأديب من مكانة علمية موميقة.

وقد عرف عن بعض العلماء الاستغلال بالتجارة والبيع والشراء ولكن ذلك لم يمنعهم من أداء واجبهم العلمي والقيام بالتعليم والتدريس للتلاميذ وخاصة

(1) ابن بشتكايل: المئة، ج 1، ص 27- 37.
(2) ابن بشتكايل: نفس المصدر، الجزء 6، ص 142- 143.
المبتدينين منهم، فقد كان العلامة القروي ابراهيم بن مبشر البكري (ت 952 هـ / 4000 م) يقرئه في دكانه قرب المسجد الجامع بقراطبة. وينقض المصاحف ويعيد المبتدينين

ومن دلائل التفوق العلمي وازدهار التعليم في المجتمع الأندلسي ما عرف عن بعض حلقات العلم التي كانت تعقدها بعض النساء ممن وصلن إلى درجة رفيعة من العلم والأدب، فقد كانت الأندلسية مريم بنت يعقوب الفصولي تعلم النساء وتخطيها دروساً في الأدب مع احترام وجهه، وكانت مقيمة باشبيلية وطال عمرها حتى بلغت سبعين سنة.

وبناء عليه فإن هذه الظواهر العلمية تعطينا دلالة واضحة على ما بلغه الأندلسيون في مضمار التعليم والتدريس. كما أن فيهما تقدم إشارة مهمة إلى أن الجامع لم يكن هو المركز الوحيد للعلم والمعرفة رغم كونه المركز الرئيسي لتلقي العلم والمعرفة بل كانت هناك مواضع أخرى يرتادها العلم.

والجدير بالذكر أن الخليفة الحكم المستنصر لعب دورا هاما في رفع المستوى التعليمي في بلاده فقد كانت له جهود مثمرة في هذا الميدان. وقبل أن نعرض تلك الجهود يحسن أن نتحدث عن طريقة التعليم عند الأندلسيين.

(1) ابن بشكال، المصدر السابق، ج 1، ص 88.
(2) الحميدي، الجدلة 412 – ابن بشكال، الصلة، ج 1، ص 2464.

143 -
ب- طريقة التعليم عند الأندلسية:

كان الأندلسية يحرصون على أن يكون القرآن الكريم هو الأساس المتبقي في تعليم أولادهم، ولم يكونوا يقتصرون على ذلك بل كانوا يضمنون إليه تعلم اللغة العربية ورواية الشعر وتعليم الخطي، وقد أفادهم هذا النهج في ترسيح المعارف المتنوعة لديهم. وكان لِقبابهم على اللغة العربية والشعر والأدب في صغرهم أثر في رسوم ملكاتهم في هذه العلوم فيما بعد (1).

وذكر ابن خلدون أن العلامة أبي بكر بن العربي (2) قد رسم منهجاً جديداً في طريقة التعليم وهو أن يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، وذلك لأن الشعر ديوان العرب، وفي تقديمه تعليم العربية ضروري لتكوين اللغة عند الطفل ثم ينقل منه إلى الحساب ليلم بما لا يصح أن يجهله منه. يسلي ذلك دراسة القرآن الكريم كما نصح بأن ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه فالجدل ثم الحديث وعلومه. وينتقد ابن العربي النهج الذي يفتتح بتعليم القرآن للصبي لعدم معرفته ففهمه لمسائله وقضاياها. كما أنه نهى أن يجمع في التعليم بين علمين إلا أن يكون المتعلم على نصيب كبير من النشأة والقدرة على الاستيعاب (3).

ويتضح من ذلك مدى ما أولاهم الأندلسية لهذا الميدان من عناية واهتمام وكيف أنهم نظموا عملية التعليم لدى الأطفال. حرصاً منهم على أن ينشأ...

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 48 - 539 - سامي الغانمي: دراسات في الأدب الأندلسي، ص 56.
(2) هو محمد بن عبد الله المغاني (464هـ - 325هـ / 1075م - 1481م) من أهل الأندلسي، وكان من حفاظ الحديث وكبار العلماء رجل إلى الشرق وأفاد من علماء، وكانت له مكانة.
(3) المقدمة، ص 89.
أولدهم نشأة علمية سليمة، والحق أن النهج الذي رسمه ابن العربي أقرب إلى النهج التعليمي الصحيح.

كما أن المنصر التربوي السليم متوفر فيه. فقد بدأ بما يقوم لغة الطفل ويكسبه البلاغة بقراءة الشعر ثم يدرس الحساب ويتم له بمسائله حتى إذا أدرك ذلك يكون متهيئًا لحفظ القرآن وفهمه بما يتمتع به من ثراءً لغويًا.

وكان للاهتمام العظيم بالتعليم وأدائه أن أنصرف بعض العلماء إلى رسم المناهج التربوية التي يجب أن تتوفر في عملية التعليم فقد صنف العلامة أحمد ابن عفيض بن عبد الله الأموي (348-320 / 959-929 م) كتابًا في "آداب المعلمين" ويقع في خمسة أجزاء (1).

ويذكر المقرئ أن الأندلسين كانوا يدفعون أجرة في سبيل تعلم العلم، وأنهم يقبلون على العلم والمعرفة اختلاصاً لهما وليس طلباً لجاه أو ثراءً. وأن العالم فيه يكون بارعاً لأنه طلب العلم برغبته ويباعث في نفسه يحمله على الانفصال من أجل العلم (2).

وبدأ أن الأجرة التي كان يدفعها الراغبون في العلم لم تكن تتمثل فقط في دفع مبلغ من المال للعالم أو الشيخ وإنما كانت تتمثل أيضاً في تقديم هدايا عينية له أو إكرامه في ابتعاث حاجة له. وفي هذا يقول المقرئ (والعالم عندهم معظم في الخاصية والعامة يشار إليه، ويحال عليه، ويئنه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتعاث حاجة وما أشبه ذلك) (3).

(1) ابن بشكال: الصلة، ج، ص، 38-39.
(2) الفتح، ج، ص، 262-271.
(3) نفس المصدر والجزء والصلة.

- 145 -
جـ: عناية الخلفاء بالتعليم:

سعى الخلفاء إلى تأمين وسائل التعليم لفترات شعبهم الأندلسي، وكان عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عهداً زاهراً شهد المجتمع الأندلسي فيه نهضة واسعة في ميدان العلم.

وأما من شك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أسوأهم بجهد بارز في ذلك النشاط العلمي، فإن كانت المصادر التاريخية يندرج أن تشير إلى إسهامهم في تطوير الحقل التعليمي. بعكس الحال بالنسبة لابن الخليفة الحكم المستنصر.

ورغم هذا فإن هناك إشارات أوردها الدارسون المحدثين تشير إلى جهد الخليفة عبد الرحمن الناصر في هذا الصدد وأنه كان في عصره في قرطبة 80 مدرسة علمية (1).

والمحق أن الخليفة الحكم المستنصر هو احق بالتنوие والإشارة إلى دوره في هذا الميدان بما قدمه وإسهامه للحركة العلمية. وقد سبقت الإشارة إلى دوره في النهضة العلمية وهمنا ونحن نتحدث عن ازدهار التعليم في الأندلس في عصر الخلافة أن نعرف بجهود في هذا الصدد.

 يأتي في مقدمة جهود الخليفة الحكم المستنصر إسهامه في رفع شأن التعليم في بلاده وتوفيره وتسيره لرعيته حيث أمر بانتشار سمعة وعشرين مكتب يلحق ثلاثة منها بالمسجد الجامع بقطربه، والباقي فرته على أرباض قرطبة ويعين العلماء والفقهاء للقيام بالتدريس للطفل في تلك المكتاب وأجرى عليهم المرتبات وآخذ عليهم الصلات والبالغ في تعليم أطفال المسلمين (2).

(1) زيغمونت هونكه: شمس العرب تسطلع على العرب، ص 499.
وكان لهذه الخطوة الكريمة من الحكم المستنصر أثر كبير في أوساط المجتمع الأندلسي فلهجت الألسن بشكره والإشادة بفضله على العلم وابناته.

حتى قال أحد شعراء بلاءه وهو ابن شخيص:

وساحة المسجد الأعلى مخلقة
مكانا لتثامى من نواحيها
لوكانت سور القرآن من كلم
نادنك باخير تاليها ورعيها (1)

ولم يقتصر الخليفة الحكم على ما تقدم بل كان يسعى إلى الأفضل
في سبيل الرقي بالمستوى العلمي لرعيته، فيذكر ابن عذاري أنه في سنة
464 هـ/ 1074 كأي قبل وفاته بستين - حسب حوانيت السراجين بقرطبة على
المعلمين لأولاد الضعفاء (2).

وفيما ذكره ابن عذاري إشارة إلى أنه كانت تعقد بعض حلقات العلم
والدرس ليلا وفي ذلك دليل على مدى عناية الأندلسيين بالعلم وصبرهم على
الشقات في سبيل تحسينه.

وعلى هذا يكون الخليفة الحكم المستنصر قد أنتخب الفرصة لجميع أفراد
المجتمع في الاستفادة مما هياه لهم من سبيل للاكتساب المعرفة وتلقي العلم.
فلم يعد العلم قاصرا على ذوي القدرة من الناس بل أصبحت فرص التعليم
متاحة لكل شخص يريد ذلك (3).

ولكن هل استفاد أفراد الرعية من هذه الإمكانيات التي وفرها لهم
الخليفة الحكم المستنصر؟

(1) ابن عذاري: ابن عذاري: ابن عذاري، ج 3، ص 141
(2) نفس المصدر، الجزء 2، ص 249
(3) ANWAR CHEJNE: MUSLIM SPAIN, P. 164.

- 147 -
والحق أن الأندلسيين كانوا يتمتعون بميل ورغبة شديدة نحو العلم والعرفة. وقد سبقت الإشارة إلى تكلفهم أجرة التعليم من أجل العلم وحدها. فكيف إذا توفيوا الإمكانيات والوسائل لهم. من الطبيعي حتما أن يكون ذلك حافزا شديدا لهم في التفاني إلى ميادين العلم والعرفة وتحصيل العلوم والآداب.

ولم يكن الحاجب المنصور بن أبي عامر أقل ممن سبقه بل عرف عنه أنه من رواد الحركة الفكرية وأنه كان لشاناته العلمية أثر كبير في تشجيعه العلم واكرامه العلماء فكان محببا لمجالسهم حريصا على صحبتهم في حله وترحاله (1).

ويشير عبيد الكريم التواتي إلى أن المنصور سار على نهج الخليفة الحكم من حيث الاهتمام بالتعليم وتوفيره للرعية وأنه كان يحضر أحيانا حلقات الدروس ويستفسر الطلاب عن مشاكلهم ويبحثهم على اكتساب العرفه ويمنح المتفوقين منهم المكافات السخية (2).

ويبدو الفرق شاسعا بين حال المجتمع الأندلسي ونظيره الأوربي آنذاك مما يجعلنا نشعر بالاجلال والتقدير لذلك الشعب الذي لم يرض بذل الجههل وسطرة - الأمية فكان الشعب الأندلسي في ذلك العصر يمثل شعواء متوهجة فينور المعرفة، وكان مما يسر النفس الا ترى طفلا أو طفلة بلغ الثامنة عشر ولم يتوفر بالعلم الكافي على الأقل لتأهيله للقراءة والكتابة (3).

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج 2 ، ص 705.
(2) مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس ، ص 662.
(3) جلال مظهر : علوم المسلمين ، ص 88 - سامي العاني : المرجع السابق ص 95.

--- 148 ---
وفي الوقت الذي لم يكن في أوروبا غير قلعة بسيطة من الرهبان ممن يعرف القراءة والكتابة كان كل فرد في الأندلس تقريبا يقرأ ويكتب ويلو بقدر من ألوان المعرفة(1).

وقد أدرك الغربون مدى ما كان يتمتع به جيرانهم من العرب الأندلسيين من حضارة زاهية وتطور علمي باهر، فلم يخفوا اعجابهم بذلك ومن بينهم زيغريد هونكه التي تحدثت عن قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ووصفتها بأنها سيدة التمدن بل وأكبر أوروبا كلها مما حوتها من مظاهر الحضارة الفكرية والعمارية حيث كان بها 1132 مسجد، و1000 مسجد ، و2000 حمام ، 80 مدرسة على ، و20 مكتبة فيها عشرات آلاف من الكتب(2).

وقد أدرك الغربون مدى ما كان يتمتع به جيرانهم من العرب الأندلسيين من حضارة زاهية وتطور علمي باهر، فلم يخفوا اعجابهم بذلك ومن بينهم زيغريد هونكه التي تحدثت عن قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ووصفتها بأنها سيدة التمدن بل وأكبر أوروبا كلها مما حوتها من مظاهر الحضارة الفكرية والعمارية حيث كان بها 1132 مسجد، و1000 مسجد ، و2000 حمام ، 80 مدرسة على ، و20 مكتبة فيها عشرات آلاف من الكتب(2).

وقد أدرك الغربون مدى ما كان يتمتع به جيرانهم من العرب الأندلسيين من حضارة زاهية وتطور علمي باهر، فلم يخفوا اعجابهم بذلك ومن بينهم زيغريد هونكه التي تحدثت عن قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ووصفتها بأنها سيدة التمدن بل وأكبر أوروبا كلها مما حوتها من مظاهر الحضارة الفكرية والعمارية حيث كان بها 1132 مسجد، و1000 مسجد ، و2000 حمام ، 80 مدرسة على ، و20 مكتبة فيها عشرات آلاف من الكتب(2).

(1) روم لاندو: المرجع السابق، ص 178. 
(2) شمس العرب تسطع على الغرب، ص 49.
القسم الثاني
نشاط العلوم والآيات
في عصر الخلافة
الفصل الأول
العلوم الدينية

أ- الفقه
ب- الحديث
ج- علوم القرآن (القراءات - التفسير)
د- علم الكلام وموقف الأندلسيين منه
أ- الفقه
محمد بن يحيى بن لبابة، يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي،
محمد بن القاسم السقلمي، محمد بن الحارث الشنقي، عبد الله بن
إبراهيم الإحسائي، عبد الرحمن القناعي، مروان بن علي الأسد،
محمد بن عمر (ابن الغخاز)، عبد الله بن محمد بن سيبى (ابن
الإسحاق)، ابن عبد البر النمري، علي بن أحمد (ابن حزم).

نالت العلوم الدينية عناية عظيمة من الأندلسين، وأولها اهتماماً كبيراً.
وقد سبق القول في التمهيد إلى بداية نشاط الدراسات الدينية في الأندلس.
وكيف أن أحد الصحابة و كثير من التابعين كان لهم دور بارز في نشأ تلك
الدراسات وأنهم بذلك أول من يعزى إليه الفضل في نشاط الحركة العلمية
الدينية في الأندلس.

والحق أن الفقه احتل لدى الأندلسين مكانة عالية، ومنزلة سامية، وكان
عالم الفقه يحظى منهم بكل تقدير وإجلال، فكانت سمة الفقه عندهم عظيمة
جليلة، وقد يخلعون هذه الصفة على النحو أو النحو، فيقال له فقيه، لأن
هذه الصفة لديهم أرفع الستات، ولأجل هذا فالفقه معظم لدى الخاصة
والعامة(1).

وتبعد لهذا فقد نال الفقهاء كل تقدير وإجلال من الخلفاء والأمراء، وكان
هؤلاء يدنون منزلتهم، ويستشترونهم فيما يعرض لهم من أمور، فالخلفية
الحكم المستنصر أراد أن يقطع شجرة العبب من الأندلس في محاولة للقضاء
على شرب الخمر فاستشار الفقهاء في ذلك فذكروا له أنها قد تصنع من غيرها

(1) المقرئ: نفيع الطيب، ج 1، ص 221 - زكريا هاشم: المرجع السابق ص 556.
فكيف عن ذلك (1) وفي ذلك إشارة إلى مكانة هؤلاء العلماء إلى ما كانوا يتمتعون به من احترام وتنظيم لحقهم سواء من الخلفاء الذين أنزلواهم منزلاً كريماً لديهم، أو من العلماء الذين كانوا يكتون لهم كل ولاء وتقدير.

وأما من شك أن هذه المنزلة العالية للفقهاء قد أعطته لهم أن يلعبوا دوراً كبيراً في تشكيل بعض الأحداث، ومنها على سبيل المثال حادثة الرضي التي وقعت في عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل 198 هـ والتي لعب الفقهاء دوراً في وقوعها، وانظر كتاب ابن الأثير الكامل، ح، ص 172 وتاريخ الأندلس حافل بال كثير من المواقف التي تشهد بما كان للفقهاء من تأثير قوي في الدولة والمجتمع.

وقد تسنى للكثير من الفقهاء أن يتوصروا إلى مناصب رفيعة في الدولة كمidxاً الفتيا والحساب والشرطة (2) وغيرها من المناصب الهامة.

وفي عصر الخلافة ازدهرت الدراسات الفقهية، وذلك بفضل طائفة من الفقهاء التابعين الذين أسهموا بقدر عظيم في نهوض ذلك العلم والرقي بدراساته ومن الطبيعي أن يسرر هؤلاء الفقهاء على المذهب المالكي تبعاً لما سار عليه فقهاء المالكية من قبل.

وفي مقدمة فقهاء عصر الخلافة يبرز الفقيه محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة (ت 1941 هـ) الذي كان من أعظم الفقهاء علماءً وأوضوعهم دراية بمسائل الفقه ووجهوه المختلفة، وكان لذلك يعتمد

(1) المصدر: نسخة المبص، ج 4، ص 214.
(2) للإطلاع على من تولى القضاء من فقهاء عصر الخلافة وغيرهم، انظر الخشني قصة قرطبة وكذلك النباوي: تاريخ قضاء الأندلس، واما من تولى منصب الفتيا والحساب والشرطة فكتب التراجع الأندلسية، كتيب علماء الأندلس لابن الفضي، وجدوا المبصي للمحيدي فتحوي الكثير من الآمالة على ذلك.

-105-
عليه في الفتيا، كما ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر قضاء البيره(1). ولا يببه نشاط في ميدان التأليف، فقد صنف كتاباً قيماً في الفقه على المذهب المالكي وهو كتاب "المنتخب" وكان له الكتاب شعور كبير بين فقهاء الأندلس حتى قال فيه ابن حزم (ما رأيت المالكي كتابًا أقبل منه في جمع روايات المذهب وتأليفها وشرح مستغلتها، وتفريع وجهها(2). وانصرف الكثير من طلاب العلم إلى دراسة الفقه ومعرفة مسائله، فكانت الجوامع المنتشرة في الأندلس تحمل بحوث الفقه والمتأخرات العلمية في هذا الميدان العلمي.

ومن أشهر المجالس العلمية في جامع قرطبة مجلس الفقيه يحيى بن عبد الله ابن يحيى الليثي (ت 376 هـ / 777 م) فقد كان يعقد مجالسه العلمية في جامع قرطبة أيام الجمع، ويبلق هناك دروسه الفقهية على طلاب العلم الذين يندعم بهم مجلسه لإشتهار ذلك الفقه بعلو المكانة العلمية والمعرفة الواسعة بالفقه(3).

ونظراً للنزلة هذا الفقه العلمي فقد حرص الخليفة الحكم المستنصر على أن يلتقي ابنه هشام المؤيد العلم على تلك الفقيه يسمع منه هشام دروساً مختلفة في الفقه(4).

وبينغ الفقيه عبد الله بن محمد بن القاسم الثغري (ت 637 هـ / 943 م) في الفقه، وارتحل إلى الشرق حيث أخذ عن الكثير من العلماء ثم عاد إلى

(1) الكنشي: تاريخ علماء الأندلس (مخطوطة) (رقة 11). البيره. من كبر الانداس الجليلة الذي نزهوا جند دمشق من العرب، وبينها وبين غزارة سنة أميال.
(3) ابن الفرخذي: المصدق السابق، ج 2، ص 191.
(4) ابن الفرخذي: المصدق السابق، ج 2، ص 191.
(5) اللطفي: نسبي إلى الشتر، وهو الموضع قريب من السر (يأتي: مجم البلدان، ج 2، ص 81).

- 156 -
الأندلس ليблиته الخليفة الحكم المستنصر القضاء على بلده، وكان لتضلعه في
الفقه وسعة علمه أن شبهه أصحابه بسفين الثوري(1).
وكان للخلفاء وفي مقدمتهم الحكم المستنصر أثر في دفع مجلة العلم
وتضجيج العلماء على البحث والدرس، فالفقيه محمد بن الحارث بن أسد
الخشصي (ت 137 هـ / 1817 م) ألف للحكم كتبة كثيرة حتى قال عنه ابن الفرضي :
(بلغني أنه ألف له مائة ديوان، وقد جمع له في رجال الأندلس كتابا قد كتبنا
منه في هذا الكتاب ما نسبناه إليه ( يعني كتابه تاريخ علماء الأندلس) (2).
ولم يكن الخشصي هو العلامة الوحيد الذي يحظى بتأكيد الخليفة
الحكم المستنصر، فإلى جانبه كان الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى
(ت 780 هـ / 1378 م) يلتقى كل تكريم وتبجيل من ذلك الخليفة الذي أظهر
اهتماما كبيرا بالدراسات الفقهية، فقد ألف له أبو بكر كتابا كثيرة في ذلك ومن
بينها كتابا في فقه التابعين، ولعرفته الواسعة بالفقه وأحكام الشريعة فقد لاه
الخليفة القضاء (3).

(1) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج 1، ص 443 - 763 - 447 - 754 - ياقترب: المصدر
السابق، ج 2، ص 80 - سفيان الثوري: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق
الثوري الكوفي (174 هـ - 161 هـ / 797 م - 751 م) كان راسخاً في علم الحديث، وعدل من
ابرز فقهاء الحديثين وقد أراد الخليفة العباسي أن يولي القضاء فهرب وتخفى حتى مات
(2) تاريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 112 - 113 - الهميد: الجندية، ص 37 - الضيبي: البحية،
ص 71 - ابن فرحون: النبيذ المذهب ج 2، ص 212 - 214.
(3) الصفدي: الوقاي، ج 2، ص 51.
كما أن الفقيه محمد بن عبد الله بن سيد (ت 636 هـ / 1240 م) نال منزلة
سامية لدى الخليفة الحكم، وبتشجيع منه بوب له ذلك الفقيه (المستخرجة) في
الفقه المالكي (1) والمستخرجة: كتاب فقه يعرف بالعثنيه نسبة إلى الفقيه
العثنيي، تلميذ عبد الملك بن حبيب (3) الذي تقدم الحديث عنه في التمهيد.
وكان لازدهار حركة الدراسات الفقهية في الأندلس وما تبع ذلك من
اختلاف العلماء وتبان أرائه في تفسير مسائل الفقه وقضايا آثر في اتباع
بعض من الفقهاء نحو الاستغال بدراسة مسائل الاختلاف ومحاولة حصر
وجوهها المختلفة والخروج بما يكون أقرب للصواب، فقد صنف الفقيه محمد
بن حارث الفشنسي (كان حيا في حدود 530 هـ) كتابا في (الاتفاق والاختلاف
لماك بن أنس وأصحابه) (2).

كما صنف أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الصيلي (ت 392 هـ / 1
1001 م) كتابا فيما اختلف فيه الفقهاء وأسماء (الدلائل في اختلاف العلماء)
وقد لقي ذلك الكتاب قبولا جسنا بين علماء عصره (4).

والتوجه الكثير من الفقهاء في دراساتهم الفقهية نحو شرح وتوضيح قواعد
مذهبهم المالكي والعمل على تفسير المسائل الفقهية على ضوء من آراء وأقوال
الإمام مالك بن أنس رحمه الله بل إن المورد هو الكتاب الفقهي الذي يعتبر
حجر الأساس لذمتهم الذين سيروين عليه قليا منهم عناية فائقة، واهتماما
بالغاء، حيث تناولوه بالشرح والإيضاح منذ دخول مذهب مالك إلى الأندلس.

(1) ابن الفرسني: المصدر السابق، ج 2، ص 72.
(2) المقرئ: الفتح، ج 2، ص 181.
(3) المسند: الجلدة 36، الدテストي: البنية، ص 71.
(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ج 1، ص 422، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 104.
ابن تفيل: الرويات، ص 223.

- 158 -
وفي عصر الخلافة ظهرت العديد من الشروحات لموطاً مالك، فممن
أسمهم في هذا الميدان محمد بن عبد الله بن محمد المري (324 هـ - 398 هـ /
1017 مـ - 962 م) الذي كان له جهد بارز في ازدهار الدراسات الفقهية يتمثل
في شرح كتاب الموطأ وغير ذلك من كتب الفقه بالإضافة إلى تأليفه كتابا في
اختصار المدونة (1).

كما أن الفقيه عبد الرحمن بن مروان القنازي (341 هـ - 414 هـ /
1052 مـ - 1027 م) كان له قدم راسخ في هذا الميدان، حيث تتوفر على دراسة
الفقه وشرح مسائله، فتناول الموطأ بالشرح والتفسير، وألف في ذلك كتابا قيما
ضمنه ما نقله يحيى بن يحيى في موطأه ويجيب بن بكير في موطأه (2).

وسار على هذا النحو الفقهاء مروان بن على الأسدي القطان القرطبي،
حيث ألف كتابا في شرح موطاً مالك، وكان لهذا الكتاب وضع ثواب بين الفقهاء
فأخذوه من القطان، ومنهم الفقيه أبو عمر بن الحذاء الذي أخذ عنه ذلك
الكتاب سنة 400 هـ.

ثم ماتبه أن أرسل في طلب الكتاب مرة أخرى وكان بطليطلة والقطان
ببونه (3) فارسل إليه الكتاب وقد أضاف إليه شرحبلا وزيادات كثيرة (4).

(1) ابن الخطيب: الأحاطة في تاريخ غزاة، ج 2، ص 172.
(2) والدودية، مجموعة من المسائل الفقهية في فروع المالكية إخض عدد السلام بن سعيد النخجي (16 هـ -
243 م~ 767 هـ) المعروف بسحنون، من أهل القيروان عن عبد الرحمن بن القاسم عن
الامام مالك بن أنس. وأصبحت هذه المدونة التي دونها سحنون عن ابن القاسم من أشهر كتب الفقه
على النزد المالكي (ابن خلدون: المقدمة، ص 430 ; الزركلي: الأعلام، ج 4، ص 8).
(3) ابن بشكوال: السنة، ج 3، ص 272 - 274.
(4) (الحبيب عملي: القاموس الإسلامي، ج 4، ص 379 - 381.
(5) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص 116 - 117.
وهكذا تلمّس ما كان عليه فقهاء عصر الخلافة من هتمام وعناية بالغين بالمطاب، وألّف أيضًا مدي ما كانوا يحملونه في نفوسهم من تقدير وإجلال لهذا الكتاب باعتباره السجل الحافظ لآراء وأقوال إمامهم مالك بن أنس إمام دار الهجرة الذي اتقنعوا بعلمه، وفقهه الواسع، وما لبثوا أن تحمموا لذهبه ثم أخذوا في نشره والعمل على ارساء قواعده بما قدموه من شروح وأيضاحات كثيرة على كتاب الموطأ.

وإذا كان الحكم المستنصر قد حاز الفضل العظيم في تشجيع الحركة العلمية فان من الانصاف أن نشير إلى ما أسهم به الحاجب المنصور بن أبي عامر في هذا الميدان، فقد كان له دور كبير في دفع عجلة العلوم الدينية فبأمر منه صنف الفقهاء أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوي الأشبيلي وصاحبه أبو مروان المعطي كتابً اسمي «الاستيعاب» ضمناه أقاويل مالك بن أنس رحمه الله فجمعه آراءه وأقواله في مصنف كبير لقى من العلماء والدارسين كل ثناء وتقدير، حيث كان بمثابة موسوعة فقهية لآراء مالك وأقواله في الفقه وكان بذلك مرجعا لكل طالب علم ويبحث في مسائل الفقه على المنهد الملكي (1).

وكان ابن بشكوال قد ذكر أن تأليف هذا الكتاب تم بأمر الخليفة الحكم المستنصر ولكن الحقيقة بخلاف ذلك، فالحميدي وهو أقرب زمانا في تاريخ ذلك الأمر إلى جانب تأكيد الضبي لم أورد الحميدي بعطينا دليلاً على أن تأليف الكتاب تم بأمر المنصور وليس كما قال ابن بشكوال الذي عاش في فترة بعيدة عن عصر الخلافة (2).

(1) الحميدي : الجذرة ص 136 – 137 – ابن فرحون : المصدر السابق، ج 1، ص 176 –
الصفدي : المصدر السابق، ج 7 ص 414.
(2) عاش ابن بشكوال في القرن السادس الهجري، وكانت وفاته سنة 578هـ / 1182م.
وجاء تأليف ذلك الكتاب تأكيد لما بلغه الأندلسيون من رقي علمي حيث كانوا في ذلك العصر أكثر منافسة لأندادهم من المشارقة في ميدان البحث والتاليف، فلا يكاد أهل الشرق يتواصلون إلى سابقة في ميدان البحث حتى ينبرى أهل الأندلس لهم بالوصول مثل تلك السابقة العلمية أو أفضل منها، فكما أن القاضي أبا بكر محمد بن أحمد الحداد الشافعي البصري قد جمع أقوال الشافعي في كتابه البار (1) فقد رأى المنصور ولا يكون الأندلس قاصرًا عما توصل إليه المشارقة في ميدان البحث والتأليف.

وبرز في ميدان الفقه آنذاك محمد بن عمر بن يوسف المعرف بابن الفخور (ت 194 هـ / 282 م) وكان من أهل قرطبة وأحد الحفاظ المشاركائم بالمدينة وقد رحل إلى الشرق فنجح وأقام بالمدينة (2) ورحلت العلمية هذه كانت وسامة عظيمة بالأندلسيين، فقد خبرنا أن الأندلسيين كانوا يرتحلون في طلب العلم إلى الشرق، ولكن الأمر اختلف هذه المره مع ابن الفخور فبعد اتمامه بالمدينة لفت أنظار الناس إليه بعلمه الواسع ومعرفته العميقة بالفقه فتقاطعوا عليه يأخذون عنه ويستفتوه فيما يعرض لهم من القضايا الفقهية (وكان يفخر بذلك على أصحابه ويقول لقد شوّرت بمدينة رسول الله صلى الله صلى دار مالك بن أنس وكان شوراه (3).

وهكذا يتبين لنا الدورة الرفيعة التي بلغها علماء الأندلس في ذلك العصر، وكيف أنهم اثبتوا قدرتهم الكبيرة على الوصول إلى مابلغه أندادهم من المشارقة.

(1) المقري : النفح ج 3 ص 137
(2) ابن بشكوال : الحلبة ج 2 ص 51 - ابن تغري بريدي : النجوم الزاهرة ج 4 ص 268
المقري : النفح ج 2 ص 61 - (3) ابن بشكوال : الملة ج 2 ص 101
وكان من نتائج التطور الحضاري وظهور عامل الترف في المجتمع
اللغوي أن عكفت بعض الأشخاص على ممارسة ضروب من السلوك تنافقي
تعليمي الشريعة مما دعا بعض الفقهاء إلى دراسة هذه الظواهر والعمل على
وضع الحلول لها معتمدين في ذلك على مصادر الشريعة وما توصلوا إليه عن
الاجتهادات فقهية، فالفيضي عبد الله بن محمد بن عيسى المعرف (بابن الإسماعيلي
ت 429 هـ / 1029 م) اشترم في هذا الميدان بتصنيف كتابه مختلف لكتاب
"تفقيه الطالبين والارشاد إلى أصابة الصواب في الأشربة" وكتابه آخر صغير
الحجم سماه (تنبيه المريدين والمخرجين بناء اللدنين على الانبه المسكره من
أي الإشجار والحبوب كانت من كتاب الله وسنة رسوله وآيات جماهير الفقهاء
والمحذرين في أمصار المسلمين) ولف أيضا كتابا في قوله تعالى (يا أبيه الذين
آمنوا شهادة بينكم) الآية إلى آخر الآيات الثلاثة (1). وكان لهذه الكتب مكانة
عاليا بين الفقهاء فتلقوها بقبول حسن حتى ذكر ابن الأبار أنه أطلع على كتبه
الخريج من مؤلفات تلك الكتب اتصف بالعلم
الواسع وحسن السيرة (2).

وفي أواخر عصر الخليفة بريز في الساحة العلمية فقيهان كان لهما دور
عظيم في إثارة الحركة الفقهية بما أخرجاه من دراسات مهمة، كما ذاع
صيتهما ليس في الأندلس فقط بل في العالم الإسلامي كله، الأول : الفقيه
أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري (236 هـ / 852 م -
176 م)، والثاني علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (284 هـ / 904 م -
323 هـ).

(1) سورة المائدة، آية (106).
(2) ابن الأبار: التكملة، ج 2، ص 276.

- 162 -
فأولًا، وهو ابن عبد البركان له جهد بارز في ميادين العلم المختلفة فقد أسهم بنشاط وافر في إثارة حقول المعرفة من دين وتاريخ وأدب (وألف مما جمع تواليف نافعة سارة عنه، وكان يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي رحمة الله عليه). (1)

ورغم ميله إلى المذهب الشافعي إلا أنه كان صاحب فضل عظيم على المذهب المالكي فقد صنف كتبًا عديدة على ذلك المذهب، ومن بينها كتابه "التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد" والكتاب يقع في حجم كبير حيث بلغ سبعين جزءًا وقد أثبت عليه ابن حزم، ووصف بأنه ليس له نظير في فقه الحديث (2)؛ وبالإضافة إلى ذلك فقد صنف كتاباً اسمه (الاستذكار لذاهب علماء الإمسار في شرح ماتضمنه الموطا من معاني الرأي والآثار) وقد أشار ابن حزم إلى إنه اختصار لكتاب التمهيد المتقدم الذكر (3).

وكان لكتاب ابن عبد البر في الفقه أثر في أقبال الدارسين عليها ومطالعتها فتعاقب العلماء وطلبة العلم على دراستها، وقد ذكر ابن خير الابشيلي أنه أخذ الكتابين المذكورين عن شيخه (4).

وكان لعلم ابن عبد البربحجه القضية وأهل الفتيا إلى من يجمع لهم آراء وأقوال من سبقهم من أئمة العلم والفقه في مجال الفتيا، أثر في انصرفته إلى تصنيف كتاب يضم أقوال أهل المدينة وفي مقدمتهم مالك بن أنس وابتداعهما واسمه "الكافي" وقد اثني ابن حزم على هذا الكتاب واشتر إلى ماضمه (5).

(1) الحمداني: الجامع، ص37-38- ابن الوردي: نشأة المختصر، ج1، ص14، ص545-565.
(2) الحمداني: نسخ المصدر، ص18.
(3) ابن خير: فهرسة مارواه عن شيخه، ص68-88- المقرئ: النهج، ج2، ص191، ص77.
(4) فهرسة مارواه عن شيخه، ص68.
(5) 163.
ابن عبد البر من مسائل لا يستغنی عنها المفتی وان الناس قذ استغنا بذلك الكتاب عن التصانيف الطوال في الفقه ويقع ذلك الكتاب في خمسة عشر جزءٍ(1).

ولم تكن هذه الكتب وحدها ما ألفه ابن عبد البر بل إنه لتضمعه في الفقه ومعرفته بمسائله قد ألف كتاباً في اختلاف أصحاب مالك بن إنس واختلاف روایاتهم عنه ويقع ذلك الكتاب في أربعة وعشرين جزءٍ(2).

وبحاول كثرة الأجزاء التي يتضمنها كل كتاب من كتب ابن عبد البر المذكور، كما يبدو أنه كان ينحى في تأليفه منهج الثاني وعدم التسرع بحيث لم يكن يحمل نفسه مشقة الإخراج السريع لتاليفه وما يرتب عليه من نصب ومشقة من جهة، ومايثود عن التسرع من هفوات لا يخلو منها أي عمل معل من جهة أخرى، فكان يوزع جهده العلمي على فترات بحيث ينجز في كل فترة جزءاً من انتاجه العلمي لينتهي الأمر بأجزاء كثيرة لأي من كتبه العديدة، ولا شك أن عمره المديد الذي بلغ ما يقارب قرناً من الزمان - حيث توفي عن 98 عاماً - كان أثر في رسوخ مكانته العلمية، وغزارة انتاجه العلمي النفيس الذي أثري به المكتبة الإسلامية.

اما ابن حزم فهو علي بن أحمد بن سعيد، وأصله من الفرس وجدته الأقصى في الإسلام هو (نزيذ) مولى زيد بن أبي سفيان(3) وقد تلقى ابنه (1) الملتقي: النفح، ج 3، ص 176 - هذا ويذكر الحميدي: في الجذوة، ص 368 (3) ابن حزم في كتابه (ابن حزم الاندلسي، ص 163) أن زيد بن أبي سفيان هو يزيد الخير، والحق أن هذا اللفظ ليس له بل كان لاحد الصحابة واسعه زيد بن مهلل.
حزم العلم على ائدٍ الكثير من العلماء، كأحمد بن الجوزي في علم الحديث، ومحمد بن الحسن المذحجي في المنطق، وعبد الرحمن بن أبي زيد في الأدب، وغيرهم من العلماء.

ويعتبر بن حزم من أكبر علماء الإسلام قاطبة في ميدان التصنيف والتتأليف في أبواب العلم المختلفة، فقد اثرى المكتبة الإسلامية بِنِفَائِس الكتب وروائع المؤلفات مما لم يكن له شيء إلا ما ذكر عن الحافظ محمد بن جرير الطبري، فقد ذكره صنف ما يقارب من أربعمائة مجلد في شتى ضروب المعرفة.

وفيما يتعلق بنشاطه العلمي في ميدان الفقه فقد مال به النظر في بداية حياته إلى مذهب الشافعي حيث سار على ذلك فترة من الزمن ولكنه مالبث أن انحرف عنه إلى المذهب الذهري الذي ينسب اصلا إلى الفقيه المشريقي داود بن علي الاصفهاني، فعمل على تطبيق وصياغته في منهج الطاقي الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 9 هـ، ومعه وفد من طيء، وكان للبصرة خيله أن تقبله قومه يزيد الخليل ولكن الرسول ﷺ أساءه زيد الخير (الزركلي:

الاعلام، ج، ص، ٦٨)

(١) عبد الجليل موسى: ابن حزم الامام، ص ٢٦ - انخل بالثيوث: الرحمن السابق ص ٢١٦.

(٢) مساعد: طبقات الأمام، ص ١٦ - ابن بشكول: الصلة، ج، ص ٤١٦ - ابن يساس: النخاب، القسم الأول ج، ص ١٤٣ - المركزي: المطبص ص ١٤٦.

(٣) الكتاب نقد وعرض (أبو محمد على حزم) كتابه جوامع السيرة بخمس رسائل أخرى، تحقيق

احساس بياس وناصر الدين الأسدي، نشر دار المعارف بعصر) مقابل بِملة معهد الدراسات الإسلامية بتتعدد، ج، ص ١٢٧، ١٩٥٦، العدد ١-٢ ص ١٨٨.

(٤) هو أبي سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الاصفهاني، أول من استعمل قول الظاهر

والله في وثائق، وقد يصف بالعلم والفضل وتوفي سنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٨م) (ابن

النديم: الفهرست، ص ٣٢)
فقهه فه قواعد وأصول، ثم عمل على بثه مناصحا عنه، فالف فيه من الكتب
الكثير(1).

ومذهب ابن حزم الظاهري يعتمد فيه على قبول ما نص عليه في القرآن
أو ورد فيه حديث موثوق على ظاهر معتن الا أن يكون هناك ضرورة من عقل
أو حس تدعو إلى صرف المعنى عن ظاهره وإلى الأخذ بالتأويل(2).

وابن حزم يوضح لنا ذلك في كتابه الفقيه فيقول: (واعملوا أن دين الله
تعالى ظاهر لا باطن فيه، وجهر لاسر تحته، كله برهان لا مساحة فيه،
واتهموا كل من يدعو أن يتبع بلا برهان وكيل من أدعى للديانة سرا وباطنا فهى
دعاوى ومخاير، واعملوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتب من
الشريعة كلمة فما فوقها ولا أطلع أخص الناس من زوجه أو أبنة أو ابن عم أو
صاحب على شيء من الشريعة كتبه من الأحمير والأسود ورعاة الغنم، ولا كان
عنده عليه السلام سرولا رمز ولا باطن غير ما دعي الناس كلهم اليه)(3).

ونتائج لخروج هذا الفقيه على المذهب المالكي، واصطدامه باتباعه فقد
تأبى عليه الفقهاء وتصدى لنظراته الكثير منهم، وكان لجرأته في قول الحق أثر

(1) ابن بسام: الذكرى، القسم الأول، ج1، ص140-141-142-143-6-61-66-67-68...

(2) عمرو فوزى: تاريخ الفكر العربي، ص69-70-71-72-73...

(3) ح2، ص116-117. ولهبوغ أكثر على معاني الظاهرة بإسباء إنتاج ابن حزم لها، انظر: عبد
الإله موسى: ابن حزم الابناسي من ص58 إلى ص96-97. كما أن بالتنا لا في كتابه الفكر الابناسي
ص6-8-11. إشارة إلى أن ابن حزم موضع مذهبه في كتابه الدعاية، والذي نشر جودة زهري
جزء منه وقد بين فيه ابن حزم أسس مذهبه ووضع المذهب الآخر.

والمظر أيضا محمد أبو زهره: ابن حزم حياته وعصره، أرازو وفقته، ففيهم الكثير من المعلومات عن
الظاهرة.
في توثر علاقته من غيره من الفقهاء الذين وقفوا ضده وعملوا على تسبيط همته، والقضاء على مذهبه، ولكنه جابههم بموقف أكثر صرامة وقوة، فكان شديد الوطأة على خصومه، حاد اللسان في مناظراته العلمية، حتى ألقى البعض من العلماء صوروا اسلوبه هذا في صورة قاتلة فوصفوا لسانه بأنه وسيلة الحجاج شقيقان (1).

والحق أننا لو امعنا في موقف ابن حزم وحالتنا النفسية التي نجمن عن تأليف الفقهاء عليه وتظافرهم على احاطتهم تشاطه، بالإضافة إلى تشرده عن وطنه، وإحراق كتبه لذرونه بعض الشيء فيما اتصف به من صلابة في مواقفه مع العلماء، وما اتسم به حديثه من صراحة شديدة.

وأما عن مؤلفاته العلمية في الفقه فقد ألف من الكتب ككتاب الإيضاح إلى فهم الخصائص الجامعة لجمال شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه كما ألف كتاب «الأحكام في أصول الأحكام» وكتاب «الإجماع ومسائله على أبواب الفقه» (2).

واشار السلفي في معرض حديثه عن كتب ابن حزم أن كتاب الإيضاح يقع في أربعين مجلداً (3) وهذا بلا شك فيه، شارة واضحة إلى الجهود العلمي الذي قدمه ذلك الفقيه إلى ما كان يتمتع به من علم واسع بالشريعة الإسلامية.

(1) ابن خلكان: رياضات الأعيان، ج1، ص328، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج3، ص115، 116، 118.
(2) الحمدي: الجزء، ص380، س9-6، السبتي: البداية، ص415، ابن بشکال: الصلة، ج2، ص415-416، 418.
(3) أخبار وتراجم اندلسية، تحقيق أحمد عباس، ص62 - 167.
والجدير بالذكر أن ابن حزم لم يكن بارعا في علوم الدين فقط بل كان
مطلاعا في الكثير من العلوم كالتاريخ والأدب والفلسفة وغيرها من العلوم.
وأن ما قدمه للمكتبة الإسلامية لدليل واضح على ما ذكر عنه.

ولم يكن ابن حزم أول ظاهري في الأندلس، فقد سبقه إلى ذلك الكثير
من العلماء ومنهم الفقيه منذر بن سعيد البلوطي، وإلى ذلك يشير الحميدي
بقوله عنه (قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: وكان مائلا إلى القول بالظاهرة
قريبا على الاكتساب لذلك، ومن مصنفاته كتاب «الانبعاث على استنباط الأحكام
من كتاب الله» وكتاب «الابانه عن حقائق أصول الديانة»(1)).

وفي عصر الخلافة كان لبعض النساة دور بارز في حركة الدراسات
الفقهية فمنهم برهان مهن بن الفقه، فاطمة بنت محمد بن يوسف
المغامي (ت 169 هـ / 231 م) والتي وصفت بالفده والعلم والورع، وهي لما
ماتت كان يوها جليلاء لكثرة من سار في جنائزها من أهل العلم تقديرا وإجلازا
لمنزلتها وقردها العلمي وفضلها(2).

كما اشتهرت خديجة بنت جعفر التيمي زوجة الفقيه عبد الله بن اسد
بالعلم الواسع في الفقه، وقد حددت عن زوجها بموضوع القمعي قراءة عليه
بالنظام، كما أخذت الكثير من العلوم عن زوجها المذكور(3).

وما كان عصر الخلافة وما قبله يحفظ بأعداد هائلة من علماء الفقه فقد
اتجه الكثير من العلماء إلى تأليف كتب التراجم التي تحفظ أسماء وسير أهل

(1) الجودة ص 258 - 249.
(2) الضببي: بقية المتفسر، ص 487.
(3) ابن بشكوال: السيدة، ج 2، ص 163.

ـ الفقه: هو عبد الله بن مسلمة بن قتيبة (ت 275 هـ / 365 م) مديني سكن البصرة.
وروى من مالك ووصف بالعلم والثقة - (ابن عبد البر: الإتقان، ص 16) ،

- 168 -
العلم تخليداً لماؤهم وفضله في العلم، نالف أحمد بن محمد بن عبد اليركتاب في تاريخ فقهاء الأندلس وقد استعان به ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس" وأشار إليه في مقدمة كتابه، كما ألف الفقيه عبد الله بن محمد بن دليم (ت 967 هـ / 1559 م) كتاباً أسماه "الطبقات" ممن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الامصار. وقد نقل عنه القاضي عياض اليوحاسي في كتابه "الدارك(1)" وألف محمد بن عبد الله ابن عبد البركتبا في فقهاء وقضاء قروطبة(2) وصنف محمد بن حارث الخشني كتاباً في أخبار الفقهاء والحديثين(3).

وموجز القول فقد أظهر الاندلونين بنشاطهم العلمي في ميدان الفقه قدرة هائلة من التحصيل العلمي والانتقاء الفكري الواسع في عصر الخلافة الذي ضم الكثير من الفقهاء البارزين اغناه الفقه بدراساتهم الفقهية القيمة. وقد حرص هؤلاء الفقهاء في مسيرتهم العلمية على الالتزام بالذهب الماليكي – عدا البعض منهم كابن حزم – والعمل على رفع شأنه بما قدمه من بحوث علمية ومصنفات نفسية، وإن الناظر في نتائج هذا النشاط العلمي ليدعشه القدر الهائل من المؤلفات العلمية التي قدمها أولئك العلماء في صورة تؤكد التفرد العلمي الذي أحرزه الاندلونين آنذاك في ميدان الفقه.

(1) الزركلي : الأعلام، ج 4، ص 120.
(2) الحميدي : الجنوة، ص 64.
(3) ابن الفرضي : المصدر السابق، ج 1، ص 52.
بـ الحديث

يحيى بن مالك بن عائش - محمد بن عبد الملك - قاسم بن
اصبح - بيت الباجي - يعيش بن سعيد الوراق - أبو بكـر ابن
الله أمر - أحمد بن مقرـه - محمد بن عبد الله المصري - عـبـد
الرحمن بن فطيس - عبد الله بن يوسف - (ابن الغفري) هـشام بن
عبد الرحمن الطاوسـي - ابن عبد البر النمر - عثمان ابن أبي بكر
الصديـقـي - ابن حـزم .

منذ بداية اشتغال الأندلسـيين بالعلوم نجد أن علم الدين قد احتلت
المدارس في تشاـبهم العلمي ، وكان علم الحديث هو والقـتـه في مقدمة العلوم
الدينية التي توفر الأندلسـيون على دراستها .

وقد أقبل الأندلسـيون على دراسة الحديث وجمـعه وترتبـه ، ولا ننكر فضـل
المشرق على الأندلس في هذا المجال ، فقد كان للرحلات العلمية التي قام بها
رجال الحديث إلى المشرق دور كبير في نهضة علم الحديث ونشاط دراساته
في الأندلس ، ولعل رحلة بـقـي بن مخلد في عصر الإمارة تعد نقطة تحول مهمة
في حركة الدراسات الدينية ومن بينها ( الحديث ) .

وكان علماء الحديث من أكثر الناس رحلة في طلب العلم ، وكانوا كثيرا
يالقون المشقات في سبيل البحث عن طاقة من الأحاديث وربما عن حديث
واحد ، وأظهـر الكثير منهم صبرًا وجلـدًا في سبيل ذلك ، فيريـو أن آبا المطرف
ابن فطـيس الأندلسـي رحل في طلب حديث واحد إلى بعض كور الأندلس حتى
سمعـه من الشيخ الذي رواه وانصرف ، ثم رحل أيضًا في طلب حديث
لسفيان بن عيبـنـه(1) . إلى عالم يسكن باقليم البيرة فسمعـه منه(2) .

(1) هو سفيان بن عبيـنـه بن أبي عمرـان ( 107 هـ - 198 مـ/ 39 مـ/ 812 هـ ) كان من أهل
الحديث والفقه ووصف بالرور وتبني الفتيـا ( ابن تـتيه: المعرف ص 221 ) .
(2) ابن الغفري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 33 .
وتحفل كتب الترجمة الإندلسية بالآلاف من علماء الحديث الذين يعودون
بالمات في عصر الخلافة، فقد تميز ذلك العصر بنشاط كبير في ميادين العلم
المختلفة ومن بينها علوم الدين. ونظر للأعداد الهائلة من أهل الحديث فسوف
نتقصر على ذكر ابرزهم ممن كان له سهم وافر في ازدهار علم الحديث
ودراساته المختلفة.

 يأتي في مقدمة علماء عصر الخلافة المحدث يحيى بن مالك بن عائذ
(ت 375 هـ / 985 م) رجل إلى الشرق وقصد العراق وغيرها من البلدان،
وسمع بآرد سبعمائة عالم وأكثر، وظل في المشرق يتبرد على حلقات العلم
وبقائى بالشيوخ وقد استغرقت رحلته ما يزيد على عشرين سنة عاد بعدها إلى
الأندلس وهو أوسع علماء وأكثر معرفة فتسابق الناس إلى مجالس العلمية
وحلقات درسه، وكان لكثرة الإقبال عليه من طالب العلم أن اتخذه مكاناً في
جامع قرطبة، وعين له وقتاً معلوماً في كل أسبوع للتدريس فيه والإملاء، فكان
يملأ في كل يوم جمعه، وكان مجلسه ذلك من أشهر المجالس العلمية في
قرطبة(1).

 وإلى جانب ابن عائذ بن محمد بن عبد الملك بن أمين (ت 327 هـ
1 194 م) الذي وصف بالبراعة التامة في علم الحديث والتمكن في علومه، وقد
ألف كتاباً في السنن صنفه على تراجم كتاب أبي داود، وتميز ذلك الكتاب
بالدقه والإتقان، وكان ابن أمين قد رحل إلى المشرق بصحة رفيعه المحدث
قاسم ابن أصبغ فوصل العراق سنة (276 هـ / 889 م)، وكان يعترضان لقاء

(1) ابن بشكوك: الصلة ج1، ص 312.
(2) ابن الفوضي: المصدر السابق، ج2، ص 194 - الحميدي: الجدوع، ص 279.
(3) بينر وفياته سنة 576 هـ.

- 171 -
الحافظ المحدث أبي داود السجستاني صاحب السنن، ولكنهما وصلا بعد وفاته بسنه، فلما قاتهما أبو داود اتجه كل منهما إلى تصنيف كتاب في السنن على تراجم كتاب أبي داود وخرج الحديث من روايتهما عن شيوخهما، وكان لكتابهما منزلة رفيعة بين المحدثين وأهل العلم لدقتهما وجلالهما(1).

وأما يدل على علم كتب ابن أيمين في الحديث وعلمه أنه حدث بالشرق كما حدث بعد ذلك في الأندلس ولقي من أهل عصره كل تقدير وإجلال وقد أشار الحميدي إلى ثناء ابن حزم على كتاب ابن أيمين فيقول: (ومصنف ابن أيمين مصنف رفيع، احتوى من صحيح الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنفات)(2).

إضافة إلى ما تمتع به ابن أيمين من سعة العلم في الحديث فقد كان بارعا في الفقه حافظًا لمذهب مالك وله ما ساعد به على الحفظ والمهارة في اكتساب العلم وأوص به من ذكاء ونضابة استطاع بهما أن يحفظ الكثير من كتب العلم وتصانيف العلماء فيذكر أحد اصحابه من العلماء أن ابن أيمين كان يأتيه إلى منزله فيمره باخراج كتابه كذا وكذا في حديث كذا وكذا فيدي صديقه دهشته بعدم معرفته لذلك حتى إذا أخرج كتابه المذكور وجد ما وصفه ابن أيمين بالتمام مما يبعث على الإعجاب بقوة حافظته ودقتاه لدرجة أنه كان حافظًا لكتاب غيره من العلماء أكثر من حفظهم لها(3) .

---

(2) جنبة المكتبي، ص: 88.
(3) الخشني: تاريخ علماء الأندلس (مخطوط)، ورقة 1681.
أما عن رفيق رحلته إلى المشرق قاسم بن أصبغ البياني (1) (ت 420 هـ / 1515 م) فيعد من كبار حفاظ الحديث، ومن ألمع من أخريجاته الأندلس في هذا الميدان، وقد سمع العلم من شيوخ وطنه ثم رحل إلى القيروان ومصر ومكة والمدينة والعراق ثم عاد إلى الأندلس فتغلبت عليه طلاب العلم يأخذون عنه ويسعون منه ما اكتسبه من العلوم والمعرفة وقد سمع منه الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنته الحكم وأخوته، وطال عمره حتى أخذ عنه الكبار ثم الصغار وعرف بسعة علمه في أكثر من علم كالحديث والفقه والأدب والنحو (2).

ونظر لمكانة البياني العلمية فقد قرره إليه الحكم المستنصر إيان ولايته للありますが وكتب بتأليف كتاب في الحديث فصنف كتابا في السن المنسدة بدأ في محرم سنة 243 هـ وقد اختصره من كتابه الكبير فجزاء في سبعة أجزاء، وفه من الحديث السنيد ألفان وأربعمائة وأربعة وتسعون حديثا (3).

وقد نهج قاسم بن أصبغ في تأليفه لذلك الكتاب أن يكون على أبوبه كتاب العلماء الشرقي ابن الجارود صاحب كتاب المنتقى ويشير الحميدي إلى تناول صديقه ابن حزم على كتاب قاسم بقوله: (قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: وهو خير منه) (أي من كتاب ابن الجارود) انتقاء وأنقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائده (4).

(1) البياني: نسبة إلى بيانه من أعمال فاطمة (الحمرى): الروض المطار من 95).
(2) ابن الفرخاني: المصدر السابق، ج 1، ص 126 - 131- 132 - 136 - المدنى: الجنوة، ص 32 -
(3) ابن خير: المصدر السابق، ج 24 - ابن العمار: المصدر السابق، ج 2، ص 273 - المغرية: الفتح، ج 2، ص 179.
(4) جذوة المقليس، ص 331.
وذلك يتبع لنا المنزلة العلمية التي حظي بها قاسم بن أصبغ، وما كان يتمتع به علم واسع، ومعرفة كبيرة بالحديث، وبراعة في التصنيف، وأنه بذلك قد بُرّه غيره من علماء المشرق.

وكان قاسم بن أصبغ يكتب أخرى في الحديث مثل كتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتب «غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ» هذا بالإضافة إلى مشاركته في علوم أخرى كالتاريخ، فقد ألف كتابا في الأنساب وصف بالجودة والحسن، وصنف أيضا كتابا في فضائل قريش.

وعلل من دلائل النهضة العلمية في الأندلس، وأنصارا الناس إلى العلم باخلاص وهمة صادقة ما يلاحظ من بروز أسير علمية في المجتمع الأندلسي أشهى بنائها في الحركة العلمية، ومن أشهر الأسرات العلمية في ميدان الحديث أسرة الباجي أو بيت الباجي بأشبيلية، فقد كانت هذه الأسرة من أعظم الأسرات التي أسدت للعلم والمعرفة جهدا علميا مثيرا، فكان لها بذلك يد في إضاءة على العلم، وكان أفرادها جميعهم في الفضل والتقدم على درجة رفيعة خازوا بها قصب السبق في العالم.

فمن علماء هذه الأسرة عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة الباجي - (279 هـ / 898 م) والمعروف بابن الباجي، كان من حفاظ الحديث المدونين، ومن علمائه المذكورين، وقد تلقى علومه في بلده أشبيلية ثم ارتحل إلى قرطبة وقام بالتدريس في جامعها حيث تقاشرت نحوه أفواج أهل العلم يأخذون عنه، وقد أظهر صبرًا وجلدا في أداء رسالته العلمية حتى روي أنه حدث ودرس نحو خمسين سنة.

(1) الحميدي: كتاب المصدر والصفح.
(2) ابن بشكوال: الصلاة، ج 2، ص 426 - 543.
(3) ابن الفرساني: المصدر السابق، ج 1، ص 242 - 241، الذغبي: ذكارة الحفاظ، ج 2، ص 100 - ياقوت الحموي: محمد البلدان، ج 1، ص 315.

- 174 -
ويبدو من انتساب هذا الحديث إلى أشتيلبية مدىً ما كانت عليه هذه المدينة الأندلسية من رقي وزهور علمي رفيع، فلم تكن أقل عطاء بيدلاً من حاضرة الخليفة وعاصمة الدولة، وكان لها في الحياة العلمية في الأندلس دور بارز ونجم واضح لينكر.

وخلاف ذلك الحديث ابنه بن عبد الله (۳۲۲هـ - ۳۹۶ هـ - ۹۴۳ م) الذي لم يكن باقل قدراً من أبيه، فكان عالماً بالحديث عارفاً بعلومه، وكان قد اكتسب علومه في بداية حياته العلمية من أبيه ثم شد رحاله إلى المشرق مع ابنه محمد حيث لقيا أقطاب العلم في المشرق فاخذناهم وسمعاً الكثير ثم عادا إلى الأندلس. ليتولى العلامة أحمد القضاء ببلده أشتيلبية، ثم ما لبث أن رحل إلى قرطبة ليقيم بها وينشر علومه بين أهلها الذين ازدهروا على حلقات درسهم ومحادثته العلمية، وكان لنبالته وسعة علمه أنه شور في ميدان القضاء وعمره ثمان عشر سنة(١).

ولم يتوقف عطاء تلك الأسرة في ميدان العلم فقد خلف العلامة المذكور ابنه محمد بن أحمد (۳۵۶ هـ - ۴٦٦ هـ - ۱۰۶۱ م) ليحمل راية العلم من بعد أبيه ويؤدي دوره وواجه وجاه وعطاه وماهه، وإذا كان العلامة المذكور يعد من علماء الحديث إلا أن اهتمامه بالفقه قد غلبه عليه، وكان له مشاركة في تصنيف بعض الكتب المتعلقة بالفقه والقضاء(٢).

ومما يبعث على الإعجاب بهذه الأسرة أن العلم لم يكن مقصوراً على أفرادها من الرجال بل شمل حتى النساء، ومنهن فاطمة بنت محمد بن علي أخت الحديث عبد الله بن محمد بن علي المتقدم الذكر. وقد شاركت هذه

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج ١، ص ١١ - ١۲.
(٢) ابن بشكوال: نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٢٢ - ٤٣٢.
الفقيحة أخاه المذكور في الأخذ عن بعض شيوخه وأجاز لها الاعلامة الحديث
محمد بن فطيض الأكبر في جميع روايته بخط اليد١.
وكان من عوامل نشاط الحركة العلمية في ميدان الحديث مأباد الخليفة
الحكم المستنصر من تشجيع العلماء على البحث والدراسة ومنهم علماء الحديث
فتشجيع من الحكم المستنصر ألف الحديث يعيش بن سعيد الوراق كتابا في
الحديث وهو مسند حديث ابن الأحمير وكان العلماء يعيش من أروئ الناس عن
أبي بكر محمد بن معاوية القرشى المعروف (بابن الأحمير) وقاسم بن أصبغ
البياني وهو ما جدا بالحكم المستنصر إلى أن دامته بتاليف مسند في حديث
ابن الأحمير فالافق له ذلك الكتاب٢.
ولعناية يعيش بن سعيد بمسند ابن الأحمير فقد كان كثيرا ما يقرأه في
حلقات درسه، فقد أشار الحميدي إلى أن ابن عبد البر قال: (قرأ علينا أبو
عثمان يعيش ابن سعيد سنة تسعين وثلاثمائة مسند حديث أبي بكر محمد بن
معاوية القرشى) ومن تأليفه مما سمع منه، وأخبرنا بذلك عنه)٣.
ولا شك أن اهتمام الحكم المستنصر بإخراج مصنف في حديث ابن
الأحمير لدليل على مكاناته العلمية وما يتمتع به من منزلة علمية كبيرة بين
أهل الحديث.
وكان ابن الأحمير قد رحل إلى المشرق فأخذ عن علمائه وفي مقدمتهم
أحمد بن شعيب النسوي، وينسب إلى ابن الأحمير أنه أول من أدخل كتابه في

١ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٢ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٣ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٤ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٥ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٦ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٧ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٨ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٩ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٠ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
١ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٢ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٣ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٤ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٥ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٦ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٧ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٨ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٩ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
٠ (الحميدي : الجذية، ص ٢٨٧ - ٢٨٧، ٢٨٧.
السن إلى الأندلس حيث أخذ العلماء عنه، ويقب المشتغل بالعلم والبحث إلى قرب من عهد الحكم المستنصر(1)
وكان ابن الأحمير إسهام في حركة الانتاج العلمي المتصل بالحديث فقد ألف مسند في الحديث فيه من الحديث السنن أربعة آلاف حديث وثلاثون حديثاً
ومن الصحابة ثلاث مائة وثلاثون، ومن النساء ثلاث وأربعون امرأة(2).

وبالإضافة إلى ما ذكر عن اهتمام الحكم المستنصر بالتأليف العلمي في ميدان الحديث ما ذكر عن محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرح القرطبي ت 960هـ / 1360م الذي رحل إلى الشرق في طلب العلم، وقصد الحجاز والمغرب ومصر والعراق وأخذ من علماء كثيرين قدر هو عددهم بما يزيد عن مائتي عالم وشيخ، ولدى عودته إلى الأندلس كان الحكم المستنصر آنذاك ولياً للعهد، ونظراً لما عرف عنه من عناية بالعلم، وكرامته لأهله فقد أرسل في طلب هذا العالم إلى قصره حيث أكرر نزله ورفع مكانته بين علماء الحديث، فصنف له مؤلفات عديدة في مختلف ضروب المعرفة(3).

ويلاحظ الباحث في سير أولئك العلماء الأندلسي أنهم كانوا حسب المصطلح الحديث "موسوعيين" نبغوا في علوم عديدة، وكانوا يطلقون في الأندلس على من اتصف بذلك لفظ (متتفن) أي أنه سهماً وافراً في كل فن من العلوم.
فالعلامة محمد بن عبد الله بن محمد المري (326هـ -935هـ)

(1) الحميدي: نفس المصدر، ص 88.
(2) ابن خير: المصدر السابق، ص 143.
(3) ابن الفضيـ: تاريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 116، 117، 916، الحميدي: الجلالة، ص 404، الضبي: البنية، ص 49.
(1) ابن الخطيب: الاحاتة، ج 2، ص 176 - 177.
(2) ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص 31 - 31.
(3) ابن بشكوال: نفيس المصدر والجزاء والصفحة.
(4) انظر مؤلفات الأخرى في المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، وانظر الذبي تذكرة الحافظ، ج 2، ص 1061 - البغدادى: هدية العارفين، ج 1، ص 515.
كسن الترمذي، والنسائي، فتناولوها بالإيضاح والشرح، فمن ينسب إليه الاستغال بذلك العلماء: هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله الصابوني (ت 646 هـ / 531 م) الذي كانت له عناية بصحيح البخاري، فشرحه ورواه في تفسير أحاديثه أن يكون على حروف المعجم، وقد وصف ذلك الكتاب بالأهمية العلمية (1).

وأثبت الأندلسيون قدرتهم الكبيرة في إثراء ميدان الحديث وعلومه بتأليفهم ودراساتهم المتعددة، ويأتي في مقدمة هؤلاء أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الذي سبق الحديث عنه في ميدان الفقه فإن جابر ما تميز به من علم واسع في الفقه، فقد كان من حفاظ الحديث والعارفين بعلومه وطرقه حتى قال فيه أبو الوليد الباجي - من علماء عصر الطوائف - (لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث) (2).

وقد شارك ابن عبد البر في حركة الإنتاج العلمي بكتبه التالية: كتاب التنقيصي لحديث الموطا وكتاب الانباه عن قبائل الرواه في أسماء رجال الحديث وكتاب الكني في رجال الحديث وكتاب الشواهد في اثبات خبر الواحد (3).

وكان لقدرة ابن عبد البر على التأليف أن أخرج كتب كثيرة في فروع العلم المختلفة ونانل بذلك منزلة رفيعة بين علماء عصره، وما تلي ذلك من عصور حتى قال فيه ابن سعيد - مشيدا بعلمه - (وانظر إلى أثاره تغلب عن أخباره) (4).

(1) ابن بشكال: المصدر السابق، ج 2، ص 450.
(2) الذهبي: المصدر السابق، ج 2، ص 1138.
(4) المغرب في حلي المغرب، ج 2، ص 408 - 407.

- 179 -
وإنه أول من أدخل كتابا غريب الحديث للخاطبي إلى الأندلس(1).

وكان لابن حزم قدم راسخة في الحديث، فهو يعد من حافظه والعارضين
بعلوه، وقد صنف في ذلك كتب عديدة، فما ينسب إليه منها كتاب "الجامع
في صحيح الحديث" وكتاب "شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله"،
ورتب مسندا بقي بمن مخال، وأجوبة من صحيح البخاري، وكتاب مهم السنن
وغيرها(2).

وهما شاركت النساء في ميدان الفقه فقد كان لهن مشاركة في نشاط
الدراسات المتعلقة بالحديث وعلومه، ونلاحظ من سير النساء العلمية أن المرأة
لم تقتصر في أخذ العلم عن المقربين لها كالآب أو الأخ أو الزوج بل سعت
إلى كسب العلم وأخذ المعرفة أثى كانت وسالت في ذلك طريق الرحلات العلمية
ولكن مع من تربطها به صلة القرابة أي أن تكون مع محرم لها، فذكر أن
راضية مولاة الخليفة الناصر والتي اعتقتا ابنه الحكم المستنصر وتزوجها لبيب
الفتى أنها رحلت هي وزوجها إلى الشرق فحصا سويا سنة (932 هـ /
964 مم) وكانا يقرآن ويكتبان ويتدارسان كتب العلم، ودخلوا الشام ولقين

(1) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص840.
(2) عبد الحليم موسى: ابن حزم الاندلس ، ص112 (وفي أنظر بقية المصنفات النسوية لابن
حزم في الحديث).
الشيّوخ والعلماء هناك، ثم رحلا إلى مصر فالتقيا بشيوخ العلم هناك أيضاً.
وقد روى عنها العلامة أبو محمد بن خزرج، وقال عندي بعض كتابها، وتوفيّت
رارية سنة (422هـ / 1031م) بعد عمر مديد بلغ مائة وسبعة أعوام (1).

ونظرا لما حفّل به ذلك العصر وما قبله من أعلام الحديث فقد صنف
بعض العلماء معاجم لعلماء الحديث فمنها ما صنفه سلمان بن القاسم بن
ابراهيم (ت 952هـ / 1644م) حيث صنف كتاباً طبقات المحدثين والذيل على
الطبقات المذكورة (2).

وكان لصلات العلامة أحمد بن سعيد الصدفي (ت 950هـ / 1641م)
بأهل الحديث والعلم عامة آخر كبير في معرفته الواسعة بالعلماء، مما دفعه إلى
تصنيف معجم في المحدثين بلغ فيه الغاية والدقه واخذه عنه تلاميذه وأهل
العلم (3).

وأخيراً لا يفوّت الباحث في سير العلماء وخاصة علماء الدين أن يشير
إلى ما صنّفه العلامة المحدث عبد الله بن يوسف الأزدي المعروف (بابن
الفروضي) (250هـ / 962م - 1016م) فقد صنف كتابه المشهور
"تاريخ علماء الأندلس" حيث ضمّه أعداداً كبيرة من أولى العلم في الفقه
والحديث بوجه خاص، وله سعة علمه في الحديث وعلومه كان له أكبر الأثر
في إخراج هذا العمل العلمي الرائع، وحماضّف له أن نهاية ابن
الفروضي كانت مؤلّفة للغاية، حيث قيل في الفتنة التي اجتاحت قرطبة

1. ابن بشكوك: الصلة، ج 2، ص 319-324.
2. البغدادي: هديته البارفين، ج 2، ص 427.
3. ابن الفروضي: المقدّم السابق، ج 1، ص 44-45، الصدقي: المصدر السابق، ج 6،
ص 289-290، أدخل بالثنيا: تاريخ الفكر الإسلامي، ص 401.
سنة 86 هـ / 1016 م(1) كما أن لابن الفرضي مؤلفاً اسمه «المختلف والمؤلف في أسماء الرجال» وقد لقي هذا الكتاب قبولًا كبيرًا لدى العلماء آنذاك حتى قال فيه ابن حزم (لا أعلم ملتها في فنه البتة)(2).

وموجز القول في النشاط العلمي للأندلسين في هذا الميدان من العلوم الدينية أنهم استطاعوا أن يثرووا على قدراتهم الوعائية في تناول هذا العلم من العلوم الدينية والدراسة والبحث الجادين وقدموا في ذلك روائع من إنتاجهم العلمي الغزير.

والحق أننا لو نظرنا في كتاب التراجم الأندلسية لها لنا ما حوته من أعداد غزيرة لعلماء الحديث، وهذا يدل دلالة واضحة على ما بلهه علم الحديث من نشاط كبير يبعث على الامام بأولئك العلماء، بما قدموه من تصنيف وتأليف لا تزال المكتبة الإسلامية حتى وقتنا الحاضر تضم أعدادًا كبيرة منها.

(2) الزركلي: الأعلام، ج 4، ص 7 - 121 - بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 102 - 176 - نقل عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس.)
القراءات:
أحمد بن محمد الطلمانكي - عثمان بن سعيد الداني -
مكي بن أبي طالب القيسي - علي بن محمد الأنطاكي - أحمد
بن علي الراقي - عبد الملك بن إدريس الباجاني - أحمد بن قاسم
اللخمي.

يقصد بعلوم القرآن ما يتعلق به من علوم القراءات والتفسير، وكان
للاندلسيين في هذه العلوم نشاط واضح ملموس، ويجدون بنا قبل الحديث عن
النشاط العلمي المتعلقة بالقراءات، أن نشير إشارة سريعة إلى معنى القراءات،
وعلى توقيع رسال القرآن من الصحابة، وروى أن الصحابة رواية القراء عن رسول
علي طرق مختلفة في بعض القراءات، كمناقشات الحروف في أدياتها، وانتقل ذلك عنهم إلى غيرهم
واشتهر إلى أن استقرت سبع طرق معينة وتواتر نقلها أيضاً بادائها،
واختصت تلك القراءات بأصحابها الذين اشتهروا بروايتها من بين القراء
الآخرين فاصبحت هذه القراءات أصولاً للقراءة وذاعت بين المسلمين.

والقراء السبع هي نافع المدني، وعاصم بن أبي النيجود، وأبو عمرو بن
العلا، وعبد الله بن كثير، وعبد الله بن عامر، وحمزة بن حبيب، وعلي بن
حمزة الكنستائي.

والقراءات التي قرأ بها الناس اليوم ووصفت روايتها عن الأئمة إنما هي
جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها مصحف عثمان

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 427.
(2) أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص 92. ونظر: ابن تيمية: المعرف، ص 230.

- ١٨٣ -
رضي الله عنه الذي أجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن أتى بعدهم عليه ونبذ ماسوًا(1).

ولما كانت الهيكل العلمية في الأندلس في عصر الخلافة قد ازدهرت بصورة كبيرة وشملت ميادين العلم المختلفة فإن من الطبيعي أن يكون لعلوم القرآن نصيب وافر في هذا النشاط العلمي، وقد سبق القول في التمديد إلى أن العلماء الغازى بن قيس أحد علماء عصر الإمارة قد ارتحل إلى المشرق حيث أخذ القراءات عن العلامة المقرى نافع المدنى وصحح مصحبه على مصحف نافع ثلاث عشر مرة(2).

وفي هذا إشارة إلى بداية اشتغال الأندلسية بعلم القراءات واهتمامهم بها، وأن دخل قراءة نافع وهو أحد القراء السبعة إلى الأندلس في عصر الإمارة ليد مؤشرا إلى ما سوف تحتله هذه القراءة العينية بين قراء الأندلس، وخاصة إذا علمنا أن الغازى بن قيس الذي ينسب إليه إدخالها كان معلما للتعليم، ومفيدا لهم وهو أمر يفيد بلا شك في سرعة انتشار هذه القراءة بين الأندلسية.

وعليه فإن جهود الغازى بن قيس كانت فتحة الجهود العلمية في هذا الحقل من الدراسات، وقد أشار المقدسي إلى انتشار قراءة نافع بين الأندلسية مما يؤكدها على من سواها من القراءات(3).

وفي عصر الخلافة برز العديد من علماء القراءات والذين أثروا هذا الميدان بجهودهم الموفقة، وكانت هذه الطائفة من العلماء تحتل مرتبة عالية في المجتمع الأندلسي نظرا لارتباط حياتهم العلمية بالقرآن الكريم من جهة، بما

(1) مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معايير القراءات، ص 21 - 22.
(2) ابن الجزيزي: غاية النهاية، ج 2، ص 2.
(3) أحسن التناسق، ص 31 - 32.

- 184 -
يقومون من دور تربية في تعليم أطفال المسلمين قراءة القرآن بوجه سليم يضمن لهم الفهم الصائب والإدراك الصحيح لمعنى القرآن ، و ما ينتج عن ذلك من حسن التدريب و فهم المعاني الكريمة في نفس الناشئة ليكون ذلك زاداً لأهم في مسيرتهم العلمية.

ولا يعني هذا أن دور القراء كان محصورا في ذلك بل كان علم القراءات علمًا واسعا وعميقا فكان الكثير من طلاب العلم يقبلون على دراسته ومعرفة قواعده ، والتي يستهدف منها قراءة القرآن على الوجه الصحيح بعيدا عن التصحيف أو الخلط.

ومن علماء القراءات في عصر الخلافة العلامية المقرى أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (429 هـ - 517 هـ / 1034 - 1126) )1( ، وكان لهذا المقرى مكانة بارزة بين قراءة عصره، نظراً لما تمتع به من معرفة واسعة بعلوم القرآن ، فقد كان إماماً بارعاً في علم القرآن ، قراءته ، وإعرابه ، وأحكامه ، ونحوه ومفسره ، ومعانيه ، وكان له فيها تصنيف تتم عن سعة علمه وعمق فهمه في هذا الميدان(2).

وكانت له رحلة إلى المشرق حيث التقى بعلماء القراءات فتأدب منهم وأخذ عنهم شيئًا كثيرًا ، ومنه أخذ عنه محمد بن محمد الأنطاكي ، و محمد بن علي الأندلسي ، ثم عاد إلى الأندلس وهو أوفر حظا وأكثر علمًا . ونسب إليه إدخال بعض القراءات إلى الأندلس(3).

(1) الطلمنكي: نسبة إلى طلمنك ، وهي مدينة تابعة للاندلس بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلا.
(2) المصدر السابق ، ص 168.
(3) ابن بشكوال : الصلة ، ج 1 ، ص 48 - ياقوت : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 392 - الصدقي : الباقي ، ج 8 ، ص 22 - 32.
(2) ابن الجزري : نهاية النهاية ، ج 1 ، ص 12 - ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 2 ، ص 244.

- 185 -
كان الطلمنكي ذا همة عالية في تعليم وتدريس طلبة العلم، وكان لا يتخذ على ذلك أجراً بل كان يحسب علمه لوجه الله، واخذ ينتقل من بلد إلى بلد ينشر علمه في كل منها، وكان الناس يسارعون إلى حلقات درسه، لما اتصف به من علم ومعرفة، وقد روى أنه خرج على تلاميذه وهم يتدارسون القرآن ويتنقل القراءات عليه فقال: أقرأوا وأكثروا فاني لا اتجاوز هذا العام، فأظهر تلاميذه دهشتهم وقالوا لم يرحمك الله؟ فقال رأيت البارحة من ينشدني في النوم:

اغتنموا البريشيش توى
يرحمه السوقة والصيام
قد ختم العمر بعيد مضى
ليس له من بعده عيد

وقد توفي في ذي الحجة من ذلك العام (426هـ/1037م) (1).

وعاصر الطلمنكي من القراء المشهورين العلامة المقرز أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الداني (2) الذي يعتبر بحق أحد مفاخر الأندلس في هذا الميدان فكان ذا قدم راسخه في القراءات، عارفًا بمعانيها عالماً بما يتصل بها، كما صنف فيها الكثير من الكتب الدالة على علمه وفهمه، وقد حرص على أن يكون علم القراءات وقواده ميسر الناس. سهل المنال ليكون أدعاً إلى فهمه وتعليمه، فنظم علوم القراءات في أرجوزة ليحفظها طلبة العلم (3).

(1) الذهبي: تذكرة الفلاحة، ج2، ص106.
(2) الداني: نسبة إلى دانيه، مدينة بشرقي الأندلس (المرجع: أبي الشعاري، الوعارف المعطار، ص37).
وقد أطلق المؤرخون في الثناة على الدانى وأنه لم يكن له نظير في عصره ولا بعد ذلك أيضاً، وأنه لم يكن أحد يشاهد في حفظه وتحقيقه وعلمه الواسع بالقراءات ورواياتها ومعانيها وطرقها، وكيف أنه تمكن بجهوده العلمية البارعة من جعل القراء عادة عليه في كتبه وأزراه(1).

وقد انصرف الدانى إلى ميدان البحث والتاليف فأخبر تصنيف علمية قيمة تشهد له بلواه كعبه في علوم القرآن حتى قال فيه أحد العلماء (ومن ينظر في كتبه عدم مقدر الرجل وما وطبع لله تعالى فيه فسكتهم الفتح العلمي)(2).

ومن تصنيف الدانى في القراءات كتاب جامع البيان في القراءات السبع وهو من أعظم كتبه، ويشتمل على نيف وخمسة رواية وطرق حتى قيل أنه جمع فيه كل ما يعلم في هذا العلم(3).

كما ألف الدانى في التصنيف كتابه «التدسير في القراءات». ونظم منظومته اسمها «الاقتصاد» في علم القراءات وتقع في مجد. كما ألف كتاباً في طبقات القراء في أربعة أسفار، ضم فيه المقرئين من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخلفاء إلى عصر مؤلفه على حروف العجم(4).

ولم تكن شهرة الدانى مقتصرة على بلده الأندلس بل كان ذائع الصيت مشهوراً الاسم في العالم الإسلامي لما كان من جهد عظيم رائع في الدراسات العلمية المتصلة بعلوم القرآن الكريم(5).


(2) ابن الجزري: المصدر السابق، ج 1، ص 400 - 505.

(3) حاجي خليل: كشف المجهود، ج 1، ص 54 - 55.

(4) ابن خير: المصدر السابق، ص 27.

(5) للمؤشر على اسماء مصنفاته الأخرى انظر: ابن الجزري: غابة النهاية، ج 1، ص 4 - 504.

وإياكم ابن خير: فهيرست ما رواه عن شيخه، ص 29.

١٨٧
وكانت الأندلس تستقبل الكثير من العلماء في مختلف وجهة المعرفة حيث كانوا يلقون كل تأييد وتشجيع من الخلفاء فقين يتصل بعلم القراءات فقد وقد على الأندلس العلماء المقيمين مكي بن أبي طالب حموش بن حمود بن مختار القسيسي (۲۵۵ هـ - ۴۴۵ م) وذلك سنة (۳۹۶ هـ - ۱۰۰۰ م) حيث استقبل الحاجب عبد المطلب بن المنصور بن أبي عامر بكل ترحيب وتكريم، وعينه للتدريس بجامع الزهراء، وله زال نفوذ الفاعليين نقله الخليفة محمد بن هشام المهدى إلى قرطبة، ونظرا لما تمت عليه مكي من علم واسع ومعرفة عميقة بعلوم القرآن فقد كان لذلك الأمر في ازدياد حركة الاقبال على مجالسه العلمية، فتنهاها عليه طلبة العلم وعلماء مقررهم العلمي فأخذوا عنه وسمعوا منه الكثير، وذلك ذاع صيته في الأندلس في علم القراءات (۲).

ومما يدل على منزلته العلمية ما وصفه به أحد أصحابه وهو أحمد بن محمد المقرى حيث قال (كان نفه الله من أهل التبحر في علوم القرآن واللغة، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنًا لذلك، مجاولاً لقراءات السبع، عالماً بمعانيها (۳). وقد صنف مكي كتابًا كثيرًا منها «كتاب الهدية إلى بلوغ النهاية»، وكتاب«تفسير إعراب القرآن»، وكتاب«التبصرة في القراءات السبع»، وكتاب«البيان عن وجه القراءات في كتاب التبصرة» وقد وصف بغزارة الفائدة (۴).

---

۳) ابن تغری: المصدر السابق، ص ۲۴۵ - ۲۴۲.
۴) ابن بشکاکی: الصلیة، ج۲، ص ۱۷۹.

۱۸۸
وكان مكي يدرك ما هو عليه من علم ومعرفة ادراك ثقة وليس غروراً بنفسه، فهو قد قدم من تصنيف العلم والتأليف ما يجعله يحتل مكانه رفيعة بين علماء عصره فقد قال في مقدمة أحد كتبه (هذا كتاب أبيين في إن شاء الله تعالى معاني القراءات وكيفيتها وما يجب أن يعتقد فيها، مع ما يتصل بذلك من فوائدها وغرائب معانيها، وما علمت أحداً تقديمني إلى مثل كتابي هذا أي بما جمعت وبيعت فيه أعظم الله عليه الأجر وأكمل به الذكر، وجعله لوجهه خالصاً) (1).

وظهر غير هؤلاء قراء آخرين، ولكنهم لم يصلوا في علمهم شهرتهم إلى ما وصل إليه من ذكورنا، فمنهم علي بن محمد بن أسماعيل الانتكاسي (949 هـ - 727 هـ / 14 هـ - 878 م) الذي دخل الأندلس سنة (402 هـ / 1302 م) فلقد قبته الخليفة الحكم المستنصر بكل اجلال وترحيب، وقد وصف الانتكاسي بالبراعة في القراءات، فدرس على يديه الكثير من طلبة العلم وآخروا عنه (2).

ولابن عبد البر النمرى تأليف في القراءات منها « البيان عن تلاوة القرآن » والتجويد والدخل إلى العلم بالتحديد » جزءان و الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلام (3).

ومن علماء القراءات القائمين إلى الأندلس: أحمد بن علي الريعي (62 هـ / 1030 م) وكان قد قدم الأندلس سنة (678 هـ / 1280 م) واتخذ له مجلساً في جامع قرطبة للتدريس به ونظراً لعلمه الواسع بالقراءات فقد عينه الحاجب المنصور بن أبي عامر مؤديباً لابنه عبد الرحمن، وكان ذلك العلامة

____
(1) ابن الأباتين: معاني القراءات، ص: 19 - 20.
(2) ابن الفضيسي: تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص: 16 - 17، 217.
(3) الحميدي: الجواهر، ص: 368 - 367، الفيدي: البغية، ص: 404.
- 189 -
بارعا في القراءات عارفا بعلوم القرآن، قراءته وإعرابه، وأحكامه، ونامسه ومنسوخه، وقد ألف في أحكامه كتاباً فيما(1).
وكان لاهتمام الخليفة الحكم المستندر بالحركة العلمية حرصه الشديد على متابعة ما صنف في فروع العلم ما ذكر من أن العلامة المقرى عبد الملك بن أدريس البجاني(2) رحل إلى المشرق حيث أخذ عن علمائه ثم عاد إلى الأندلس ومعه كتاب الوقف والابتداء عن نافع برواية ورش، وما أن علم الخليفة الحكم بذلك حتى بعث في إحضاره قاطع عليه وأفاد منه(3).
واتخذ العلماء المقرى أحمد بن قاسم الخلخي(462 – 410هـ) له مكانا في مسجد الغازى بقرطبة، لتعليم الناس القراءات، كما أنه ألف فيها كتاباً لقي من العلماء كل قبول وثناء(4).
ويشاركون النساء في هذا النشاط العلمي، فقد نبغت منهم القرية ريحانة التي درست القراءات واتخذت بعض علومها بالمرية عن أبي عمرو ثم قرأت عليه القراءات الأخرى غير السبع وأجازها(5).
وبهذا يتبعون للباحث في هذا العلم أنه كان لأندلس مشاركة عظيمة في إزدهار الدراسات الدينية المتعلقة بالقراءات، فظهر بين علمائهم قراء قديرون استطاعوا أن يقدموا لهذا العلم المهم من علوم القرآن الشيء الكثير بل

(1) ابن بشكال: الصلة، ج 6 ص 176, 167.
(2) البجاني نسبة إلى بجاتة، مدينة بالأندلس من أعمال كوره البيرة بينها وبين غرناطة مائة ميل.
(3) حافظ: معجم البلدان، ج 1 ص 329.
(4) المراكشي: الأديل، والبكلة، السفر الخامس، القسم الأول، ص 12.
(5) الضبي: البجية، ص 462.
إننا لا نبالغ إذا قلنا إن أهل الأندلس كان لهم القدح المعلى في إثراء المكتبة الإسلامية بكتب القراءات، وأن من دلائل تقدمهم في هذا العلم واسهامهم الوافر في ازدهاره ما يتمتع به بعض علماء القراءات من الأندلسيين من مكانة عالية بين المسلمين حتى عصرنا الحاضر، ويكفي في هذا الصدد شهادة العلماء لأبي عمرو الداني بأن القراء جميعهم عالما عليه وعلى تصانيفه وكتبه بهذا فخرا للأندلسيين فيما قدموه من جهود في علم القراءات.
التفسير

أحمد بن بقية بن مخلد - عبد الرحمن بن مروان القناعي
محمد بن عبد الله المرى - منذر بن سعيد البلوطي - مكى بن أبي طالب.

ومما يدخل في علوم القرآن الكريم علم التفسير، الذي حظى باهتمام كبير من علماء الأندلس، إذ كان من الطبيعي والقرآن الكريم هو مصدر التشريع، ومنبع الأحكام ان ينال الكثير من عناية العلماء، فاقتبلا على النظر في كتاب الله ومحاولة تفسيره مع الاستفادة من جهود العلماء الذين سبقهم في هذا المجال.

ومن أوائل الدراسات في هذا الميدان ما ألفه العامة بقي بن مخلد الذي تقدم الحديث عنه في عصر الإمارة – فقد صنف في التفسير كتاباً قليماً وصفه ابن حزم بقوله (أنه الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثنى فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره(1)). ولا شك أن شهادة ابن حزم لها قيمتها العلمية الكبيرة لما عرف عنه من علم واسع ومعرفة عميقة بعلوم الدين.

وأذا كان كتاب بقي بن مخلد قد ألفه في عصر الإمارة فما من ريب أنه كان له أعظم الأثر فيما تلاه من ألوان الانتاج العلمي في التفسير فقد أفاد منه علماء التفسير بإطلاعهم عليه، وجعل من دلائل التأثير الذي تركه بقي بعد وفاته ماتصف به ابن أحمد بن بقي (ت 324 هـ/ 935 م) من صفات اكتسابها عن والده في ميدان العلم، فقد كان يارعا في علوم القرآن وتفسيره وأحكامه واختلافات العلماء فيه وكان لعلمه الواسع بما تقدم يصفه ابن عبد ربه بأنه من عجب الدنيا وبياته نسيج وحده(2).

(1) المقرئ، ج 2، ص 168 (نقلنا عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
(2) ابن فرحون: النيبال الذهبي، ج 1، ص 176 - 171، (نقلنا عن ابن عبد ربه وهو مما ليس في كتابه العقد الفريد).

- 192 -
وكان الكثير من علماء الأندلس يتناولون ما يفد إليهم من كتب التفسير المشرقية بالدراسة العميق والبحث، وتتجلى مقدراتهم العلمية وما بلغوه من معرفة واسعة بالتفصيل ومناهجه بما سلكوه تجاه تلك الكتب وتوقف تلك الكتب بالإضافة إلى المعرفة أو بالتصريح لم يرد فيها من بعض المعلومات. أو بالاختصار لم يفصل منها في صورة تنم عن مستواهم العلمي ونضوجهم الفكري. فذكر أن العلامة عبد الربحمن بن مروان الانصاري - المعروف بالقنازني (ت ٤٢٦ / ١٠٠٢ م) ارتحل إلى المشرق فأخذ عن العلماء وسمع عن الكثير منهم، ثم عاد إلى الأندلس سنة (١٢٧١ هـ / ١٨٥١ م) ليبحث علمه وينشره بين الناس فرأى من الفائدة العلمية وتيسير المعرفة لدارسي تفسير القرآن أن يختصر تفسير ابن سلام فتناول ذلك بطريقة علمية ماهرة تنم عن مقدرته العلمية وسعة معارفه في التفسير (١).

وكان للكثير من العلماء اهتمام وعناية بعلوم الدين عامة ومن بينها التفسير. فالعلامة محمد بن عبد الله المجي (٤٢٦ - ١٣٤٥ هـ - ٩٣٧ م) كانت له جهود علمية مختلفة في الحديث والفقه والتفسير، وما يتعلق بالتفصيل تصنيفه لكتاب في تفسير القرآن (٢) ولا رغم أن ارتباط نشاطه العلمي بعلوم الدين ومعرفته الوعاسة بتلك العلوم كان له تأثيره الكبير في تعزيق معرفته بتفصيل القرآن ومعرفة أحكامه، وما يصل بذلك إذا أن الحديث والفقه أكثر العلوم ارتباطا بالقرآن الكريم في تفسير معناه ومعرفة أحكامه.

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٢٦٩.
(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٧٢.
وكان للقاضي منذر بن سعيد البيلوطي (1) دراسات مهمة في ميدان التفسير وأحكام القرآن الكريم، فقد وصف بحفظ أقوال العلماء في تفسيره وأحكامه ووجوهه وحلاله وحرامه، وصنف في ذلك تأليف عديدة منها كتاب الأحكام وكتاب "الناسخ والمنسوخ" وكتاب في "تفسير كتاب الله العزيز" (2).

والعلامة قاسم بن أصبغ البياني مشارك في ميدان التفسير، حيث صنف كتابا في احكام القرآن الكريم (3).

ونسب للوزير الكاتب أحمد بن محمد بن بر (ت 1846هـ / 1877 م) كتاب في تفسير القرآن الكريم باسمه "التحصيل في تفسير القرآن" (4) ومع أن الحمدي ذكر ذلك العلامة في كتابه جذوة المقتبس (6) إلا أنه لم يشر فيه إلى تصنيفه للكتاب، وهذا مما يدعمنا إلى الشك في نسبة ذلك الكتاب إليه. إضافا إلى ما وصف به من عناية بالآداب والشعر وانه لم تذكر له سابقة في علوم الدين، ونحن نعلم أنه لايفسد كتيب الله العزيز أديب أو شاعر بل عالما بالدين عارف بالقرآن الكريم وفسيره وأحكامه.

وكان له مهارة المقرى مكي بن أبي طالب في علوم القرآن أكثر في أكتسابه معرفة جمة في ميدان التفسير ووجوهه المختلفة، فقد صنف في تفسير (1) البيلوطي: نسبة إلى فحص البلوط. وهي ناحية من ناحية قرطبى (الحميري: المصدر السابق، ص 140).

(2) الزبيدي: طبقات النحويين، ص 29 - الحميري: المصدر السابق، ص 14.

(3) حاج خليفة: كشف الملخص، ج 1، ص 20.

(4) البغدادي: المصدر السابق، ج 1، ص 72.

(5) ص 15: وذكر الحمدي أن الأديب المذكور كان جيا سنة 446هـ - حيث رآه زائراً صديقته ابن حزم بضع مرات. وفي هذا اشارة إلى مسابقة البغدادي للصواب عندما ذكر رفتته سنة 418هـ.

- 194-
القرآن، وأحكامه كتاباً قيمةً، حيث ذكر ابن خير أن له كتاباً في ذلك اسمه 'البداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفصيله وأنواع علمه' في سبعين جزءاً، وله أيضاً كتاب غريب القرآن. وإذن شيخه محمد بن مكي بن أبي طالب حدث بهما.(1).

وبهذا يتجلى لنا المشاركة الطبية التي قام بها الأندلسيون في ميدان التفسير وبيانها في مقدمتها تفسير بقي بن مخلد الذي يعتبر وساماً وضاء في الدراسات القرآنية للأندلسيين والذي لم يكتف الأندلسيون بذلك فنشطوا في ميدان البحث والتأليف حول القرآن وما يتعلق به من تفسير وأحكام فاخرحوا في ذلك إنتاجاً علمياً قيمةً.

---

(1) فهرسة مارواه عن شيوخه، ص 32-44، ص 17-67. كما أن الانباري ذكر هذين الكتابين في كتابه نزهة الأئمة، ص 254-255، ص 195-250.
سبق علم الكلام - موقف الأندلسين منه وآخر ذلك في
ضعف الأندلس بن أبي محمد المتضمن في عصر الفلك - عبد
الله بن مسعود وابن أخيه - محمد بن وهب القرشي - محمد بن أحمد
الشافعي.

لأتي تستعمل الحديث عن نشاط الأندلسين في العلوم الدينية يتوجب
علينا أن نتعرف على موقفهم عن علم الكلام والشافعي بن، وقد عرف العلماء
هذا العلم بأنه (العلم الذي يتضمن الحجاج [المجادل] عن العقائد الإيمانية
بالأدلة العقلية والرد على المبتدع المتحرين في الاعتقادات - عن مذاهب السلف
وأهل السنة وسر هذه العقائد هو التوحيد(1).

وكان الخروج المتفائل بهذا العلم في منهج أهل السنة والجماعة أثر في
تقلب الفقهاء ضدهم، فالفقهاء يرون في علم الكلام أنه بدعة من الدعاء التي
يجب محاربتها والتنكيل باتباعها، ولذا وقف علماء المسلمين عن أهل الكلام
على أنهم أهل بدع وزن، فيشير الضبي إلى كلم ابن عبد البر النمري عن
هذه الموضوع فيقول (أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل
الكلام أهل بدع وزن ولا ينودون عند الجميع في طبقات العلماء) كما ذكر ابن
عبد البار في كتابه بيان العلم حال أهل الكلام فيقول (أهل الاهواء عند ماك
وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلف فهو من أهل الاهواء والبدع
اشعريا كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام ويفجر ويؤدب على
بدعته فإنه تمادي عليها استنبذ منها(2).

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص ، 458.
(2) بلغة التمس: ص ، 167.

- 196 -
وبناء على ذلك فإن أصحاب علم الكلام كانت ترى فيهم جماعة المسلمين هذا الرأي وتعاملهم على أنهم أهل ضلال. ومن ثم كانت تبادر إلى التصدي لهم، وأحرق كتبهم، ففي الأندلس كان لفقهاء الملكية دور بارز في القضاء على المتكلمين وعلى أيّة حركة تستهدف الخروج على مذهبهم الذين ساد الأندلس.

وقد أشار المقدسي إلى كراهيتهم لعلم الكلام وغضبهم لاتباعه، وأُنْهُم إن عثروا على معتزلٍ فقد يكون نقصه القتل. 

وهذا باب شك يعطيتنا دليلا واضحا على الموقف الصارم الذي اتخذه علماء الأندلس تجاه أهل الكلام ودراساتهم، وكان الموقف العلمي الذكور أثر في القضاء على تعدد المذاهب ومنع تسرب الichertارات إلى الأندلس، الأمر الذي أدى إلى ضعف اشتغال الأندلسيين به، وهذا ما عبر عنه ابن حزم بقوله (وأما علم الكلام فان بلادنا وإن كانت لم تتجاوز فيها الخصوم، ولا اختلاف فيها النقل، فقل لذاك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عربية عنه...).

ورغم تضافر جهود فقهاء الأندلس في محاورة علم الكلام والتدقّيق على المتكلمين إلا أنه ظهر بعض المشتغلين به، ومن هؤلاء يحيى بن السمينة (ت 916 هـ / 1510 م) الذي ارتحل إلى المشرق، وليه ثار علماء الكلام وتائر بأقواله وآرائهم في ذلك، ثم نقلها إلى الأندلس، وكانت له وارئهم في الاعتزال.

(1) لforc تفوق أكثر على حال هذا العلم عند المسلمين بما يقبل فيه سبب ظهوره في المجتمع الإسلامي انظر ابن خليفة: المقدم، ص 58، وما بعد ذلك عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، ص 260.
(2) حسن التقاسيم، ص 23.
(3) المقدمة: النفح، ج 2، ص 17 (نقل عن رسالة ابن حزم في فضل علماء الأندلس).
(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج 2، ص 188.

- 197 -
ونسب الاشتغال بهذا العلم إلى خليل بن عبد الملك بن كلب، من أهل قرطبة ونسب ما نسب إليه من اعتناء آراء أهل الكلام، فقد اجتمع العلماء بعد موته وأخرجوا كتبه ثم أحرقوها بالنار، إلا ماله علاقة بالفقه (1).

وظهر في عصر الخليفة محمد بن عبد الله بن مسيرة (٦٦١-٠/٦٣/٢٢٦ - ٨١٤/٢٠٦) واشتهر باعتنائه إراء في علم الكلام تنافي تعاليم الشريعة الإسلامية ووصفه الحميدي بقوله (كان على طريق من الزهد والعباد بسق فيها، وافتن جماعة من أجلها وله طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية وتواليف في المعاني نسبت إليه بذلك مقالات تعود بالله منها والله أعلم به) (2).

ويعتبر ابن مسيرة هذا من أبرز المشتغلين بعلم الكلام إلى جانب اشتغاله بالفلسفة مما استوجب تدخل الدولة في القضايا على آرائه وعلى ما اتبعته أصحابه من بدء خارجه على الدين (3)، ففي التاسع من ذي الحجة (٤/٤٢١/٧٠١) - قريء على الناس بجامعة قرطبة والزهراء كتاب الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر بن加拿ر لما ابتدأ أصحاب ابن مسيرة من أفكار خارجه على الدين واستمتاتهم الناس إلى مذهبهم وسترهم بالزهد، وأن الخليفة أخذته الحمية للدين فاعتز إلى المذكور بسبيع هذه الطائفة والتحقيق معهم ورفع أمرهم إليه لينظر في شأنهم فسعى الوزير إلى تحقيق ذلك (4).

(1) ابن الفرسي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩.
(2) جنوة المقتبس: ص ١٣٢.
(3) الفهرسة المضبوطة: ص ٣٨٢.
(4) حسن موسى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٠.
وفي سنة ١٣٢٠ه. جيء بجماعة من أتباع ابن مسيرة إلى القاضي محمد بن يبقي فائرماً لديهم من كتب فاحترق وأصحابها ينظرون إليها بين الحاضرين وقد ألف القاضي المذكور كتاباً في الرد على ابن مسيرة وتفنيد كلمة حول الديعة.

وكان لاحتكاك الأندلسيين بعلماء المشرق وتاثيرهم بالمجالس العلمية هناك وما يدور في بعضها من مناظرات وجدل بين المتكلمين أكثر في اعتقادهم الشديد من الأفكار الكلامية، وتاثيرهم بعقائد المتكلمين فأخذهم هو محمد بن وهب القبرى، ارتحل إلى المشرق فأطلق على علم في المعياني والراء الكلامية ثم عاد إلى الأندلس لبث أفكاره وما اعتنقه من تعاليم فأظهر شيئًا من ذلك فشاع الناس عليه في ذلك ووضع نفسه موضوع السخط والكرامية.

ومن المتكلمين الذين وفدو إلى الأندلس محمد بن أحمد الشافعي (١٣٢٠ه./١٩٠٩م) حيث أنزله الخليفة الحكم منزلاً كريماً، ولكن مالبث أن سخط عليه فأخرجه من البلد لما عرف عنه من اعتناق لأراء المعتزلة ونشره لها بين الناس.

وفيما فإن علم الكلام كان بدعه من البدع، ولا شك أن أتباعه بخروجهم على ما رسمته الشريعة الإسلامية من وجوب التسليم بما أنزله الله عز وجل من تعاليم عن توحيد والإيمان به مطلقًا - لا شك أنهم بخروجهم على ذلك قد استوجبوا سخط الأمة الإسلامية وكراهية جماعة المسلمين لهم فلم تستقم لهم.

---
(1) النباتي: تاريخ قضية الاندلس، ص ٢٧.
(2) الحميدي: الجنوبي، ص ٩٦ - الضبي: البغية، ص ١٣٠ - ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٤٩٧-٤٩٨.
(3) الصندي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧.
قناة ولم يعمر مذهبهم طويلا، وقد وضع لنا من خلال هذا البحث صرامة موقف الفقهاء المالكية في الأندلس. في ممارسة المتكلمين وارائهم باعتبارهم أهل بدع وزيغ وضلال، وبذلك تدرك حال علم الكلام في الأندلس. وانكماشه بسقوط أتباعه أمام قوة أهل السنة.

وخاتمة القول في دور الأندلسيين في ميدان العلوم الدينية، أنهم استطاعوا أن يطرقوا كل أبواب العلوم الدينية وأن يحققوا في ذلك نشاطاً علمياً رائعاً فقد شهد عصر الخلافة النهضة علمية قوية في كل ميادين المعرفة، ولما كانت العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وقراءات هي العلوم الأكثر التصاقا بعقيدة المسلمين في الأندلس، فقد توفر على دراستها أعداد هائلة من العلماء. وقد حظيت هذه العلوم منذ عصر الإمارة بكثير من الاهتمام والعناية، حتى إذا جاء عصر الخلافة كان النشاط العلمي في أوج قوته وذروة ازدهاره، فاقبل علماء الأندلس بهمة ونشاط على البحث والتأليف في تلك العلوم وتمكنوا من إخراج روائع من الإنتاج العلمي تشهد لهم بالبغاء والتقوف العلمي.

ويمكن أخذنا لوقوفي على هذه الحقيقة أن يتصف كتاب ابن الفضي (تاريخ علماء الأندلس) أو غيره من كتب التراجع الادلسيسة ففيها ما ثبت أن الأندلسيين كانوا في ذلك العصر قد بلغوا شوتو كبرى في الازدهار العلمي، وأنهم استطاعوا أن يشاركو غيرهم من المسلمين في الأقطار الأخرى في دعم المكتبة الإسلامية بنفقات الكتب في الفقه والحديث والتفسير والقراءات.

٢٠٠٠ -
الفصل الثاني
الأدب والنحو وعلوم اللغة

أ - الأدب:
أولا - النثر.

( النثر الفني - النثر التأليفي الأدبي)

ثانيا - الشعر.

ب - النحو وعلوم اللغة.
1 - الأدب:

أولاً - النثر:

والنثر بدوره ينقسم إلى نوعين:

١ - النثر الفني.

ب - النثر التأليفي الأدبي.

وسوف نبدأ الحديث عن النثر الفني.
النشر الفني

تعريف النثر الفني - أهمية الكتابة عند الأندلسيين - منصب الكتابة في عصر الإمارة ثم في عصر الخلافة، وأبرز من تولاه تأثير الأدب المشرقي في الانتاج الأدبي الأندلسي المتصال بالنثر الفني - غلة الكتابة الديوانية على أنواع الكتابة الفنية - سمات الكتابة الفنية آنذاك - النثر الفني في فترة الحجابه وما اتسم به - بروز الشخصية العلمية الأندلسي في هذا الحقل الأدبي - من أبرز أدباء هذه الفترة - عبد الملك الجزيري - ابن دراج القسطي - أحمد بن عبد الملك بن شهيد - كتّاب الأندلس وبراعتهم في النثر والشعر على حد سواء.

النشر الفني يقصد به: أسلوب الرسائل الديوانية، والإخوانيات، والوصايا وغيرها من مواضيع النثر الفني(1).

ومن الطبيعي أن ينال ميدان النثر الفني نصيبًا كبيرًا من الاهتمام بعد أن انتشرت نشاط الحركة العلمية. وقد برز في عصر الخلافة عدد كبير من الكتاب البلغاء الذين ألغوا هذا الميدان بإنتاجهم الأدبي الرفيع.

ونظر لأهمية الكتابة وما نالته من عناية لدى الأندلسيين فقد كان لكاتب الرسائل منزلة جليلة في قلوب الناس، ولكن هذا لا يشفع له من انتقادهم إذا جنح عن الصواب، وكان لسمو منصب الكتابة أن كان صاحبها يشرف ويتعظم بذلك في المخطبات(2).

__________________________
(1) مصطلح الشكعة: الأدب الأندلسي، ص. 57.
(2) المقرئ: نفح الطب، ج 6، ص. 176 - إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص. 270 - بطرس البستاني: دائرة المعارف، ج 4، ص. 839 - وبالإضافة إلى كاتب الرسائل كان هناك كاتب الزمن وهو المسؤول عن شؤون الخراج ويفترض فيه أن يكون مسلما لاحتياج اميان الناس وروجتهم إليه (المقرئ: النفح، ج 6، ص. 217).
وفي عصر الإمام كان يضم بلاط الدولة أكثر من كاتب، وهو أمر كان
يبدو أنه من مقتضيات السياسة وما يفترضه نظام الدولة(1) إلا أنه في عصر
الإمام عبد الرحمن الأوست نرى أنه قد استجذب نظام جديد في الكتابة، إذ
اختص ذلك الأمير بكاتب خاص يدعى محمد بن سعيد الزجالي واتخذ لوزرائه
كاتبا خاصاً لكتاباتهم(2). وقد استمر هذا النظام حتى سقوط الدولة
الأموية(3).

وحينما تولى الأمير عبد الرحمن الناصر وقبل أن يتلبب بالخلافة قام
بالكتاب له الكاتب عبد الله بن محمد الزجالي الذي يعتبر من كبار الكتاب
البلاغة، وهو الذي أنشأ البيان الخاص بمروج ابن مسيرة(4).

وسجل الزجالي في منصب الكتابة حتى توفي 961/3-13 هـ: فتاولها
بعده الأديب عبد الله بن بدر، إلا أن عبد الرحمن الناصر عزله سنة
32 هـ، وولي الكتابة بعده عبد الملك بن جهير الذي عزله هو الآخر سنة
964/3-17 هـ، ليقول الكتاب عبد الحميد بن يسحى الذي لم تطل مدة في ذلك
المنصب ليعود عبد الملك بن جهير إلى الكتابة مرة أخرى(5).

وفي عصر الخلافة اتسمت مهام صاحب الرسائل، وتشعبت وظائفه،
نظراً لما استنجد من أعباء ومسؤوليات، وبذلك رأى المصلحة أن يكون هناك
أكثر من كاتب لمواجهة الأعباء الملقة على كاهل الدولة، وهذا ما حدد

---

(1) للاطلاع على اسماء كتاب الأمراء انظر: البيان المغرب ج 4، ص 80-68-61-93-15-
(2) ابن حيان: المقتيس تحقيق محمود مكي، ص 34-25.
(3) ابن حيان: المصدر السابق، ص 35.
(4) محمد عبد الهليل متنا: دولة الإسلام في الاندلس ج 7، ص 200-70-8-08، (وائل في ذلك البيان
المغرب، نفس المرجع والمجلة، ص 08-70).
(5) ابن عذاري: البيان المغربي ج 2، ص 165.
بالخليفة عبيد الرحمن الناصر سنة 944 هـ إلى تعيين أربعة من الكتاب يحمل كل منهم لقب وزير ويتولى النظر في جانب من منصبه الكتابة (فقد الوزير جهور بن أبي عبيدة النظر في كتاب جميع أهل الخدمة، وقلد الوزير عيسى ابن فطيس النظر في كتاب أهل الغنور والسواحل والأطراف وغير ذلك)، وقلد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجال النظر في تنفيذ كل ما يخرجه من العهد والتوقيعات، وينفذ به الأمر أو الرأي وغير ذلك، وقلد الوزير محمد بن حدير النظر في مطالب الناس وحوارجهم، وتخلص التوقيعات لهم، فالتزم القائم مالزمو، فاعتدى بهم ميزان الخدمة، وسهبت مطالب الرعية).

وهكذا نلاحظ أن منصب الكتاب كان له دور بالغ في تيسير وتسهيل أمور الدولة ومما يصدر منها من قرارات تخدم أهداف الدولة والمجتمع على حد سواء.

ويأتي في مقدمة كتاب عصر الخلافة جعفر بن عثمان الصحفي الذي استعمله الحكم المستنصر أثناء ولايته للعهد كاتبه لديه، ومنذما تولى الخلافة عينه وزيرًا وإيقاه على وظيفة الكتابة، (وكان مقدما في صناعة الكتابة، مفضلًا على طبنته بالبلاغة، ولم شعر كثير من الدار على تمكنه من الإجادة، وتصرفه في أفائمه البيان). وفي هذا دليل على ما كان يحرص عليه الخلفاء من تعيين ذوي الكفاءات الأدبية الناجحة في منصب الكتابة.

وذكر ابن عذاري أنه لفظ الخليفة الحكم المستنصر في جعفر فقد جمع له إلى جانب الكتابة الخاصة الكتابة العليا وهي خطه الكتابة.

(1) ابن عذاري: البيان المغربي، ج2، ص. 27، 258، 267-.
(2) ابن البار: الطلي السيراء، ج1، ص. 257.
(3) البيان المغربي، ج2، ص. 254.
وإضافة إلى ما أشرنا إليه من الكاتب فقد كان لبعض النساء دور بارز
في ميدان الكتابة الفنية، فقد اختص بعض الخلفاء ببعض الكاتبات. فكان
من اختص الخليفة عبدالرحمن الناصر الكاتبة مزنة (ت 840 هـ/1438 م) وقد
وصفته هذه الكاتبة بالأدب الواسع، وحسن الخط (1).

كما اختص الخليفة الحكم المستنصر بكتابية تدعى لبندى
(ت 937 هـ/1532 م) وقد عرف عنها البراءة في الكتابة وجودة الخط (2).

ولا ريب أن دخل الكتب الأدبية الشرقية للأندلس إلى جانب التأثيرات
الأدبية للمشرق في أدباء الأندلس كان لهما التأثير ما يكفي لطبع انتاجهم
في هذا الميدان بالطبع المشرقى، فلو عدنا قليلا إلى ما قبل عصر الخلافة
لرأينا الأديب فرج بن سلام القرطبي قد رحل إلى المشرق، ودرس على أدبائه
وفي مقدمتهم أديب المشرق عمر بن بحر الحافظ فأخذ عنه علمه وتصانيفه
الأدبية مثل البيان والتبيين (وخف على قلب الحافظ، فاستكثر منه، وكتب
كثيرا من مصنفاته ورسائله، فكان أول من ادخلها الأندلس) (3).

ومن غير شك أنه كان لتلك الكتب تأثير واضح في تلويين صور الإنتاج
الأدبي الإندلسي، ومنها بطبيعة الحال النثر الفني الذي أخذ يتجه إلى
الاهتمام بالبدء والوضع والختام، وانعكست عليه فخامة الخلافة فكثرت
الألقاب، والجمل الدعائية المفخمة والعبارات الاعتراضية المعظم (4).

ويبدو من خلال الإطلاع على ما وصل إلينا من ضروب النثر الفني أن ذلك
أن الكتابة الديوانية كانت غالبًا على أنواع الكتابة الفنية، ولذلك لم تظهر

(1) الضبي: بغية المئتمس، ص 161 - ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص 166.
(2) ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص 166.
(3) ابن حيان: المتنبي، تحقيق محمود مكى، ص 164.
(4) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي، ص 162.

- 207 -
الكتابة الديوانية كانت غالبة على أنواع الكتابة الفنية، ولذلك لم تظهر الكتابة الإنشاتية المستقلة إلا في أواخر عصر الخلافة بظهور كتاب بارعين ألغوا ميدان الكتابة الفنية بامتلاك رفيعة من كتاباتهم الإنشاتية(1).
وتدل الكتابة الرسمية في هذه الفترة على تفضيل الإيجاز والقصد في التعبير وإثراء المعنى(2). ومن نماذج هذه الكتابة خطاب عبد الرحمن الناصر إلى أحد المتمردين الذي كان قد تحرضه بأحد الحصون، وقد جاء فيه (ولنا رأيناك قد تزرعت باظهار انتقاء الله رأينا أن نعرض عليك أولاً ما لا بد لك منه أخراً، وليس من أطاع بالمال كمن أطاع بعد الفعال فبادرمستلما إلى قرطبة(3)) ومن الأمثلة أيضاً على هذه الكتابة خطاب الخليفة الحكم المستنصر إلى وزيره جعفر المصحفي، وكان قد أصابه مرض شديد فافدى اذاً مات بتحقيق بعض المطالب لورثته فبعث إليه الحكم برسالة يعده فيها بتحقيق ما أوصى به ويسأل له الشفاء والعافية(4).
وكان الخطاب السياسية والدينية تمثل لونا من ألوان النثر الفني البديع.
فمن النماذج السياسية للنثر الفني خطبة منذر بن سعید البلوطي في الحفل الذي أقامه الخليفة عبد الرحمن الناصر (1263هـ/1848م) لاستقبال وفد إمبراطور الروم قسطنطين السابع(5).

(1) إحسان عباس: المرجع السابق، ص 226.
(2) إحسان عباس: المرجع السابق، ص 226.
(3) إبن سعید: المغرب، ج 1، ص 184.
(4) إبن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 69.
(5) إنظر هذه الخطبة البلوطي في النبهان: تاريخ قبيلة الأندلس، ص 67. 68. 69.
والإمبراطور المذكور يدعى ريمانوس حكم من سنة 1569م إلى 969م، وقد عرف عنه ميله إلى العلم والأدب.
(سعد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج 1، ص 408، 409.
208 -
وإنذر بن سعيد خطب دينية تتسم بالبلاغة وجزالة القول، وقد وصفه الصمادي بقوله (كان عالما فقيها، وأديبا بلغغا، وخطيباً على المتابرين في المحافل مصقاً) (1).

وعرف عن الأديب أحمد بن محمد بن أضحى البلاغة، والتقدم في البيان، فمن خطبه ما قاله بين يدي الخليفة عبد الرحمن الناصر، حيث قال:

الحمد لله المستحب بنور عظمته عن أصبار بريته، والدال بحدود خلقه على أولته، والمنفرد بما أتى من عجائب دهره ومن صديقته (2).

وفي فترة الحجاب، ازدهرت حركة النثر الفنية فلمع في ذلك الوقت كتاب بارزون يحررون الرسائل ويرصدون المنشورات ويسعون الوقائع والأحداث المهمة وصفاً تفصيلاً (3).

وتجلت في النثر الفني تأثيرات مشرقية مقتبسة عن طريقة ابن العميد، والتي تمثل إلى الإيلام، فتعتمد على المحسنات من سجع وجناس (4).

ويبدوا أن النثر الفني في مسيرته قد تعرض لألوان من التأثير الفني المشرق، ففي بداية الحركة النثرية كان أسلوب الاحظ يغلب على كتابات الأندلسيين ثم مات الحال أن تطور لتحل تأثيرات مشرقية جديدة كطريقة ابن العميد. ولكن الحال لم يدم على هذا التقليد بل لم بيت الأندلسيين أن بلغوا درجة أرقي وأسمى من ذى قبل، فظهر الكثير منهم نبوغا وأبداعا وكان لترسمهم بالكتابة الفنية وانتشارهم الدائب بها أثر في توليد ظاهرة النقد التي.

(1) جزيرة المنتب، ص 248.
(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج 1 ص 151.
(3) أحمد هيلك: الأدب الأندلسي، ص 328.
(4) أحمد هيلك: نفس المصدر والصفحة.

- 209 -
اسمته في نقاء الكتابة الفنية وتخليصها من الشوائب، فهذا الأديب أحمد بن سعيد بن حزم (تقربا من 400 هـ/900 م) يقول في هذا الصدد (إني لأعجب من يلمح في مخاطبته أو يجلب بلغته فلتقه في مكاتبه، لأنه ينبغي له إذا شك في شيء أن يتركه ويطلب غيره فالكلام أوسع من هذا) (1).

ويتجلى من خلال هذا النص مدى مالحق الكتابة الفنية في الأندلس من تطور ورقى، وأنه أصبح هناك الكثير من الأدباء والكتاب الذين اتصفو بالنظرة الفاحصية البصرة النافذة في تقييم الإنتاج الأدبي من الكتابات الفنية، ولا شك أنها ظاهرة صحية في ميدان المعرفة.

ويأتي في طليعة كتاب هذه الفترة أبو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري الذي تولى الوزارة والكتابة للمنصور بن أبي عامر ثم لابنه عبد الملك، وما من شك في أن ما اتصف به من أدب واسع وبلاقة في القول كان له أثره الكبير في توليه تلك المناصب، فقد كان (عامةً أديبا، شاعراً غزيراً الماده، معدوداً في أكابر البلاء ومن ذوي البديه في ذلك ولله رسائل واشعار كثيرة) (2).

وقد أظهر عبد الملك براعة ومقدرة في كتاباته التي كان يكتبها في بساط المنسور بن أبي عامر ثم لابنه عبد الملك، وقد عرف عنه في كتاباته ميله إلى طريقة الكاتب المشهور عبد الملك الزيات (3).

ومن المؤسف أن كانت نهاية عبد الملك حزينه ومؤله ولا تناسب مع مقامه

(1) الحمدي: الجنوبي، ص 126، الخبي: البغية، ص 182،
(2) الحمدي: الجنوبي، ص 126،
(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ج 1، ص 221،
الأديب إذ قضى آخر عمره سجيناً بامر عبد الملك المظفرٍ (1)، وقد وصف ابن
حيان مكانته الأدبية بقوله (ولم يخلف سمعه كتابة وخطابة وبلاغة وشعره وفهمه
ومعرفة ويه ختم كتاب اندلس رحمه الله) (2). وخلف عبد الملك في ديوان الأنشاء الأديب أبو حفص بن برد (ت 420هـ/717م) وقد تولى هذا المنصب لدى الخليفة هشام المؤيد بالله ثم للمستعين وغيره، ووصف هذا الكاتب بالبلاغة روعة البيان، فقد أشار ابن
بسام إلى مقدرته الفائقة في الكتابة وأنه أسعد بالبلاغته الصم بياناً، وإن له
رسائل تعرب عن مقامه الرفيع في هذا الميدان (3).

ويحتل الشاعر المشهور ابن دراج القسطلي مكانة سامية بين كتاب تلك
الفترة، فكان من كتاب الأنشاء في عهد المنصور مدعو في جملة العلماء
والادباء، وكانت طريقة في البلاغة والرسائل تدل على براعته، وحسن طريقة
في الكتابة (4).

ويتضمن من أطلع على رسائل ابن دراج وكتاباته النثرية عنايته الشديدة
بانتقاء الألفاظ المناسبة التي تؤدي المعنى في صورة بديعة وجميلة، ويحيى
ديوانه الكثير من رسائله التي تؤكد ذلك، ومن كتاباته النثرية الرائعة وصفه

(1) لم يشر أي مؤرخ ممن ترجم عبد الملك الجرنيري أسباب سجنه ولكن ابن بشكوال في كتابه
الصلة، ج 2، ص ٧٥٧، يقول (وهو بالطريق في سخطة المظفر عبد الملك بن أبي عامر في
ذى القعدة سنة ٣٩٤ه).
(2) ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٧٥٧ (نقول عن ابن حيان فيما لم يتوفر بين أيدينا من
كتاباته التاريخية).
(3) النخيرة، القسم الأول، ج ١، ص ٨٤.
(4) الجRedis: الجدوه، ص ١١٠.
- ٢١١ -
فتح شنت ياقب(1) حيث أبدو في الوصف، وحاز على سرور الحاجب المنصور
واعجابه(2).

وفي أواخر عصر الخلافة يلمع في سماء الكتابة الفنية الأديب البارع
أحمد بن عبد الملك بن شهيد، (المولود 1282هـ/1862م) وكان لابن شهيد أراء
صائبة وتعليم موفقة في ميدان الكتابة فقد عرف عنه التمكن في ميدان الأدب
والتصرف في وجه البلاغة. وقد تكلم عن الملكة الأدبية سماها (الطبع)
وكيف تقوية بالثقافة ومدى تأثيرها في العمل الأدبي، كما تحدث عن أثر البيئة
والظروف السياسية والاجتماعية في الأندلس والملك(3).

ولم يلزم ابن شهيد أسلوباً معيناً في كتباته إلا أنه كان أكثر اعجابا
بالبديع وكأنما انشأ رسالته في البرد والنار والحطب والحواء ليحاكي المقامات
فهي مفتون بقدرة البديع في الوصف(4).

ونظر لمكانته الأدبية فقد وصفه صديقه ابن حزم بقوله (ولنا من البلاغاء
أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا، وهو حي لم يبلغ سن الاكتهال

(1) شنت ياقب طبع في منطقة جليقية بالشمال الغربي، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى ما يزيدبه
النصوص عن ابن بحر العقود الباروئ، وكان المنصور قد قام بحملته الثالثة
(328هـ/1232م) يسادسه في ذلك الأسطول الذي تحرك من مرساة الامام قصر ابن رأس في
مياه البرتغال الحديثة (انظر: محمد عبد الله عمان: دولة الإسلام في الأندلس، ج 2،
ص 59).

(2) الحميدي: الجذرة، ص 117.

(3) أحمد هيك: الأدب الاندلسي، 294 - 1295.

(4) حسين بن عيسى: المرجع السابق، ص 377.

- عن بعض رسائل ابن شهيد في الوصف انظر التحلي: يتيمة الدهر ج 2، ص 64 وما
بعدها، والاصتفا: خردة القصر، ج 2، ص 164 - 162.

- 212 -
وله من التصرف في وجه البلاغة وشاعرها مقدار يكاد ينطاق فيه بلسان مركب
من - لسان عمرو وسهل(1).

ولعل من دلائل اهتمام أدباء الأندلس بهذا الجانب الفني من الأدب أن
عكف البعض منهم على دراسة ميدان الكتابة الفني والبحث في أفضل السبل
الكفيلة بإخراج ألوان النثر الفني في صور جيدة وقيمة. فقد قام الأديب عبد
الله بن محمد البطليوسي (ت 421 هـ/1030 م) بدراسة كتاب أدب الكاتب لأبن
قتيبة الأديب الشرقي (ت 527 هـ/1130 م) ووضع له شرحه مفيداً(2).

ويبعد أن الأندلس قد حفظت بأعداد كبيرة من الكتاب الأسرى الذين دفع
أحد العلماء وهو محمد بن موسى بن هشام (ت 990 هـ) إلى تصنيف كتاب في
طبقات الكتاب بالأندلس (3)، وكان هذا الأديب حيا في عصر الإمارة وتوقي
قبل عصر الخلافة. مما سبق ذكره يتبين لنا مدى ما وصلت إليه الأندلس في
هذا الهضمار الأدبي المهم، وأن عصر الخلافة غير شك قد حظي بالإعداد من
الكتاب أكبر وأكثر من عصر الإمارة، وفي ذلك دلالة على النهضة الأدبية
الكبيرة التي عاشتها الأندلس في عصر الخلافة.

وختاماً فإن ميدان النثر الفني كان في تطوره وإزدهاره مماثلاً لما سارت
عليه بقية العلوم والأدب من اعتماد على التثبيرات العلمية للمشرق في بداية

(1) المقرئ : فتح الطيب ، ج 4 ، ص 178 (نقلٌ عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
- عمر بن بحر بن محصور الملقب بالجاحظ بد البصرة، ونشأ في بغداد كان من نويع
الأدب والبلاغة والفصوله يميل إلى المتعظة في مذهبه، ألف عدداً من الكتب الملموسة في
الأدب كالبيان والعنيفين والحيوان (ابن نباتة سرح العين ، ص، 14 - 14)
- أما سهل : فهو سهل بن هارون الكاتب من نمسور، تقول في مذماره بالبلاغة، له كتاب في الأدب:
ويعد حلي منصب الكتابة لدى الخليفة الممتون (ابن نباتة) المصدر السابق، ص: 138 – 137 (3).

(2) حاجي خليفة : كشف الغطائين ، ج 1 ، ص 49 – 48 ، 48.
(3) الحمدي : الجنين ، ص 88.
- 213 -
الأمر، ثم ما لبث الحال أن تغير ليبدأ الأندلسيون في محاولة التخلص من قيود التقليد والمحاكمات لغيرهم، لينتهي الأمر بوضوح الشخصية الأندلسية وبروزها، وهو ما نلاحظه في الإنتاج الأدبي لعدد من كتاب الأندلس، كابن دراج وأبن برد وأخيرًا ابن شهيد الذي ذاع عولا ذكره في المشرق والأندلس علي حد سواء برسالته الرائعة «التوابع والزوابع». وقد أشار مصطفى الشكعي إلى براءة كتاب الأندلس وجمعهم بين المهارة في النثر وإجادة الشعر وأنهم (حينما يكتبون يجوزون أجابنا ويثرون دهشتنا بجمعهم بين جوهري النثر والشعر، والإجادة فيها على حد سواء. إذ أن أساتذتهم المشارقة من الكتب كانوا على إجاداتهم للكتابة تضمن احترامهم ونقل موسيقاهم حين يكتبون الشعر).

(1) الأدب الأندلسي موضوعاته ومبناه، ص 695.
النشر التأليفي الأدبي

القصود بالنثر التأليفي الأدبي- عناية الأندلسيين بالأدب-
ما حفل به عصر الخلافة من الأدباء، وابروزهم في ذلك، أحمد بن محمد (ابن عبد ربه) وانتاجه الأدبي - أبو علي القالي ودوره الكبير في إزدهار الحركة الأدبية في الأندلس - صاعق بن الحسن وكتابه الفضوص - ابن حزم وكتابه (طوق الحماة) - هسان بن أبي عبيد وتأليفه الأدبي.

تعني بالنثر التأليفي الأدبي تأليف كتب أدب بمفهوم القرن الثالث والرابع الهجريين لكلمة أدب، فقد كان الأدب آنذاك يقصد به الثقافة العربية الخالصة التي يستهدف بها التأديب ككتاب الكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي، والأنغاني للإصفهاني(1).

والجدير بالذكر أن الأندلس بلغت في عصر الخلافة درجة رفيعة في النشاط الأدبي، ولا عجب إذا قلنا ان الأدب قد استحوذ على جانب واسع من اهتمام الأندلسيين فادعوهم فيه وكان لهم في ذلك إنتاج أدنبي رائع.

وقد بلغ من عناية الأندلسيين بالأدب أن أصبح أغلب علم لديهم ويهتصل إلى صحبة الخلفاء والأمراء وينال به رضاهم، وإذا لم يكن العالم أديباً أو يتصف بشيء من الأدب فانه يكون مستثنئاً في مجال الخلفاء(2).

وبناء على ما تقدم فإن الكثير من العلماء الأندلسيين بمختلف تخصصاتهم العلمية كان لا يخلو أحدهم من أدب أو قرض للشعر، وإن

(1) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي، ص 259 - 260 .
(2) المقرئ: نفح الطيب، ج 1، ص 227 .
تصفحنا لكتاب التراجم الأندلسية ومنها كتاب جذوة المقتبس للحميدي ليؤكد

هذه الحقيقة.

ولم يكن الأمر مقتصرًا على المسلمين بل نجد أن المسيحيين من أهل
البلد كانوا يقبلون على دراسة اللغة العربية وأدابها في حين كانوا يجهلون
الكثير عن لغتهم وأدابهم، وهذا ما دفع مطران قرطبة الفارو إلى أن يقول:
(إن جميع الشبان المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وأدابهم
ويقرأون ويطالعون كتب العرب بلهب ويجتمعون أعدادًا كبيرة من تلك الكتب
بنفقات باهضة ويلعنون في كل جهة على رؤوس الأشواه أعيابهم بذلك
العبد). (1)

ويذكر أحمد أمين أن الأندلسيين أنتجوا في الأدب أكثر مما انتجا في
العلوم الأخرى، وأنهم اثروا من وصف الحياة الاجتماعية بما تضمّه مقالاتهم
بمختلف مشاربها، ومن وصف الطبيعة والواقع العربي وغير ذلك (2).

وأما إشار إليه الكاتب الذكور لا يخلو من الصواب، إلا أن الأندلسيين لم
تكونوا أكثر إنتاجًا في الأدب من بقية العلوم، حيث يبدو أنهم كانوا أكثر
انتجا في حقل العلوم الدينية من بقية فروع العلم، فقد كان علماء الدين أكثر
من الأدباء والشعراء بدل هذا ما حفلت به كتب التراجم الأندلسية من تراجم
الفقهاء والمحدثين والمفسرين، وبالتالي فإن نشاطهم وانتاجهم في مجال العلوم
الدينية كان أكبر وأوسع.

(1) أنخل بالثنيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 485 - 486 - روبرت بريفال: المرجع السابق،
ص 148 - اغناطيوس كريستوفيكي الشاعر العربي في الأندلس، ترجمة ومعلق محمد مثير
مرسي، ص 286 - خوسيه ريبيرا: المكتبات في إسبانيا الإسلامية مقال منشور بجريدة معهد
المخطوطات العربية، ج 6، الجزء الأول، ص 79.
(2) ظهر الإسلام، ج 3، ص 25.
وقد أنتج علماء الأندلس مؤلفات غزيرة وتصانيف في ميدان الأدب وبها استطاعوا أن يرسموا ومجا رائعا للأندلس، إذ احتلت بعض مؤلفاتهم الأدبية مكانة عالية ليس في الأندلس بل وفي الشرق أيضاً.

ونظر للأعداد الهائلة من الأدباء التي حفل بها عصر الخلافة فسوف نكتفي بالإشارة إلى أبرزهم، ممن كان لهم اسمهم وافر في ازدهار الأدب بما قدموا من إنتاج أدبي قيم.

ويأتي في مقدمة أولئك الأدباء أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (762-798هـ). كان بارعا في الأدب وقول الشعر، مما كان له أكبر الأثر في تقريب منزلته لدى الأسرار في عصر الإمارة ثم لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر. كما نال ابن عبد ربه بعلمه ورده منزلة رفيعة وشهرة واسعة بين أدباء عصره.

وقد نشأ ابن عبد ربه بقرطبة وطلب العلم بها ثم رحل إلى الشرق حيث تلقى العلم هناك، وكان لاطلاعه على كتب الأدب الشرقي أثر فور تكريم تواجده وبالتالي في بروز التأثير الأدبي الشرقي في مصانفاته الأدبية وأهمها كتاب (العقد).

ولابن عبد ربه مؤلفات عديدة في الأدب واللغة، ولكن ما يهمنا منها كتابه الأدبي "العقد" والذي عرف فيما بعد "بالعقد الفريد" حيث أن وصفه بالفريد لم يتم إلا فيما بعد وفي عصور متاخره. فلم يذكر ابن الفرضي أو الجحيمいただي أو الضبي ذلك بل أشاروا إليه باسم (العقد) فقط.

(1) الحمدي، ج. 2، ص. 214.
(2) أحمد أمين: المراجع السابق، ج. 2، ص. 88.

- 217 -
ويعتبر هذا الكتاب من روائع الأدب العربي وأركانه وأصوله، كما يعتبر مرآة لثقافة الأندلسيين في الأدب

ولقد اعتمد ابن عبد ربه في تأليفه لذلك الكتاب على ثقافته المشرقية مما أكسبه في رحلاته العلمية، فقد استند في تأليفه إلى العديد من المصادر العلمية لعلماء المشرق كالبرد والأشمعي والمدائني، وابن المقفع، والباحثون

وابن قتيبة وغيرهم.

وتلمح مدى التأثير العلمي للمشرق على الحركة الأدبية الأندلسية من خلال قرأتنا لكتاب (العقد)، ونظراً لما حواله من أدب وشعر لأهل المشرق فالمية يحظ في بابيء الأمر بقبول واسع لديهم حتى قال الصاحب بن عبد – أبرز وزراء بنو يهود في المشرق – عند مطالعته لذلك الكتاب: (هذه بضاعتنا ردة

الينا).

واشار ابن عبد ربه في مقدمة كتابه إلى طريقته في التأليف، فقال:

(وقد ألفت هذا الكتاب وتخرجت جوهره من متخذه جوهر الأدب ومحمد)

---

(1) لطفي عبد الديب: المرجع السابق، ص 76.

(2) أحمد أمين: المرجع السابق، ص 76 – جبريل الشنقطور: ابن عبد ربه وعقردوه، ص 44.

(3) البريد: محمد بن زيد بن عبد الأكبر الأزدي الثامن (1071 هـ – 1885 م) من أشهر أدباء الإسلام، له كتاب الكامل في اللغة (ابن النديم: الفهرست، ص 87).

الأصمعي: عبد الملك بن قريب الباهلي من كبار أهل الأدب، وكانت النروية غلبه عليه، ولد في المدينة: محمد بن عبد الله (135 هـ - 757 م) له كتاب في الغازية وياياً.

المانشي: علي بن محمد بن عبد الله (135 هـ - 757 م) له كتاب في الغازية وياياً.

ابن المقفع: عبد الله بن المقفع، من أثاث الكتاب وأول من عني في الإسلام بترجمة كتاب المنطق ويلي

كتابة الديوانات للمنطوق العباسي (الزركلي: الإسلام، ج 4، ص 16).

وقد مر ترجمة الحاضر إما ابن قتيبة فقد أشارنا إليه سابقاً في الكتاب. وقد حديث عن النثر الفن.

(3) باكوت: معجم الأدباء، ج 7، ص 191، 760.
جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر، ولباب اللباب، وإنما لي فيه الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدرر كل كتاب وما سواء فما خروج من أفواه العلماء ومثير عن الحكماء والأدباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا:

("اختيار الرجل وافد عقله")

وبهذا يتضح المنهج الذي سار عليه ابن عبد ربه في تأليفه كتابه المذكور، حيث كان عنصر [الاختيار] هو العامل الرئيسي في ذلك، فقد انتهى عيون الأخبار والاشعار، ونقل كلام العلماء وأقوال الأدباء، وأسهم أيضا في الكلام عن مقدمة كل باب، والتمهيد له بفرشة أدبية تدلى على بلافغته وأدبه الواسع. وما من شك أن اختياره ما ورد في كتابه من مادة علمية لدليل على ما اتصف به من ثقافة أدبية وإحاطة بمعارف العرب وآخرين.

وقد أشار الحميد إلى منهج ابن عبد ربه في تقسيم كتابه بقوله (وهو مقسم على معان، وقد سمى كل قسم منها باسم من أسماه نظام العقد كالواسطه و نحوها) (١).

ويلاحظ في هذا التقسيم جمال وابداع حيث جعل من كتابه عقداً بديعاً يحتوي على خمسة، وعشرين حبة من جهة، وخمسة وعشرين حبة من جهة أخرى، وفي وسطها كلها واسطة العقد، وسمى كل باب من الأدب باسم جوهره، فتشكلت قلاده جميلة تتم عن ذوق فني أضفاه ابن عبد ربه على كتابه المذكور.

وقد نال هذا الكتاب مكانة عالية بين أدباء العرب، إثني عليه أكثر من عالم وآداب ووصف بالقيمة الأدبية لما ضمه من ضروب الأدب والمعارف التي لا تتوفر في غيره من كتب الأدب الأخرى التي فيما ندر (٢).

١ (جذور المقتبس، ص ١٠١)
٢ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٨١١ - ابن العمار: شعرات الذهب، ج ٢، ص ٣٢)
وقد أطلق ابن كثير في الذواح على كتاب العقد وأنه ينم عن فضائل جمهوره وآداب ومعارف كثيرة، إلا أنه لم يغفر له زلاته فاشار إلى تشييعه وتحامله على بني أميه وأن هذا مخالف للمالوف لأنه من موالي بني أميه فكان جديراً به أن يوالياهم.

وعلى الرغم مما قيل عن تشجيع ابن عبد ربه إلا أن هناك ما يثير الشك في نسبة ذلك إليه. فقد ذكر ابن الآبار أن القاسم بن خلف الجبيري أشار إلى أن الفقيه منذر بن سعيد البلوطي نزل على أبيه خلف في داره بطرطوشة.

وأثنا مطالعته لكتبه قرأ احدها وكان يضم ارجوزه لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد، فلما رأى ذلك منذر غضب وكتب في حاشية الكتاب:

أوصا على لا برحت ملعتنا
باب الخبيثة عنكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد
داني الولاء مقدم الإسلام

وأما من شك أن في هذا الخبر ما يفرض على الباحث إعادة النظر فيما يتعلق بتشجيع ابن عبد ربه وتحامله على بني أمية.

ومن كبار أدباء ذلك العصر الأديب البازر واللغوي الكبير أبو علي اسماعيل ابن القاسم بن عيذون المعروف ب "القالي" (1286-1050 هـ/682-967 م) وكان متضلاً في الأدب واللغة وال نحو عارفاً بها، والقالي من أهل الجزيرة.

(Conv. by Tiff. Combine - No stamps are applied by registered version)}
العراق أخذ علومه ومعارفه عن علمائه كابي بكر بن يزيد الأزردي، وأبي بكر بن الانتبري، وابن درستويه وغيرهم (١).

وقد تغير القالي على دراسة الأدب واللغة حتى أظهر براعة في تلك العلوم وذاع صيته بين علماء عصره. وقيل أن الأمير الحكم المستنصر كتب إليه ورغب في القديم إلى الأندلس، فشاد القالي رحالة إلى الأندلس ودخلها سنة ١٢٣٠ هـ في أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث حظي بمنزلة سامية في بلاد الخلافة كما استفاد الأندلسيون من علمه الواسع في الأدب واللغة.

واختنهو جحة فيما نقله (٢).

والجدير بالذكر أن القالي حين دخوله الأندلس جلب معه الكثير من عيون الكتاب ونفاذية المصنفات الأدبية واللغوية والنحوية لأهل المشرق، وكان من بينها دراويين شعريين للجاهليين والإسلاميين كشعر زي الرمة، ومروي بن قميته والحطيثي والتابية الجعدي، والأخترل، وجميل بن معمر العذرية وغيرهم (٣).

ومما لا شك فيه أنه كان لهذه الكتاب أثر عظيم في دفع عجلة النشاط الأدبي في الأندلس، وانها قد دفعت الأندلسيين إلى ميدان البحث والتأليف في الأدب واللغة والنحو بعد استفادتهم من مطالعة كتب المشارقة ومصنفاتهم التي جلبها أبو علي القالي.

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٦ – المقرئ: النفح، ج ٣، ص ٢٧٧.


(٣) ابن خير: تهريج ما رواه من شيوخه، ص ٣٩٥ – ١٨ – ١٧ – ٩٨، وهنايا الكثير من المصنفات في الأدب والاشعار ذكرها ابن خير في كتابه المذكر.
وكان القالي جم النشاط عظيم الاجتهاد في نشر علومه ومعارفه في الأندلس وقد سبق القول عند الحديث عن التعليم ما كان يقوم به من التدريس بجامع الزهراء، وأنه كان يكتب عنه في مجلس العلم كل خمسة أربع عماة شخص أثناء إملائه الآمالي.

وفي ميدان التأليف العلمي أسد القالي خدمات علمية جليلة بما صنفه من الوان التصانيف في الأدب واللغة والنحو.

ففي الأدب ألف كتابه « الآمالي » وسمي بالنواجر أيضاً، حيث صدر كتابه بمقدمة أثني فيها على الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم ولي عهده ابنه الحكم المستنصر ووجهدهما في نشاط الحركة العلمية، ثم أشار إلى طريقته في تدريس كتابه، وكيف ألماء على تلاميذه، ثم ما تضمنه من المعارف فيقول: (فالمتى هذا الكتاب من حفظي في الأسماء بقرطب وفي المسجد الجامع بالزهراء المبارك، ودعته فنونا من الأخبار، وضروب من الأشعار، وأنواعاً من الأمثال، وغريب من اللغات ...).

والله وقوة حافظته التي أعانته على اكتساب معارفه الواسع في تلك العلوم، كما أن في النص إشارة إلى ما كان عليه جامع قرطب وجامع الزهراء من مكانة رفيعة في حياة الأندلسيين العلمية ومدى إسهامهما في النشاط العلمي وازدهار العلوم والأدب.

والجدير بالذكر أن كتاب الآمالي قد حظي بمنزلة طبية بين كتب الأدب واللغة، ولقي من الأدباء كل ثناء وتقدير، فذكره ابن خير فيما رواه عن شنيجه.

(1) الآمالي: ج2 ص32.
ورغم هذه الكتات العالية التي احتلها كتاب العامل لدى الأندلسين إلا أنه لم يسلم من نقد العلماء. فقد ألف العلامة اللغوي والجغرافي البارع أبو عبيد البقري كتابًا في نقد وتصحيح بعض ما ورد في الإعالي وسمى كتابه "المذكرة" وقال في مقدمته (أبو علي - رحمه الله - من الحفظ وتسعة العلم والنيل ومن الثقة في الضبط والنقل بالملح الذي لا يجهل ويحيث يقصر عنه الثراء الأحفل، ولكن البشر غير مصوصمين من الزلل مبرئين من الوهم والختال، والعالم من عدت هفواته وأحصيت سقطاته. كفى المرة تبلا أن تعد معايبه).

ولأبي علي القالي كتب أخرى منها "الإيل ونتاجها وجميع أحوالها" في خمسة أجزاء، وكتاب "حلي الإنسان والخيل، وشيوخها" وكتاب "مقاتل الفرسان" وكتاب "تفسير القصائد والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها".

وبدأ أن كتبه المذكور قد امتدت إليها يدميضاك كما امتدت إلى غيرها من آلاف الكتب لعلماء المسلمين في الشرق والغرب.

(1) عبد الحسن بن حزم، من أصوله، 226.
(2) المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص172 (نقلة عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
(3) ص.105.
(4) ابن خير: المصدر السابق، ص.205.
وفي عهد المنصور بن أبي عامر وفد على الأندلس الأديب صاعد بن الحسن الربعي (1) من أدباء الشرق. وقد أبدنا صاعد بمقتطفات يسيرة عن سيرته العلمية في الشرق وكيف تلقى علومه على القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، والحسن بن أحمد النحوي الفارسي، وأنه استظهر كتاب اللغة المدخلة آنذاك، كتاب الأدب ودواوين شعر الجاهلية مما قربه إلى السلطان (2) حتى عينه الوزير أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف (3) النظر في خزانة كتابة فاؤاده ذلك بإطلاعه على عيون التأليف. وانتخب له نسخ الكثير من الكتب التي خرجت في نه برار المقتدر (4) التي كانت بخط الأصمعي والفراء وأبي زيد وابن السكبت ما يزيد على ثلاثة الآف ورقة. إلا أنه فقدها في الحادثة التي وقعت بين الوزير وصاحب بغداد مما حمله على الرحيل عن بغداد والبحث عن وطن آخر يجد فيه ما يناسب مكاتبه العلمية فكانت الأندلس مقصده (5). وعندما دخل صاعد الأندلس استقبله المنصور بن أبي عامر بحفاوة.

(1) جانب الأديب أبو عبد الله محمد الأشبيلي الصواب في كتابه المخطوط (ريحان الألباب).
(2) ؛ عندما أشار إلى قدوة صاعد بن الحسن في عهد الخليفة الحكم المستنصر وأنه نال رتبة المدفوعة في بلاطه. ولكن الحقيقة ما أشرت إليها في منتهى التأليف.
(3) هو السلطان عبيد الدولة بن الحسن بن بوبه خلف وادي الحسن على ممالكه بعد وفاته ودخل العراق سنة 267 هـ (ابن الأثير: الكامل، ج 7، ص 127).
(4) أحد وزراء الدولة البوبية قال عنه ابن خلكان (كان أحد البلغاء)؛ ومنه يجري عند عبيد الدولة مجري الوزراء (أبيات الأعيان، ج 2، ص 50).
(5) هو الخليفة جعفر بن أحمد بوعي بالخلافة سنة 269 هـ وكانت مدة خلافته أربعة وعشرين سنة واحد عشر شهراً. (المسيودي: مروج الذهب، ج 4، ص 292) أما من نهاده فقد تم ذلك سنة 261 هـ حينما اقتدى مؤسس الخديم وغيره من رجال الدولة على خلع الفهد وتوليه أخه القاهر بدلاً منه (ابن كثير: البداية والنهاية، ج 16، ص 159).
(6) الغويرص (مخطوط) ج 1، ورقة أ 1.
(7) انظر في ترجمة الفراء وأبي زيد السكبت (ابن تقيه: المعارف، ص 237) و (ابن النددي: الفهرست، ص 180) أما الأصمعي فقد مرة ترجمه.
باللغة وتكرير عظيم، وأراد أن يجارى به القالي الذي ذاع صيته في عهد الحكم المستنصر. ونظرًا لاهتمام سابع بما يعني مكتبة في بلاط الحاجب المنصور فقد رأى أن يتقرب إليه بعمل علمي، وصادف أن أطلع صاعد على كتاب الأدبي لم⬅ي علی القالي فقال للحاجب المنصور (إذا اراد المنصور أن يلقي كتاب دولته أرفع منه وأجل لا أورد فيه خبرا مما أورد أبو علي فتأنى له المنصور في ذلك مجلس بجامع مدينة الزهراء) (1) من أجل ذلك واخذ يلقي كتابه المنصر ب«القصص» فلمها أكمله تتبعه أدباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا علب تنبن لديهم (2).

وقد أشار صاعد في مقدمة كتابه المذكور إلى أمر المنصور له بتلقيف ذلك الكتاب وما رغب إليه في أن يمدب بضربة من الأب والشعر مما لم يتضمنه كتاب الكامل وغيرها من كتب النوادر من التي تمارى الناس في ذكرها وتكافؤ في علمها.

ولم يلق كتاب القصص ما كان يأمله صاعد من قبول واستحسان من المنصور، فقد كان منافسونه من الآباء له بالرصد، حيث اجتهدوا في كشف جوانب النقص في كتابه وتضخيم ما قد يكون فيه من أخطاء حتى أخلو من المحاسن وصورة المنصور في صورة قاتمة مما دفعه إلى أن يأمر بقذفه في النهر، واستغل ذلك أحد خصومه من الآباء فقال:

(1) مدينة الزهراء، مدينة غربي قربها بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 275 هـ، وذلك تحت إشراف ابنه الحكم ولكن لم يتم بناؤها إلا في عهد الخليفة الحكم، وقد انتقل إليها الخليفة عبد الرحمن سنة 233 هـ (احمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص 276، 277).

(2) المقرى، مجاب الطبيب، ج 3، ص 87.

(3) الغوصين، (محفوظ)، ج 1، ورقة 11.

- 220 -
فاجابه صاعد:
أعاد إلى معدنه انسى توجد في قعر البحار الفصوص
والحق أن هذا الجفأ من المنصور لكتاب صاعد لم يدم طويلا، فقد أشار
المؤرخون إلى أن المنصور أثار صاعدًا على كتابه المذكور خمسة آلاف
دينار(1).
وقد أدلى ابن بسام بن رأيه في موقف الأدباء من صاعد وتألبهم على نقده
وكيف أن أفعالهم على نفسه يقول (وما أحسب أن أحدا يجري على إخراج
تصنيف وابداع تأليف يضيق عنه التعديل. ويدفع في صدره النقد والتحصيل،
لاسيما صاعد علم ان قربه .. ميدان جياد وبلد جبال، ولكنه اشترط
غير المشهور فلم يظهروا منه بكبير وأفعالهم هو على نفسه بما كان يتفق به من
تنحية وكذبه ولم يكن عند أبي عامر تحرير ولا بصر بالندق مشهور والأفليس
يخلو كتاب الفصوص المذكور من غريبة مسموعه، ولا من فائدة رائعة بديعه
ولكنه خبر وجذانه فنقلناه(2).

وهكذا تلمس أن هناك عاملين كان لهما أعظم الأثر في تقوف الأدباء ضد
صاعد ومحاولتهم الغض من شخصيته العلمية. فأولهما: اشترطه الجدية في
تأليفه وابنه سيرود مالم تورده كتب غيره من أهل الأدب، وثانيهما: ما كان
يتصف به في بعض الأحيان من ادعاء الحقائق وتزييف للأخبار.

(1) ابن بسام: النذير، القسم الأول، ج 1، ص 87، الدراشيش: المجهول، ص 77-87- ابن
خليلان: وفيات الأعيان، ج 24، ص 89- ابن كثير: المصدر السابق، ج 11، ص 21-
السيسي: فيض الهماء، ج 7، ص 78- المقر: النفح، ج 2، ص 78.
(2) ابن بسام: النذير، القسم الرابع، ج 1، ص 88.
ورغم ذلك وانصافاً للحقيقة فقد كان صاعد (عامة باللغة والأدب والأخبار 
 سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المشاعر) ١).

وقد جاءت كراتشكوفسكي الصواب عندما وصف أسلوب صاعد في 
كتاباته الأدبية بأنه أسلوب بديوي) ٢).

والحق أن ذلك مخالفاً للحقيقة العلمية المعروفة عن صاعد وما اتصف به 
من أدب واسع ودراية باللغة، تكفلان له حسن الأسلوب، وجودة الكتابة الأدبية 
في مضمار البحث والتأليف، وإن من يطلع على كتابة الفصول ليقف علي 
حقيقة الحال وصدق القول في ذلك.

وبالإضافة إلى كتاب الفصول فالساذد مؤلفات أخرى صنفها 
للمنصور بن أبي عامر منها كتاب « الهججف بن عدنان بن يرزي مع الحونت 
بنت مخرم بن انيفت» وكتاب «جواس ابن قطيل المنحجي مع ابنته 
عفراء»، وكان المنصور شديد الشغف بالاستماع إلى هذا الكتاب الأخير 
فرتب له من يقرأه عليه كل ليلة) ٣) .

وبدو من خلال عنوان الكتبتين أنهما من كتب الأسماء التي تصنف 
لامتعة السلطان بما تضم من الأخبار والقصص الطريقة في قضي ليلة في 
الاستماع إليها وتناول بطرافتها .

١ (الحميدي: الجذوة، ص ٢٤.
٢ حفظت لنا الكثير من كتاب الترجمة والتراث نصوصاً ادبية تثبت ما كان عليه صاعد من دراية 
بالآداب ومعرفة واسعة به، انظر الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٤ - ٢٤ - ٢٤ - بسام: 
النخور، القسم الرابع، ج ١، ص ٢٦ - ٢٩ - الإدبي: باذائع الدعاية، ص ٢٩٩ - ٢٠٠ 
٢ - ٠ - ٢ - المقرئ: نفح الطبب، ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ابن الودي: نتنة الخصر، ج ١ 
ص ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥.
٣) الشعر العربي في الأندلس، ص ٣٣.
(٣) الحميدي: المصدر السابق، ص ٢٤.
كما برز أدباء قديرين غيرهم في مقدمتهم الدبيب أحمد بن عبد الملك بن
شهيد الذي حظى بمنزلة رفيعة لدى الحاجب عبد المكي بن المنصور، حيث
استطاعته ولكن رغم تضعفته في الدبب لم يبلغ منزلة الكتاب في الديوان فلم يلقب
بالوزير الكاتب كما كان يتنمي(1).
وقد برع ابن شهيد في ميدان الدبب فالفقه فيه كتباه منها "كشف الدك
رإيضاح الشك" وكذلك "حانتعطر" وكتاب "الواقع والرعي"(2).
وتعود شهرته الواسعة إلى كتابه الأخير "الواقع والرعي" وينص...
الرعي يبرى أيضا رئيس الدبب، وقد سمى ابن شهيد كتابه المذكور بهذا الاسم
نظرا لاعتماده في شرح وتوجيه آرائه في الكتاب والأدب والشعراء وقضايا
 الشعر على لسان الدبب، وقد نهج هذا المنهج أبو العلاء المعرى في كتابه رسالة
الفقران(3).
وقد وجه ابن شهيد رسالته إلى شخص كناه أبي بكر واسمه يحيى بن
حزم وهو شيخ من شيوخ الدبب ومن بيت غيرهت ابن حزم الفقيه
المهذب(4).
وقد قدم في أول رسالته بما يشبه الدخول إلى القصة، فذكر نشاته
العلمية وكيف عجب أبو بكر لذلك، وحرف انا تابعه يتجه وزويعة تعيينه لأن ما

(1) سامي العلي: دراسات في الأدب الإيراني، ص 217.
(2) ابن خلكان: الفيزيا، ج 211، ص 115 - 117 - حيال الفخور، المراجع السابق، ص 231.
(3) أحمد أمين: المراجع السابق، ج 2، ص 211 - أحمد هيكيل: المراجع السابق، ص 281.
(4) إشتر البعض من الكتب إلى أن رسالة الرعي والرعي أتت تقبلها لرسالة أبي العلاء المعرى
ولكن الحق أن الأخيره اتت بعد الأولى بعشرين سنة، وانظر في توضيح ذلك أحمد أمين:
ظهر الإسلام، ج 3، ص 211 - سامي العلي: المراجع السابق، ص 332.
(4) الجميري: الجنرية، ص 274.
يملكه من أدب لا يتآتي إلا لغير الآنس ويقر له أبو بكر بذلك فيوضح أنه كان له صديق فمات وأراد أن يقول في رثائه شيئا من الشعر ولكنه أرجع عليه، فإذا بجني اسمه زهير بن نمير يصور له على هيئة فارس ويقدم نفسه كصديق تابع له يعينه على الشعر متي أراد، ثم غاب في الاحتفاظ، وأنه كله أرجع عليه اغاثة ذلك التابع، ثم ينتقل إلى صلب القصة وأنه تذكر أخبار الشعراء وأصحابهم من التوابع حتى اشتكى إلى لقاء بعضهم، فابدى الجنى استعداده لمساعدته بعد أن يستناد من شيخ الجن فاستناد منه، ثم عاد إلى ابن شهيد حيث طاروا في الفضاء حتى أتوا الأرض الجن، وطاف به تابعه على أصحاب الشعراء الأقدام كامرين، القيس وطرفة من الجاهليين، وأبي تمام والمنتبئ من الإسلاميين، وفي كل لقاء مع أحدهم يصوّر مقابلته معه ويسامع كل منهم بالملابس التي عرف بها الشاعر في حياته ويسمع من تابعه وينشفه هو حتى ينال اعجابه.

ويلاحظ في هذه الطريقة الخيالية التي سار عليها ابن شهيد في سبيل ابراز مواهبه الأدبية وما كان عليه من أدب وبلاغة، مدى ما تمتع به من مهارة فائقة على التعرف بفنون الكلام، وما يملكه من خيال واسع استغلته في اخراج صورة أدبية رائعة تضمنت ارهام في النقد وصور الصراع بين الموهبة وسعة الإطلاع، وقد شحن تلك الرسالة برائع نظمه وثنره معارضه بها غيره ومزج ذلك بمسحة من الفكاهة مع اعجاب بالنفس.

ومن المؤسف أنه لم تصلنا هذه الرسالة كاملة، كما لم يعثر على مخطوطة لها. وانما وصلنا منها ما ضمنه ابن بسام في كتابه النخيره من

(1) أحمد هيل: المرجع السابق، ص 282 - 283
(2) احسان عباس: تاريخ الآدب الانداسي، ص 30 - 34

- 229 -
نصوص، وقد نقلها بطرس البستاني ونشرها فصححها وحقق ما فيها وشرحها وقدم لها دراسة تاريخية، فقسم تلك النصوص إلى مدخل وأربعة فصول، فالأول: توابع الشعراء، والثاني: توابع الكتاب، والثالث: نقاد الجن، والرابع: حيوان الجن.

ويأتي ابن حوسر صديق ابن شهيد في مقدمة ابتدائه تلك الفترة بما قدمه من انتاج أدبي رائع يمثل في كتابه "طوق الحمام" الذي يعتبر أهم ما ألفه ابن حوسر في ميدان الأدب، والكتاب عن "الآلهة والآلهة" أي الحب والمحبين، والجدل بالذكر ان قيمة الكتاب ليست فيما يخص من فلسفة حول الحب بل أن قيمته تبرز فيما توحده من القصص والحكايات التي تصور مظاهر الحياة داخل قصور الخلفاء والأمراء، وإساليب السلك السائدة هناك، كما يشتمل على الكثير من الاعترافات الشخصية لابن حوسر والتي تلقي ضوء على سيرته الشخصية في شبابه.

وأما مزايا الكتاب أهمية أنه كتاب في الحب يكتب فيه من فقهاء الأندلس عرف بالحبر في الدفاع عن الدين، وانه صرح حالاته في التشغيل بعلومه، فتخصيصه وقتاً للكلام عن هذا الموضوع في مايسمي النثر ويبقى التساؤل، وقد كان ابن حوسر يعمل وهو يكتب ما سوف يتعرض له من بعض الأشخاص من نقد مخالفته سيرته العلمية الدينية، ولكنه انصح بأنه لا يميل إلى المراءة لأن غائه كانت رسم صورة واقعية لحياته وحياة الناس بلده حول موضوع واحد هو الحب.

---

(1) نشر هذا الكتاب دار صادر ببيروت سنة 1980.
(2) أحمد هيك: المرجع السابق، ص 242-243.
(3) إحسان بريس: المرجع السابق، ص 231-232.
وكان تأليف ابن حزم لهذا الكتاب لرغبة أحد أصدقائه من مدينة المريه، حيث أرسل إلى ابن حزم في مدينة شاطبه يطلب منه تصنيف رسالة في صفة الحب ومزاياه وإسبابه وأعراضه. وقد أشار ابن حزم إلى أن تصنيفه للكتاب من قبل أعلاه النفس حقًا من الراحة والانشراح تبعًا للأثر القائل "اريحوا النفوس فأنها تصدأ كما يصدأ الحديد".(1).

وفي هذا إشارة إلى ما تمتع به ذلك الفقيه من مرونة وتسامح إلى جانب ما اتصف به من ثقافة واستعده وأدرك عميق لمفاهيم الحياة وإسرارها الاجتماعية.

ويذكر ابن حزم أنه قسم كتابه على ثلاثين بابا. منها في أصول الحب العشرة، وفي أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر بابا، ومنها في الآفات الداخلية على الحب ستة أبواب، ومنها بابان ختم بهما الرسالة، وهما باب الكلام في قبح المعاصي، وباب في فضيل التعفف.(2).

ولا شك أن البابين الأخيرين يدلان بما يقطع الشك على ما اتصف به ذلك الأديب من نزاهة وعفوه يميلانهما عليه تقوى الله، فقد ألف ذلك الكتاب في موضوع الحب وما يجر إليه من لهو وهزوع عن الاستقامة، ولكنه تأكيدا لصلاحه وما اتصف به من خشية لربه فقد ختم كتابه بالبابين المذكورين، وقد

(1) طرق الحمام : ص 1- 2.
(2) المريه : مدينة محدثة أرم ببناتها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 184 هـ. وهي من مراسي الأندلس وكانت تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام (المعمري : الروض المطهر، ص 182- 184).
(3) شاطبه : مدينة في شرق الأندلس. وقد اشتهرت بصناعة الراق، (ياقوت : معجم البلدان، ج 2، ص 190).
(4) نفس المصدر، ص 2- 4.
أشار إلى ذلك بقوله: (وآخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن). (1)

وأخيرا فإن ميدان التأليف الأدبي قد لقي من الأندلسيين نشاطا وافرا حيث أخرج الأندلسيون الكثير من روائع الأدب التي تشهد بهلو كعبهم في هذا الميدان.

ولذا يعودنا أخيرا أن ننمو بمزيد من الإعجاب، بدور الخليفة الحكم المستنصر في ازدهار الحركة الأدبية. فالي جانب دوره في تشجيع القالي على تأليف كتابه الامالي فقد ذكره يعد بالف دينار ذهب إلى الأصفهاني لقاء إرساله نسخة من كتابه الأغاني، فبعث إليه بها قبل أن يرى الناس كتابه في العراق (2).

وقد حزب الحبيب المنصور جهدا مشكرا في نهضة الأدب، فقد صنف له الأديب حسان بن أبي عبده كتابا على شاكلة كتاب أبي السري الذي ألفه الخليفة العباسي هارون الرشيد وسماه «ربعة وعقيل» وقد عشى ابن حزم على ذلك الكتاب ووصفه بأنه من أملح وأطرف ما صنف، وأنه ضم مختارات بديعة من شعر حسان المذكور (3).

وهكذا يتضح أن الأندلسيين بلغوا شارعاً رفيعاً في حقل الأدب وانهم لم يكونوا فيه باقتصر باعاً عن أندادهم من أهل المشرق، فإن العديد من مصنفاتهم الأدبية لا تزال حتى يومنا تحتل منزلة طيبة في قلب أهل العلم وخاصة ذوي الأدب منهم.

______________________________
(1) المصدر السابق، ص 23- 4.
(2) ابن абدر: الطلا السيرة، ج 1، ص 202- ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 217.
(3) الحميدي: الجذور، ص 119.
ثانياً: الشعر
مكانة الشعر لدى الأندلسيين - أثر الطبيعة الأندلسية في الشعر - الشعراء في بلاد الخلافة - أبرز شعراء الأندلس: أحمد بن عبد ربه - يوسف بن هارون الرشد - ابن هاني، الأندلسي - أحمد بن دجاج القسطلاني - عبادة بن ماء السماء - أحمد بن شفيق - مروان بن عبد الرحمن (الطليق) - أثر الخلافة في ازدهار الشعر - تأليف المعام
_phi*

احتل الشعر لدى الأندلسيين مكانة عظيمة، وأصبح يمثل تقريبًا السمة الأدبية العامة لهم حتى روى أن مدينة شلب قال أن يرى أحد من أهلها من لا يقول شاعراً، ولا يتعاني الأدب، ولا مر شخص بالحراش خلف فيده وكأنه وسالتته الشعر لفرض في سلعته أي معنٍ يقترح عليه وآي معنى يطلب منه(1).

وقد كان للطبيعة الأندلسية أثر كبير في تألق الحركة الشعرية. وبرز الكثير من الشعراء الأندلسيين، فقد اتصفت الأندلس بالطبيعة الساحرة من مياه جارية، وجبال خضراء، وجوهات تردد بها بعضة الشجراء ورونق أزهارها فرقت مشاعرهم، وأزالوا جفوتهم، وأثارت ملكاتهم الفكرية فاستغلوا أحاديسهم العميق وخيالاتهم الواسعة في وصف جمال الطبيعة والغنين بمفاتنها(2).

(1) الفزؤائي: أثر البلاد، ص 416 – ياقوت: معجم البلدان، ج 3، ص 230، 68.
(2) ستاتي: لين بول، العرب في إسبانيا، ص 128، 418، زيفريش، هانك: شمس العرب تسطع على الغرب، ص 269.
(3) شلب، بكسر أولها وسكون ثانياً، مدينة بغربي الأندلس وغرب قرطبة بينهما مسيرة عشرة أواصر (يافو: معجم البلدان، ج 2، ص 267).
(4) السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج 2، ص 118، أحمد هيكل: المرجع السابق، ص 216.
ويرع الأندلسيون في فن الوصف، وتصوير الطبيعة وجمالها الإبداع
فقد قدمت إلينا كتب الأدب الأندلسي بمصارحته المختلفة ضروبا من الإبداع
الشعري في مجال الوصف تكاد تنطلق بروعة التصوير وحلاقة الوصف،
ولعل من أعظم الكتب التي حفظت لنا نماذج رائعة من شعرهم، كتاب
"التشبيهات" لأبن الكتاني الأدب والطيب الأندلسي الذي عاش في عصر
الخلافة، وقد تناول في كتابه الكثير من روائع الشعر الأندلسي في ميدان
الوصف والتشبيه، وارد في ذلك الكثير من شعراء الأندلس كابن عبد ربه(1).
ويصف بن هارون الرمايي، وعبيد بن ماء السماء الذي يتجلي في أشعارهم
عمق تأثير البيئة الأندلسية.
وعليه فإن البيئة الأندلسية كانت ذات تأثير بالغ في تشكيك أشعار
الأندلسيين ونقوشها بما يناسب من ألوان الطبيعة الجميلة التي تشذ أذهانهم
وتثير أحاسيس الجمال عندهم.
ويلاحظ الدارس للشعر الأندلسي أن للأندلسيين من خلال أشعارهم
أخيلية ذهنية ولعبا بالمعاني يكاد أن يتصرفوا به وحدهم، وقد يتوقفون في ذلك
على المشارقة، إذ وراء ذلك وراء شديدا. فلم يقلوا المتنبي في قوة معانيه
ورواج حكمة وقوة شاعريته بل أخذوا أسلوبه، وحولوا فخامة تعبيراته وعمق
خيالاتهم كما فعل شاعرهم ابن هاني(2).
وأبتدع الأندلسيون في مجال الشعر المختلفة وأثروا ميدان الشعر
بالكثير من أشعارهم البديعة، وقد يصفها البالون في شك بقوله: (إن

(1) الاستزادة عن مدى تأثير الطبيعة في الشعر الأندلسي، انظر: سعد إسمايل شليبي: البيئة
الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوارق، ص76 - 181.
(2) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج3، ص90 - 110 - 106 - 107 - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب
الإسلامية، ص300.
أشعار الأندلسيين تمتاز بصفة عامة بجزالة الألفاظ، وجمال رنينها، وإبداع ال交流合作، وبعد مداها .. )1( 
وكان لعصر الخلافة بما أشتمت به الأندلس من ازدهار كبير في ميادين الحضارة، وما تعمت به من رخاء واستقرار، وما تميزت به الخلافة من هيبة وسلطان آخر في انصراف الكثير من الشعراء نحو تصوير تلك المظاهر، 
وعندما وقد رصد ملك الروم إلى قرطبة سنة 336هـ أنشد منذر بن سعيد قصيدة طويلة ضمنها الإشادة بالخليفة عبد الرحمن الناصر وما أتسب به من قوة ونفوذ، ويقول فيها:

ترى الناس افواجاً يؤمون بابه
كلهم ما بين راج وآمال
وفود ملوك الروم وسط فتائشه
مخافة باس أو رجاء لنائثل)2(

ويفيدنا ابن حيان بالكثير من المعلومات عن المواقف التي ارتبطت بالخلافة والتي نظم الشعراء فيها وصفاً أشعاراً بديعًا، فمن هذه المواقف وصف الأعياد والاحتفالات، وما يرويه في هذا الصدد ما قيل بمناسبة عبد الفطر (367هـ/970م)، فيقول: (وظلت الخطباء والشعراء في هذا الحفل تناغي فيما ترتجى من خلطها وتنشده من أشعارها فتكثر وتجيد)3.

وفي بداية عصر الخلافة توصل الكثير من الشعراء إلى درجات رفيعه في بلاط الخلافة، فكان بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر يضم عدداً من الشعراء المبدعين، وكان في مقدمة هؤلاء ابن عبد ربه، واصمايل بن بدر، وعبد الملك ابن سعيد المرادي، والشاعر المغربي طاهر بن محمد المهند، ومحمد بن حسين الطبقي)4).

---

(1) انخل بالثابت: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 46.
(2) المقرئ: النفح، ج 1، ص 763.
(3) المقتبس: تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 31.
(4) ابن حيان: المقتبس، ج 5، ص 40.
ونظراً لكثرة الشعراء الذين حفل بهم عصر الخلافة فسوف نقتصر على أبرزهم والمبدعين منهم. وفي مقدمة هؤلاء يأتي الأديب الشاعر أحمد بن عبد ربه (٣٤١ هـ - ١٨٨٦ هـ) والذي كان يتمتع بموهبة رفيعة في الشعر، وقد أتاح له ذلك مكانة عالية لدى الأمراء والخلفاء، وكان لعامل السن وما تتسم به مراحله المختلفة من انطلاق أو نتسك أثر في انسجام شعره إلى قسمين: قسم قرضه وهو في ربعان الشباب، وأقسم شعره في هذه المرحلة بالانطلاق في قوّة الشعر من غير التزام أو تفخّض، قسم قرضه في سن الشيخوخة عندما أدركه الندم وتطع للقوى وتكيّف مع عاصبه، فكان شعره في هذه المرحلة يتصف بالزهد والنسك وسماء المحصات (١).

والآن عبد ربه شعر كثير، فمنه أرجوزة في سيرة الخليفة عبد الرحمن الناصر وحروب وما تهيئه له من النصر في المواقيح الحربية مع أعدائه، وأول تلك الأرجوزة:

(٧) سبحان من لم تحجزه أقطار ولم تكن تدركه الأبصار.

ولا شك أن أرجوزته تلك لها من الفائدة العلمية أكثر مما لها من الفائدة الأدبية، فإنها تفيّدنا في معرفة سيرة الخليفة السياسي والعسكري ومواقيحه مع النصارى وغيرهم، فهي بالتالي أكثر نفعاً في مضمونها في مجال التاريخ أكثر من الأدب.

ومنها لما تمت به ابن عبد ربه من ثقافة واسعة فقد كان أبرز ما في شعره أنه مرآة لثقافته وسعة اطلاعه على ضروب من المعرفة كالفقه ويميدان الأمثال وهو ما يائم عن شعره الذي يحمل به كتابه العقد (٢).

(١) إحسان عباس: المرجع السابق، ص ١٩٥.
(٢) إحسان عباس: العقد القدومي، ج ٢، ص ٣٣٢ - ٣٦٤.
(٢) إحسان عباس: المرجع السابق، ص ٢٠٠ – ٢٣٦.
ولم تكن سمعة ابن عبد ربه في خارج وطنه باقل شهرة منهما في داخل وطنه، فقد نال سمعة حسن به اهل المشرق، فذكر أن أحد علماء الأندلس في أثناء عهده من الحج ومروره بحضر đuقي بالمشرق đáoي ويذكر في مسجد عمرو بن العاص فتجاذبا أطراف الحديث حتى قال المتنبي: أنشداني للبح الأندلس يعني ابن عبد ربه فأتاه أبايا من شعره طرب لها المتنبي وطلب
إعادتها ثم صفق بيديه وقال: يا ابن عبد ربه لقد تذكرت العراق حبوا(1).
ونظراً لما أتسع به شعر ابن عبد ربه من جزالة وعذوبه فقد كان الحكم قبل خلافته حريصاً على الاستماع إلى شعره فسمع له ابن عبد ربه قسماً كبيراً من شعره، وذكر المحمدي أنه رأى منهما ما يربى على عشرين جزء(2).
وببرز من شعراء تلك الفترة يوسف بن هارون الرمادي الكندي (ت 426 هـ/ 1031 م) وقد سمي بالرمادي نسبة إلى موضع باللغة اسمه رماده كان أحد أبائه منها، ووصف هذا الشاعر بوجهة الشعر، وسرعة نسيبهه في قوله وغزارة مقالته منها، لذلك كان مشهوراً لدى الخصبة والعامية بالمهرة في الشعر، ورسوخ قدمه في فنونه المختلفة حتى وصفه اديب عصره بقولهم (فتح الشعر بكيندة وحتم بكنده، يعون امرأ القيس والمتنبي، ويصف بن هارون)(3).

(1) المقرئ: النفح، ج 2، ص 695 - ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج 2، ص 227 - 228.
(2) جذوة المنتسي، ص 101.
(3) الحمدي: الجذوة، ص 176 - 177 - الشبي: البغية: ص 496 - 497 - ابن بشكوال:
الصلاة، ج 2، ص 417 - 418 - ابن سعيد: المغرب، ج 1، ص 292 - 293 - ابن خلكان: وفيات الأعيان،
ج 2، ص 425 - 426 - المقرئ: النفح، ج 4، ص 285 - 286 - ابن العمام: شعرات الأدب،
ج 2، ص 176 - 177 - أحمد هبل: الأدب الأندلسي، ص 287 - 288 - السيد عبد العزيز:
سالم: قربة حاضرة الخلافة، ج 2، ص 173 - 174 - 237
وفي هذا النص دلالة كبيرة على منزلة يوسف الشعرية وأنه بُلغ درجة رفيعة بين شعراء عصره، فقد وصف شعره بالجودة وأنه في طبقة شعراء الأندلس المعروفين، وفي مقدمة الحكم المستنصر(1).

وшла الديب أبو علي القالي الأندلس كان الشاعر الرمادي في مقدمة مستقبله والرحبين به، ومده بقصيدة طويلة منها.

فالشرق خال بمده وكأنما نزل الشراب برجة المأهول
وتغيبت عن شرقهم بانفل(2)

فكانه شمس بدت في غرينا

وقد طال عمره فبلغ نحو قرن من الزمان وكان له أثر في غزارة ما خلقه من شعره، وتطهر براعة الرمادي في أنه طرق أطرافا جديدة من الشعر كشعره في الطيران. ومن المؤسف أنه رغم غزارة شعره لم يصلنا ديوانه الشعرى. وما وصلنا من شعره نجده متفقرا في كتب الأب(3).

وكان الرمادي يخرج في شعره بعض الأحيان عن مبدا التحفظ والالتزام - الخلفي مما كان له أثر في تعقب الشرطة له حتى قبض عليه وعلى أصحابه ممن كانوا يجرون في هجاء الناس ونثر مثالبهم(4).

وفي السجن كان يستشفع إلى الخليفة الحكم المستنصر في أطاطه بما كان يترحمه من قصائد المدح وطلب العفو، ثم اتجه في عزلته إلى قول الشعر في أوصاف الطيران حتى ألف في ذلك كتابا كبيرا سماه « كتاب الطير »، وصف فيه كل طائر ونا تميز به من خواص، وكانت كل قطعة شعرية يذيلها

(1) المرالشي: المجلب، ص 192، 90.
(2) المقري: نفح الطيب، ج 3، ص 76 - ابن خلكان: المصدر السابق، ج 78، ص 271.
(3) أحمد هيل: المرجع السابق، ص 292، 93.
(4) انظر عن هذه الحادثة في ابن حيان: المنتسب، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 47، 75.
بمذج هشام بن الحكم ليشفع له عند أبيه في إطلاقه ، وقد وصف كتابه المذكور بالجودة والملاحة(1) .

وفي عصر الخلافة تألق الشاعر محمد بن هاني الأزدي (ولد سنة 326هـ/937م) بمدينة أشباهية ، وأصله من بنى المهله الذين حكموا بعض أجزاء بلاد المغرب ، وانتقل والده منها إلى الأندلس ، وكان منذ صبابه يهوى الشعر حتى اشتهر ذاك عنه ، وفي بداية شهرته الشعرية قصد صاحب أشباهية جعفر بن علي فوجد قصره حافلا بأعيان الشعراء ، وهناك تمكن من إلقاء قصيدته الرائعة التي كانت بداية انطلاقته في ميدان الشعرة ، ومطلعها:

أُلِيتنا إذ أرسلت واردا وحفا ، وَيَتَى نرى الجوزاء في أنثى شفنا

حتى إذا بلغ قوله:

كأن لؤاء الشمس غرة جعفر ، رأى القرين فازداد طلاقته ضعفا

لم يملك جعفر نفسه فقام إليه مرحبًا به ، وأوضح له في العطاء وأنزله منزلة كبيرة بين شعرائه(2) .

ونظرا لما نسب إلى ابن هاني من أشعار تقدم في العقيدة فقد اسخط الناس عليه ، واستغل خصومه ومنافسوه من الشعراء ذلك قابوا الناس ضده واتهموه بالإلحاد والخروج على الذين بأشعاره ، فأعزع إليه حاكم أشباهية بالخروج عن المدينة ، فخرج منها نحو المغرب لينزل ضيفًا على القاطمين الذين

_________________________
(1) الحمدي: جزرة المقتبس ، ص369 - 370 - 371 .
(2) ابن سعید: المغرب ، ج2 ، ص98 - 99 - 100 - ابن الطيب : الإحاطة ، ج2 ، ص289 - 290 -
ابن تغرير برد: النجوم الزاهرة ، ج4 ، ص376 - 377 - الصنودي: الوافي ، ج4 ، ص411 -
افظيس كريستيلفوني: الشعر العربي في الأندلس ، ج2 - محمد كرو: ابن هاني الأندلسي ، ص12 - 15 - أحمد ميكل: المرجع السابق ، ص272 - 273 -
رأوافياً في دعائية لمذهبهم، فرحب به المعز لدين الله الفاطمي وجعله شاعر بلاطل(1).

وصف ابن هاني، بكثرة الشعر وجوهته، وأنه سار على منهج الدنيا، فتعمد القوة في أفكاره وأواعه وألفاظه، وامن في المغالاة حتى إذا مدخ شخصاً جعله أفضل الناس وأكونهم، غير أنه يلاحظ على شعره قطعة ألفاظ(2).

والحق أن هذا الشاعر أبدع في الشعر وبرع فيه لدرجة جعل الكثير من الأدباء يصفونه بأنه لم ينبغي بأنه في شعراء الأندلس مثله، وأنه كان عند أهل الأندلس في منزلة الدنيا عند أهل المشرق(3).

إلا أن ما يؤخذ على ابن هاني، مغالاته الشديدة التي يخرج بها عن الدين والالتزام بتعاليمه، فقد تكلم ابن كثير عن شعره ومغالات في الوصف، وأنه من أكبر الكُتُّر وخاصة قصيدته في مدح المعز الفاطمي التي أولها ماشئت لا ما شاءت الأقدار(4).

وفي عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر ظهر الشاعر أحمد بن دراج القسطلاني (١٠٩٨/٥٩٢ هـ - ١٠٢٠ م) الذي ينتسب إلى موضوع في الأندلس يعرف بقصصته دراج، وكان من المتضلين في الأدب ككاتب إنشاء ماه، وفي الشعر كشاعر بارع فهو (معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء والذكورين من البلاغة، وشعره مجموع يدل على علمه)(5).

(1) أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ج 2، ص 105 - 116 - أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج 2، ص 125.
(2) الحصيدي: الجذري، ص 69 - محمد كر: المرجع السابق، ص 56 - حنا النافورى: المرجع السابق، ص 82.
(3) أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ج 2، ص 108.
(4) البداية والنهائيه، ج 1، ص 274.
(5) الحصيدي: جذوة المقتبس، ص 110 - 111.
ويعتبر ابن دراج القسطلي من ألمع من أخرجته الأندلس من الشعراء إن لم يكن ألمعهم. ولا يعرف شيئا كثيراً عن نشأته الأولى. إلا أنه يبدو أنه أخذ علومه على شيوخ عصره فأنه شارك في أهل العلم، ومنذما شعر بقدرته على قول الشعر وممارسته في طريق فنونه المختلفة اتصل بالحاجب المنصور، ووقف بين يديه ليشده قصيدته التي يمدح فيها ومطلعها:

اضياء لها فجزالتى فنهاها عن الدفن المضني بحرٌ هواها (٢)

ولم يكن المنصور رجلاً، يعرفون عن صاحبها أي شيء فاتهموه في نسبتها إليه، وكان بلاط المنصور يحب بالشعراء المتاحفين على الصدارة فيه فخشوا أن يأتي منهم يزيحهم أو يزاحمهم الإجاه والنزالة لدى المنصور، فسعوا به إلى وصفته بالانتحال والسرقة، ولكن المنصور كان أكثر حكمة فعرض أن يختار ابن دراج في الشعر فإن نجح قريبه وأكرمه وإن كان غير ذلك اقتسام.

وأستطاع ابن دراج أن يفوز في اختيار المنصور له، وأن يتبوأ مكانة عالية بين شعراء بلبله، فقد أثبته في ديوانه في الشعراء. ولم يزل ابن دراج منذ ذلك الوقت في علو ورفعة حتى بُزُع غيره من الشعراء. ووصف بأنه لم يكن بالأندلس مثله في الشعر (٣).

ولو تصفحنا ديوان ابن دراج وأمعنا النظر في قصائده للمسن ما كان عليه من بلاغة شعرية، بالإضافة إلى ما يلاحظ من سعة ثقافته الأدبية

(١) ابن دراج: ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكي، ص ٨.
(٢) أيمنيدي: الجذوة، ص ١١، ١١١، ١١١، ١١٦، ١١٦، ١٥٩، ١٥٩، ١٥٩، ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٠ - ١٦٠ - ١٦٠.
(٤) الصادق، ص ١٦١ - السيد عبد العزيز سالم: المسر الصغير، ج ٧، ص ١٦١.
والتأريخية، فقما يلفت النظر في شعره معارفته التاريخية وعلمه بالأنساب، فهو يمدنا في الكثير من قصائده باسماء الملوك الماضين، والأقوام الغابرة، ومسميات عن أماكن تاريخية لا يعرفها إلا من درس التاريخ وعينى بدراسة شخصياته البارزة، ومن قصائده التي تتضمن هذه الإشارات التاريخية قصيدة مطلعها:
منكم إليكم مسامع المجد تنصرف ونحوكم عنكم الأمال تنعطف

وكذلك قصيدة مطلعها:
بشارك من طول الترجل والسري صبح بروح السفر لاح فاسفر(1)

وظل ابن دراج في بلاط المنصور يسائر ركابه في سلمه وحريبه، فأتمدنا بغرور من قصائده في غزوات المنصور وغير ذلك من الأحداث، ثم استمر في مكانته الرفيعة في عهد ابنه المنصور عبد الملك، وما زال نفوذ العلميين اتصال بالبقرة من أمراء الدولة الأموية، ثم رحل إلى بلنسية، ثم إلى سرقسطة، لينزل على يحيى بن المنذر الذي أكرمه هو وابنه المنذر من بعده، ثم لم يثبت أن رحل إلى دانية ليدعو أميرها مجاهد العامري وظل هناك حتى وفاته المئوية(2).

وكانت شهرته الشعرية قد بلغت أهل الشرق فاعجبوا به ووصفه أهدهم، وهو الأديب ابن منصور الثعالبي بإنه بصقق الأندلس كالنحتب بصق الشام، وأنه أحد فحول الشعراء، ومن أجد في النظم وبرع فيه(3).

وأثنى عليه ابن بسام ووصفه وصفاً ينتم من منزلته وقهره الأديب الرفيع، فقال فيه (أحد من تضااعت الأفاق عن جلالة قدره)، وكانت الشام والعراق ادثنى خطي ذكره(4).

(1) انظر ديوان ابن دراج من ٢٠٩ وص ٦٦٦.
(2) ديوان ابن دراج: تحقيق محمود مكي، ص ٥٨٥ - ٦٩.
(3) يحيى الدهر، ج ٢، ص ١٠٤.
(4) النخيرة: الفصل الأول، ج ١، ص ٤٤ - ٤٥.
وأشاد به ابن حزم في رسالته التي وضعها عن فضل علماء الأندلس، وأنه لم يكن لهم من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج القسطلي لما قصر عن شعر بشار بن برد، وحبيب (أبو تمام) والتنبي.

وبناء عليه فإنها يتبعد لنا مدى ما كان لهذا الشاعر من مكانة عظيمة بين شعراء الأندلس. وقد خلف ديواناه ضخماً من القصائد الطوال، والحق أن المدح غلب على ديوانه، ويعتبر الموضوع الرئيسي الغالب على قصائده. وعلل من دواعي إكثاره من المدح ارتباط حياته ببلاد المنصور ثم بابنه عبد الملك وغيرهم من الحكام.

والجدير بالذكر أن ديوان شعره لم يصبح قد الضياع كما ضاعت من قبل دواوين غيره من الشعراء فقد كان الجهود الباحثين أكثر في التوصل إلى كشفه. فقد أطلع عليه حسين منس محمد الطواني، وحصل على نسخة منه، حيث اثرواها إلى محمود مكي الذي تناوله بالدراسة والتحقيق فاخرجه في حلة قشيبة أضافت إلى تراثنا الأدبي الإسلامي صفحة مضيئة تشهد بروعة الأدب الأندلسي وبلغة أهلها.

ومن شعراء بلاط المنصور الشاعر بن عبد الله بن ماء السماء (ت 418 هـ/1028 م) الذي كان من فحول الشعراء وكيارهم، ومن المقدمين في ديوان الشعراء. وقد وصف بالبراعة في نظم الشعر، والتصرف في قنوه، ونسب إليه الارتقاء بصناعة التوسيع حتى (كانها لم تسمع بالأندلس إلا مرة وآخذت الاذن، واشتهر بها اشتهر غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته).

(1) المتجر: نفح الطيب، ج 2، ص 168.
(2) أحمد ميكل: الأدب الأندلسي، ص 216.
(3) ابن بسام: الذكرى، القسم الأول، ج 2، ص 1. - ابن بشکوال: الكلمة، ج 2، ص 450.

- ۲۴۳ -
وعرف عن عباده براعة في الوصف، وقد أورد له المؤرخون والأدباء الكثير من الأمثلة الدالة على تضلعه في ذلك وقدرته الكبيرة فيما يطرق من فنون الشعر(1).

وفي أواخر عصر الخلافة برز بعض الشعراء. كالعلامة على بن أحمد بن حزم الذي قال فيه صديقه الحمدي (كان له في الأدب والشعر نفس واسع، ويعتبر طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديعة أسرع منه، وشعره كثير، وقد جمعناه على حروف المعجم)(2).

واشتهر ابن حزم متفرقة في كتاب الأدب والتاريخ، وخاصة في كتابه طرق الحمقى الذي سبق القول إليه. كما أن ابن حزم قصيدة شعرية رائعة في الرد على نقوله ملك الروم الذي أرسل قصيدة طويلة للخليفة العباسي يتهده ويتوعده بخراب ديار الإسلام وأنه سوف يملكها، فتصدى له شعراء كثيرون من بينهم ابن حزم. وقد أورد هذه القصيدة السبكي في طبقات الشافعية. وابن كثير في البداية والنهاية(3).

كما أن أحمد بن شهيد كان له مشاركة في قول الشعر بالرغم من تفوقه في النثر الذي غلب شخصيته الأدبية. أما عن نتاجه الشعرى فلم يجمع في حياته ولم يؤثر عنه ديوان من دراوات الشعر، ولذلك بقيت أشعاره مبتوه في كتب الأدب والتاريخ الأندلسية وكتب الأدب المشرقي كالتيتي للتعاليمي.

---

(1) انظر في هذا المصدر: الحمدي، الجنوبي، ص 294، 2، 290، 2.
(2) الجنوبي، ص 209، 2.
(3) طبقات الشافعية، ج 2، ص 272، 214، 16، 272، 247، 257، 24.
وقد تمكن المستشرق الفرنسي "شارل بلا" من أن يجمع قدرا لا بأس به من شعره يقع في ثمانمائة وأربعين بيتا، وقدمه في ديوان وصده بدراسة جيدة. 

ومهر الكثير من خلفاء وأمراء بني أمية في الشعر، فقد تناول ابن الأبار في كتابه (الحلقة السيرة) من برع في الشعر وكان له بعثة، وأورد لهم الكثير مما قرأوه.

وأكثر من اشتهر بقول الشعر من الخلفاء من بني أمية في الأندلس، الخليفة المستعين الذي وصف بالآداب، والفصاحية في قول الشعر، وأن له إنتاجاً بديعاً فيهما.

ومن المشهورين بقول الشعر من أمراء بني أمية في الأندلس مروان بن عبد الرحمن المعروف ب"الطليق" الذي وصف بالبراعة في الشعر ومهارته في فنونه المختلفة. وقد شبهه ابن حزم في ملحمة شعره وحسن تشبيهه بابن المتعز العباسي، وكان قد سجن لإهانته على قتل أببه فكمث في السجن سنة عشر عاماً ثم اطلق في عهد الحاجب المنصور، وفي سجنه هذا قال أكثر شعره.

وكان للنساء مشاركة كبيرة في ازدهار الشعر، فقد برز منهن شاعرات مجيدات، كالدببة صفية بنت عبد الله الربيعي (ت 167 ه) التي وصفت بالنباهة في الآداب والبراعة في قول الشعر. 

---

(1) سامي العاني: المرجع السابق، ص 246، 245.
(2) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج 2، ص 9.
(3) الحميدي: الجندية، ص 242، 243، 244، 245-246، 247-248.
(4) الحميدي: الجندية، ص 18، 183، 184، 185.
كما اشتهرت من بينهن الشاعرة الغسانية التي كانت تمدح الملوك،
وكانت من بجاتها كما ذكر أن لها قصيدة طويلة تمدح فيها خيام العامري،
وتعارض بها قصيدة ابن دراج التي مدح بها الأمير المذكور وأولها:

لك الخير قد أوفرىبعدهك خيران
وشارك قد أركع وسلطان
ومطلع قصيدتها:

أتجزع أن قالوا ستطعن أطبان
وكيف يطوق الصبر ويلك إن بانوا(1)

وقد أفرد مصطفى الشكعة في كتابه عن الآداب الأندلسية بابا عن
شاعرات الأندلس، وقد يكون أشهرهن في باب الشعر ولادة بنت المستكفي
التي عاشت أكثر عمرها في عصر ملوك الطوائف.
والحق أن من عوامل ازدهار الحركة الأندلسية ومنها ميدان الشعر يعود إلى
عوامل من أهمها ما تبذله الخلفاء من جهود و他们在 مقدمتهم الخليفة الحكم
المستنصر، وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره الحميدي من أنه رأى أجزاء
كثيرة من شعر ابن عبد ربه الذي جمعه للحكم المستنصر.

كما أنه بتشجيع من الخليفة الحكم المستنصر ألف الأديب أبو عمر أحمد
ابن فرج الجياني كتاب في الشعر أسماه "الحدثان" (عارض فيه كتاب الزهره
لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، إلا أن أبو بكر إنما ذكر مائة باب في
كل باب مائتي بيت، وأبو عمر اورد مائتي باب في كل باب مائتي بيت ليس
فيها باب تكرر اسمه لأبي بكر ولم يورد فيه غير أندلسية شتى(2).

ولعل في هذا المنهج الذي سار عليه ابن فرج دليل على متمتعه به شعراء
الأندلس وأدباؤها من علم واسع بالأدب وقدرة كبيرة على أثبات شخصيتهم
العلمية في ميدان المعرفة، ومناهج التأليف، ومن المؤسف أن ذلك الكتاب لم
یصلنا.

(1) ابن بشكوال: المجلة، ج. 2، ص. 196 - المقرئ: النفح، ج. 4، ص. 170.
(2) الحميدي: الجذر، ص. 10، ص. 105.
ومن دلائل اهتمام الحكم المستنصر بالحركة الشعرية ورغبته في ازدهارها ما ذكر أنه عزم على الغزو سنة (52هـ/1263م) وكان يحرص على استضافة العلماء والشعراء حتى في حربه، ولكن حديث أن أحدهم وهو عبد الله بن مغيب اعتذر عن صحبته الخليفة في تلك الغزوة لضعف جسمه، ولكن الحكم أمر أن يفوض تخلف الأديب عن صحبته بما يرضى شغفه العلمي فعرض عليه مقابل تخفیه أن يؤلف كتاباً في أشعار خلفاء بنى أمية كما ألف الصویل الآدیب المشرقي - كتاباً في أشعار خلفاء بنى العباس، فبابدی ذاك الآدیب قبوله، وعرض عليه الخليفة تأليف الكتاب في منزلة أو بدار الملك، فاختار دار الملك، وفي أثناء عودة الخليفة من الغزو تلقاه أحد أتباعه بمؤلف ابن مغيب في أشعار خلفاء بنى أمية، فسره الخليفة الحكم وزاد في إعلان منزلته وأوصه له في العطاء (1).

وسار الحاجب النصور على خط الحکم المستنصر في تشجيع الأدب، ففي ميدان الشعر أظهر إهتماما كبيراً وادخل على الحركة الشعرية في بلاطه نظاماً جديداً، فقد وضع ديواناً يضم أسماء الشعراء، وينزلهم فيه حسب مراتبهم في الشعر.

وكانت الصلات والأغاني المرسمة لهم حسب مراتبهم المذكورة، وقد أوركي أمر هذا الديوان والاعتراف عليه إلى الأديب عبد الله بن محمد بن سلمه، وكان على جانب كبير من الأدب ومعرفة الشعر وقته، فكانت على يديه تخرج عطایا الشعراء، وينظره ينزلون منازلهم المختلفة (2).

وقد مر معنا كيف أن النصور اختر العلاج ابن دراج القسطلي، وعندما أثبت نجاحه ومقدرته الشعرية ضمه إلى ديوان الشعراء.

(1) المعنی: نفس المسرّ، ص 75-1263- اللسان العباس: المرجع السابق، ص 76.
(2) المعنی: الجذور، ص 57- المراکش: المجمع، ص 6- اللسان العباس: المرجع السابق، ص 87. - اغتيالوس كراتشكوسبكي: المرجع السابق، ص 83.
- 247 -
كما أن من دلائل اهتمام المنصور بالشعر وازدهاره حرصه الشديد على مصاحبة الأدباء والشعراء له في سلمه وحريته فكان حريصاً على أن يرافقوه ويسيروا معه اينما حل وارتحل.(1) ويشير غرسيب غومس إلى أن الأندلسيين قد نظموا الشعر في كل فن وباب من الدهيات والتاريخات إلى النوريات التي أكثر الناس في عصر الحاجب المنصور.(2)

وهكذا نرى أن الخليفة الحكم ومن بعده المنصور بن أبي عامر كان لهما أثر كبير في ازدهار الحركة الشعرية، بما ادى إليه ذلك من بروز أعداد هائلة من الشعراء الذين لا يقل البعض منهم مقدرة وبراعة عن أشهر شعراء الشرق.

وبناء عليه لم يصل الشعر الأندلسي إلى أوجه الكامل وسنته الجمالي إلا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الذي يقترب بقيادة الخلافة الأموية الأندلسية (192/617هـ). (3)

و نتيجة للأعداد الهائلة من الشعراء الذين ظهروا في الأندلس فقد اولفت معاجم كثيرة تضم تراجمهم. ومن ضمن تعريف الأديب محمد بن هشام المرولي (ت: 450هـ/ 1051م) حيث أنه كتاب في إخبار شعراء الأندلس، كذلك ألف اسماعيل بن محمد الأشبيلي (ت: 440هـ/ 1048م) كتابه جمع فيه الشعر أهل الأندلس وسماء كتاب “البديع في وصف الريعي”، وألف علي بن عبد المحسن الفتوحى (ت: 484هـ/ 1094م) مؤلفاً في تراجم الشعراء واللغويين عنوانه “المستجدين من فعلات الأجواد”.(4)

(1) على أمده: المنصور بن أبي عامر، ص: 178 - أحمد امين : ظهر الإسلام، ج 2، ص: 156 - ستاثي

(2) الشعر الأندلسي، ص: 38.

(3) غرسيب غومس: الشعر الأندلسي، ص: 34، مما أشار إليه غرسيب غومس إليه أن قيام الخلافة الأموية في الأندلس سنة 37هـ خالف مما أوردته الكتب التاريخية من أن ذلك كان سنة 37هـ.

بل إن مما يؤكّد براعة الأندلسين في الشعر ما صنفه الأديب قاسم ابن نصير (ت 328 هـ / 939 م) فقد صنف كتابا في ترجم من برع من الفقهاء في نظم الشعر (2).

وأخيرا فإن عصر الخلافة قد أنتج فئة من الشعراء شهد لهم الأدباء من معاصرهم ومن أتى بعدهم بالبراعة في الشعر والتصرف في فنونه، فأبان عبد ربه قد شهد لهالنتبي بالمهارة في قول الشعر وجردة ما يقوله منه، وكفى ابن عبد ربه فخرا أن يشهد له شاعر المشرق الأكبر، كما أن يوسف بن هارون وصفه الأدباء بأنه المتنبي ختم بهما الشعر.

وأبان ابن دراج كان بالأندلس كالمتنبي بالشرق، وهذا بلا شك دليل كبير على تفوق الأندلسين وعلى ما بلغوه من درجة رفيعة ومكانة سامية في قرض الشعر.

---

(1) ابن الفركسي: تاريخ علماء الأندلس، ج 1، ص 364.
ال نحو وعلوم اللغة


ب – نحو وعلوم اللغة :

من الطبيعي وقد أثبت الأندلسية قدراتهم الواسعة في ميادين المعرفة عن يمتد نشاطهم العلمي إلى حقل الدراسات النحوية واللغوية ، فقد انصرف الكثير من علماء الأندلس إلى البحث والنظر في هذه العلوم ، وذلك لارتباطها الشديد بعلوم كثيرة كعلوم القرآن والدين بوجه عام.

وكان الأندلسية يحرصون على استقامة الفاظهم ، وصحة كلامهم وجعله من اللحن ، ولهذا نجد أن علم النحو عندهم كان في درجة رفيعة ، ومن العلوم القيمة لديهم ، فاعتمدوا به وسعوا إلى دراسته وحفظ قواعده (وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنًا من علم النحو ، بحيث لا تخفي عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم من الأذراء) (1).

وفي بداية اشتغال الأندلسية بال نحو كانوا يعتمدون على قراءة كتب الأدب والنصوص الأدبية دون استعمال كتب النحو ، ثم قادهم ذلك إلى التوسع في دراسته فتناولوا كتب النحو وعكسوا على دراستها . وأول ما ذاع بينهم كتابي الكسباني (ت 188 ه/ 480 م) وسيبوه (ت 177 ه/ 793 م) ثم لم يثبت

(1) المجلد : التفح ، ج 1 ، ص 221.
بعضهم أن أتجه إلى تأليف كتاب في ذلك. مثل جودي بن عثمان (ت 189 هـ/ 811 م) والذي نسب إليه أنه أول من أدخل إلى الأندلس كتاب الكساي (1). وكان جودي قد رحل في طلب العلم إلى المشرق، والتقي هناك بِكبار علماء النحو كالراوي والفراء، والكسائي (2).

ويتبين لنا من أثر الرحلات العلمية في ازدهار حركة الدراسات النحوية واللغوية في الأندلس. وكيف أن ذلك دفع الأندلسيين إلى طرق ميدان الدراسات النحوية واللغوية والنظر فيما وصل إلى أيديهم من انتاج أهل المشرق، فاستفادوا من ذلك كله. وتيسر لهم الانتشار بعد ذلك في البحث والتأليف، فلم تمر فترة وجيزة حتى نشطت حركة الدراسات النحوية واللغوية واتت اكلها.

ففي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ظهر بعض علماء النحو الأندلسيين الذين كان لهم اهتمام باللغة هذه العلوم. ومنهم العلامة مفجري بن مالك الذي عكف على دراسة كتاب الكساي دراسة دقيقة ووضع له شرحًا مفيدًا في توضيح مسائل وشرح قواعده. كما أن معاصريه أبا بكر بن خاطب

(1) أدخل بالثليثا: المرجع السابق، ص 188ـ الكساي: على بن حمزة بن عبد الله الكوفي أخذ عن جمعة من أهل العلم ثم قدم بغداد، فعينه الرشيد مؤيدًا لا بنيه الأمين والمأمون مات بالرئي بخلاف كتابي في النحو والقراءات. (ابن التميم: الفهرست، ص 97ـ 98).

(2) سيبويه: عمرو بن عثمان مواليد باني الحاوري. أخذ النحو عن الخليل فيَّر وبرع فيه فلَّف فيه كتاباً اعتمد عنه. (ابن التميم: الفهرست، ص 77ـ 78).

(3) لطفي عبد البديع: الإسلام في اسبانيا، ص 27.

(4) الراوي: محمد بن سليمان من علماء اللغة والنحو كثير الريف عن الأصمسي، توفي سنة 267 هـ في الراوي، توفي سنة 267 هـ (ابن التميم: الفهرست ص 86).

(5) القرآن: يحيى بن زيد، له كتاب معاني القرآن وكتب في النحو، توفي (ت 267 هـ 877 م).

(ابن التميم: الفهرست، ص 99ـ 100).

٢٥١ -
النحو اَلف كتابة في النحو قول بالكثير من الريشي والاستحسان من علماء
النحو(1).

وأما يجدّر ذكره أن علماء النحو واللغة احتلّوا مكانة سامية في بلاط
الخلافة والمجتمع الأندلسي على السواء، ذلك أنه يعول عليهم في تأديب
الناشئة، وتعليمهم قواعد اللغة العربية والنطق بها نطاقة سليماً، فقد اهتم
الخلفاء والأمراء بهذه الفئة من العلماء، وحرصوا على تقريبهم، والاعتماد
عليهم في تنشئة أبنائهم نشأت علمية سليمة، ولهذا يلاحظ عند الأطلاع على
تراجم النحويين واللغويين استغلال الكثير منهم بتأديب أبناء الخلفاء أو الأمراء
وغيرهم من أفراد المجتمع.

وعندما رحل النحوي الأندلسي محمد بن يحيى الرياحي إلى الشرق
اغتبط هناك على أساليب الدراسة ومناهج النحويين في التعليم، وفي عودته إلى
وطنه انجيل إليه الناس ليأخذوا عنه العلم، ولم يكن في عهده، عند مؤديبي
اللغة العربية عناية كبيرة بالنحو، وكان الأندلسيون يعانون صعوبات في طريقة
التعليم والتأنيف، بالإضافة إلى عدم درايتهم بدقائق العربية فيها لعلم الرياحي
المنهج العلمي وطرق التدريس عند أهل المشرق، ووجب عنايتهم بالنحو
ومعرفة مسأله(2). وفي هذا إشارة إلى التطور التعليمي للأندلسيين واقتباسهم
الوان التقدم العلمي والحضاري عن أخوانهم من أهل المشرق، ولا شك أن
الحال لم تدم على هذه الصورة فقد استطاع الأندلسيون بعد ذلك أن يثبتوا
قدراتهم الذاتية في ميدان النشاط العلمي بصوره المختلفة.

(1) شوقي شكري: المدارس النحوية، ص 289.
(2) الزبيدي: طرق النحويين، ص 311.
ويلاحظ في دراسة النحو وعلوم اللغة ارتباطهما بعض، ولذلك فمن الصعب الفصل بينهما في دراستنا عن النشاط العلمي للكل العلوم.

وعلى عادة الخلفاء في تشجيع النشاط العلمي وبحث العلماء على البحث والتآليف فقد خصص الخليفة الحكم المستنصر جانا من دار الملك لتكون أشبه بما يسمى في عصرنا بمركز البحوث والدراسات. وفي هذا المكان كان العلماء والباحثون يجتمعون للبحث والدراسة والتآليف، ومن هذه الاجتماعات العلمية مذكور أن الحكم المستنصر دعا بعض العلماء وهم محمد بن أبي الحسين، أبو علي القالي، وأبي سيئ، وذلك لمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد، وأحضر من هذا الكتاب نسخاً كثيرة من جملتها نسخة القاضي نظير بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولد، وقد انصرف هؤلاء العلماء إلى دراسة تلك النسخ ومعرفة وجه الاختلاف بينها، فلقد طوا أن نسخة منذر بن سعيد كانت أكثر خطأ فيماذا ذلك الخليفة، ولكن بلغ ذلك منذراً غضب، ويعتبر بابيات شعرية يضاف فيها من علمهم ويسخر منهم، مما يدفع العلماء محمد بن أبي الحسين لأن يرد عليه بابيات طويلة ضمنها سوء معرفته بكتاب العين، ويتبع فيها على أبي علي القالي وسعة علمه.

(1) في هذا المكان من دار الملك ألف الإديب عبد الله بن مغيث كتابه في شعر الخلفاء بنى ايمه في الأندلس للكاتب الاجتماعي. (انظر باب الشعر).
(2) الحمدي: جمع الأدب، ص 15 ـ 31 - 51 ـ 52. الجزء الأول: بدائع الأدب، ص 61 ـ 52.
- الخليل بن أحمد بن عمر الفراهيدي الإذبي ولد بالبصرة سنة 100 هـ/618 م، واشتق بالعلم وصنف الكثير من الكتب في اللغة ومنها كتاب العين ولم يطبع، وكتاب النطق والشكل والنغم، والشواهد وهو أول من وضع العروض، توفي سنة 160 هـ/776 م، (ابن تبات: سرح البيروني، ص 152).

- 253 -
وظهر في عصر الخلافة أعداد كبيرة من علماء النحو واللغة، وسوف نكتفي بالإشارة إلى أبرزهم، ففيما في مقدمتهم الأدب اللغوي أبو علي القالي الذي وقف إلى الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر. وكان من ضمن الكتب التي أدخلها الأندلس كتاب سيبويه في النحو. وقد نهج في تدريس النحو نهج البصريين، وبعده في ذلك تلميذه ابن الإفليدي الذي كان يقرِّي كتاب سيبويه ويدرسه لطلابه في جامع قرطبة.

وكان لابي على مشاركة واسعة في نشاط علوم اللغة، فكان يارعا فيها، مجهودا في دراستها فالف في ذلك كتاباً مهماً اسمه (البارع في اللغة)، والذي وصف بأنه (في اللغات كلها) وأنه زاد على كتاب الخليل بن أحمد نيفا واربعمائة ورقة ما وقع في العين مهملًا فاملاه مستعملا، مما قلل فيه الخليل فاملاً في زيادة كبيرة، مما جاء دون شاهد فاملاه الشواهد، وكان ابتداء أوله سنة تسع وثلاثين وكماله في شوال (55 هـ/655 م) ومات رحمة الله قبل ابعاب النسخة المرفوعة منه، وقبل أن ينقحه فاستخرج من الصكوك والرقع وخرج بخط فصيح في مائة واربعة وستين حرفًا عدد أوراقها أربعة آلاف ورقة وأربع مائة وست واربعون ورقة.

كما أن القالي صنف في «المصور والمصور» مما نال ثناء وتقدير علماء اللغة وال نحو، ووصفه ابن حزم بأنه لم يفلد مثله في بابه.

وأخذ القالي على كعب وقدرته الفائقة في النحو بما أضفاه من دراسات مهمة إلى تلك العلوم وإلى ما صنفه غيره من علماء اللغة، فقد ألف للخلافة

(1) شبكي ضيف: المرجع السابق، ص 289، 290.
(2) ابن خير: فهرست ما رواه عن شيوخه، ح 356.
(3) المقرئ: النفح، ج 2، ص 171 (نقلت عن رسالة ابن حزم في فضل علماء الأندلس).

٢٥٤ -
الحكم المستنصر كتاب فعلت وأفعلت وجعله ثلاثة أضعاف ما كان للزجاج النحوي الشرقي(1).

ومن علماء النحو واللغة المشهورين في عصر الخلافة محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت 374/77 م)، وهو من أهل قرطبة، وكان من البارعين في النحو والمنطليين في علوم اللغة حتى بز فيها غيره من العلماء فكان مرجعا في اللغة والنحو، لا يخلق شأو له في هذا العلم مؤلفات قيمة منها كتابه (تصريف الأفعال)، وكتاب (المقصر والممتد).

وغير ذلك من الكتب المهمة في ذلك(2).

وكان ابن القوطية يعقد مجالسه العلمية في جامع قرطبة، حيث كان يزدحم عليه مجالسه تلك الكثير من طلبة العلم، فياخذن عنه كتاب اللغة ويقرأونها عليه ومن تزداد على مجالسه العلمية العلامة ابن الفضيي الذي ذكر أنه درس على يديه العربيه، وسمع منه كتابه (الكامل المبتدى) ولكن لم يتم سماعه منه لوفاة استاذه ابن القوطية(3).

ولعل من شواهد نبوغ ابن القوطية في اللغة والنحو ما كان ييديه أبو علي القالي له وهو بالنيلزة التي لا تذكر من ضروب التقدير والاجلال لعلمه وفضله(4).

______________________________________________
(1) ابن خير: الصدر السابق، ص 325 .
(2) ابن الفضيي : تاريخ علماء الأندلس ، ج 2 ، ص 76 – 77 الحميدي : الجذوة ، ص 261 –
الضبي : بغية الملتسم ، ص 112 – ابن فرحون : الدياجج ج 2 ، ص 217 – 218 – الصوفي :
المصدر السابق ، ج 4 ، ص 262 – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص 268 – 278 –
السبيطي : بغية الوراء ، ج 1 ، ص 198 .
(3) ابن الفضيي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 77.
(4) الفاطمي : يتيم الدهر ، ج 9 ، ص 74 .
ولا شك أن في ذلك ما يشير إلى الدرجة الرفيعة التي كان يحتلها ابن القوطية في ميدان الدراسات النحوية واللغوية، وأنه قد أصبح بقدر كاف في ازدهارها بما كان يعقد من مجالس الدروس في جامع قرطبة وما تلقاه عنه طلبة العلم من المعرفة الواسعة في تلك الدروس إلى جانب مشاركته في ميدان التأليف العلمي.

ومن معاصري ابن القوطية الأديب النحوي محمد بن الحسن الزبيدي الأشباهلي (ت 729 هـ/1331 م) الذي انتقل إلى قرطبة وأخذ عن علمائها النحو واللغة والأدب وكان له العلم الواسع وعلاقته الغزيرة في النحو أثر في تقربه إلى بلاط الخلفاء. فنال جاهًا ورئاسة، وصحب أبا علي القالي وأخذ عنه الأدب واللغة وبرع على وجه الخصوص في النحو واللغة، حتى وصف بأنه أحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة. وقد لقي من الخليفة الحكم المستنصر كل تكريم وتشجيع فعينه في بعض مناصب الدولة، ولكنه مع ذلك لم ينصرف عن واجبه العلمي فكان على صلة بحلقات العلم والتدريس وأخذ الكثير عنه كتبه وعلومه.

ولا شك أن في ذلك دلالة على ما اتسم به ذلك العصر من اخلاص للعلم، فلمناصب التي تولاه الزبيدي لم تكن تضمه عن ميدان البحث والدرس، وتعد تلك الظاهرة سمة من سمات ذلك العصر.

وكان الزبيدي نشاط كبير في حلل التأليف، فقد ألف الكثير من المؤلفات في النحو وعلوم اللغة، فصنف كتاب "الواضح"، واختصر كتاب "العين".

1 (1) ابن الغربي: المصدر السابق، ج 2، ص 89–101 – الصدفى: الواقف، ج 2، ص 251–
ابن خلكان: المصدر السابق، ج 4، ص 273–274 ، كارل بريكمان: تاريخ الأدب العربي، ج 2، ص 280، 281–
وألف في "الأبنية" و"الحن العامة" وفي "أخبار النحو" (1).

وكان الزبيدي يلقي من الخليفة الحكم المستنصر كل تشجيع فقد خلع عليه خلعة سنية بعد تصفحه لكتابه في اختصار كتاب العين (2).

ونظرا لعناية الزبيدي بال نحو فقد ألف في طبقات النحوين كتاباً نفسيّاً ضمنه أشهر النحاة في المشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدلوي إلى زمن عبد الله الرماحي شيخه في النحو، وهذا الكتاب من بين ما اعتمد عليه الباحث في الكلام عن علماء اللغة وال نحو الاندلسين.

وقد نهج الزبيدي في تأليفه لذلك الكتاب منهجاً املاً عليه الخليفة الحكم المستنصر، فقد كان لاهتمامه بحركة التأليف أن أورثه ذلك خبرة واسعة في التصنيف ومناهج التأليف، وإلى هذا أشار الزبيدي في مقدمة كتابه المذكور بقوله: (ألفت هذا الكتاب على الوجه الذي أمرني به . . . (أي الخليفة الحكم المستنصر) واقتمته على الشكل الذي حده، والمنفي، رضي الله عنه، في ذلك بعنايته وعلمه، وأوسعتني من روايته وحفظه إذ هو البحر لاتعبر اوانه، ولا تدرك سواحله ولا ينزع غمره، ولا تنضب مادته . .) (3).

وهكذا يتبين ما كان عليه الزبيدي من علم واسع بعلوم النحو واللغة ومدى إخلاصه التام في نشر معارف النحو واللغوية. وأنه قد استفاد من تشجيع


(2) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 132 - 134.

(3) طبقات النحوين، ج 9، ص 10 - 207.
وأكرام الخليفة الحكم المستنصر في بث علومه وتأليف الكتب النافعة والتي لا يزال بعضها بيننا.

وكان لأحمد بن ابن سيد (ت ۴۳۸ هـ/ ۹۹۶ م) جهود موفقة في ميدان النحو واللغة، فصنف كتاب "العالم" في مائة مجلد، مرتبة على الأجناس، بدأ فيه بالفك وخت بالذرة (1).

كما تناول كتاب الأخفش (2) في النحو وقام بشرحه وأضاف إليه إضافات مهمة، وكان لهذا الكتاب منزلة رفيعة حتى اثنين عليه ابن حزم ووصفه بالإتقان (3).

وبرزت الالعامة تمام بن غالب المعروف بابي الثانى (ت ۴۴۴ هـ/ ۱۰۴۰ م) في علم اللغة، وقد انتقل من قرطبة إلى مرسية، حيث انصرف إلى التدريس ونشر علبه، ثم عكف على التأليف فصنف كتابًا في اللغة، وله اطلع عليه الأمير ماجد العامري حاكم دانيه اعجب به وبعد إلى تمام بالف دينار وكسبه على أن يذكر في مقدمته أنه صنفه باسمه، ولكن تمام لا يخلصه للعلم فرفض ذلك، وقال: كتاب صنفته لله ولطلبة العلم لا أصره إلى اسم ملك، وحلف أن لا يعمل ذلك، وردائف دينار والكسوة، فعظم في عين ماجد والناس، وأثنى عليه العلماء، ووصفه بالنزاهة والقدر العلمي الكبير (4).

(1) الحميد: الجذرة، ص ۴۰۴ - الديهي: البغية، ص ۳۸ - المرمي: النفح، ج ۲، ص ۱۷۳.
(2) السبيلي: المصدر السابق، ج ۱، ص ۲۷۱ - البغدادي: هدية العارفين، ج ۱، ص ۱۸.
(3) الأخفش: سعيد بن نسيم من كبار نحووي البصرة، وقد أخذ عليه عن سيبو، وقرر عليه كتاب سيبو بعد موته، وقد ألف بعض الكتب في النحو منها الأسطر، والاشتاق، توفي سنة ۴۳۸ هـ./ ۱۰۴۳ م.
(4) ابن التذيب: الفهرست، ص ۷۸ - ۷۷ (8).
(5) الحميد: المصدر السابق، ص ۴۰۰.
(6) ابن سعيد: المغرب، ج ۱، ص ۱۶۶ - المرمي: النفح، ج ۲، ص ۱۷۳ - شكيب ارسلان: الخليل السندي، ج ۲، ص ۴۰۵ - آنجل بالثيا: تاريخ الفكر الإسلامي، ص ۱۸۹.
وفي أواخِر عصر الخلافة مع اسم اللغوي الكبير أبو المحسن علي بن إسماعيل ابن سيده العمي (ت 480 هـ-1085م) وكان بارعا في اللغة، متمتعاً في علومها حتى وصف بانه لا يعلم بالاندلس أشد اعتناء منه باللغة، ولا أعظم من مصنفاته في ذلك، وأنه من مؤلفات مرسية (بلده) حتى قال فيه أحد العلماء (وهو عندي فوق أن يوصف بحافظ أو عالم) (12).

وقد أشاد به العلماء، وثروا عليه علمه الوعاس حتى وصفه القاضي بأنه أعلم أهل الالماس بال نحو واللغة والأشعار، واحفظهم لذلك حتى أنه كان يحفظ الكثير من المصنفات اللغوية وال نحوية عن ظهر قلب (13).

ولم تكن منزلته العلمية معروفة لدى الأندلسيين فقط، بل كانت أيضاً معروفة لدى المشاركه فذكرها وأشارها به وجعله، فقد روى السلفي يقوله: سمعت أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي زيارة اللغوي يقول: كان بالشرق لغوي وبالغرب لغوي في عصر واحد ولم يكن لهما ثالث وهما ضريران: فالشريقي أبو العلاء التندوخي المصري، والغربي ابن سيده الاندلسي، وابن سيده أعلم من المغربي (14).

ولو أتينا ألقينا نظرة على ما تركه ذلك العلماء من تصنيف علمية قيمة وتفقنا على مقدار فضله، وسعة علمه، وعلو منزلته في ذلك. فقد صنف كتاب "الحكم" والملحق الاعظيم، وهو مربى على حروف المجع في اللغة، و"الخصوص" في اللغة أيضاً وهو مربى على أبواب، كتاب "شرح ابيات الجمل للزجاجي"، كتاب "الانيق في شرح الحماسه"، كتاب العروض في شرح اصلاح المنطق" (14).

(1) ابن سعيد: المغرب، ج 2، ص 259.
(2) طبقات الامام: ص 103.
(3) أخبار وتراث اندلسية، ص 70.
(4) ابن خير: المصدر السابق، ص 258.
كما أن من بين مؤلفات ابن سيده الأم، كتاب "شرح مشكل شعر المتنبي"، تناول فيه شرح الألفاظ المستصيحة التي تضمنها شعر المتنبي، وابدأ في ذلك براعة في معرفة معاني الألفاظ، وحل غموضها وتوضيح معانيها بطريقة تنتمي عن سعة علمه(1)، وكان الديب إبراهيم بن محمد بن الألفي قد شرح شعر المتنبي شرعاً وفياً ووصف بالجدوة والحسن(2).

والجدير بالذكر أن تلك الكتب قد احتلت منزلة عالية بين كتب اللغة فتناولها العلماء بالدراسة والإفادة مما حيوته من معارف لغوية جمة. وقد ذكر أنه كتاب "المحكم" في ثلاثين مجلداً، وأنه ليس في كتب اللغة احسن ولا أفع منه(3).

أما كتاب "المخصص" فقد بلغ به منزلة لا تداني، والحق أن من يطلع على هذا الكتاب فأنه سوف يلمس ما كان عليه ذلك العلامة من علم ومعرفة لم تتانى لغيره، والكتاب في مضمونه لغوي مرتب حسب المعاني، وكل موضوع من موضوعات الحياة البشرية من مادى ومعنى من إلهام نقداً. ويفضل له بابا خاصاً به ثم يذكر جميع ما ورد فيه عن العرب من ألفاظ وجميل(4).

وقد وصف هذا الكتاب بأنه موسوعة عظيمة، ودائرة معرفة جليلة، وأنه يقع في عشرين مجلداً تتم عن جلالة ما حواه وعظم ماضيه من معارف(5).

ولاحق ينسج لنا عظم ما سألنا الأندلسيون في هذا الميدان المهم، وما اضافوه إلى المكتبة الإسلامية من دراسات مهمة استميت في رفع شأن النحو

(1) قام بتحقيق ذلك الكتاب محمد رضوان الدابه، وصدر عن دار المأمون للتراث بدمشق.
(2) المقرئ: نفح الطيب، ج 3، ص 172 (بلاغا من رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
(3) السلفي: المجلد السابق، ص 27، اللقلقشي: مسبح الإعثى، ج 6، ص 484.
(4) شكيب أرسلان: الترجيح السابق، ج 3، ص 144.
(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 4، ص 472.
واللغة العربية، ولا نقول ذلك جزافا فإن الأندلسيين اعتمدوا أولا في دراستهم اللغوية وال نحوية على الشرق ثم لم يلبثوا أن انتقلوا في ميدان البحث والدراسة ليخرجوا لنا في نهاية الأمر بدراسات علمية قيمة وتصانيف نفسية.

فما أضافه القالى إلى كتاب الخليل بن أحمد من دراسة مستفيدة وزيادة مهمة لدليل على تفوق الأندلسيين ونبوغهم وعدم اتكالهم على الشرق. وكفاحم فخرا أنه ظهر من بينهم ابن سيده الذي لا يستبعد أن يكون أعظم لغوى في الأندلس والشرق على حد سواء. وقد تمتعت الأندلس بسمة عظيمة في هذه الدراسات فنبع فيها في عصر الخلافة وما بعده علماء كبار منهم ابن عصفور وابن مالك الجباني، وأبو حبان الفرناطي وغيرهم كثير.

وخلاصة القول أن ميدان الحياة الأندلسية واللغوية وال نحوية شهد في عصر الخلافة نشاطاً زاهراً، أثبت فيه الأندلسيون سعة معارفهم وتألق شخصيتهم العلمية.

ومن الحق أن نشير إلى أن هذه العلوم قد أسهم الأندلسيون في تطورها منذ عصر الامام، فالنشاط العلمي آنذاك كان ينصب في أكثره على علوم الدين والأدب وعلوم اللغة، ولا غرو في ذلك فان الأندلسيين رأوا ضرورة الارتباط بين علوم الدين وبين تلك العلوم بما يؤدي إليه ذلك من أيضاح الكثير من مسائل الدين الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهره، وشرح معاني الفاظها وتسهل فهمها.

وفي عصر الخلافة كان الأندلسيون قد بلغوا درجة رفيعة في ميدان البحث العلمي في مختلف وجهات العلم ومنها الدراسات الأندلسية واللغوية وال نحوية، ولا أدل على ذلك من ظهور الكثير من أعلام الأدب واللغة والنحو

- 261 -
الذين أثروا ذلك الميدان بانتاجهم العلمي الرفيع، وأضافوا بذلك دراسات قيمة إلى المكتبة العربية.

وقد تألقت أسماء الكثير منهم كابن عبد ربه، وأبو علي القالي الذي يرجع إليه الفضل في ازدهار الدراسات الأدبية واللغوية والنحوية في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، وكذلك الأبدي المشرقي صاعد بن الحسن الربعي الذي رغم ما وصف به من إدعاؤه وانتحال كان أديبا واسع الاطلاع، جم المعارف، بالإضافة إلى بروز العلامة ابن القوطية في اللغة والنحو بما اثرى به تلك العلوم من دراسات مستفيضة، وإلى جانب هؤلاء تألق اسم محمد بن الحسنالزبيدي الذي كانت له جهوده الموقعة في ذلك، ويختم عصر الخلافة بظهور اللغوي الكبير ابن سيده الذي ذاع صيته شرقا وغربا، ويهؤلاء وغيرهم تجلت لنا صور النشاط العلمي في الأدب واللغة والنحو، ووقتنا على ما قام به الأندلسيون من جهود علمية رائعة في هذه الميادين.
الفصل الثالث
العلوم الإنسانية

- التاريخ.
- الجغرافيا والرحلات الجغرافية.
- الفلسفة.
1- التاريخ


нал علم التاريخ من الأندلسين كل عنانية واهتمام، فقد رأوا من واجبهم الوطني نحو بلدهم الأندلس أن يسعوا بجد للحفاظ على تاريخهم وما يتضمنه من ضروب النشاط السياسي والعسكري والحضاري بوجه عام.

ولما كانت الأندلس في عصر الخلافة فقد بلغت شيئاً كبيراً في ميدان الحضارة والخيل العلمي خاصة، فمن الطبيعي أن نرى الأعداد الهائلة من العلماء في مختلف وجوه العلم وفروع المعرفة، الأمر الذي دفع الأندلسين نحو تخليد مثير بلدهم في هذا الميدان بكتابة تراجم علماً وأعيانه.

والواقع أن الأندلسين من باب استكمال وجهة الحضارة وإثبات مكانتهم العلمية نشطوا في ميدان الدراسات التاريخية، وكانهم استهدفوا من وراء ذلك إبراز ما أسهم به بلدهم مع المشرق الإسلامي في بناء الحضارة الإسلامية.

وإذا ما تبدعت حركة الدراسات التاريخية في الأندلس نلاحظ أن الأندلسين عنوا أكثر بكتابة التراجم، فقد نشطت حركة التأليف في هذا
الميدان نشاطا كبيرا، وإن مجرد إلقاء نظرة على المكتبة التاريخية الأندلسية
لكفيف بأن يرنا هذه الحقيقة بوضوح.

وقد أظهر الأندلسيون براعة تامة وقدرة كبيرة في ميدان الترجم، وكان
الكثير منهم في بادئ الأمر يتوجهون إلى كتابة سير علماء الأندلس بصورة عامة
ثم ما آتوا أن تناولوا كتابة الترجم بصورة أكثر تخصصاً للعلماء وأهل
المعروفة، فعمد البعض إلى التأليف في ترجمة طبقية معينة من العلماء كطبقات
الأطباء لابن جلجل، وطبقات النحوين الزيدي، بل إن أفراداً منهم ألفوا في
ترجمة علماء جهة من الجهات، ككتاب «أصبحي شعراء البيرة» أو في ترجمة
شخصية معينة كالنمرور بن أبي عامر، فقد ألف حسن بن عاصم كتابا
اسمه «المأثر العامري» في سير النمرور وغزواته وأوائلها(1).

وقد شهد عصر الخلافة نشاطاً كبيرا في ميدان التاريخ، فبرز مؤرخون
بارعون كان لهم جهد بارز في إثراء هذا العلم بالكثير من الدراسات المثمرة
التي تتم عما أمثالوا به من القدر العلمي الكبير.

وفي مقدمة مؤرخ عصر الخلافة ياتي المؤرخ محمد بن عمر بن
عبد العزيز المعروف بأبا القوطية (ت 367 هـ/ 977 م)، وقد أشارنا إليه
سابقاً عند الحديث عن النحء وعلوم اللغة باعتباره أحد العلماء البارزين فيها،
وبالإضافة إلى ما تقدم. كان ابن القوطية بارعاً في التاريخ (حافظاً لأصحاب
الأندلس، ملماً برؤية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها، يعلى ذلك عن
ظهرقلب) (2).

ولابن القوطية في ميدان التأليف التاريخي مصنف اسمه «تاريخ افتتاح
الأندلس»، وبيند أن انتخاب ابن القوطية إلى القوط من جهة أمه كان له أثر في

(1) الحميدي: الجذوة، ص 192.
(2) ابن الفضلي: تأريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 76-77.
نظرته إلى الوقائع التاريخية التي حدثت بين القوط والسلميين، فكان يميل في بعض الأحيان إلى تمجيد المنصر القوطي، والانتساب نحو عواطفه القومية، مما يخرج به عن محيط الموضوعية في كتاباته التاريخية، فهو حينما يتحدث عن الزعيم القوطي ارتباسًا وأخباره مع الزعيم العربي الصملي بن حاتم نجده يصور الزعيم القوطي في خلق نبيل وأنه صاحب دهاء وحكمة في حين يصور الزعيم العربي في صورة أقل من ذلك، كما أنه يتوسع في أخبار الأثرين من أصول إسبانية كصوار الجليقي، وعمر بن حفصون، وفضارا عن ذلك فهو باعتباره من مواقي أبني أمية فهو لا يخفى ميله نحوهم والإشادة بهم في كتابه (1).

ورغم ما تقدم فإن للكتاب قيمته التاريخية المهمة بين كتب التاريخ الأندلسي إذ يأتي في طليعة الكتب التي أرخت لأحداث الأندلس منذ افتتاحها إلى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر كما يتميز بالإسهاب والتفصيل في شرح بعض الأحداث والوقائع التي لم يكن يعرفها العرب (2).

ومن حق ميدان التاريخ أن يزهو بأسرة آل الرازي التي كان لها فضل كبير في ازدهار علم التاريخ.

يأتي في مقدمة مؤرخي تلك الأسرة المرزوق أحمد بن محمد بن موسى الرازي الكاتبي (274/ 434 هـ - 887 - 950 م)، وكان والده محمد قد وفد إلى الأندلس من الشرق حيث نزل مكرماً على الأمير محمد بن عبد الرحمن، وقد أشرنا إلى براعته في ميدان الجغرافيا أثناء الحديث عن ذلك في عصر

(1) أحمد أمين : الأدب الأندلسي، ص 191 - 192 - أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج 2، ص 275.
(2) أحمد أمين : المراجع السابق، ج 2، ص 275 - السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج 7، ص 262 - لطفي عبد البديع: الإسلام في إسبانيا، ص 69 - 70.
الإمارة، أما ابنه أحمد فقد ورث عن أبيه القيادة في التاريخ، ووصف بسعة العلم وحفظ وقواعد التاريخ الأندلسي، والمعرفة العامة بسيير ملوك الأندلس وأعيانهم(1).

والحق أن ما أُسْدِهَ ذلك المؤرخ لحقل الدراسات التاريخية الأندلسية تأليفاً وترجمة له شئ يثير الاعجاب، فقد صنف كتابًا في «أُخْبَار ملوك الأندلس وخدمتهم وركابهم وغزواتهم» يقع في حجم كبير، كما ألف كتابًا في «صفة قرطبة، وخططها ومنازل العظام بها»، وقد نُهِج في تأليف كتابه الأخير طريقة المؤرخ المغربي أحمد بن طاهر في كتابه «أُخْبَار بغداد» وذكره لمنازل صاحبته المنصور بها، كما أشار ابن حزم إلى تأليفه كتاب في «أُناس مشاهير أهل الأندلس» وأنه يقع في خمس مجلدات، ووصفه بالقيمة العلمية الكبيرة(2).

وبالإضافة إلى جهود أحمد الرازي في ميدان التاريخ، فقد كان له أيضًا إسهامًا وافرًا في ازدهار الدراسات الجغرافية وسوف نأتي على ذكر ذلك عند الحديث عن الجغرافيا.

وقد أنجب أحمد الرازي ابنه اسمه عيسى، ورث عن أبيه المهارة في دراسة التاريخ إلى جانب تمكّنه في الأدب، وكان لما أتصف به عيسى أثر في تقرب الخليفة الحكم له وإدنا منزلته، وكان يشجعه على البحث والتأليف، فالف له عيسى كتابات قيّمة في التاريخ، ولم يزل عيسى محفظ الإجان كريم(3).

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج 1، ص 42.

٢٦٧
المقام حتى تولى الحاجب المنصور زمام الأمور بعد وفاة الخليفة الحكم، وقد ألف عيسى المنصور كتابًا في "البيزارة والوزراء"، كما ألف له كتابًا في "الحجاب".

إذا كان لبعض العلماء الواردين على الأندلس دور بارز في ازدهار حركة الدراسات التاريخية في الأندلس فأنه يأتي في طليعتهم المؤرخ محمد بن حارث بن أسد الخيشني القيرواني (ت 370 هـ / 981 م) الذي تلقى علومه الأولى في القيروان، وقد انصرف إلى التاريخ والتراجم فكان له في ذلك جهود قيمة، وانتاج علمي نفي، ونظراً ما كانت عليه الأندلس من حضارة وما ضمه من أرباع العلم والمعرفة فقد كان ذلك دافعاً للخشياني إلى قصدها فدخلها سنة (326 هـ / 941 م) ليأخذ العلم عن علماء قرطبة أمثال قاسم بن أصبغ وأحمد بن عبادة وغيرهم من العلماء، وكان لسعة علمه وفضله أثر في تطريز الخليفة الحكم له فأنزله منزلته ورفع مكانته بين العلماء.

وقد أسهم الخيشني بجهد وافر في رقي الدراسات التاريخية بما صنفه من المؤلفات القوية، فقد صنف كتابًا في "قصة قرطبة"، وأصدر المؤلف كتابه بالثناء على الأمير الحكم المستنصر – الذي كان آنذاك ولياً للعهد – وأنه كان وراء تصنيفه للكتاب بما كان يبديه له من ضروب التشجيع المادي والمعنوي ورغم أنه في حفظ سير أمر العلم، ثم يعرض الخيشني في مقدمة كتابه إلى منهجه في جمع المادة العلمية للكتاب فيقول: (لا أمر الأمير – أبقاه الله – بتلخيص كتاب القصة مقصوراً على من قضى للخلفاء رضي الله عنهم بأرض

(1) المراكونى: الأدب والكلمة، السطر الخامس، القسم الثاني، ص 291.
(2) ابن الفروض: تاريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 134 - 135 - 315 – 316، مدخل باللغة: تاريخ الفكر الأندلس، ص 276 – 278.
المغرب في الحاضرة العظمى قرطبة، ذات الفخر الأعظم ولعمالهم بها من قبل
هدزت رواية الأخبار في أخبارهم، وكشفت أهل الحفظ عن أفعالهم، وسالت
أهل العلم عما تقدم من سيرهم قولًا وفعلاً(1).

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب لقي عناية فائقة من دارسي التاريخ
الأندلسي وخاصة من يهتمون دراسة الحياة الاجتماعية في ذلك العصر، وقد
ترجم فيه مؤلفه من تولى القضاء منذ الفتح حتى سنة 256 هـ/966 م، وهي
السنة التي تولى فيها القضاء القاضي محمد بن إسحاق بن السليم وله ختم
الكتاب.

وقد يفيض بالعلومات القيمة عن سير القضاة وما يتخللها من مواقع
طريفة مع الناس، حتى وصف هذا الكتاب بأنه يضمنا في قلب قرطبة من
خلال ما يبدون به من معلومات عن الحياة الاجتماعية، كما أن أخباره مصورة
في قلب من الواقعية التي لا يرقى إلى مستواها أي من كتب التاريخ
واللاب(2).

والإضافة إلى ما سبق صنف الخشني الكثير من الكتب، فقد ذكر ابن
الفرضي أنه صنف للخليفة الحكم المستنصر مائة ديوان(3). ولا شك أن فيه
دلالة على ما يتصف به الخشني من سعة العلم والدراية العميقة باكثر من علم
وهي دليل أيضا على ما كان يرافق الخليفة الحكم من عناية بالبحث والتاليف.

وأما ينسب للخشني من كتاب التاريخ، «تاريخ الأندلس» و«تاريخ
الأفريقين» و«كتاب النسب»(4).

(1) قصة قرطبة، ص 1 - 269.
(2) أحمد هيلان: الأدب الأندلسي، ص 163.
(3) تاريخ علوم الأندلس، ج 7، ص 112.
(4) الدحوفي: المصدر السابق، ج 3، ص 29 - 100 - ابن العمام: ذئرات الذهب، ج 3، ص 269.
الجدير بالذكر أنَّهُ عُثرٌ لهذا العلامة على مخطوطة يسمى (تاريخ علماء الأندلس) وهو عبارة عن معجم تراجم لأعلام الأندلسين حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ويحوي ذلك المخطوطة 182 ورقة مكتوبة بخط أندلسي عتيق جداً، وقد أشار ابن الغرفي إلى اعتماده في تأليفه لكتاب تاريخ علماء الأندلس على كتاب للخميني في تراجم رجال الأندلس فلهذا ذلك المخطوطة المذكورة (1).

وفي مجال التراجم يبرز العلامة المؤرخ عبدالله بن محمد الأزدي المروف بابن الغرفي (ت 402 هـ / 1012 م) الذي سبقت الإشارة إليه في ميدان الحديث.

كان هذا العلامة جَمَّ النشاط كثير الاستغلال بالعلم، فقد صنف العديد من كتب العلم، ففيما يتعلق بالتاريخ ما صنفه في ميدان التراجم، وهو كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، والذي يعد من أهم المصادر التاريخية لدراسة الحياة العلمية في الأندلس حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. كما أن هذا الكتاب يعد أقدم كتاب التراجم العامة التي بين أيدينا، فعلى الرغم من أن كتاب الخميني "تاريخ علماء الأندلس" - الذي لا يزال مخطوطةً حتى اليوم - يعتبر أقدم من كتاب الفرشي المذكور إلا أن الأخير بما أتيح له من أساليب الإنتاج والانتشار، كان في مقدمة كتاب التراجم الأندلسية المهمة نبيعا بين المشتغلين بدراسة التاريخ الأندلسي.

وفي مقدمة الكتاب يشير المؤلف إلى عنايته بالتراجم فيقول: (ولم أزل مهتما بهذا الفن، معتنيا به مولعاً جمعناه والبحث عنه، ومسائلة الشيوخ عما (1) يعالج هذا المخطوطة بالمكتبة الملكية بالرياض تحت رقم 19916، وقد اخترنا منه في بعض جوانب البحث.)
لم أعلم منه حتى اجتمع لي من ذلك بحمد الله وعونه ماملته وثيد في كتابي هذا من التسمية - ما لم أعلم يقيد في كتاب ألف في معناه في الأندلس قبله (1).

وقد اعتمد ابن الفرضي في تأليفه لكتابه المذكر على من سبقه من العلماء أمثال أحمد بن محمد بن عبدالب، و خالد بن سعد، ومحمد بن الحارث الخشتني الآنسائز، والمؤرخ أحمد الرازي، والمؤرخ ابن يونس بن عبدالعال المصري في كتابه تاريخ مصر والمغرب، وغيرهم من المؤرخين بالإضافة إلى ما تلقاه من أفواه العلماء مشاهدها و ما ققد عليه (2).

والحق أن كتاب ابن الفرضي على الرغم من سلوكه سبيل الاختصار فيما أورده من ترجمة قيمته العلمية التي لا تذكر في توضيح ما كان عليه المجتمع الأندلسي من اهتمام بالعلوم والمعارف وما تمتع به الأندلسيون من علم واسع وخاصة في حلل العلوم الدينية إذ غلب على الكتب ترجم علماء الحديث والفقه و بعض أهل الأدب، ولا نكاد نلس فيه ما له صلة بالبابدين العلمية الأخرى كالطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء.

وقد نال كتاب ابن الفرضي تقدير وثناء العلماء، فذيل عليه أحدهم وهو أبو القاسم خلف بن عبد الله المروي بابن بشكوال (494 - 78 هـ) و (1100 - 1182 م) بكتابه القيم « الصلة ».

واسمهم العلامة يوسف بن عبد الله بن عبدالب الفزياري في ازدهار الدراسات التاريخية بما بذله من جهد وأظهر تمثيل فيما صنفه من كتاب التاريخ والترجمة في مقدمتها الاستيعاب، في أسماء المذكورين في الروايات.

(1) تاريخ علماء الأندلس، ج 1، ص 2.
(2) نفس المصدر والجزء، ج 2، ص 2.

271 -
والسيرة والصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم ويقع في اثنين عشر جزءاً، وكتاب « الدور في اختصار المغازي والسير » في ثلاثة أجزاء، وكتاب « أخبار أئمة الأنصار » في سبعة أجزاء(1).

ويعد الكتاب الأول وهو « الاستيعاب » من أهم كتب الترجمة التي تناولت حياة الصحابة رضي الله عنهم، والتي يعتمد عليها في معرفة سيرهم وأخبارهم، فهو بذلك كتاب جليل غزير الفائدة، وله تأليف ابن عبدالله منزلة رفيعة بين العلماء، كما ألف ابن عبدالله النمري كتاب « الإنباء على قبائل الرواة عن النبي ﷺ » بما انضاف إلى ذلك من أنساب العرب ويعتبر الكتاب بمثابة مدخل لكتاب الاستيعاب(2).

ويذكر المقرر أن ابن عبدالله صنف كتابا في التاريخ أسماه « القصد والأمم في معرفة أخبار العرب والعجم »(3) وقد أشار كراتشيفسكي إلى هذا الكتاب ووصفه بأنه عبارة عن رسالة صغيرة تقع في عشرين صفحة تقريباً، وأنها لا تتضمن شيئا عن العرب بل تدور حول أصول الشعوب الأخرى التي ورد ذكرها في الحديث، كما يشير إلى أن العلامة شيفير مصرياً في نشره لقطعة من الرسالة مقررة بتجمعة فرنسية. وهي القطة الخاصة بأهل الصين، وأكد أنه توجد بها إشارة دقيقة إلى عبادة الأسلمين، بالإضافة إلى تضمنها فكرة عن وجود قبائل الأينو في شمال الصين، وأن أحد العلماء وهو فرمان FERRAND رغم تشكيكه بصدقي النقطة الأخيرة إلا أن حمدي: الجنية، ص 38-39، الضبي: البغدادية، ص 489-490، ابن بشكوال: الصلاة، ج 2، ص 178-179.

(1) ابن خير: فهرست مارواه عن شبهه، ص 215-216.
(2) نفح الطيب، ج 3، ص 182.
(3) ٢٧٢٧-
أن ذلك لم يمنعه من الاستشهاد، بما أورده ابن عبدالبر حول مسألة علاقة الصين بسكان الملايو (1).

وبناء عليه ندرك ما كان يتمتع به ابن عبدالبر النمري من علم واسع بالتاريخ والتراجم، حتى قيل أنه : (كان مع تقدمه في علم الآثار، وبصره بالفقه ومعاني الحديث له بسعة كبيرة في علم النسب والخبر) (2).

وفي عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر أدى الإمبراطور رومانوس إليه كتابين أحدهما في الطب وهو كتاب ديسترفيدس، والآخر في التاريخ وهو كتاب هروشيش (3)، وبهما الآن الكتاب الأخير لعلاقته بالتاريخ، فقد ترجمه الأندلسيون من اللاتينية إلى العربية بواسطة قاضي النصارى الوليد بن خيزبان، والعلامة قاسم بن أصبغ (4).

ويظهر أن هذا الكتاب لم يكن له من التأثير في كتابات مؤرخي الأندلس بقدر ما كان تأثرهم به في مجال الجغرافيا كما سيأتي بيانه عند الحديث عن الجغرافيا.

ولعل من أهم أسباب ازدهار الدراسات التاريخية ما كان يتصف به الخلفاء من عناية بالعلم وتشجيع العلماء على البحث والتصنيف، فقد كان للخلفية الحكم المستنصر دور بارز في انتشار العلمي المتصل بهذا الميدان وغيره من ميادين المعرفة، ولا أدل على ذلك مما تزودنا به كتب التاريخ من أسماء الكتب العلمية التي صنفت باسم الحكم المستنصر وبناء على رغبته، كالذي صنفه الخشني، ويعتبر بن أحمد الرازي وقد ذكرهما.

---

(1) الآلهة الجغراف السير، القسم الأول، ص 273.
(2) ابن بشكار : السلالة، ج 2، ص 179.
(3) ألو الفارسي : تاريخ الآلهة، ص 27 (تقرأ ابن خليلون).
(4) إحسان غيبر : تاريخ الآلهة الآدانية، ص 37 (تقرأ ابن خليلون).
---

٢٧٣
ومن هؤلاء المؤرخين الذين حظوا برعاية الخليفة الحكم محمد بن يوسف الأرئ، فقد نشأ في القريات، ولكن ما لبث أن شهد رحاله إلى الأندلس حيث قربه، وأثنى منزته، وأغدق عليه الصلات الجزيلة، وأتاح له من الأسباب ما جعله ينصرف إلى البحث والتاليف فصنف له كتبها عديدة في التاريخ والجغرافيا، ففيما يتعلق بالتاريخ ألف كتاب في أخبار ملوك إفريقية وحروبهم والذين عليهم، كما ألف في أخبار مدن إفريقية كثيرة، وورزان، وتنس، وغيرها (1).

كما أن العلامة إسحاق بن مسلمة بن وليد القيني كان متضلاعا في تاريخ الأندلس عارفاً بأخباره وسير ملوكها، وقد ألف في ذلك كتاباً بناء على رغبة الحكم المستنصر (2).

وبالإضافة إلى ما تقدم من التصانيف المؤلفة للحكم المستنصر، لا تستبعد أن يكون المؤرخ الطبيب عربيع بن سعد قد ألف كتابه في التاريخ "صورة تاريخ الطبري" بناء على رغبة الخليفة الحكم المستنصر ونزولاً على (3).

(1) الحميدي: الجندوة، ص 77- ابن الأبار: الكتلة، ج 1، ص 766.
(2) تيبريز: تتعلق تاريخه بفتح الباب وسكون الرواية، مدينة جزائرية تقع في إيلين وهران، ينسب تأسيسها إلى عبد الرحمن بن رستم الأدبي، 144 هـ، (ياقت: مجمع البلدان، ج 2، ص 761)، أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج 1، ص 432.
(3) وهران: مدينة بالجزائر بينها وبين تونس، شامي مراحل، باشا محمد بن أبي عون ومحمد بن عبيد، جمعة من الأندلسين، 190 م، تعرضت في تأريخها للتدمير، (ياقت: مجمع البلدان، ج 5، ص 285-286).
(4) تونس: مدينة ساحلية جزائرية تقع في منتصف الطريق بين وهران والجزائر، وعلى مسيرة 125 ميلاً من هذه الأخيرة، وهي بلدة قديمة جداً ببعض مهابري الأندلس إبان القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج 1، ص 301).

- 274 -
أمره(1) وخاصية إذا علمنا أن عريب المذكور قد ألف كتابه في الطب باسم الخليفة الحكم المستنصر(2).

ولم يكن الخليفة الحكم المستنصر بالذي يقصر باعا عن هؤلاء المؤرخين، فقد كان على علم واسع ومعرفة عميقة بالتاريخ والأنساب ثقة فيما ينقله(3).

وقد دفعه اهتمامه بعلم الأنساب إلى تقييد الكثير من أنساب أهل بلده، وإلى تكييف أهل الأقاليم بأن يلحقوا كل عربي اخمل ذكره قبل ولايته، وأن يصحح أنسابهم ذو معرفة بذلك، وقد نسب إليه تأليف في الأنساب(4).

ويشير البغدادي إلى مؤلف له في الأنساب اسمه "أنساب الطالبين والعلويين القادمين إلى المغرب"(5).

ومما يؤكد اهتمامه بالبالغ بهذا الجانب من التاريخ سؤاله واستفساره عن أنساب الأمام وتوارихهم، فذكر أنه في سنة 352 هـ وقف عليه رسول من أمير براجوط(6) وكان المترجم عن ذلك الرسول الأديب عيسى بن داود المطاسي، فسأله الحكم المستنصر عن نسب براجوط ومذهبه فافاده بذلك(7).

ولم يألو الخليفة الحكم جهدا في تشجيع العلماء على البحث ولم يدخل وسعا في ذلك، بل إن مما يزيدنا إعجابا به وما أسداه للحركة العلمية ومنها ميدان التاريخ - ما يذكر عنه أنه كان يعين العلماء على التأليف بما يوفره لهم.

(1) أحمد ميكل: الأدب الأندلسي، ص 192 - أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج 3، ص 275.
(2) انظر فيما بعد الحديث عن الطب.
(3) ابن المداد: شطرات الذهب، ج 3، ص 65.
(4) ابن البار: الحلة السبارة، ج 1، ص 203 - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق ليلى برترمان، ص 41.
(5) هديتها الفارسية، ج 2، ص 233.
(6) انظر نسب هذه القبيلة البربرية وأخبارها ابن عزاري، البيان المغرب، ج 1، ص 1، ص 223 - 223.
(7) ابن عزاري: البيان المغرب، ج 1، ص 223.
من كتب العلم ومصادر البحث ليس في الأندلس فقط بل وخارجها أيضا، فقد
أشار ابن الفضلي في مقدمة كتابه "تاريخ علماء الأندلس" إلى اعتماده على
كتاب أبي سعيد عبدالرحمن بن يونس المصري في تاريخ مصر والمغرب والذي
اعتمد في تأليفه على كتاب في التاريخ أنفذه إليه الحكم المستنصر ليعينه على
تأليف كتابه المذكور.

ويتضح لنا من خلال ما قدمه الخليفة الحكم المستنصر من جهود كثيرة
في كتابة التاريخ مدى ما له من فضل في هذا الميدان، وهو ما يتجلى في
صفحات الكثير من كتب التاريخ والتراجع والأنساب والتي تؤكد مدى إسهامه
العظيم في ازدهار الحركة العلمية بحفره الملكات على التأليف والبحث العلمي.

ولم يكن المنصور بن أبي عامر خالٍ وفاضلاً في تشجيع الحركة العلمية
والعناية بميدان البحث والتأليف وقد سبقت الإشارة إلى ما صنفه عيسى بن
أحمد الرازي من كتب المنصور في "الوزارة والوزراء" و "الجواب"،
بالإضافة إلى تأليف حسين ابن عاصم وهو القائم على مكتبة المنصور
الباشر عليها كتاباً في التاريخ اسمه "المئذن العامرية" في سيرة المنصور
ابن أبي عامر وزوجته وأوقاتها(1).

ولا ريب أن عصر الحاجب المنصور ثم ابنه عبدالملك من بعده كان من
أعظم العصور قوة وعزتا للمسلمين في الأندلس، وكان لما اتصف به عصر
العامريين بوجه عام من قوة ورخاء أثر في انصراف بعض العلماء إلى تاريخ
حكمهم وسيرهم وما قاموا به من أعمال، فصنف المؤرخ عبدالرحمن بن محمد
ابن معاز (ت 423 هـ) كتاباً في "تاريخ الدولة العامرية"(2).

---
(1) الصمدي: الجذوة، ص 193 - الضبي: البغية، ص 227.
(2) ابن بشكال: الصلة، ج 7، ص 428، بغدادي: هديث العارفين، ج 1، ص 916.
ولم يقف الحال في مسيرة البحث التاريخي على التأليف في دولة ما أو عصر ما، بل نجد بين كتب التاريخ الأندلسي ما صنف في بعض الأشخاص الأندلسية التي ارتبطذكراها بحداث ووقائع مشهورة فقد اشار ابن حزم إلى بعض الكتب في هذا المجال ومنها ما هو في أخبار عمر بن حفصون القائم بريه وروايته وسيرة وحروبه، وكتاب آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي كان قاطنا بالجوف، وكتاب في أخبار قس والتجييين وبني الطويل بالغر (1).

وفي الفترة التي حكم فيها المصير بن أبي عامر ولد أشهر مؤرخ في الأندلس وهو حياء بن خلف بن حسان بن حياني القرطبي ويكنى أبو مروان (773 - 849 هـ / 397 - 477 م)، وقد نشأ هذا العلامة نشأة علمية حيث اطلع على اللغة والأدب على الأديب أبي عمر بن أبي الحبوب النحوي صاحب أبي على التالى، كما درس على الأديب صاعد بن الحسن الربيعي، وأخذ الحديث عن العلامة عمر بن حسين بن نابل وغيرها (2).

ونظراً لمكانة العلمية ومعرفته الواسعة بالتاريخ والأدب، فقد تولى بعض المناصب الإدارية والأدبية الهامة، كمنصب صاحب الشرطة أو صاحب المدينة في قرطبة، كما ضمّ إلى ديوان الإنشاء (3).

وتتضح لنا مكانة ابن حيان التاريخية مما خلفه من كتابات ودراسات تاريخية قيمة يتأتي في مقدمتها كتابه "المقتبس" ويعق في عشرة اجزاء و"المتن" في تاريخ الأندلس ويقع في ستين مجلدا (4).

(1) المغربي: النهض، ج 2، ص 173 - 174.
(2) ابن بشكول: العلاج، ج 1، ص 153-154 - ابن خلدون: الوفيات، ج 2، ص 268-269.
(3) إنجل بالعثة: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 268 - محمد عبدالله عنان: ترجمة إسلامية، ص 277.
(4) أحمد هنوك: الأدب الأندلسي، ص 314 - إنجل بالعثة: المراجع السابق، ص 208.
والكتابان المذكوران أهم ما ألفه في تاريخ الأندلس، ولع كتب أخرى في التاريخ ككتاب "البطشة الكبرى في تاريخ الدولة العampoline"، وكتاب "انتخاب من أخبار القضاة" (1).

وأما يسفي له أنه لم يصلنا أي من كتبه كاملاً ما عدا قطع من كتابه الأول وهو المقتبس في القطعة الأولى عشر عليها بروفنسال في خزانة القرويين بنفس، وتحتوي على تاريخ الأندلس من سنة (188 - 803 هـ/ 846 م) وتقل في ستين لوحات لم تنشر ولم يعثر عليها بعد وفاة بروفنسال. أما القطعة الثانية فهي محفوظة بخزانة جامع القرويين، وتقع في مسعود ونسرين ليوه (2)

وتحتوي على تاريخ الأندلس من سنة (232 - 846 هـ/ 846 - 880 م).

وقام على نشرها وتحقيقها محمود علي مكي.

القطعة الثالثة: وتضم مائة وسبع لوحات وتنواع تاريخ الأندلس من سنة (271 - 300 هـ/ 880 - 916 م). وقام على نشرها ملقيوس لانثنيا.

القطعة الرابعة: وتحتوي على تاريخ أربعة أعوام من حكم الخليفة المستنصر من سنة (272 - 276 هـ/ 985 - 978 م)، وقام على تحقيقها عبد الرحمن الحجي (2).

وأما القطعة الخامسة: وتمع من أهم القطع بل أهمها جميعاً - فقد عثر عليها بين محتويات الخزانة الملكية بالرباط وتتعلق جميعها بعصر عبد الرحمن الناصر، وتبدأ من سنة 260 هـ وتنتهي بسنة 320 هـ (975 - 941 م)، وقد نشرتها هذه القطعة بعناية ببعض الأسبات وهم ب، ثلة و، و، كورثيمي، و.م. صبح بالمعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد 1979 م.

(1) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، من 147.
(2) محمد عبد الله عثمان: ترجم إسلامية، من 272 - 278. - 278
وفي بداية هذه القصة، يتحدث ابن حيان عن الخليفة عبدالله الرحمن الناصر وأبنائه وتربيتهم وما كان عليه الخليفة من قوة الدين وسعه في عزته، وما سلكه في سبيل القضاء على حركة ابن مسهر، ثم يتحدث عن شعراه الناصر في بلاطه وأبرزهم في الشعر.

ويعتمد ابن حيان في كتاباته التاريخية على مساقه السباق من المؤرخين كالمؤرخ أحمد الرازي وابن عيسى، كما ينقل عن ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس" عن يوسف بن عبد الله الوراق الذي يصفه بأنه حافظ المغرب، وابن القوطي، ومحمد بن حارث الخشني، ومعاربة بن هشام، وفي كتاب ابن عبد الله النمري، وزيداء اعتماده أكثر على آل الرازي وهو ما يتضح لكل مطلع على ما تبقى من كتابه "المقتبس".

وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد كان ابن حيان يعني عنابة شديدة بإيران الوثائق الرسمية المهمة، فيرد منها ما لم يرجع إلى أي مصدر من مصادر التاريخ الأندلس، ككتاب الحكم بن هشام عن ثورة الريش، وكتاب الخليفة الناصر الموجه ضد ابن مسهر وتعاليه وغير ذلك.

ويتجلى في كتابات ابن حيان ماكان عليه من فضحة وبلاغة، وأنه كان ينهج في ذلك منهج الالتزام بالصدق والصراحة فيما يقول من غير تحامل أو هوي.

وأسلوب ابن حيان في كتاباته التاريخية أسلوب رفيق بليغ حتى وصفه دوسي بأنه (يسوء التاريخ مساق من يبدي رأيه وحكمه فيما يعرف من القضايا، ويبحث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء)... ويمتاز

(1) محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 275.
(2) ابن بشكار: الصلة، ص 211.

- 279 -
ابن حيان إلى ذلك بأسلوب صاف ناصع لا يهبط إلى الركاكية التي تثير السخط (1).

ولا شك أن ابن حيان بهذا الأسلوب قد استحق ثناء العلماء من معاصريه ومن أئمه بعدهم فقد حظى بالتقدير والإجلال، ونال مكانة رفيعة بين مؤرخي الإسلام، فهو يقف موقف الهد مع المؤرخ الشرقي أبي الحسن علي السعودية (ت 347 هـ / 957 م)، والمؤرخ الشرقي الآخر ابن الأثير، ويجمعا في أسلوبه القوى بين البلاغة التي يمتاز بها السعودي، وبين روح التحقيق التي يمتاز بها ابن الأثير (2).

أما عن طريقه في الكتابة التاريخية فهي مزيج بين طريقة الفصول ومنهج الحوليات فيما يخص الغزوات والأحداث العسكرية، ويتخلل ذلك الحديث عن الشخصيات البارزة في ذلك العصر (3).

ويأتي في أواخر عصر الخلافة من المؤرخين العلامة ابن حزم الذي اتصف بتفانيه في العلوم والمعارف ومشاركته الواسعة في ميدان البحث والتلخيص العلمي، ففيما يتعلق بالتاريخ فقد أسهم فيه بنصيبي وافر من الجهود العلمية الجاد، فمن ذلك تأليفه كتاب «جمهيرة أئمة العرب» الذي وصف بأنه أوسط كتب النسب وأحلفها وأدفقها مع الإيجاز، وقد كان لثقافته التاريخية وإطلاعه الواسع أثر في وقوفه على أقوم المعلومات عن الأنساب فجمعها ونستقلا في كتابه المذكور مع الإشارة إلى أهم الأحداث التاريخية والأدبية وأيام العرب في أسلوب جاذب سهل كما تتضح براعته في دراسة مواطن وأماكن

(1) أنخيل بالثليث : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 211
(2) محمد إبراهيم شنان : تراجم إسلامية ، ص 272 - 274
(3) محمد عبد الله شنان : المراجع السابق ، ص 281 - 282
 القرار العربي في الأندلس ، إلى جانب ما أبداه من غزارة العلم وسعة المعرفة بانسأب بني إسرائيل وتاريخهم (1).

ولاشك أنه كان لما تتمتع به ابن حزم من ثقافة وإطلاع واسع على الكثير من العلوم كالفلسفة والحديث والتاريخ والأنساب أثر فيما توصل إليه من نتائج علمية قيمة في ميدان التاريخ والأنساب وأنه كان لاهتماماته بدراسة كتب اليهود والنصارى أثر في ترسيح معلوماته عن تورسياهم اليهود والنصارى ومعرفته العميقه بذويهم وطريقة الدينية وهذا ما أثره عند دفاعه عن الإسلام ضد مزاعم أهل الديانات والفرق الأخرى كما يلاحظ في كتابه » الفصل » بالإضافة إلى تسهيل مهمته عند دراسته لانساب بني إسرائيل وتاريخهم في كتابه عن الأنساب.

ولابن حزم كتاب آخر في التاريخ اسمه » نقط العروس » وقد نشر هذا الكتاب مرات عديدة ويضم معلومات مجردة عن خلفاء المشرق والأندلس مرتين فصولا بحسب جوامع مختلفة تربط بينهم مثل أكثر الخلفاء عمرا، أو من ولي صبيا منهم (2).

والإضافة إلى ذلك فقد ألف رسالة صغيرة في فضل الأندلس، ولحسن الحظ فقد حفظت من الضياع وهي على صغر حجمها ذات قيمة علمية كبيرة، فهي توضح لنا ما كان عليه الأندلسيون من علم وأدب ومعرفة شتى وما قدموه في حقول المعرفة من تصنيف علمية نفيسة تنتمي طنما بلغته الأندلسي آنذاك من ازدهار في ميدان العلوم والآداب (3).

(1) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، مقدمة المحقق، ص 13 - 14.
(2) إنخل بالنثرا : المرجع السابق، ص 220.
(3) نظرًا لأهمية هذه الرسالة في التعرف بجهود الأندلسيين العلمية وما بذلوه من جهد في ميدان التأليف العلمي في مختلف زوجيه المعرفة، فقد رأينا أن نثبتها في آخر الرسالة كملحق.

281 -
وتل أليف ابن حزم للك الرسالة فيه انعكاس لشخصيته العلمية وما تميز به من علم واسع. يجود علماء بلده وهو قد أقوله على كتبهم، فهو يشيز في أكثر من جانب إلى أنه أطلع على الكثير من أليفهم كفته، بما أن أورد عدداً من كتب التاريخ والسير. (فقد رأيت من ذلك كتب مصنفة في غاية الحسن) وكتبه فيما يتعلق بالشعر، ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الأندلس للمستنصر رحمه الله رأيت منها "أخبار شعراء البيرة".\\n\\nونظراً لما كان لابن حزم من جهد وافر في ميدان الدراسات التاريخية، فقد ألف عدل الطهميش عيسى كتاباً في نشاطه العلمي في ميدان التاريخ واسمه: "ابن حزم الأندلسي وجهده في البحث التاريخي والحضاري"، وهو بلا شك يكشف الكثير عن الجهود العلمية التي بذلها ذلك العلماء الفارعون في حقل الدراسات التاريخية وما كان له من أثر بارز في ازدهارها.\\nوكان لصديق ابن حزم عبد الملك بن شهيد إنتاج علمي في التاريخ فقد ألف كتاباً فيه، يبين أنه كان كبير الحجم وضياء الفائدة إذ وصف بأنه يقع في أكثر من مائة سفر في "أخبار على توالى السنين بدأ به من عام الجامعة سنة أربعين وانتهى إلى أخبار زمانه المنتظمة بوفاته".\\nشارك أهل الادمة في نشاط الحركة العلمية في التاريخ ألف الأسقف جوهرة الجبرئي كتاباً بالعربية عن تاريخ الفرنسية.\\nوأما أن حسدي بن إسحاق شباروت الذي تبأ مكانة سامية في بلاط الخليفة الحكم المستنصر، كان له دور كبير في ازدهار الحركة العلمية في الطب كما سيأتي ذكره وعليه جانب الطب اتجه إلى دراسة التاريخ فكان له.\\n\\n(1) انظر، المري: نفح الطيب، ج 3، ص 173 - 174 - 175.\\n(2) ابن يشكال: السنة، ج 2، ص 355.\\n(3) زينونز، هيوه: شمس العرب تحلب على العرب، ص 501.\\n- 282 -
في ذلك جهد يارز بما سلكه في بعث الدراسات التلمودية، فينسب إليه أنه أول من فتح لأهل الأندلس من اليهود باب علمهم في الفقه والتاريخ وكانوا قبل ذلك يستندون في معرفة فقه دينهم وسني تاريخهم على إخوانهم من يهود بغداد، ولكن حساساى كفاههم مؤنّه ذلك فاستجبل ما أراد من تواضف اليهود بالشرق ويسر لهم بذلك معرفة فقههم وتاريخهم.

وأخيراً فإن ميدان التاريخ والتراجع قد حظى من الأندلسيين بكل اهتمام وعناية بالغين فظهر فيهم مؤرخون لامعون استطاعوا أن يمدوا حركة الدراسات التاريخية بالكثير من الجهود العلمية فأتراها بذلك حقل التاريخ والتراجع والأنساب، وكان للخليفة الحكم المستنصر دور مهم في ازدهار تلك الدراسات بما كان يبذلها من جهود في سبيل ازدهارها من حفظ الملكي على التأليف والبحث العلمي، وما يقدمه من عون في سبيل ذلك ولا أدل على ازدهار الدراسات التاريخية وتطورها في عصر الخلافة من هذا العرض السابق للمكتبة التاريخية الأندلسية.

(1) صِبَاعِ طبِّيَّاتِ الْأَلْمَامِ، ص ۱۱۶ - إِحْسَانٌ عِبَاسٌ: الْمُرْجِعُ السَّابِقُ، ص ۶۸ - ۲۸۲
بداية الدراسات الجغرافية وارتباطها بالتاريخ - تأثر جغرافيي

الإندلس بكتب هروشيش الجغرافية - أبرز الجغرافيين آنذاك.

أحمد بن محمد الرازي وكتاباته الجغرافية - محمد بن يوسف
الوراق وإنتاجه العلمي - أحمد بن عيسى الخدري وإطائه العصبة في
الجغرافيا - أحمد بن سعيد الفياض - ابن النظام - كتباته ابن سيده
الجغرافيا - ما أورده المجويطي في كتابه غاية الحكم من
معلومات جغرافية.
شهد ميدان الجغرافيا في عصر الخلافة نشاطا كبيرا يتمثل في الجهود الجغرافية التي تتم على المستوى العلمي الطيب الذي بلغه جغرافيا الأندلس آنذاك.

وإذا كان الجغرافي اللامي عبد الله بن عبد العزيز البكري الذي ظهر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي يعتبر عمدة الجغرافيين في الأندلس، فإن من الحق أن نشیر إلى أنه ظهر بالكثير من معارفه الجغرافية لمن سبقه من علماء عصر الخلافة وهو ما سوف يتبنينا من خلال هذا الموضوع الذي نقدمه عن النشاط الجغرافي في هذه الفترة موضوع دراستنا.

وكان علم الجغرافيا يرتبط في الكثير من الأحيان بعلم التاريخ، فقد ظهر في عصر الخلافة فئة كبيرة من المؤرخين البازرين الذين عموا بالجغرافيا إلى جانب عنايتهم بالتاريخ، فالكثير من المؤرخين الذين تحدثنا عنهم من قبل كانوا لهم إسهام جيد في تنشيط الدراسات الجغرافية كالمؤرخ أحمد الرازي ومعاصروه محمد بن يوسف الأوراق.

والجدير بالذكر أن بعض جغرافيين الأندلس قد تأثروا بما ورد في كتاب هروشيش التاريخي وما تطرق إليه من معلومات جغرافية عن الأندلس كان لها أثر في الدراسات الجغرافية عند الأندلسين فقد قتصر الجغرافيون الأندلسين على المعلومات الجغرافية التي أخذوها عن هروشيش، بل أضافوا إليها ما اكتسبوه من معلومات توفرت لديهم عن طريق التجربة العلمية من رحلات ومشاهدات للعالم والظواهر الجغرافية(1).

وينبغي أن الجغرافيين الأندلسين حينما تناولوا ما ورد في كتاب هروشيش من آراء عن صفة الجزيرة الإيبيرية لم يحاولوا تصحيحها لأنهم كانوا يعتبرونها كمقدمة ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنهم عندما وصفوا جغرافية بلادهم.

(1) حسین مؤنس : الجغرافیة والجغرافین في الأندلس : مقال بملة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد. العدد الثالث، ج7، ص8، 218.
سلكوا في ذلك مذهب البلدانيين والمسالكيين، فقسموا البلاد إلى أقاليم وتتحدثوا عن المسالك وأطوالها وذلك بما كان لهم من معرفة بلادهم وبفاقيلها.

وبمسالكها(1).

وعلى الرغم من ظهور طائفة من الجغرافيين البارزين في ذلك العصر، إلا أن مما يوسف له أن آثارهم العلمية لم يصلنا منها إلا قطعاً متناثرة ونصوصاً مبثوثة في بعض المصادر الجغرافية والتاريخية، والتي اعتمد مؤلفوها في بعض جوانب دراساتهم العلمية على آثار أولئك الجغرافيين.

ويأتي في مقدمة جغرافي عصر الخلافة العلامة أحمد بن محمد الدراوي (542 هـ - 638م) الذي كان له دور كبير في رقي الدراسات الجغرافية في الأندلس، فقد ألف في ذلك كتابٌ عديدة أبرزها ما ألفه في مسائل الأندلس ومراسيلها وأمئته مدنها والأجناد العربية الستة التي نزلها بعد الفتح(2)، وكان دقيقًا في أوصافه الجغرافية فذكر خواص كل بلد منها وما يتميز به عن البلدان الأخرى وضمن ذلك معلومات لا توجد في مصنفات غيره من الجغرافيين(3).

كما أن كتابه في صفة قرطبة لا يخلو من معلومات جغرافية تتعلق بالصورة الجغرافية للمدينة وتقييماتها المختلفة مما يلتح الآن ببعدها جغرافية المدن.

(1) حسين مؤسس: نفس المقال، ص 219.
(2) بنكر المروى أنه إبان حكم الوالي أبو الخطار حسام بن محمد الكبиров أدرك أهل الشام الواردين على الأندلس بقيادة بلج بن بشر القشيري وأن قرطبة قد شهدت بعدما تزوجها أبو الخطار فانزل أنقلب البيئة لشيها بها وسماها دمشق، ومالك قلم أنجل أهل حمص أشبيلية وسماها حمص، وأهل قسنطينة جبناً وسماها قسنطينة، وأهل الأردن فيه وسماها الأردن. وأهل فلسطين شندوه وسماها فلسطين، وأهل مصر هيء وسماها مصر (لتف الجعلج، ج 1، ص 327).
(3) الحسانيي: جلالة الخديوي، ص 104، الطبعة الثانية، ص 151، الطبعة الثانية، الوفي بالوفيات، ج 7، ص 342، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 2، ص 324، ج 1، ص 247.

- 287 -
وقد جانب عبدالرحمن حميدة الصواب في كتابه عن الجغرافيين العرب عندما أشار إلى أن أحمد بن محمد الرازي كتاباً في وصف افريقية والمغرب(1).

الحق أن ذلك الكتاب من تأليف محمد بن يوسف الوراق كما يبين توضيح فيهما بعد، ولم يعرف الرازي مصنف بذلك الاسم وقد يكون الأمر قد التبس على الأستاذ المذكور. نظراً للاضطراب الواضح في ترجمته لكل منهما فهو يذكر أن أحمد الرازي شرقياً المولد، وهذا مجانب الصواب، فابنه محمد هو الشرقي المولد وليس ابنه أحمد كما يذكر الكاتب.

بالإضافة إلى ذلك فهو يشير إلى أن وفاته كانت سنة 373 هـ / 982 م وهي السنة التي توفي فيها الوراق(2)، وأما أحمد بن محمد الرازي فقد كانت وفاته سنة 344 هـ / 955 م.

وقد تناول أحمد بن محمد الرازي الجغرافيا على أنها علم متم لل التاريخ وما تبقى من نصوص عن معارفه الجغرافيه التي بين أديانا هي في الغالب مقدمة لكتابه في التاريخ «أخبار ملوك الأندلس» وذلك لأن النصوص الجغرافية الباقية والترجمة إلى البرتغالية والاسبانية تستطرد إلى الحديث عن ملك الأندلس ومن قنطنا من الأمام مثل دخول المسلمين إليها(3).

ومن المصادر التاريخية التي حفظت لنا نصوصاً جغرافية للرازي كتاب المقرى نفح الطبب، حيث أورد المقرى نصاً من أهم ما خلفه الرازي في هذا الميدان عن جغرافيا الأندلس، فهي بداية هذا النص يشير الرازي إلى موقع

(1) ص 247.

(2) انظر أعلام الجغرافين العرب، ص 247.

(3) حسن مؤسّس: الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مقال بجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الثالث، 78، ص 255 - 265، وانظر ما ذكره ج. س. كولان عاماً قام به باتانكوس من ترجمة نسخة جغرافية للرازي من البرتغالية إلى الأسبانية (الأندلس،ص 71).
الأندلس، وأنها في الإقليم الرابع، وما لها من خواص طبية تتعلق بتربته ومصوبية أرضه وبصفاته ومدى تأثير المناخ في الأثار والفوائد والnutriates، ثم يتطرق إلى الشكل الجغرافي للأندلس وأنها متصلة ومعتمدة على ثلاثة أركان. ويفصي موقع كل ركن منها، ثم يصف المناخ وأن الأندلس تنقسم به إلى قسمين في اختلاف الظواهر المناخية من هبوب الرياح ومواقع الأمطار، وجريان الأنهر، فهناك أندلسي غربي وأوديته إلى البحر المحيط الغربي ويمطر بالرياح الغربية، وأندلسي شرقي وجري أوديته إلى الشرق ويمطر بالرياح الشرقية.

ومن خلال النبوع العلمي في الجغرافيا عند الرأزي براعته في وصف الظواهر الجغرافية، حيث أبدنا بفقرتين في غاية الأهمية الأولى عن أنهار الأندلس والثانية عن جباله.

وقد نفى حسين محسن أن يكون الرأزي ناقلاً وصفه للأنهار والجبال عن اليونان أو اللاتين، لأن ما وصفه هؤلاء عن الأندلس ما هى إلا معلومات متفرقة متنايرة غير منسجمة، ومن غير المعقول أن يطلع الرأزي على كل ما كتبوه من هذه النصوص المتفرقة ثم يجمعه مرتباً منسقاً بهذه السهولة، بالإضافة إلى أن أحداً من هؤلاء لم يشير إلى العلاقة بين رياح الأندلس وأمطارها والأنهارها وإلى أهمية هذه الأنهار في الري وأنما تحدثوا فقط عن أهميتها الملاحية توطئة لغزو تلك البلاد. فدراساتهم بذلك كانت من قبل الإعداد العسكري لغزو البلاد، يعكس الرأزي الذي يكتب عن بلاده عن علم وخبرة بانخفاضها الجغرافية.

وحظي أحمد الرأزي بمنزلة رفيعة بين علماء عصره ومن أثي بعدهم لما اتصف به من علم غزير وعناية باللغة بالتاريخ والجغرافيا، ولما قدوم في ذلك من ضروب التأليف القوية التي تتن من مكانته العظيمة حتى وصف به أن أول من (1) ج. ١٣٦٠ هـ - ١٩٤٠ م، ونظر أيضاً، ج. س. كولن، الأندلس، ص ٧٣ - ٧٤.
(2) الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بypad، العدد الثالث، ج. ٧، ص ٢٠٨، ص ٢٨٩ -
دخل الجغرافيا الإقليمية إلى الأندلس، وكذلك أشتهر في أوروبا شهرة واسعة  

(1) Elmore Elrasis

وقد وصف ابن حزم كتاب الرازي في جغرافيا الأندلس الذي تحدث فيه عن مسائل الأندلس ومراسيلها بأنه يدعى في ميدانه، وأنه اشتهر على الكثير من المعلومات التي تفرد بها عن غيره من كتب الجغرافيا الأندلسية(2).

ومن دلائل تفوق الرازي في ميدان الجغرافيا، وأهمية ما أورده من معلومات في وصف الأندلس أننا لو أردنا أن نكتب وصفا جغرافيا جامعا للأندلس لما أضفنا شيئا إلى ما نذكره هو. كما أنه لقيمة معلوماته الجغرافية أن اعتمد عليها الأسبان حتى القرن الثالث عشر في حل الكثير من مشكلات التنظيم الإداري التي اعترضت فيما استولوا عليه من بلاد المسلمين(3).

و马上就 نذبح ما كان عليه أحمد بن محمد الرازي من معرفة واسعة بالجغرافيا، وأنه بذلك قد أسدى إلى علم الجغرافيا الكثير من النتائج العلمية القيمة التي تضمنتها أبحاثه ودراساته المهمة.

وإذا كان معلوما لدينا أن الرازي أندلسي ولد في الأندلس وعاش بين سهولها وجبالها ومروجها وأنهارها، فإن من الطبيعي أن يكون منهجه العلمي في إيراد معلوماته منهج المشاهدة واللاحظة وليس المنهج النظري الذي يكتفي العالم فيه بالسماح والرواية عن الغير، الأمر الذي يوضح مدى ما كانت عليه معلوماته وكتاباته الجغرافية من صحة وصدق.

(1) إغناطيوس كراتشينسكي: الأب الجغرافي العربي، القسم الأول، ص 69 (بالجدير بالذكر أن كراتشينسكي لم يوضح تفسيره للأسم الأول، وبناءً على تحريف كلمة المؤرخ إذا علمنا أنه كان يطلق عليه صفة التأريخ، فيقال له أحمد بن محمد الرازي التاريخي) - عبد الرحمن حميدة:

المراجع السابق، ص 244.

(2) المقروري: تحق الطبيب، ج 2، ص 160 (قلق على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).

(3) حسن مسعود: الجغرافيون والجغرافيين في الأندلس، مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الثالث، ج 7، ص 267.
ونظراً لقيمة مأخفه الرازي من الكتابات الجغرافية في وصف الأندلس، فقد اعتمد عليها من أتي بعده من الجغرافيين كالبكري الذي اتقن الكثير عنه فيقول البكري عند تعرضه لبعض الظواهر الجغرافية: (وفي جيل المنتون الطلاب الذي لا يعد به، قال أحمد بن محمد بن موسى الرازي، وهو المقدم في الافداة المفضل في أنواع الأنذان لا ينتمي في شيء من الأرض إلا بالهند والأندلس) (١).

ولم يكن المؤرخ محمد بن يساف الوراق بأقل إسهاماً في ميدان الجغرافيا مع عصره أحمد الرازي فقد أظهر الوراق مهارة كبيرة في التاريخ والجغرافيا معاً، وكان ما تمتع به من علم واسع أثر كبير في إخراجه الكثير من التصصائف التاريخية والجغرافية الهامة والتي كان لها أعظم الأثر في ازدهار تلك الدراسات، لا سيما إذا علمنا ما كان يكتن الخليفة الحكم المستنصر للوراق من مودة وتشجيع مكاثماً من الانصراف إلى البحث والتأليف العلمي، فلما صنف الوراق للخليفة الحكم المستنصر من كتب الجغرافيا كتاب «مسالك أفريقية وممالكها» (٢)، وكتب أخرى في أخبار مدن إفريقية سبق أن أشارنا إليها عند الحديث عن جهده في ميدان التاريخ، وما من شك أن تلك الكتب تضم الكثير من المعلومات الجغرافية المبسطة بين شنايا الكتابات التاريخية.

وكان لنشأة الوراق بالقيروان أثر في تعميق معارفه واتساع علمه عن تاريخ وجعلها أفريقية، فقامته الطويلة بها، حياله بين أجياله أكسبته

(١) المسالك والمالك: تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ١٢٥ - ١٣١ (في الكتاب نصوص أخرى للرازي نقلها عنه البكري).

معرفة بمسالكها وممالكها وما يتصل بذلك من معارف تاريخية وجيغرافية،
وهذا أمر لا مبالغة فيه إذا علمنا أن الكثير من جغرافيا العرب اعتمدوا على
منهج الملاحظة والمشاهدة في إيراد معلوماتهم عن جغرافيا البلدان.
ومما يُسف له إنه بالرغم من غزارة ما كتبه الوراق في التاريخ
والجيغرافيا إلا أن مؤلفاته لم تسلم من يد الضياع كما ضاعت غيرها من الكتب
في مختلف فروع العلم، ولم يبق لدينا مما كتبه إلا نصوص متفرقة في بطون
الكتب، ككتاب المسالك والممالك البكري، كتاب البيان الغرب لأبن عذاري.
ويعلل حسين مؤس تقريب الخليفة الحكيم المستنصر لمحمد بن يوسف
الوراق وتتبعه على البحث والتأليف في جيغرافيا أفريقية والكتابة عن
مسالكها وممالكها، فإن الخليفة الحكيم المستنصر كان مشغول بالمال مهماً
بمحاولات الفاطميين بسط نفوذهم على المغرب وأنه وجد في الوراق خير عارف
بأحوال المغرب وشأنه فتشفع على البحث والتأليف بعده الاستعانة بما يُؤلف
في سبيل درء الأطماع عن تلك المنطقة (1).
والحق أن الخليفة المستنصر وإن كان مهتماً بتحركات الفاطميين
السياسية والعسكرية في المغرب إلا أن ذلك لا يعني - ونحن نعلم مدى أخلاص
الحكم المستنصر للعلم والمعرفة - أن تجسيمه للوراق إنما كان لخدمة الأغراض
السياسية والعسكرية، وخاصة إذا علمنا أن عصر الخليفة الحكيم كان عهد
سلام نسبي، ولم يكن هناك من الخطر الشديد مما يدعو إلى الارتباك والخوف
الذي يدفع الحكم المستنصر إلى تحويل دفة البحث العلمي إلى غير وجهته
الصحيحة.

(1) انظر مقال: الجيغرافيا والجيغرافيين في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد،
العدد الثالث، ج 7، ص 379، 269. - 292-
يعتبر محمد بن يوسف الوراق أول من صنف في الغرب الإسلامي كتاباً بعنوان «المسائل والممالك»، ومن هذا يتبين لنا أنه كان مسالكاً، في حين كان أول جغرافي أندلسي وهو أحمد الرازي بلادانياً، وبالإضافة إلى ذلك يتضح مما اقتبسه البكري عن الوراق أنه هو الذي ابتكر مزيج الجغرافية بالتاريخ، فكان يربط بين جغرافية المكان وما اقترن به من أحداث تاريخية، وهي طريقة يسير عليها البكري في أجزاء كثيرة من مسالكاته.

وظهر في أواخر عصر الخلافة العلامة الجغرافي أحمد بن عمر بن أنس العدري المعروف بابن الدلاشي (392 هـ - 487 هـ) (1021 مـ - 1085 مـ)، وكان له اهتمام وافر في أكثر من علم ومن بينها علوم الدين وقد أخذ عنه ابن عبد البر النمري وابن حزم الظاهري وغيرهما من العلماء (2).

وقد أظهر العدري مقدرة فائقة في ميدان الجغرافيا، فكانت له أبحاثاً موفقة ودراسات قيمة، ولكن الأمر المدهش أن من ترجم له كالحميدي والضبي وابن بشكوال لم يتطرقوا إلى دراسته المتعددة في علم الجغرافيا، بل اكتشفوا بالإشارة إلى تضحيه في علم الحديث وغير ذلك من علوم الدين.

وقد ذكر ابن حزم عدداً من علماء الجغرافيا في رسالته التي كتبها في فضل الأندلس ولكنه لم يذكر العدري أو بشر إليه وإلي نشاطه العلمي (4).

ولكن المهتمين بالدراسات الجغرافية ذكروه في كتبهم، فالبكري أشار إليه وإلى كتابه، نظام المرجان في الممالك والممالك، وكذلك ذكره العلامة

(1) هجين مؤسس: المقال السابق، ص 271.
(2) الدلاشي نسبة إلى دالية وهي ثرة من أعمال الموهبة. (الحميري: الروض المختار، ص 77).
(3) ابن بشكوال: العملي، ج 1، ص 66 - 77.
(4) أنظر رسالة ابن حزم المذكورة في كتاب نفح الطيب، ج 2، ص 163 - 173.
الجغرافي المغربي زكريا بن محمد القزويني (1202-1283 م) صاحب كتاب "آثار البلاد وأخبار العباد"، ونقل عنه الكثير من النصوص الجغرافية المتعلقة بالأندلس.

وقد حفظت لنا قطة من كتاب العذري قام على تحقيقها عبد العزيز الأموائي وعنوانها نصوص عن الأندلس من كتاب ترسيم الآثار والبيستن في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك...، ويشير ضياء الدين الرئس إلى أن الأموائي قد أشار في مقدمة دراسته تلك إلى أن الجزء المتبقي يمثل عشر الكتاب، لأن العذري جعله كتابا كبيرا في المسالك والممالك، ولكنه في الجزء المنشور لا يسير على طريقة المسالكين، بل يلاحظ مزجه بين الجغرافيا والتاريخ وأن المادة التاريخية تخلل كل جزء من أجزاء الكتاب.

وقد حفظ لنا القزويني الكثير من النصوص الجغرافية للعذري، ويتبنا من خلالها ما كان يتمتع به العذري من معرفة واسعة وتمكن عميق في الجغرافيا وبراعة فذة في الوصف الجغرافي فهو إذا وصف كورة فعال ذلك في اثنتان وشمول وصدق، وإذا تحدث عن مدينة صورها تصويرا جليا واضحا وضمن حديثه عنها إشارات مهمة عن أحوال أهلها الاقتصادية والاجتماعية.

ويكفي أن ندرس ما نقله القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" عن العذري لتلمس مقدرة العذري الجغرافية وجدارة العلمية بالوقوف في مقدمة جغرافيا الأندلس على طول تاريخه.

(1) الكتب تقدم وعرض (أحمد بن محمد بن أسف العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترسيم الآثار والبيستن في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) تحقيق

عبدالعزيز الأموائي مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية في مدينتي سنة 1965م.

(2) ضياء الدين الرئس، نفس المصدر والصفحة.

(3) للوقوف على ما أشارنا إليه انظر "آثار البلاد"، ص 542-543-545-546.

- 294 -
وظهر في عصر الخلافة جغرافيون آخرين ولكنهم لم يصلوا في مستواهم العلمي وعطائهم إلى من ذكرناهم، منهم: أحمد بن سعيد بن أبي الفياض (275 هـ - 598 هـ/ 865م - 1460م) وكان تلميذًا للمقري أبي عمر الطلمونسي، وقد ألف في حقل الدراسات الجغرافية كتابًا يسمى "العبر" نشر ميخائيل الغزيري قطعة منه على أنها للبراري، كما ألف في الجغرافية أيضًا كتابًا عن "الطرق والأنهار" ولكنه ضاع فيما ضاع من كتب الأندلسين(1).

وكان للعلامة عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام نشاط كبير في ميدان الجغرافية وقد اعتمد على ما كتبه في ذلك المؤرخان ابن حيان في المقتبس والمزيق في نفح الطيب الذي أورد له الأخير ناصجًا جغرافياً مهماً حول جغرافيا الأندلس وحدودها(2).

ومما تجد الإشارة إليه أن ابن سيده الأعمى (ت 488 هـ/ 1095 م) ضمن كتابه "المخصص" الكثير من المعارف الجغرافية المتعلقة بالأرض وأوصافها وما يتعلق بذلك من ثقاب وجدب ورمال وانخفاض وارتفاع واستواء وصحة وحرث، والنبات وكذلك ما يتعلق بالسحر وأوصافها، والنبات والشجر وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة القوية بعلم الجغرافيا(3).

ولا شك أن ما ورد في كتاب ابن سيده لدليل واضح على ما تمتع به من علم وأساع ليس بميدان اللغة فقط وإنما بمظاهرة الحياة وما تحواه البيئة، وأن ما ورد من معلومات عن النبات في كتابه له أكثر ارتباطًا بما يدرسه الجغرافيون المحدثون في ميدان الجغرافية الإقليمية.

(1) أدخل بالثناء: تاريخ الفكر الأندلس، ص 217.
(2) انظر ذلك النص في نفح الطيب، ج 1، ص 131 - 132 - 133.
(3) عمر كحالة: العلوم البحتة، ص 295 - 296.
وإلى جانب من ذكرنا يقف المطالع لمخطوط "غاية الحكيم" لمؤلفه مسلمة المجريطي على الكثير من المعارف الجغرافية، كأهمية الوقوف على أسرار الكائنات، وما تضمه الأرض من الحيوان والنبات والأحجار، ومعرفة الطول والعرض، وما تميزته بعض بقاع الأرض من أنهار وبحار وتراب وأمطار وتلوج وبراري وما يقرب منها من خط الاستواء، وإلى غير ذلك من المعلومات التي تدخل في حقل الدراسات الجغرافية(1) كما يتحدث في موضع آخر من كتابه عن فصول السنة وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء(2).

وبالإضافة إلى ذلك يضم الكثير من المعلومات عن خواص النبات والمعادن وتأثيرها وما يتداري بها منها (3) كما يحوي إشارات هامة إلى الوسائل الناجحة في عملية التكيف بين الإنسان وبيئته وإزالة ما قد يعيق راحته ويهدد أمنه وسلامته كتأخذ الحيوانات السامة والطريقة المئلى للقضاء عليها، وإزالتها من بيئة الإنسان إلى غير ذلك من المعلومات القيمة المهمة حول البيئة وتأثيرها في الإنسان.

---
(1) مسلمة المجريطي: غاية الحكيم (مخطوط) ورقة 1263.
(2) مسلمة المجريطي: نفس المصدر، ورقة 88 ب، 189.
(3) مسلمة المجريطي: غاية الحكيم (مخطوط) ورقة 1309.
الرحلات الجغرافية

أبرز من قام بالرحلات الجغرافية، إبراهيم بن يعقوب
الطرطوشي - رحلة الغتيان المغربين من شبونة واقتحامهم المحيط
الأطلسي - الإشارة إلى رحلة الخشخاش واقتحامه المحيط الأطلسي
مع عدد من رفاقه القروطبيين - مين كان له رحلات جغرافية مطرفة
بن ميسي الغساني الفرنجاني.
نشطت الرحلات في القرون اللاحقة لعصر الخلافة حيث برز في ذلك الميدان بعض الرحلات الذين لا تزال شهرتهم تستحوذ على اهتمام الباحثين في ميدان الرحلات كالرحالة ابن جبير الكتاني (939 هـ - 1564 مـ / 1167 - 1217 مـ).

و رغم ذلك فإن عصر الخلافة لم يخل من بعض النشاط في هذا الميدان الحيوى المهم فمثلاً كان له نشاط في ذلك التاجر اليهودي إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي، وكان عمله الرئيسي جلب الرقيق الأوروبي إلى الأندلس. ولعل هذا هو مافتح للجال لتجول في أقصاى أوروبا فقام برحلات إلى ألمانيا وبلاد الاصقلبية وشمالي أوروبا، ونظرا لعناية الخليفة الحكم المستنصر بكل ما له صلة بالعلم والمعرفة فقد قرب ذلك التاجر إليه وشجعه على الاستمرار في ارتحاله وكتابته ما ينطلق إليه في ذلك، وللهذا فقد بعث إبراهيم برسالة إلى الخليفة الحكم المستنصر عن رحلة قام بها إلى ألمانيا أيام الإمبراطور أوتو الكبير على الأغلب، ومن حسن الحظ أن البكري قد ضمن كتاباته الجغرافية جزءاً كبيراً من رسالة الطرطوشي، وقد عنى بهذا الجزء من رسالة الطرطوشي نشر من المستشرقين ككرنك وروزن وجورج ياكوب فنشروه على حدة وترجموه إلى عدة لغات منها الألمانية والروسية والهولندية (1).

وفي هذا دلالة على أهمية ما كتبه الطرطوشي (2) عن أحوال الشعوب الأوربية وعاداتها إلى غير ذلك من المعلومات الطريفة والمهمة التي توضح لنا ما كانت عليه أوروبا آنذاك.

---

(1) حسين مؤنس: الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - العدد الثالث، جـ 7، ص 272.
(2) الطرطوشي: نسبه إلى طروطشة، مدينة الأندلس بشرق الأندلس بينها وبين البحر الأبيض عشرون ميل، (العمري، الرياض المطار، ص 124).
القطعة التي أوردها البكري من رسالة الطروشوي تصف رحلته إلى شرق أوروبا وكيف عبر البحر الأدرياني. وأنه وصل إلى بلاد «سقالبية الغرب» وزار براج وشرقي ألمانيا ووصل إلى مجد برج وهي مقر إقامة الإمبراطور أوتو. وكيف التقي مع أعضاء سفارة ملك البلغار ثم سيره بعداه نهر الألب في عصر السقاليق حتى وصل إلى لشبونة على مقرية من البحيرة المسماة بذلك الاسم، ويجد الباحث صعوبة في تحديد خط سيره بدقة نظراً للحروف الكبير الذي لحق أسماء المواضع في النص(1).

والجدير بالذكر أن الطروشوي في كتاباته الجغرافية قد اتصف بالملاحظة الدقيقة وحب الاستطلاع فكان وصفه رائعًا فيما أورده في تلك الرحلة، فهو يقف كثيرًا عند وصفه لأعضاء سفارة ملك البلغار فيصف ملبسهم وأخلاقهم وجلالة قدرهم ويأس ملكهم وديانتهم وكيف أن ملكهم حاصر القسطنطينية مما دفع ملكها إلى مداراته وترجيح ابتتاها فتنصر من أجل ذلك. وكان اعتماد البكري كبيراً جداً على الطروشوي فيما يتعلق بوصف أحوال الشعوب الأوروبية والحديث عن بلاد البلغار وعاداتهم(2).

وقد حرص الطروشوي في النتيجة مما توصل إليه في رحلته من معلومات جغرافية وأخبار فالبكري يشير إلى ثبوت وجود مدينة النساء نقلاً عن الطروشوي الذي تأكد له ذلك عندما سال إمبراطور الروم أوتو عن ذلك فأجابه بما يلي(3).

ولأهمية ما خلفه الطروشوي من كتابات جغرافية قيمة فسنورد نموذجاً منها مما نقله البكري عنه في وصف بلاد الجليقيين وعاداتهم المعيشية وأخلاقهم.

---

(1) حسين مؤسس: المقال السابق، ص 272.
(2) البكري: المسالك والموالك، ص 176-178.
(3) البكري: نفس المصدر، ص 170.
يقول البكري: (جملة القول في بلاد الجليقين والإفرنج وغيرهم من قبائل النصارى إلى بلاد الصقالبة وغيرهم على ما أوردته إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الشرطي، قال إبراهيم: بلاد الجليقين سهل جميعه والعلى على أرضهم الرمل، وأكثر قوته الدخن والذرة ومعمولهم في الأشربة على شراب التفاح (والبشكة) وهو شراب يتخذ من الدقيق وأهلته أهل غدر وذناعة أخلاء لا يتظرون ولا يفتقلون في العام إلا مرة أو مرتين بالما البارد ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تنتقص عليهم، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسادهم وتصبح أبدانهم وثيابهم أضيق الكيب، وهي مفرجة بيد من تفافها، أكثر أبدانهم، ولهما باس شديد لا يرون الفرار عند اللقاء (في الحرب) وفور الموت نهون(1).

وفي عصر الخلافة التي تميز برقيه وازدهاره في كل ميدان من ميادين الحضارة وما ترتبت على ذلك من اتساع المعارف والرقي الفكري لدى الأندلسيين في ميدان الجغرافيا فقد أدى ذلك إلى غربة البعض منهم في الوقوف على الحقائق الجغرافية لبعض مظاهر الطبيعة عبر الملاحظة والمعاينة الحسية. فهذه مجموعة من الشبان من مدينة لشبونة وعددهم ثمانية رجال كلهن أبناء عم عزموا على دخول البحر الظلمات لعرفوا ما فيه إلى أن انتهوا فابنوا مركب وانزلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيه لأشهر ثم دخلوا البحر في أول طاروس(2) الريح الشرقية، فجروا بها نحوه من إحدى عشر يوما، فوصلوا إلى بحر غليظ الوج، كدر الروائح كثير الترير(3)، قليل الضوء.

(1) المسالك والممالك: (جغرافيا الأندلس وأوروبا) ص 80 - 81.
(2) طاروس لفظه غير عربي ومعناه هبوب الريح (شكيب أرسلان: الخلل السنديسية ج 1 ص 66).
(3) الريح قد تكون مأخوذة من فعل ترش أي ساء خلقه فيكون هذا المعني مناسبًا لسباق الكلام (شكيب أرسلان: الخلل السنديسية ج 1 ص 66).
فايقنوا بالتلف، فبروا قلههم في يد الأخرى، وجدوا في البحر في ناحية الجنوب اثنى عشر يوما، فخرجوا إلى جزيرة الغنم، وما فيها من الغنم مالا يأخذها عدا ولا تحصيل، وهي سارية لا ناظر لها ولا راع، فقصدها الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين ماء جارية، عليها شجرة تين بري، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها وجدوا لحومهم مرة لا يقدر أحدهم على إكلها، فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما إلى أن لاحتهم جزيرة فنظروا فيها إلى عماره وحريته، فقصدها إليها ليروا ما فيها، فما كان إلا غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق، فأخذوا وحملوا إلى مدينة على ضفة البحر، فنزلوا بها في دار، فرأوا بها رجالا شقاً زعراً شعورهم سبحة، وهم طوال القدوم، ونسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا فيها في بيت ثلاثة أيام، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللهجة العربية، فسألهم عن حالهم وفهم جائز، وأين بادهم، فأخبروه بكل خبرهم فوجدهم خيراً، وأعلمهم أنه ترجمان فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم احضروا بين يدي الملك، فسألهم عما سألهم عنه الترجمان فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس، وأنهم اقتسموا البحر ليروا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القول أن أبي أمر قوماً من عبيدته بركوب هذا البحر، وأنهم جروا في عرضه شيراً إلى أن انتقلت عليهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدى، ثم وعدهم خيراً وصرفوا إلى موقف حبسهم إلى أن بدأ جري الرياح الغريبة، فشعر بهم زورق وعصفت عيونهم وجرى بهم في البحر بركة من الهره.

قال القول: قدرون أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها، حتى جرى بنا إلى البر فأخبرنا وكفتنا إلى خلف، وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار، وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكثاف، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحتنا بجملتنا أقبل القوم إلينا فوجدنا بنا الحال السيئة.
فحلوا وثقتنا وسأكونا فأخبرنناهم بخبرنا وكانوا برازرا. فقال لنا أحدهم:
"أعلمنا كم بينكم وبين بلدكم؟ فقلنا: لا. فقال: مسيرة شهرين; فقال زعم القوم: واسفني فسمي المكان إلى اليوم أسفي، وهو المرسى الذي في أقصى المغرب".

ورغم اشتهرت هذه الحادثة الجغرافية المهنة عند الكثير من جغرافي المسلمين ابتداءً من الإدريسي ومن أتى بعده من الجغرافيين كالعلامة أبو حامد الغرناطي والعمري والحميري والذين نقلها أساساً عن الإدريسي وما تتسم به من دلائل الصحة والصدق إلا أن كرامتشكوفسكي خلخ عليها الكثير من التشكيك والأساطير، فأنشأ إلى أن هذه القصة تدخل في حقل الأدب الشعبي للقرنين الوسطى، وأن أحد العلماء وهو د. خوسيه قد استطاع أثناء تحليله للأساطير الأوروبية المبكرة عن رحلة القديس برناند أن يكشف الكثير من نقاط الشبه بين القصتين مما يشير إلى مصدر مشترك.

والمحق أن هذه الرحلة التي قام بها الأندلسيون كانت في ميدان الحقيقة أكثر من أنها في مسرح الأسطورة والإدعاء كما زعم البعض، بل إن فيما أوردته كرامتشكوفسكي بصدور هذا الحادث في ورد عليه وعلى محاولاته في الانتقاص من هذه الخطوة الجريئة للأندلسيين في ميدان الرحلات والغامرات التي فتحت الباب أمام الكشفات الجغرافية لقارة أمريكا، فيقول كرامتشكوفسكي: (ورغم من هذا فقد اعتقد المتخصصون في جغرافيا العصور الوسطى أن هذه الرحلة ربما ساهمت في الحض على الرحلات المتاخرة التي قام بها الملاحون الأوروبيون.

(1) الحميري: الروض المطر، ص 17-18.
(2) الأدب الجغرافي العربي: القسم الأول، ص 137.

- ٢٠٢٠ -
في المحيط الإطلسي (١)، وفي اعتراف هؤلاء ركز كاف على مزاعم كراتشكوفسكي ودحض لأقواله فإذا كان تأثير هذه الرحلة بهذه الصورة الجليّة فمن الأولى أن نتنقي منها مزاعم الإدعاء والخيان.

ويعلق عمر الدقائق على هذه الحادثة بعكسه عن هؤلاء الأقوام الذين ورد وصفهم في النص بشقراً ألوانهم وشعورهم السبعة وقعودهم الطويلة - هل هم السكان الأصليون لقارة أمريكا الذين أطلق عليهم كولومبوس فيما بعد الحمو المحره؟ أو ليس من الممكن أن تكون مسيرة هؤلاء الرحالة عبر البحر هذه المده التي تبلغ ٢٥ يوماً قد قادتهم إلى شواطئ العالم الجديد؟ وهي مدة كافية للوصول إلى هناك (٢).

وقبل هذه الحادثة كان للأندلسيين غمامة بحرية ولكنها لم تكن بحجم ماتلأها، فقد أورد المصري خياً عن أحد فتيان قرطبة اسمه الشخاشش وأنه جمع إليه بعض رفاقه من الفتيان المتهمسين وأغرام باقتحام المحيط الإطلسي ومعرفة حقيقته وأبعداه فاستعدوا لذلك بتجهية المراكب والزادات ثم واجروا المحيط وغابوا مدة طويلة ثم عادوا من رحلتهم بالكثير من الغنائم. وذاع خبر هذه الرحلة بين الأندلسيين وتناولوها زمناً طويلاً (٣).

ولا نعلم بالتحديد في أي وقت تم هذا الحدث المهم الذي كان فاتحة لمغامرة مشابهة وإن كان كراتشكوفسكي قد أشار إلى احتمال كونها حدث في القرن الثالث الهجري / التاسع اليوليدي (٤).

(١) نفس المراجع والقسم والصفحة .
(٢) في هذا الصدد انظر التعليق المهم الذي كتبه شكري أرسلان في الحل السندية ، ج ، ص ٢٣ - ٣٣ - ٢٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨.
(٣) مغامرة العرب عبر بحر الظلمات ، الإطلسي ، (مقال نشر بمجلة الفيصل العدد ٤٦) - ربيع الثاني سنة ١٤٠٢ هـ ، ص ٧٠ .
(٤) مرجع السابق ، القسم الأول ، ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١.  - ٣٦٣ -
وفيما تقدم إشارة بيتة إلى النضوج العلمي والتطلع العميق إلى الحقيقة العلمية لدى أهل الأندلس، وكيف أن هؤلاء الأشخاص سواء الخشخاش ورفاقه أو من أتى بعدهم كأبناء العمومة الساقلي الذكر، تحملا أخطار البحر وأعباء الرحلة وأهوالها في ذلك المحيط من أجل الحقيقة العلمية التي سعوا إليها ومعرفة ما يكون عليه بحر الظلامات (المحيط الأطلسي) وحدود انتهائه.

وهي بلا شك محاولة عظيمة في ميدان الكشف الجغرافي تلاها الكثير من المحاولات الكشفية بتحماد ذلك المحيط والرقبة في معرفة أسراره وما يكون بعدها، وبهذا فالأندلسيون كانوا أول من طرق هذا الميدان، ولا ريب أن ما توصلوا إليه من معلومات في هذا الميدان قد كشف فضائهما وأمام اللثام عن الغموض الذي كان يحجب بحر الظلامات، فاستغاد الأوربيون من ذلك وينوا معلوماتهم عن ذلك المحيط على ما وصلهم من العرب في ذلك، ومن الجحود وغمط الحق أن لا يذكر للمسلمين فضل في اكتشاف القارة الأمريكية وهم أسبق الناس إلى محاولات الكشف الجغرافي لتلك القارة.

ونسب إلى العلماء مطرف بن عيسى الغساني الغرناطي (ت 377 هـ / 987 م) العديد من الرحلات الجغرافية، فهو وقدم بالتجوال الطويل في البلدان المختلفة في الشرق وجلب معه إلى الأندلس عما كثيراً، وكانت له منزلة عالية في بلاط الخليفة الحكم المستنصر، وألف له كتابا في الجغرافيا اسمه "المعارف - في أخبار كورة البيرة وأهلها، ويواثرها، وأقاليمها وغير ذلك من مناقعها" ووصف هذا الكتاب بال قيمة العلمية الكبيرة وعظم الفائدة(1).

(1) ابن بشكار: الصلة، ج 2، ص 177.
وقد أشار بالنثيا إلى هذا العلامة الجغرافي ووصفه بأنه صاحب رحلات وأسفار(1)، ولكن للأسف لم تمدن المصادر التي ترجمت له بمعلومات كافية عن رحلاته وتجوله في البلدان.

وخلاله القول أن ميدان الجغرافيا والرحلات شهد نشاطا طيبا، وقد نجم عن ذلك إثراء هذا الميدان بعدد من التصانيف العلمية التي تتضمن ما توصل إليه أولئك الجغرافيين والرحالة من علماء عصر الخلافة من دراسات كانت بمثابة القاعدة لما حدث فيما تلاه من عصور من جهود جغرافية كان لها أعظم الأثر في تطور المعارف الجغرافية وتوسيع آفاق البحث في ميدان الجغرافيا.

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، ص 286.
بداية الاشتغال بالفلسفة وسباب تأخره - أثر الراحات العلمية بين الأندلس والمشرق في نمذجة الدراسات الفلسفية - ابن مسرة الفيلسوف وما آليه أمره - ابن الكناني - ابن البغوش - نشاط أهل الدمة في ميدان الفلسفة - موقف المنصور من الفلسفة وما تجم عنه - ابن حزم ودراساته الفلسفية ووجوده في الكشف عن نظرية المعرفة - تسخير ابن حزم الفلسفة في دحض آراء الفلاسفة المحدثين.
خلت أسبانيا من الاشتغال بالفلسفة فيما قبل الإسلام، فلم يعرف عن أهلها الاهتمام بهذا العلم والاشتغال به، ولم تزود على هذه الحالة عاطلة من الفلسفة حتى فتحها المسلمون في 92 هـ (710 م)، واستمر الحال على هذه الصورة إلى أن تولى الملك لبني أمية فانصرف الناس إلى العلوم ومن بينها الفلسفة.

ولم تشهد الأندلس قبل عصر الخلافة نشاطاً ملحوظاً في ميدان الفلسفة إلا ما يذكر عن الأمير عبد الرحمن الأزتي من أنه كان مهتماً بالعلم وجمع الكتب راغباً فيها يختص منها بالفلسفة وعلوم الأحوال، وأنه كان يبحث في اقتتالهم من خارج الأندلس، وهذا ينسب إليه أنه أول من أدخل الفلسفة الأندلس.

ويمكن أن نرجع السبب في ضعف الاشتغال بالفلسفة في الأندلس فيما قبل عصر الخلافة إلى أمور أهمها: انشغال الأندلسيين آنذاك بالدراسات الدينية كالحديث والفقه والدراسات اللغوية والأدبية، إذ كانت هذه العلوم جلماً استحوذ على اهتمامهم وعنايتهم وذلك لم يكن أمامهم متسخ لدراسة الفلسفة وعلوم الأحوال.

كما أن الأندلسيين آنذاك كانوا ينظرون الفلسفة نظرة الكراهية وعدم الاستحسان، بل كانوا يعفون على من يشتبه بها فهي بهذا: (علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فذلك تخفى تصاديفه).

ولا غرابة في ذلك فإن ما عرف به فقهاء المالكية من تشبيه بأحكام الشريعة والتزام بها قد دفعهم إلى محاربة كل ما من شأنه الخروج على شرائع.

(1) مسعود: طبقات الأمم، ص 83-84.
(2) السيبطي: تاريخ الظافر، ص 556.
(3) المغربي: النفح، ج 3، ص 186 (تقرأ من ابن سعيد في تذيله على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).

- 307 -
الدين وتعليمه فقد حاربو علم الكلام بل هاجموا أصحاب المذاهب الأخرى التي تحاول فرض وجودها. إلى جانب المذهب المالكي في الأندلس وإذا كان الأمر كذلك تبين لنا عمق الكراهية والتبرم الشديد لغير المألوف من المذاهب الدينية والأفكار الفلسفية.

ومن الطبيعي وعلم الفلسفة يتضمن فيما يتضمنه الكثير من الدراسات الفلسفية حول الإنسان والكون والعدم والوجود إلى غير ذلك من المسائل التي تستند في تعريفها وتوضيحها على الاجتهادات العقلية لبعض الفلسفة منم لا يعني جانب الإيمان بالله أي نصيب في ذلك. وهو أمر يترتب عليه اقحام النفس الإنسانية في ميدان الضلال والانحراف العقائدي، وبالتالي يتسم العديد من مسائل الفلسفة بسمة الإلحاد والخروج على الدين. وهذا بلا شك هو الدافع الحقيقي الذي جعل الفلسفة مذمومة ممقوته في نظر الأندلسيين (فإن كلما قيل: فلان يقرأ الفلسفة أطلق عليه العامة اسم زنديق... وقيدت عليه أنفسه فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو أحروقه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرب لقلوب العامة وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأنا إذا وجدت).

وعليه فإن من كان يستغل بالفلسفة في الأندلس كان يتهم بالكفر والزنقة وهذا حال بلا شك دون اقبال العلماء في الأندلس على الاشتغال بالفلسفة.

بتلك العلوم من باب التقية والتخفي تحت ستارها لدرء نقمة العامة والفقهاء عليهم، وهذا ما تلحظه في سير البعض من المشتغلين بالفلسفة كابن مسرة(1). وكان الرحلات العلمية إلى المشرق أثر في اقتصاص الأندلسيين لما هناك من تيارات كلامية، وأفكار فلسفية. وقد سبقت الإشارة إلى ارتحال يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة إلى المشرق ولقاءه لعلماء الكلام وأخذه كتبهم وتاثره بأفكارهم وأقوالهم ونقله كل ذلك إلى وطنه الأندلس(2).

كما أن عمر بن أحمد الكرماني من علماء عصر الخلافة رحل إلى المشرق حيث تلقى علومه في الطب والفلسفة على علماء المشرق ثم عاد إلى الأندلس وهو يحمل رسائل أخوان الصفا، وقد نسب إليه أنه أول من أدخلها إلى الأندلس(3).

ومن الحق أن نقول إن عهد الخليفة الحكم المستنصر كان يتسم بالازدهار العام في أبواب المعرفة ومنها الفلسفة، وكان لعنايته بالكتب واهتمامه بجمعها أن دخلت الأندلس الكثير من الكتب من بينها كتب الفلاسفة (فكث تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتزعم مذاهبهم)(4).

(1) انظر الخشني: تاريخ علماء الأندلس (مخطوط) ورقة 115 ب. 
(2) ابن الفرعي: تاريخ علماء الأندلس، ج 3، ص 188. 
(4) مساعد: طبقات الأمم، ص 88 - 309
وهكذا نجد أن الاحتكاك العلمي بين الأندلسيين والشاميين إلى جانب دخول كتب الأولاء ومن بينها كتب الفلسفة إلى الأندلس قد أثر في انحراف الناس إلى دراسة الفلسفة والتشكيك بها.

وأول من طبعت الفلسفة باللغة العربية محمد بن عبد الله بنمسرة القرطي (369 هـ - 419 هـ / 882 م - 931 م). وكانت له آراء فلسفية وطريقة ابتكرها في بث أفكاره وأقواله بين تلاميذه.

ويشير إليه ابن الفضلي بقوله: (لا يقيل والاستطاعة، وإن الفاعل الوعيد، ويحرف التأويل في كثير من القرآن. وكان مع ذلك يدعى التحمل على تصحيح الأعمال ومحاسبة النفس على حقيقة الصدق، في نحو من كلام ذي النون الأشعشيء وأبي وقعب النجوري، وكان له لسان يصل إليه تأليف الكلام، وتموه الألفاظ واحفاء المعاني).

وكان ابن مسيرة قد جلب عليه نقمته العامة وسخط الفقهاء، فاتهموه بالزندقة والخروج على الدين، فخرج هارباً من الأندلس إلى الشرق حيث اشتنى بلغة أهل الكلام وأصحاب الجدل من المعتزلة وغيرهم. ثم رجع إلى الأندلس في ثوب الزاهد المتين فاتقبل عليه الناس لينجذب عنه علمه إلا أنه ما لبث أن اكتشف مذهبه فانتقض عنه البعض وتمادى البعض الآخر في صحبته والأخذ عنه.

وشير إلى التقول في الحديث عن آرائه في علم الكلام وما انتهى إليه أمره، وأمر أتباعه. وإذا تعذينا ابن مسيرة إلى غيره من المشتغلين بالفلسفة لمثلنا.

1) تاريخ علماء الأندلس، جز 2، ص 29.

2) ابن الفضلي: نسق المصدر والجزء والصفحة.

3) إلى التقول على آراء ابن مسيرة ومنهجه الفلسفية إنظر: الخشني، تاريخ علماء الأندلس (مخطوط) مكتبة البارود، ص 171-172، وأبي البارود: الكتب، ج 1، ص 172-173، وأخبارها: الأدب الأندلسي، ص 43-44، وما يليها.

131 -
تقيد الكثير منهم بما أملته الشريعة الإسلامية من تعاليم وعدم الخروج عليها، فمن هؤلاء أبو عبدالله محمد بن الحسن المعروف بابن الكتاني (ت 470 هـ - 1079 م) الذي كان عارفاً بالطب ماهراً في الفلسفة والمنطق ووصف بالذكاء وجودة الفهم في الاشتغال بعلم (1).

وكان لهذا الفيلسوف مشاركة جمة في ميدان التأليف فالفافعدد من الكتب والرسائل، وأثنى عليه وعلى تصنيفه في الفلسفة ابن حزم فقال: (وأما رسائل أستاذنا أبي عبدالله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متناولهة وثائمة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة) (2).

ولا شك أن من ذكره ابن حزم حول تداول رسائل الكتاني الفلسفية بين الناس لهم مؤشر هام على ما أصبح للفلسفة من منزلة في الأوساط العلمية الأندلسية.

هذا ويتضح لنا أن الجانب الفلسفي الذي كان يلقى القبول بين الأندلسيين كان فيما يتعلق بالآراء الصائبة في ميدان الأدب والأخلاق، يدل على ذلك ما أورده ابن حزم عن استناده المذكور فيقول: (سمعته يقول لي ولغيري: "إن من العجب من يبقى في العالم دون تعاون على مصلحة، أما يرى الحراب يحرث له، والبناء يبني له، والخزان يخرز له، وسائر الناس كل يتولى فيه شغلاً له فيه مصلحة ويه إليه ضرورة.

أما يستحيل أن يبقى عياً على كل من في العالم؟ آلا يعين هو أيضاً بشئ من المصلحة.

(1) المقرئ: النفح، ج 2، ص 175 (نقاً عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
(2) المقرئ: النفح، ج 2، ص 175 (نقاً عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
قال أبو محمد: ويمري إن كلمة هذا صحيح، وقد نبه الله تعالى عليه بقوله: "إِنْ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالْطُّقُوْبِ" فَكَلَا مَلْخَلْقُ فِيهَا مُصَلَّحَةٌ فِي دِينِهِ أو فِي مَا لَا غَنِّي بِهِ عَنْهُ فِي دُنْيا فَهُوَ بِيَدِي وَتَقُوْبُ (١). 

وئلمس من خلال ما تقدم أن ما كان من الفلسفة مختصا بما يوافق الشرع من الحث على محاسن الأخلاق وجمال الآداب فقد قوبل من الأندسرين بالاستحسان والتقدير. أما ما يتعلق بالمعقلة فكان يلقى المعارضه الشديدة، والتشهير به وبصاحبة ورميه بالزندهة من الفقهاء والمجتمع الأندسلي.

وكان لأبي عثمان سعيد بن محمد بن البوغش (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٠ م) أراء في الفلسفة تتم عن براعته فيها وحسن سيرته، وقد وصفه القاضي صاعد بقوله: (لقيته منه رجلًا عاقلا جميلا الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب إذا كتب جليلا في أنواع الفلسفة وضرورة الحكمة وتبييت منه أنه قد قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيرا منه ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها ... ) (٢).

وئلمس من خلال سير الكثير من المشتغلين بالفلسفة اتصافهم بحسن السيرة وجميل الأخلاق وهذا بلا شك يعطينا انطباعا عن نوعية الدراسات الفلسفية التي كانوا يدرسونها وينتمون إلى أخلاقيهم.

كما وأسهم أهل الدومة في ميدان الفلسفة، ومنهم اشتغل بذلك منهم أشباح قطان (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٠ م) وكان ماهرا في المنطق عارفا بالفلسفة ملما بمسائلها.

المنبع:
١. الحمدي: جنوة المقبس، ص ٤٩.
٢. طبقات الأمام، ص ١٠٩ - ١١٠.
٣. صاعد: نفس المصدر، ص ١١٧.

- ٣١٢ -
وكان يماثله في ذلك الفيلسوف والطبيب اليهودي منجم بن الفوال السرطاني الذي عاصر أحداث الفتنة التي اجتاحت قرطبة عقب زوال النفوذ العامري، وكان يتمتع بعلم واسع في الطب والمنطق وسائر علوم الفلسفة، بالإضافة إلى نشاطه في مجال التأليف فقد ألف في الفلسفة كتاباً اسمه "كنز المقال" رتبه على المسالحة والجواب وضمنه معارف جمة في قوانين المنطق وواصل الطبيعة(1).

ومن الحك أن نقول أن الحاجب المنصور رغم ما استهدفه من عملية إبادة كتب الفلسفة هو اكتساب ثقة الفقهاء توطيداً لكتابته السياسية إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه كان مشجعاً للكثير من مؤلفاته أو كل منها، فعمل على ذلك ما وصفه به المؤرخ ابن عذاري من أنه كان أشد الناس معايدة لمن علم أن لديه شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد وممارسة علم التجنيد والاستخفاف بشيء من الشريعة الإسلامية(2).

(1) البيان الغرب، ج 2، ص 292.
(2) مساعد طبائع الأمم، ص 88-89 زكرياء هاشم: فضل الحضارة الإسلامية على العالم، ص 556.
(3) البيان الغرب، ج 2، ص 292.
وكان من نتائج موقف المنصور هذا من الفلسفة أن ضعف نشاط الفلاسفة واضح بانتظام العلماء فائر الكثير منهم السكون والبعد عن الاشتغال بمسائل الفلسفة كما تستر الكثير منهم بالاستغلال بعلوم أخرى كالطب والرياضيات ولم يعودوا إلى نشاطهم إلا بعد زوال الخلافة الأموية(1).

وبالإضافة إلى ذلك فقد أثر الكثير من الفلسفة الهجرة إلى خارج وطنهم الأندلس وفي مقدمتهم الفيلسوف عبدالله بن اسماعيل المعروف بالتقليدي الذي كان ماهرًا في علم الفلسفة والمنطق حذقاً فيهما، فلما وقف المنصور موقفه المعادي للفلسفة اضطر خوفًا على نفسه إلى الرحيل إلى الشرق(2).

كما أن الفيلسوف سعيد بن فتحون المعروف بـ «الحمار السرнести» كان له نشاط وافر في ميدان الفلسفة والأدب واللغة الموسيقى. وقد ألف في الفلسفة كتاباً في المدخل إلى علوم الفلسفة أسماه «شجرة الحكمة» ومنصف رسالة في تدريس العلوم. وقد نال هذا الفيلسوف على يد الحاجب المنصور شبيهًا من التنكيل حيث سجن عليه ثم أطلقه بعد ذلك مما كان له أثر على نفسيته فخرج من الأندلس إلى صقلية(3).

والجدير بالذكر أن هذا الفيلسوف كان له مكانة علمية رفيعة وانتاج علمي نفيس استطاع به أن يحتل منزلة سامية بين علماء عصره حتى قال فيه ابن حزم (وأما الفلسفة فإني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرнести المعروف بالحمر دالة على تمكنه من هذه الصناعة(4).
وفي أواخر عصر الخلافة برز العلامة ابن حزم في ميدان الفلسفة كما برز في علوم أخرى وكانت له آراء وأقوال قيمة في الفلسفة ضمنها كتاب (الفصل في الملل والنحل) فعندما طرق ميدان الفلسفة في كتابه الذكور بدأ بتعريفها بقوله : (الفلسفة في الحقيقة إنما معتناً وثمرتها والغرض المقصود بتعلمه ليس هو شيء غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياهما الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد، وحسن السياسة للمنزل والرعاية وهذا نفسه لا غير هو غرض الشرعية)
(1)
والمعنى والمعرفة عند ابن حزم أسمان لغة واحدة، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتبنيه وارتفاعه الشكر عنه، وسبيل المعرفة عندنا أربعة : 
1. النصوص من القرآن والأحاديث النبوية.
2. ما أوجبته اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات وما استطاع عليها العرب من الفهم عند سماع هذه الكلمات.
3. الإكتساب "بالاختيار« بنقل التواتر.
4. الحس بالبديهية والعقل(2).
ولا شك أن ابن حزم بما توصل إليه من آراء صائبة في ميدان الفلسفة قد حل أعظم مشكلة في تاريخ نظرية العرفة، وهي المشكلة التي تشدر مؤرخو الفلسفة الأوروبية بأنهم قد توصلوا إلى حلها بواسطة فلسوفهم الآتي : Kant (1724 م) الذي كانت تشغل به الإجابة على الأسئلة الآتي: "كيف تكون الأحكام المبنية على الاختيار الحسي ممكنة البديهية؟ وقد توصل إلى حل ذلك بتوضيح أن العرفة التي نعتقد أننا قد عرفناها بواسطة بديهية العقل Apriori راجعة إلى الحواس في زمن متقدم ثم سمي ذلك...
(1) ج 1 ص 94
(2) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، ص 596-597.
ولم يعلم أن ابن حزم الأندلسي الذي عاش قبله بسبع 
Apriori Aposteriori 
قرن قد وقف أمام هذه المشكلة ثم حلوا حلا لا يقصر عما توصل إليه الله إلا 
في بسط القول وشكل المنطق الذين امتاز بهما كائن مع أسبقية ابن حزم في 
ميدان الكشف العلمي (1).

والجدير بالذكر أن ابن حزم قد عالج الكثير من القضايا المتعلقة بالكون 
وما فيه في أساليب فلسفية مقنع مؤيدا أقواله بالنصوص الكريمة من القرآن 
والسنة وأقوال العلماء.

ومن الحق أن نقول أن ابن حزم قد أظهر نبوغا مدهشا في كتابه الفصل 
الذي ضمه الكثير من أراء الفلسفة والتي استهدف منها الدفاع عن التعاليم 
الإسلامية والندوب عن حمى الشريعة، وذلك كان ابن حزم فيلسوفا إسلاميا 
لامعا، بل إنه يعد أفضل الفلاسفة في عصره بما قدمه من جهود رائعة في 
تسخير هذا العلم كأداة لضح مزاعم خصوم الإسلام من الفلسفة المحدثين 
وبهذا يثبت أن ميدان الفلسفة في عصر الخلافة كان نشاطه مقيدا بما 
يوافق تعاليم الشريعة الإسلامية ويلمؤه نصوصها، ولعل ظاهرة خروج 
الفيلسوف ابن مسرة على تعاليم الدين وما لاقاه من تكيل هو وأتباعه كان له 
أثره في انصرف الكثير من العلماء الفلسفة عما يتعلق بالعقوبات لما لا يوافق 
الشرع إلى دراسة مظاهر السلوك الإنساني كالأخلاق والآداب، فكان لبعضهم 
آراء صائبة وأقوال حكيمة في ذلك.

(1) عمر فروخ: المرجع السابق، ص 98-97 - تدري طريقة: العلوم عند العرب، 
ص 182-183

للاستناد إلى الترتيب انتظر ابن حزم: الفصل، ج 1، ص 5-7، ج 2، ص 107-108، 
108، ج 5، ص 108، عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، ص 47.

وكتابه الآخر مبكرة العرب في العلم والفلسفة، ص 141، وما بعدها.

- 216 -
وبعد هذا العرض للنشاط العلمي للأندلسيين في ميدان العلوم الإنسانية من تاريخ وجغرافيا وفلسفة نخلص إلى القول أن هذه العلوم لقيت نشاطاً ملحوظاً من علماء الأندلس، فلم يكونوا في عطائهم هذا لما ذكرناه من علوم باقى مما منحوه للعلوم الأخرى، ولا نرمي القول جزافاً فإن المكتبة الإسلامية في عصرنا هذا تشهد بعطائهم الخصب في هذه اليابين العلمية.

والحق أن الأندلسين أظهروا براءة مدهشة في مجال التاريخ بما أثروا به هذا البلد من دراسات وبحوث علمية قيمة في مقدمتها ما نراه مثالاً أمامنا من ضروب التأليف التاريخية في ميدان التراجع والتاريخ. وأن فيما اعتمدا عليه في كتابة هذا البحث من مصادر التاريخ الأندلسي لشاهد قوي على ما ذهبنا إليه، ويكفي الأندلسين فخراً أن ظهر فيهم من هو في طبقة ابن الأثير والسعودي، وهو المؤرخ البارع ابن حيان الأندلسي الذي يعود الفضل الأول في ظهور قدراته العلمية إلى ما تميزت به البيئة الأندلسية من علم ومعرفة وما توفر فيها من أجواء كففت لمواهبه العلمية النمو ومنحت شخصيته العلمية البروز، كما أن فضل من سابقه من المؤرخين لا ينكر كأشرة الرازي التي كانت من أعظم الأسر العلمية عطاء في ميداني التاريخ والجغرافيا.

وفي الجغرافيا أثبت الأندلسين مقدرة واسعة رغم ضياع الكثير من تأليفهم إلا أن ما بقي بين أيدينا منها فيه دليل على ازدهار الدراسات الجغرافية آنذاك، وما ذكرناه من جهدهم في هذا الصدد ليؤكد ما أشرنا إليه، وعله من عوامل تأليف عمدة جغرافي الأندلس أبو عبيدة البكري اعتماده على جغرافي عصر الخلافة كالوراق وأحمد الرازي والطوطبي وغيرهم.
وفي ميدان الفلسفة فقد أظهر الأندلسيون نبوغًا واضحًا بالرغم مما
اعترض اشتغالهم بهذا العلم من عقبات أشرتنا إليها إلا أن الكثير من علماء
الفلسفة الأندلسيين التزموا في أبحاثهم الفلسفية البعد عما يخالف الشرع وما
قدمه ابن حزم الأندلسي في هذا العلم من ابتكاره نظرية المعرفة فيه دليل على
مقدرتهم الواسعة على خوض هذا الميدان والخروج بنتائج علمية لا تزال موضع
إجاب الباحثين ومناط اهتماماتهم العلمية.
الفصل الرابع
العلوم التجريبية

١- الطب
٢- الرياضيات والفلك
٣- الكيمياء
1- الطب

بداية الدراسات الطبية - دخول كتب الطب المختلفة إلى
الإندلس - اشتغال بعض الأطباء بالطب لدى الخلفاء كعبيد بن يحيى،
وأبو حنيفة ابن إسحاق، وأبن الكنتاني، أبرز أطباء عصر الخلافة - خلف بن
عباس الزهراوي وانتاجه العلمى القيّم وخاصة في ميدان الجراحة -
عبيد بن سعيد وكتبه "خلق الجنين" - سليمان بن حسان، وبراعته
في الصيدلة - ابن بونس الحراني وطب العيون .. وغيرهم ..
الطب:

يعتبر علم الطب وما يلحق به من علوم أخرى كالصيدلة من أبرز العلوم التي حازت على اهتمام وعناية الأندلسيين. بل لا نغالي إذا قلنا أن الطب يتأتي في مقدمة العلوم الطبيعية من حيث النشاط ووفرة الإنتاج العلمي في الأندلس.

وقد سبقت الإشارة إلى بداية اشتغال الأندلسيين بالطب، وأنهم كانوا قبل عصر الخلافة أقل دراية ومعرفة بميدان الطب، وكيف أنهم كانوا يعانون في دراستهم لمسائل الطب على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له "الابريشيم" أي الجامع (1).

ويتضح للتتبع حركة الدراسات الطبية قبل عصر الخلافة أن أكثر المشتغلين بالطب آنذاك كانوا من أهل النوبة، وهذا بلا شك يأتي تأكيدا لما جدل عليه المسلمون من تسامح كريم في معاملة أهل النوبة وافساح المجال أمامهم للزود من المعرفة والثقافة، وممارسة نشاطهم العلمي في أمان ويسر.

وفي عصر الخليفة عبد الرحمان الناصر أخذت حركة الاشتغال بالطب تأخذ أبعادا جديدة فتتسببت الخبرات في يامه، ودخلت الكتب الطبية من الشرق، وجميع العلم، وقامت الهمة وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين (2).

وقد كان للتبريات الثقافية الباردة على الأندلس أثر في النهوض بالطب والرقي بدراساته المختلفة، وهو ما أشار إليه ابن جهل كظاهرة علمية حدثت في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر.

(1) ابن جهل: طبقات الأطباء، ص 96 - ص 96 - إحسان عباس: الأدب الأندلسي، ص 74.
(2) ابن جهل: المصدر السابق، ص 97 - 98.
من أهم تلك الكتب كتاب زاد السافر الذي نقله العلامة عمر بن بريك. وكان ابن بريغ من أمهل الابطاء في الأندلس. وقد ذكر إلى أفريقية فدرس الطب على يد الطبيب القيرواني المشهور أبو جعفر بن الجزار ولما مدة ستة أشهر ثم عاد إلى الأندلس وهو يحمل كتاب ابن الجزار المذكور (1).

ومن الكتب الطبية التي دخلت الأندلس وكان لها أثر في دفع عجلة الدراسات الطبية ورقيها كتاب في النباتات الطبية لديسيروديس(2).

وكان ذلك الكتاب قد ترجم في الشرق في العصر العباسي على يد الترجمان اصفنف بن يسحى ولكنه لم يتكمن من ترجمة كل الأسماء الواردة في ذلك فاستعدها على حالتها باللغة اليونانية، ثم دخل الكتاب بصورة تتعلق إلى الأندلس فانتفع به أطباء الأندلس. وفي سنة 948 هـ / 1327 م بعث الإمبراطور البيزنطي أرمينيوس إلى الخليفة العباس أبى الناصر بهدايا نفيسة ومن ضمنها كتابين: الأول هو كتاب ديسيروديس مصورة في الحشائش تصويرا رائعا، وكتب هروشيلك بالإلاتينية في التاريخ - وقد سبق الحديث عنه في ميدان التاريخ. ولا لم يكن لدى الناصر من يجيد اللغة اليونانية فقد ظل كتاب ديسيروديس متدافلا بين الناس بترجمة أصفنف.


(2) يتألف هذا الكتاب من خمس مقالات:

الأولى: في ذكر أدوية عطرية الرائحة وأدواته ومصموغ.

الثانية: في ذكر الحيوان ورغبواته والحبوب والبلق.

الثالثة: أصول النبات والنبات الشوكي وبروز وصمغ وحشائش مزدح.

الرابعة: في ذكر أدوية أخرى حشائش بأدواته مسيلة ومضيفة وما ينفع منها.

الخامسة: ذكر الكريم وأنواع الأدوية والأدوية المعدنية.

(عمر كمال: العلوم البهتية، ص 297 - 298، 293 - 323.)
أما النسخة المرسلة فقد بقيت في مكتبة الخليفة عبدالرحمن الناصر حتى
بعث إلى إمبراطور الروم رسالة يطلب فيها أن يبعث إليه من يجيد
اليونانية ليتسنى له الاستفادة من ذلك الكتاب، فبعث براهب يدعى نقولا سنة
340 هـ / 951 م فاجتمع مع بعض الأطباء الأندلسيين أمثال حسني بن
شيوط، ومحمد الشجار، وعالم آخر يعرف بالبسباسي، وأبو عثمان الجزار
المعروف بالبابسة، ومحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن إسحق بن الهيثم،
وأبو عبد الله الصقلي وكان يجيد اليونانية عارفا بخصائص الأدوية(1).

وقد أشار ابن جليل إلى عملية الترجمة هذه بقوله: "فصح يبحث هؤلاء
النفر الباحثين عن أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس تصحيح الوقوف على
أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الأندلس ما أزال الشك فيها عن القلوب
иوجبة المعرفة بها بالوقوف على أشخاصها وتصحيح النطق بأسمائها إلا
تصحيح إلا القليل منها الذي لا بال له ولا خطر له، وذلك يكون في مثل عشرة
أدوية(2).

وبناء على ذلك فقد كان لكتاب ديسقوريدس أثر هام في اتساع افق
الدراسات الطبية وما يتعلق بالنباتات وتركيب الأدوية. ولم يكن الأندلسيون
ليقفوا موقفاً الأخذ والتسليم بما يروهم من علوم عن الأمم الأخرى بل كانوا
يدرسون إنتاج غيرهم بنظر ثاقب وتمحيص نظيف فيأخذون ما يصح لديهم
وينبؤون ما عدها ويسعون الكثير من الأيضاحات والشرح إذا لزم الأمر وهو

(1) ابن أبي أصيبعة: ميرين الأنباء، ص 394 - زيفريد هونكه: شمس العرب تسلط على
الغرب ص 372 - 273

Titus Burckhardt Moorish Culture in Spain P. 69

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 494.

- 274 -

- 264 -
ما فعلوه بكتاب ديسقوبريس. فقد بدر أحد أطباء الأندلس وهو سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ذلك الكتاب فلاحظ أن ديسقوبريس قد أغلق ذلك ولم يذكره إما لأنه لم يره ولم يشاهد عيانا وإذا كان غير مستعمل في دهره وأبناء جنسه(1).

وكان الخلفاء يحرصون على أن قصورهم عددا من الأطباء البارعين لحاجتهم إليهم في مجال العلاج الطبى وقيما يحسن تناوله من الأغذية والأشربة ولهذا نلهذ عند دراستنا للطب آنذاك استغلال الكثير من الأطباء بخدمة الخلفاء والحكام وممارستهم الطب داخل قصورهم.

فمن أولئك الأطباء أصبه بن يحيى القرطبي الذي خدم بالطب الخليفة

عبد الرحمن الناصر(2).

كما استغل بخدمة الخليفة عبدالرحمن الناصر من الأطباء عمر بن بريق الذي كان يعينه في تحضير الأدوية وتركيبها عدد من الأتباع(3).

ومن بين الأطباء في قصر الخليفة عبدالرحمن الناصر الطبيب سليمان بن براج الذي عرف بالتمكن العميق في الطب وتركيب الأدوية. وحدث أن تعرض الخليفة إلى رمد في عينه فوصف له علاجا ناجحا عوجب به من مرضه. وقد وصف سليمان بالحفظ الشديد على أسرار عمله حتى أن الخليفة عبدالرحمن طلب منه الوصفة العلاجية السابقة فابي ذلك(4).

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ، ص 495 .
(2) ابن جلجل: طبيبات الأطباء ، ص 188 – ابن الأبار : التكملة ج 1 ، ص 26 .
(3) ابن جلجل: المصدر السابق ، ص 107 – مصدر الأدوية : طبيبات الأدوية ، ص 106 .
(4) ابن جلجل: المصدر السابق ، ص 489 – ابن أبي أصيبعة : خير الآباء ، ص 489 .
ويسبب ابن ناج بخلاف ابن جلجل .

- 370 -
وقد نال الطبيب يحيى بن إسحاق مكانة رفيعة لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر، ونظرا لعلمه الواسع وسيرته الحسنة أن قلده الوزارة. وكان يحيى ماهرا في الطب فالف في كتابه على نهج الأقدمين سماه (الابريشيم). ويدعو أنه قد استحدث نظام جديد للطبيبة المشتغلين بخدمة الخلفاء وذلك في عصر الخليفة الحكم المستنصر، فقد أنشئ ديوان يضم أولئك الطبيبة وينزلهم درجات متقاربة حسب قدراتهم وكفاءاتهم ومن هؤلاء الطبيب أحمد بن حكم ابن حفصون الذي اشتغل بخدمة الخليفة الحكم المستنصر. وكان قد قدمه في ديوان الأطباء الحاسب جعفر الصوفي. ونال ابن حفصون مكانة عالية بين أطبه البلاط فلما مات جعفر أسقط ذلك الطبيب من ديوان الأطباء مما أثر على منزلته العلمية والاجتماعية ففي خال من ذكره وفاته.

ولحق بخدمة الخليفة الحكم المستنصر أبو بكر أحمد بن جابر وكان كبير المنزلة عند الخلفاء معت正当 لديهم، ويتبعه أيضا الطبيب أبو عبد الرطيف الثقيلي الذي جمع بين المهارة في الطب والبراعة في الهندسة، وكان عالي المقام لدى الحكم المستنصر.

وفي عصر الخليفة هشام المؤيد برز بعض الطبيبة في بلاطه وفي مقدمتهم الطبيب النسائي الحمصي سليمان بن حسان "ابن جمل "، وسوف نفصل الحديث عنه فيما بعد.

وينال الطبيب الفيلسوف محمد بن الحسين المعروف "بابن الكتاني" مكانة سامية في بلاط الحاجب المنصور بن أبي عامر وخدمه وابنه عبد الملك.

---

(1) من المصدر السابق ص 488 - 489
(2) ابن جمل: الصدر السابق ص 167 - من المصدر السابق ص 106 - ابن أبي أصيبة
(3) من المصدر السابق ص 492 - ابن أبي أصيبة: المصدر السابق ص 492 - من المصدر السابق ص 492 - 376
المظفر بالطب، وعمر وفته انتقل إلى سرقسطة حيث توفى بها سنة 202هـ
10/29 م 1)

كما أن الطبيب عبدالله بن إسحق بن الهيثم حظي بمنزلة عالية لدى الحاجب المنصور. ووصف ذلك الطبيب بالمعرفة الواسعة بالطب وتركيب الأدوية المسهلة والمقيّمة، والاقتصاد والإيجاد في خطا ابن الجزار في الاعتماد، 2) و«الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء» وهذا الكتاب ألفه ابنه بناء على رغبة الحاجب المنصور بن أبي عامر 3) كما ألف أيضا من الكتب كتابا في السموم 4).

وهكذا نلم نرى ما كان يحمله بعض أطباء ذلك العصر من مكانة عالية لدى الخلفاء، وأن ارتباطهم العملي بخدمة الخلفاء قد دفعهم إلى مزيد من الدراسات العلمية التي تعلل مكانتهم وترفع شأنهم أكثر في بلاط الخلفاء. ولا أدل على ذلك مما ألفه الطبيب ابن جلجل من تأليف طبي، وكذلك ابن الهيثم وغيرهما مما كنوا من الأطباء المشتغلين بخدمة الخلفاء.

ولعل من دلالات النهوض العلمي في ميدان الطب ونشاط علمائه أن كان الكثير من الأطباء يمارس هذة المهنة في صورة تشابه ما عليه حال أطباء هذا العصر من الأشغال فيما يسمى بالمبادئ الطبية التي يرد بها المرضى للعلاج. فقد كان الطبيب ابن ملوكه النصراني يشتغل بمداواة المرضى وعلاجهم...

1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأيتام، ص 493 - أحمد معسي: معجم الأطباء، ص 427.
2) ابن الجزار: أحمد بن إبراهيم من ألم أطباء أفريقية وهو من أهل الطور، (ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 481) 4) فقد مذكر ابن الجزار في بداية الحديث عن الطب، فناظر ذلك.
3) جاب الله، البغدادي الصواب في كتابه هدية المارينغ عندما، أشار إلى أن وفاة ابن الهيثم سنة 246 هـ، فكيف يصح هذا وهو قد ألف المنصور أحد كتابه في الطب والمصور توفي الامير بعد وفاة الخليفة الحكم سنة 366 هـ.
4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 422 - أخيل البالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 412 - 377
خصوص ذلك دارأً يستقبل فيها الرضي ووضع على باب تلك الدار ثلاثين كرسياً لجلس الناس وانتظارهم العلاج(1).

وهذا بلا شك بعثينا صورة واضحة لما كان عليه أطباء ذلك العصر من مراعة تامة للناس والتزام عميق بالتنظيم والتنسيق في أداء عملهم وممارسة نشاطهم.

وفي ذلك العصر برز الكثير من الأطباء ممن عنوا بالطب وما يتعلق به من دراسات مختلفة، كدراسة النباتات الطبية وتركيب الأدوية مما يدخل تحت مسمى «الصيدلة».

ونظراً للأعداد الكبيرة من الأطباء الذين عاشوا في عصر الخلافة، فإن حديثنا سيكون مقتصرًا على أبرزهم ممن كان لهم دور فعال في ازدهار الطب وروق دراسته.

ويأتي في مقدمة هؤلاء الأطباء الطبيب اللامع خلف بن عباس الزهراوي(2) وكنى أبو القاسم ويعرف في اللاتينية «بابو الكلاسيس».

(3) ولا نعلم بالتحديد تاريخ ولادته فلم يشير إلى ذلك أولي التراجم الأندلسية كالحميدي أو الضبي أو ابن بشكل، وقد اكتشف أويلهم بالإشارة إلى وفاته بعد الأربعينات(4).

وفقًا لبعض مؤرخين المحدثين في ذلك، حتى إن بعضهم

(1) ابن جلجل: المصدر السابق، ص 17 - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 486.

(2) تابع إلى مدينة الزهرا، تابعه الناصر عبد الرحمن وبينها وبين قرطبة خمسة أميال.

(3) تحديد المطر، ص 45.

(4) CIT, P, 69.

(5) سيد حسين نصر: العلوم في الإسلام، ترجمة مختار الجوهري، ص 145.

(6) الجلود: ص 209.
اشتهى في الخروج عن حقيقة الأمر بأن أشار إلى رفاته (۱۰۰ هـ / ۱۶۰۶ م).

(۱) Titus Burckhardt ولهما غوستاف لوبين، وحسن إبراهيم حسن.

ومهما يكن من أمر فمن المؤكد أن الزهراوي كان حيا في القرن الرابع الهجري: العاشر الميلادي (۲) وهو ما يؤكده ابن حزم عند كلامه عن فضل الأندلس وجهود علمائه فيقول مشيدا بكتاب الزهراوي في الطب وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عياش الزهراوي وقد أدركناه وشاهدناه ولكن قلنا أنه لم يمؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لتصقرون (۳).

ومن thích من كلام ابن حزم أن الزهراوي عاش في عصر الخلافة، فقد أدركه وشاهدته، ابن حزم كما هو معروف عاش فترة كبيرة من عمره في عصر الخلافة، وإنما ورد في النص السابق منفذ «ادركة» لفية دلالة على أن مشاهدة ابن حزم له تمت والزهراوي في أواخر عمره، أي أنه قضى أكثر عمره في عصر الخلافة. وهذا بلا شك دليل قوي على معاصرة الزهراوي تلك الفترة، وهذا بالإضافة إلى إشارة الحميدي إلى أن وفاته كانت بعد الأربعينات أي أنه قضى شيئا كبيرا من عمره في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مما يدعم هذا الرأي ما ذكره عنه أنخل بالنتيجة أنه ولد سنة ۴۲۴ هـ / ۹۲۵ م، وتوفي سنة ۴۳۳ هـ / ۱۰۴۲ م (۴).

(۱) انتظركتب بالترتيب، حضارة العرب، ص ۴۹۰، تاريخ الإسلام، ج ۴، ص ۵۱۷.
Moorish Culture in Spain. P. 70.

(۲) لتاكيد ذلك انتظر خالد ناجي: الزهراوي وعمليات اللغة العربية، مجلة المؤرخ العربي - العدد السادس عشر ۱۹۸۱ م - ص ۱۸۵.

۳ في بقية المصادر والمراجع بسم الله عباس ۳.

(۴) تأليف الفكر الأندلس، ص ۴۲۶.
ويعود خلف بن عباس الزهراوي من أعظم الأطباء في الإسلام بل لا تبالغ
إذا وصفنا بأنه أنجبهم في ميدان الجراحة الطبية على الإطلاق، فقد كان له
باع طويل في ازدهار الجراحة الطبية ووضع الأسس العلمية الصحيحة لذلك
المجال الحيوي المهم من الطب.

وكان الزهراوي جم النشاط في استغلاله بالطب ماهر التصرف في فنون
الجراحة متضمنا في معرفة دقاتها، وقد ألف في ذلك كتابا عظيم الفائدة كبير
النفع أسماه «الصرف من عجز عن التأليف» وأشار في مقدمة الكتاب إلى
سبب تسميته بذلك فقال: (إنا أسميتبه بذلك لكثرته تصرفه بين يدي الطبيب
وكثرته حاجة إليه في كل الأوقات وليجد فيه من جميع الصفات ما يغنيه عن
التأليف) (1).

ويتضمن مما أطلع على ذلك الكتاب الذي لا يزال مخطوطا - أن
الزهراوي ألفه بعد عمر طويل من التجارب والبحث والدراسة والحياة العملية
الجادة في حقل الطب والجراحة. وقد أشار في مقدمة كتابه إلى ذلك لدى
حديثه عما تضمن كتابه بقوله (وكل ما جربته وأتمحته من طول عمري منذ
خمسين سنة) (2).

وكان الكتاب الذي ذكره لحسن الحظ لا يزال موجودا وتوجد منه نسخ في بعض
المكتبات الإسلامية الأوروبية، ومنها نسخة موجودة في المكتبة الملكية بالرباط
ويقع ذلك الكتاب المخطوطة في عدة أجزاء ويتضمن ثلاثين مقالة مثلما:
الأولى: في الأغذية وتركيب الأدوية، وهي كالداخل للكتاب.
الثانية: في تقسيم الأمراض وعلاجها، وعلاقتها.
الثالثة: في وصف المعاجن.

(1) الزهراوي: التصرف من عجز عن التأليف (مخطوط) ج 1، ص 22.
(2) التصرف من عجز عن التأليف (مخطوط) ج 1، ص 4.
الرابعة: في التريقات (1) والأدوية المفردة النافعة من السموم.

الخامسة: وصف الارجات (2) القديمة والحديثة وأدخالها وتخييرتها.

السادسة: وصف الأدوية المسهلة لجميع العلل.

السابعة: وصف أنواع القبيء والحقن وغيرها.

الثامنة: الأدوية المسهلة اللذيذة لطعم المامونة.

التاسعة: أدوية القلب والمسك.

العاشرة: وصف الطريفات (3) والمنبهات والمسهلات.

الحادي عشرة: وصف الجوانزيات (4) والكمونيات.

الثانية عشرة: أدوية الباء والمستعمرة للأبدان المهولة والميرة للبول.

الثالثة عشرة: الأشربة والسكنيبات (5) والربوب.

الرابعة عشرة: الطبيعات والمنقوذات المسهلة وغير المسهلة.

الخامسة عشرة: في المريبات (6) ومنافقها وحِكَّة ترتيبها وادخارها.

(1) التريقات جمع طريق، مشتق من اليونانية تريبيوس. وهو اسم لما يترن من الحيوان كالآفعي ونحوها، ويقال له بالعربية طريق، (الخوارزمي: مفاتيح العلم، ص 139).

(2) الارجات: أشار إليها الخوارزمي على أنها من أصناف الأدوية. ولم يوضح ما هي (مفاتيح العلم، ص 140).

(3) الطريفات أو الطريفل باللهجة (تُرى أبل). أي ثلا أخطاط بعي أطبلج ويليلج وأملج.

(4) الخوارزمي: نفس المصدر السابق، ص 140.

(5) الخوارزمي أو الخوارشان، ذكرها الخوارزمي ضمن الأدوية. ولم يوضح ما هي بالتياني في كشف اصطلاحات النزون. ج 1، ص 248.()

(6) المريبات: ما يربط بالعسل من الاترج واللاميلج ونمو ذلك (الخوارزمي: المصدر السابق، ص 140).

- 321 -
السادسة عشرة: في الشفوفات\(^1\) المسهلة وغير المسهلة.

السابعة عشرة: في الأقراص المسهلة والممسكات.

الثامنة عشرة: في السعوات والبجوهرات والقطورات والذرورات والغراغر.

التاسعة عشرة: في الطيب والزينة وغيرها.

العشرون: في الأكحالي وغيرها.

الحادية والعشرون: أدوية القلم والحلق وما أشبه ذلك.

الثانية والعشرون: في أدوية الصدر والسعال.

الثالثة والعشرون: في الضمادات لجميع العلل.

الرابعة والعشرون: في صناعة المراهم.

الخامسة والعشرون: في الأدمان ومنافعها.

السادسة والعشرون: في أطعمة المرضى وكثير من الأصحاء مركبة حسب الأمراض.

السبعة والعشرون: في طبائع الأدوية والأغذية وما يتعلق بها.

الثامنة والعشرون: في إصلاح الأدوية وحرق الأحجار المعدنية وما يتصرف في الطب من ذلك.

التاسعة والعشرون: في تسمية العقاقير باختلاف اللغات وأعمارها وشرح ما ورد من أسماها في كتب الطب والأكيال والأوزان.

الثلاثون: في العمل باليد من الشق والبط والجلب والكفي والخلع.\(^2\)

\(^1\) الشفوفات أو الشيقات من الأدويت التي يحتوي بها في الدبر (الخوارزمي: المصدر السابق ص 140).

\(^2\) الزهراوي: المخطوط السابق ص 1, 6, 7, 8, 9, 10.
ويتضح من عنوان المقالات السابقة العلم الواسع والبراعة التامة التي تميز بها الزهراوي. حيث ضمن كتابه المذكر الكثير من صور العلاج الطبي وأوصاف الأدوية المختلفة واللغوية والأشريرة المتعددة مما يصح به جسم الإنسان ويقويه أمام مختلف الأمراض.

والجزء الأخير من الكتاب في الجراحة. ويوكل في مقدمته: (لا اكتمل لكم يا باني هذا الكتاب الذي (هو) جزء العلم في الطب بكماله ويلغت الغاية فيه من وضوحه وبيانه فرأيت أن أكمل لكه بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد في بلدينا وفي زماننا معنا البتة حتى كاد أن يندر من عمله وينقطع أثره وإنما بقي منه رسوم يسيره في كتب الأوائل قد صحته الأيد وواقعه الخطا والتلويش حتى استغلقت معانيه وبعدت فائته فرأيت أن أجيده(6) وأولف فيه هذه المقالة على طريق الشرح والبيان والاختصار وأن آتي بصور خادم الكي وسائر آلات العمل إذ هو من زيادة البيان ووكيد ما يحتاج إليه(1).

ويتضح من هذه المقدمة مدى عناية الزهراوي ببعيدان الجراحة واهتمامه باللغز بتوضيح الأساليب العلمية الصحيحة في إجراء العمليات الجراحية وسعيه الجاد في سبيل رفع شأن هذا المقال المهم من علم الطب بعد أن شره أدمياء الطب صورته وأدخلوا عليه ما ليس منه. فوضع الزهراوي الأساس السليمة لعلم الجراحة وأضاف إليه الكثير من الابتكارات العلمية الهامة، وكان لجهوده في ذلك أبعد الأثر في ازدهار علم الجراحة الطبية.

والزهراء يخدم الكثير من التوجيهات والإرشادات التي يوجهها إلى زملائه من الأطباء والجراحين. فهو ينصح الجراح أن يكون عارفاً بأعضاء الجسم ودقائق تكوينه والذي ينطوي تحت علم التشريح لكي يتسنى له

---

(1) الزهراوي: المخطوط السابق، ج 7، ص 310.
(6) هكذا في الأصل، ربما تكون النظرة أقيده.
الوقوف على منافع الأعضاء وهب واتها واتصالها وانفصالها وعدها ومخارجها،
ويقول في ذلك: (من لم يكن عالماً بما ذكرنا من التشريع لم يخل أن يقع في
خطأ يقتل الناس به كما قد شاهدت كثيراً ممن تسور في هذا العلم وادعا له
بغير علم ولا دراية)(1).

ويضرب الزهراوي الكثير من الأمثلة لأطباء لم يعتنوا بما ذكر فوقعوا في
أوسم النتائج وأدوا بحياة مرضاهم. ومن ضمن ذلك ما ذكره بقوله: (إنني
رأيت طبيبا جاهلا قد شق على ورم خنزيري(2) في عنق امرأة فابدا بعض
شريانات العروق فنزف دم المرأة حتى سقطت ميتة بين يديه)(3).

وقسم الزهراوي هذا الجزء على ثلاثة أباب: الباب الأول: في الكي بالنار والكي بالدواة، مرتب من القرن إلى القدس وصور
آلات حديد الكي وكلما يحتاج إليه.

الباب الثاني: في الشق والبض والفص والحجامة والجراحات وإخراج السهام
مربوب مرتب، وصور آلاته في سبعة وتسعين فصلا.

الباب الثالث: في الجبر والخلع وعلاج الكسر مربوب مرتب من القرن إلى القدس
وصور آلاته في خمسة وثلاثين فصلا(4).

ومما يؤكد على مكانة الزهراوي في حقل الجراحة الطبية ما زود به كتابه
المذكور من صور الآلات الجراحية التي يحتاج إليها الجراح أثناء إجرائه

(1) التصريف لم منجز من التأليف (مخطوطة) ج، ص 3-4.
(2) نفس المصدر والجزء، ص 4.
(3) الخنزيري أو الخنازير أورام الشباه الغدد في الأباب والأربية (الخوارزمي مفاتيح العلوم،
ص 116).
وقال الثعالبي في فقه اللغة، ص 86- الخنازير أشباه الغدد في العنق).
(4) التصريف (مخطوطة) ج، ص 5.
العمليات الجراحية للمرضى، والكتاب يحوى العشرات من صور تلك الأدوات الجراحية.

وقد أطنب المؤرخون والكتاب من قدماء ومحدثين في الثمان على الزهراوي وعلى كتابه "التصريف لـن عجز عن التأليف". فقال فيه ابن حزم الأندلس
والذين قلنا أنه لم يلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع
لندقتن(2).

واعتمد عليه الكثير من الأطباء في عصره وما بعده ونقل عنه المؤرخ
النويري عند حديثه عن الغواضي والندور وكيفية عملها(3).

وأشار ابن أبي اصبيعة بهذا الكتاب ووصفه بالأهمية في ميدان الطب
والقيمة العلمية العالية(4).

ولم يخف الكتاب الغربيون إعجابهم بالزهراوي ومدى ما توصل إليه في
ميدان الجراحة الطبية من تفوق باهر. وقد أشار بالمثنيا إلى ذلك بقوله: "أما
الجزء الثلاثون من كتاب الزهراوي الذي نشر في اللاتينية باسم الجراحة فقد
كان أهم وأشبع كتاب في تاريخ الطب كله. وقد ارتفع به الزهراوي في أعين
الناس إلى طبقة ابقراط وجالينوس(5).

ولم يكن الإعجاب بالزهراوي وكمثته العلمية مقصوراً على من تقدم بل
وصف عند بعض الكتاب الغربيين بأبي الطب(6). وإذا كان هذا الثناء على

(1) انظر الملحق.
(2) المقرئ: التلفج ، ج 2 ، ص 175 (نقل عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
(3) انظر نهاية الأدب ، ج 16 ، ص 174، ص 52.
(4) عيون الأدباء ، ص 501.
(5) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 466.
(6) ستالتي لين بول: العرب في إسبانيا ، ص 136 - 137. - 330 -
الزهراوي من الأوروبيين، فإن الأطباء العرب المحدثين لم يكونوا أقل احتفاء وتقديرًا له من غيرهم، فهو في نظرهم أول من نبغ في الجراحة، بل هو كما يقول نجيب محفوظ، فخور الجراحة العربية، وهو ثالث الثلاثة التوابع من الأطباء المسلمين وفخورهم، وهم: الرازي وابن سيناء والزهراوي. هؤلاء العباقرة الذين يرجع إليهم الفضل في نهضة الطب في الشرق والغرب على حد سواء.

هذا قليل من كثير مما قاله العلماء عن الزهراوي وجهوده المؤثرة في ميدان الطب. ونظراً لأهمية ما صنفه في ذلك فقد ترجم كتابه «التصريف» إلى اللاتينية جيراد الكريموني وسماء الساهار إفاريوس، وهو ترجمة لاسم الزهراوي. وقد طبعت الترجمة اللاتينية له على مراحل، ففي عام 1519م طبع منه جزء بعنوان «كتاب النظر والعمل»، وكان قد سبق طبع جزء آخر وكثير استعماله منذ عام 1476م وهو كتاب «الحاديمين»، وموضوعه تحضير الأنبوية المفردة.

كما طبع الجزء الخاص بالجراحة سنة 1497م، والجزء الخاص بأمراض النساء سنة 1566م ونشرت له ترجمة عديدة إلى اللغات الحديثة.

وهذا يلاحظ في دلالة قاطعة على أهمية الكتاب وعظم تفعه للناس، وإدراكهم قيمته. وهذا أيضاً ما دفع الأطباء في مدرستي سالرنو ومونبيليه.

---

(2) آنخيل بالتيزا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 466 - سيد حسين نصر: العلم في الإسلام، ص 151.
(3) عبد الحليم منتصر: المرجع السابق، ص 205 - ونظر الوسومة العربية الميسرة حرف الرازي، ص 960.
وغيرهما من مدارس الطب في أوروبا إلى جعل كتاب الزهراوي مقررًا علمياً يدرس في تلك المدارس ويعتمد عليه طلاب العلم في حياتهم الدراسية، وهذا بلا شك قد ساعد على وضع أسس الجراحة في أوروبا (1).

ومن روائع ابتكارات الزهراوي في ميدان الجراحة أنه اهتم إلى طريقة علمية رائعة في سؤال الحصاة في المثانة، وقد عدت هذه الطريقة من اختراعات العصر الحاضر على غير حق (2).

كما أن الزهراوي درس علاج تشويهات الفم والفلك باستعماله عقافة "صنائير" في استنصال العينية (البوبلي أو الأورام الليفية في الأغشية المخاطية)، ونجح كذلك في عملية شق القصبة الهوائية وأجرى هذه العملية على خادمه، ووفق في إيقاف النزيف في حالة إجراء العمليات بربط الشرايين الكبيرة ميسراً بذلك دوره كجراح من جهة وحافظًا على سلامة مريضه من جهة أخرى، وهو بلا شك فتح علمي كبير ادعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي الشهير إمبراز باري عام 1556م، ولم يكن يعلم أن الزهراوي كان قد أحرز ذلك السبق قبله بستة قرون (3).


(2) غوستاف ليسون: الرجع السابق، ص 490 - أحمد الملا: المراجع السابق، ص 137- محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسماعيلية، ص 196 - عز الدين فراج وآخرين: الطب الإسلامي، ص 164 - عبد العزيز بن عبد الله المالك، المراجع السابق، ص 164.

وكان لتمرس الزهراوي بالجراحة وعلاقته الطويلة بميدان العمليات الجراحية أثر في ازدياد معرفته وظهوره بالكثير من الأساليب العلمية المهمة التي انتهى إليها تفكيره بعد حياة مديدة من الالتزام بالجراحة والعمليات الجراحية. فمثلاً كان الزهراوي يحرص تمام الحرص أن لا تؤثر العملية الجراحية على شكل الجسم خارجياً ويحاول أن يقلل مقدار الأثر الناجم عن ذلك. وكان يعتمد إلى طريقة التدريز (نسبة إلى ثانية) في جراحات البطن، ويوضح كيفية تقييد الجرح بثباتين وخط واحد مثبت بهما، وكان يلجأ في الكثير من الأحيان إلى استخدام أمعاء القطط في تقييد بعض الجروح فيעמول أن تنسب الكثير من ابتكراتاته العلمية في إجراء العمليات الجراحية إلى غيره من الأطباء وخاصة الغربيين الذين كانوا ينالون من كتابه التصريح ويؤخذون عنه معارفهم في الجراحة. فإن طريقته التي اتبعتها أثناء إجراءات العمليات الجراحية في النصف السفلي من الإنسان، والتي وصى بها أن يرفع الحوض والأرجل قبل كل شيء قد أخذها الأوروبىون عنه ونسبت بغير حق إلى الجراح الألمانى فريدريك لنبرغ.

وبتوفيق د. زيغريد هونكه أحتاجها العظيمة بالجراح العربي وتذكر أفضاله على الطب وجهوده الموفقة في ذلك، فتقول: (ولكن من يذكر أفضال الجراح العربي العظيم؟ ومنه أخذنا طريقنا ترك فتحة في رباط الجبس في الكسور المفتوحة، وأمد الجراحين وأطباء العيون والآسنان الأوروبيين بالآلات اللازمة للعمليات بواسطة الرسم الجديد الذي وضعها).

(1) زيغريد هونكه: المراجع السابق، ص 278 - 279.
(2) زيغريد هونكه: المراجع السابق، ص 279.
(3) شمس العرب تسطع على الغرب، ص 279.
(4)
كما اهتم الزهراوي كثيرا بحياة مرضاه ومن يجري لهم عمليات جراحية خطيرة وكان حريصا جدا في عمله لا يسلك طريقا في ذلك إلا بعد دراسة وافية لحالة المريض واستعداده للعملية الجراحية. وقد ابتكر طريقة جديدة لايقاف النزف فكان أول من استعمل الكلي بواسطة كاويات مصنوعة من الذهب الفاخر وينتزع وأحمام مختلفة(1). وكتابه التصريف يحتوي الكثير منصور تلك الآلات التي تثبت مهارته الفائقة في هذا الميدان(2).

ولا زال الطب الحديث مدينة أبي القاسم الزهراوي بالشي الكبير إذ تعتبر طريقة إيقاف النزف بواسطة الكلي من أحدث الطرق المتبعة حتى عصرنا الحاضر(3).

وأشار الزهراوي في معرض حديثه عن ظاهرة نزف الدم إلى استعداد بعض الأجسام للنزيف (هيموفيليا) فقد شاهد عدة حوادث نزيف في عائلة عالجها بالكي(4).

(1) الزهراوي : التصريف (مخطوطة) ج 7 ، ص 27.
(2) أنظر الملحق. انقف على بعض أنواع أنواع الكلي التي كان يستعملها الزهراوي.
(4) زيفريد هونكه: المرجع السابق، ص 277.
وأظهر الزهراوي براعة عميقة في معالجة التهاب الفم وإصابة فرطات
الظهر بالسل، ومع الأسف يناسب علاج الأمراض وتحديد أعراضها إلى
الإنكليزي برسيفال بوث فيعرف بالدواء البوت(1).
бл إن الزهراوي اهتدى من خلال أبحاثه الطبية وتجارب التمثرة في
ميانة الجراحة ومن خلال تمرسه بالعمليات الجراحية وكشفه على مرضية إلى
إشارة إلى مبدأ انتشار الأورام السرطانية، وما يتعلق بذلك من سرطان
الرحم وكيفية علاجه (2).

كما اهتم الزهراوي بعلاج الأسنان ووضع الكثير من الأساليب العلمية
السليمة لمعالجتها وتنظيفها مما يلحق بها من تسوس، وصنع لجراحة الأسنان
الكثير من الأدوات الجراحية التي تساعد على خلع الأضراس أو الأسنان أو
تنظيفها، وينصح الزهراوي بالعمل على معالجة الضرس الذي يسبب الألم
لحности وعدم قلبه بقدر الاستطاعة لأنه لا يمكن تعريض فقده بمتنه. كما
يرشح إلى الطريقة السليمة في قلع الضرس إذا أصر المريض على ذلك
باستخدام مشروب يحل اللثة من كل جهة ثم يحرك الضرس حتى إذا تزعزع من
مكانه قلع بالكليبتين (3).

وفيما يتعلق بالأسنان وجراحة الفم فقد أشار إلى عملية صنع "الكباري" لتصحيح الأسنان الضعيفة، بل إنه اهتدى إلى ما عليه أطباؤنا الآن من استعمال
ادلة كالمثلة لإزفاضة اللسان عند الكشف على اللوزتين (4).

(1) بديع الدين: المراجع السابق، ص 775.
(2) نظير: التصفيف من عجر من التأليف. ج 9، ص 158.
(3) الزهراوي: التصفيف (مشطية). ج 12، ص 165-116
(4) جاهز مظهر: حضارة الإسلام، ص 233-234 من الذين فرجوا آخرون: المراجع السابق، ص
47-48-10. شاهين: أثر العرب في الطب، محاورة وانظر تلك الآدات في الملحق.
وفي أبرز أمثلة تزخر بها الزهراوي من معرفة واسعة بالطب وبراعة تامة في ميدان الجراحة الطبية، وما أسهم به من ابتكارات علمية في هذا المجال، والحق أننا أو تتبعتنا الزهراوي في سيرته العلمية وما قدمه في ميدان الطب وخصائص الجراحة لاحظنا إلى وقت أكبر ولخرج الباحث في ذلك بكتاب مستقل عن الزهراوي وجهوده العلمية، ولكن فيما اشرت إليه ما يكفي للدالة على عظمة الزهراوي وأثر أبحاثه العلمية في علم الطب فقد تقدمت الدراسات الطبية في عهده وأزدهر الطب الجراحي وأصبح علمًا مستقلًا له قواعد وأسس، وحسب شاهدنا على رقي الجراحة العربية كلمات الإداريء التي قالها لانفرانك: "Lanfranc", في أواخر القرن الثالث عشر من الجراحين الفرنسيين، فبعد أن عاد من إيطاليا وأطلع فيها على ترجمة تأليف أبي القاسم ورجع إلى باريس قال عن جراحه باريس: إنهم جهلاء ولا يكاد يوجد فيهم جراح واحد عالم بصنعته.

(1) أنظر: التصريف لمن عجز عن التأليف، ج 7، ورقة ص 199 إلى ورقة ص 202 وانظر.
(2) زيفريد هونكه: المراجع السابق، ص 278 - عبد الحليم منتصر: المرجع السابق، الـ ص 205 - 1. شاهر: أثر العرب في الطب (محاضرات) الموسومة العربيّة الميسرة، حرف الزاي، ص 130.
(3) لبيب، استناد لحاصر العالم الإسلامي، ج 1، ص 123.
وجكان الزهراوي على جانب تمكنه من الجراحة الطبية ماهرا في تحضير الأدوية وتركيبها، وقد اعتمد في هذا العلم على من سبقه من العلماء كديسفيوردس وجالينوس وعلى معاصريه من أهل بلده كابن جليل، وعلى أهل الشرق كالرازي وابن الجزاز القيرواني. وقد جاف على عبدالله الدفاع الصواب عندما أشار إلى اعتماده على الطبيب النباتي ابن البيطار (1) فالمعرف أن ابن البيطار كان من رجال القرن السابع الهجري: الثالث عشر الميلادي، فمن أين للزهراوي إذا ما يعتمد على طبيب نباتي عاش بعده بثلاثة قرون (2).

وقد اثني ابن أبي أصيبعة على جهود الزهراوي في حقل الصيدلة وتركيب الأدوية، فيقول عنه: (كان طبيبا فاضلا خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج) (3).

وفي ندوة عن تاريخ العلوم عند العرب عقدت 1396 هـ / 1976 م بمعهد التراث العربي بجبل أشاد أحد العلماء المشتركون في هذه الندوة بأن الزهراوي - أول من استعمل الفحم في ترويق شراب العسل البسيط، وأنه أول من استعمل قوابل خاصة لصنع الأقراص الدوائية (4).

(1) ابن البيطار: ضياء الدين محمد بن عبد الله بن أحمد الأندلسي، (565 هـ - 1466 هـ). درس علم النبات على علماء الأندلس وهيصف بعده أعظم نباتي العرب تجول في الشرق وترك لنا مصنفا في الأدوية المفردة (محمد الصادق: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص 272).
(2) انظر: الزهراوي الرائد الأول للجراحة (مقال بمجلة الفيصل، العدد 42 سنة 1400 هـ، ص 81).
(3) عيون الأطباء في طبقات العلماء، ص 501. وانظر جون س. نادير، عبقية الحضارة العربية من 184.
(4) على الدفاع: الزهراوي الرائد الأول للجراحة، مجلة الفيصل. العدد 42 سنة 1400 هـ، ص 81.
وقد تتمدّد على الزهراوي تلاميذ كثيرون أخذوا عنه معارفهم في الطب والجراحة، وتلقوا على يديه الكثير من الخبرات العلمية من نظريّاً وعمليّاً. وكان لهؤلاء التلاميذ أثر في بعض علوم ومعارف أستاذه المهمزراوي فاتت جهودهم في هذا الصدد إلى إتقان رقعة النشاط العلمي في ميدان الطب في ذلك العصر وامتداده إلى كثير من مدن الأندلس الأخرى، ولا أدل على ذلك من شهادة أحد الكتاب الغربيين وهو الأستاذ كاميل في كتابه الطب العربي حيث قال (كانت الجراحة في الأندلس تتمتع بصمّعة أعظم من سمعتها في باريس أو لندن) أدبٌ وكلدٌ ذلك أن ممارسى مهنة الجراحة في سرقسطة كانوا يمنحون طبيب جراح (Medico - Surgeon)، أما في أوروبا فكان لقبهم حلاق (Barber - Surgeon)، وظل هذا التقليد سارياً حتى القرن السادس عشر الميلادي (1).

ويرجى إلى جانب الزهراوي العديد من الأطباء ولكنهم لم يبلغوا الدرجة التي بلغها الزهراوي الذي كان يعد فريداً في ميدان الجراحة الطبية ولم يكن له نظير في ذلك.

فمن أولئك الأطباء الطبيب عريب بن سعيد القرطبي (2) وكان من الموالي من بيت يعرف ببني القرطبي. وقد اتفصّ بالعرفة الواسعة في العديد من العلوم كاللغة والتأريخ والأدب، ولكنّه لم حصل في ميدان الطب وأظهر تقفًا كبيرًا في ذلك وكمّ كان له تأليف في الطب منها كتاب في عيون الأدب وبكاء في خلق الجشوع ومدبّر الحياة والموالد. وكان معظمًا لدى الخلفاء جليل المنزلة عندهم فحظى بمقام كريم لدى الخليفة عبدالرحمن الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر ثم الحاجب المنصور بن أبي عامر (3).

(1) محمد الصادق الغيفي: تطور الفكر العلمي، ص 181
(2) ورد اسم أبيه في الكثير من الكتب، سعد، ولكنه ورد سعيداً في كتابه المخطوط الذي سوف أتحدث عنه، كما أن المراشي في الذيل أورد اسمه كما هو أعلاه.
(3) المراشي:ن',
ولعل شهرة عرب تعود إلى مصنفه القيم «خلق الجنين وتدير الحبالى والمولود» الذي حفز لنا الكثير مما كان يتمتع به عرب من معرفة واسعة بالطب وتضطلع في ميدان مهم منه، وهو طب الأطفال.

وقد ألف عرب كتابة هذا في عصر الحكم المستنصر حيث يقول في مقدمة كتابه المذكور: «وإن أحق ما طرقت لله هم إليه واستعملت الأفكار فيه بعد حقوق الله عز وجل ودومه حدد شكره طلب النفاق إلى الإمام الأديدة الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين... ولا رأيت أن أحظى الأعمال المقربة من حسن رأيه - أيده الله - وأقرب الوسائل إليه وأزكاهم لديه تأليف كتب العلم وجمع مثير الحكم، وتجد في آثار الأوائل الذين سبقوا إلى الفضيلة، وفارقا بالرفعة وهجوا سبيل الحكمة، ومنحروا من بعدهم صنوف المنفعة تكفلتها كتابا يشتمل على أقوال العلماء في ابتداء حلق الله تعالى الإنسان الذي جعله أشرف الخليقات وخير آتم الآلات، وسخر له ما تحت أكتاف السموات وكيف أحكم تببيره، واتقن تصويره، وأنشأه وركب أعضاه، وجعله في درجة النمو إلى أن بلغ به حد الانتهاء وغاية الكمال ثم حطه إلى نقضان».

وفي المقدمة إشارة إلى جهود الخليفة الحكم المستنصر في دفع عجلة الحركة العلمية وتشجيع العلماء على البحث والتثليف، وبهذا يتبين لنا مدى ما أسهم به ذلك الخليفة من جهود عظيمة في كل ميدان من ميادين المعرفة ومنها ميدان الطب.

ثم يتعلق عرب إلى الحديث عن الجنين وتديبره وأسباب الولادة وما يتعلق بذلك من مسائل كأسباب الحمل ومستقر النطف خلق الأجنة في

(1) عرب بن سعد: «خلق الجنين وتدير الحبالى والمولود» (مخطوط)، ورقه 85 و 88.
(2) بلاحظ أن أول رقمة في المخطوط تحمل الرقم 85، وهذا راجعا إلى أن المخطوط ضمن مجموعة من المخطوطات ولم يكن منفصلا على حدة، بل كانت صفحته في ترقيمها تبعا لما سبقه من ترقيم المخطوط الذي قبله.

- 344 -
الأرجام ومواقيت تحريكها ووصف ألوان العلاج لذلك. كما تطرق إلى دلائل
كون الجنين ذكرًا أو أنثى مُسلماً في ذلك بأن الله عالم ما تحمل كل أنثى
وما تغيب الأرجام (1).

وقد وضع عريب لكتابه المذكور فهرسا يحوي المواضع الطبية التي تتناول
فيها خلق الجنين وتدمير الح박ي والمولود وقسمه على أبواب كلاً من:
الباب الأول: في الزرع الذي هو علة الحيوان وأول خلق الإنسان وما يتعلق
بذلك.
الباب الثاني: في القضيب وما يتعلق به من قرة أو ضعف وعلاج ذلك.
الباب الثالث: في الأرجام ومواضعها والعلل المانعة للحمل ووصف علاجها.
الباب الرابع: وصف حال النطف وذكر ما يساعد على ذكورة الجنين من
العلاجات.
الباب الخامس: في امتزاج زرع الوالدين ودلائل العلوق وخلق الجنين وما يتكون
من الأعضاء أولاً وغير ذلك.
الباب السادس: في قدر الحمل وحدوده وعدد شهوره وأيامه والمولودين لسبع
أشهر أو ثماني وما فوق ذلك.
الباب السابع: في تدمير الحبلي وحفظ قواه ووصف العلاج لحفظ صحتهن
والحديث عن الإسقاط وأسبابه وعلاجه.
الباب الثامن: في دلائل الوضع وتيسيل الولادة وتدوير النفس وزبارة
المشيمة.
الباب التاسع: في تكوين اللب وارضاع المولود واختيار الصب والحفاظ صحته
وما يختار من الرضاع.

(1) عريب بن سعيد: المخطوط السابق، ورقة 186. 1345 -
الباب العاشر: في أعمار المولودين وتنقلهم فيها ومراتبها ودرجاتها.

الباب الحادي عشر: في تدبير الطفل من قرب ولادته وأول حدود سنة وما يعالج به من الأمراض العارضة له.

الباب الثاني عشر: في تدبير الأطفال ووصف علاجهم بعد الأربعين يوما إلى وقت نبات الأضراس.

الباب الثالث عشر: في تدبير الصبي من بعد نبات أضراسه إلى وقت اغفاره وهو الجزء الثالث من سنته وابتداء كلامه ومشيءه وفطامه وما يلحق به من الأمراض وعلاجها.

الباب الرابع عشر: في تدبير الصبي من بعد اغفارهم إلى وقت إشعارهم وقرب احتلامهم وعلاج ما يعرض لهم.

الباب الخامس عشر: في احتلام الظلمان وحيض الجواري ومواقف البلوغ وما يحدث من اختلاف عند ذلك في الحركات والصور وتحديد أهل الطب لسن الإنسان من بدء حياته إلى نهاية عمره(1).

ويتجلى لنا من عناصر الموضوعات السابقة ما ضمه ذلك الكتاب من معارف وخبرات طبية تتم عن علم واسع بالطب ودراسة عميقة بطب النساء والأطفال، وقد أظهر عريب نبوغا فيما يتعلق بكل ذلك، ومن روائع ما توصل إليه عريب ما ذكره في الباب الثالث من محاولات جيدة في سبيل علاج المرأة العقيمة وما وصفه في سبيل ذلك من طريق العلاج، وهي بلا شك مسألة طبية صعبة ولا تزال إحدى الأبحاث الطبية المطروحة في وقتنا هذا أمام أطباء النساء.

(1) عريب بن سعيد: خلق الجنين وتدبير الحباني والمولود (مخطوط)، وقعة 86 ب و 87 أ.
كما يلاحظ أيضاً في هذا الفهرس ترتيبه مسمى عمر الإنسان من حمله إلى بلوغ رشده، فهو أولًا الجنين ثم مواليد ثم طفل فصبي، وكل مرحلة من هذه المراحل علاجات ونصائح طبية وإرشادات قيمة، والكتاب لا يخلو أيضاً من نصائح طبية ونفسية يراعي الالتزام بها في تربية الطفل كي يكفلك له أسباب السلامة النفسية والجسدية. وقد وصف هذا الكتاب بأنه أهم ما كتب في طب الأطفال في آية لفة حتى القرن العاشر الميلادي (1).

وكان يعاصر عرب من الأطباء الطبيب الديان الصيت سليمان بن حسان المعرف بابن جبل، وقد وصف بالبراعة في تركيب الأدوية وتحضيرها (فكان طبيباً فاضلاً خيراً بالعالجات، حسن التصرف في صناعة الطب، وكان في أيام هشام المؤيد بالله، وخدمه بالطب، وله بصيرة واعتناء بقبي الأدوية المفردة) (2).

عرف عن ابن جبل عنايته بعلم الطب ودراسته منذ صغره حيث درس على أيدي أطباء عصره من أهل قرطبة فبلغ فيه درجة رفيعة أهلته لتدريس الطب وهو ابن أربع وعشرين سنة (3).

وكان لهاشمة بالطب وعفاوة على دراسته أثر في رسوخ قدراته العلمية في ذلك الميدان وخاصة فيما يتعلق بتركيب الأدوية ومعرفة النباتات الطبية حتى قال عن نفسه (وكان لي في معرفة تصحيح ديوي الديب الذي هو أصل الأدوية المركبة حرص شديد وبحث عظيم حتى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما أطلع عليه من نهلي في إحياء ما خفت يدرس وذهب منفعته لأبدان الناس فلله قد خلق الشفاء وله فيما انبته الألف واستقر عليها من الحيوان المشاء والسابح

(1) جبن. س. باندو وأخرون: معرفة الحضارة العربية، ص 161.
(2) ابن أبي أصيبعة: مون الألماء في طبقات الأطباء، ص 249.
(3) ابن جبل: طبقات الأطباء، مقدمة المحقق فؤاد سيد (تقلا من ابن الآبار في التكملة).
في الماء والمساب وما يكون تحت الأرض في جوفها من المعدنية كل ذلك فيه
شفاء ورحمة ورفق (1).

وهكذا تلمس في سيرة ابن جلجل ودراساته للطب وبحثه في حقل
الصيدلة وتركيب الأدوية مدى إخلاصه العميق لذلك العلم وحرصه البالغ على
إحياء ما اندرس منه فكان له بالفعل دراسات علمية قيمة لا يزال بعضها بين
أيدينا.

وقد أثني عليه القاطفي ووصفه بالذكاء والنباهة وأنه تفرد بصناعة الطب
وأن له ذكر في عصره ومصره (2).

ومن تصنيفه العلمي في حقل الصيدلة وتركيب الأدوية كتاب فسر فيه
أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسكوريديس، وقد ألفه في سنة 372 هـ
982 م، بقرطبة في عصر الخليفة هشام المؤيد بالله. كما أنه لم يكتب بذلك
بل أضاف شيئًا جديدا في علم الأدوية فصنف مقالة في ذكر الأدوية التي لم
يذكرها ديسكوريديس في كتابه، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وإلى سبب إغفال
ديسكوريديس للك أدوية عند الحديث عن كتاب ديسكوريديس (3).

وكان لابن جلجل آراء وتوجيهات قيمة في ميدان الطب والعلاج فقد ألف
رسالة في ذلك أموراً رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المطببين، كما أنه
صنف كتاباً في تراجع الأطباء والفلسفة (4).

---
(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 494–495.
(2) تاريخ الحكمة، ص 190.
(3) انظر ذكر في مقدمة الحديث عن ميدان الطب.
(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 495–496، البغدادي، هديه العارفين، ج 1، ص 396.
السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج 2، ص 214–215، عمر كحالة: العلوم
البحثه، ص 301.

---
348
ويذكر فؤاد سيد أن الكتاب الأول ضماع ولم يصل إلينا منه إلا قطعة صغيرة محفوظة في مكتبة مدريد، أما المقالة التي ذكر فيها ما لم يذكره ديسكوريديس فقد أشار أن في مكتبة البودليان باكسطورد رسالة صغيرة ضمن مجموعة عنوانها (استدراك على كتاب الحشائش لديسكوريديس لابن جلجل)، ومن الجائز أن تكون هي، وأما الرسالة التي ألفها في غلب التمثيل فقد ضاعت كما ذكر فؤاد سيد أن له مقالة في أدبية الترياق ومنها نسخة ضمن المجموعة السابقة بالبودليان(1).

وفيما يتعلق بكتابه طبقات الأطباء فقد حفظ من الضياع وأشار إليه القفطي بقوله: (وله تصنيف صغير في تاريخ الحكاءة لم يشف فيه غليلا ، وكيف وقد أورد من الكثير قليلا ومع هذا فقد كان حسن الإيراد)(2).

ويتضمن من مقدمة الكتاب أن ابن جلجل ألفه لأحد الأمراء من بني أمية حيث أشار إلى ذلك، فقد وصف هذا الأمير بأنه من نسل الخلفاء وأن تصنيفه لذلك الكتاب يأتي في نوبة لرغبته وعلى ما رسمه له(3).

وقد نهج ابن جلجل طريق الاقتصاد والاختصار في تراجمه للأطباء والحكاء، فطبقات الأطباء كتاب مختصر لم يحظ فيه بالكثير من أعلام الطب والفلسفة، وقد أشار إلى ذلك بقوله (واقتضينا على قليل من كثير لئلا يمله قارئه ، وليسهل على النفس حفظه ، والكلام إذا طال بثقل)(4).

وفي ميدان طب العيون برع الأخوان أحمد ومعمر إبراهيم الحرازي وكان يعيشان في عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم المستنصر.

---

(1) ابن جلجل: المصدر السابق، من مقدمة المحقق.
(2) المصدر السابق، ص 190.
(3) طبقات الأطباء، ص 3-4.
(4) نفس المصدر، ص 116.

- ٣٤٩ -
وفي سنة ۲۳۰ هـ / ۹۴۱ م رحلآ إلى الشرق حيث طافا هناك مترددين بين حلقات العلم ومجالس الطباء ومنهم ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة حيث درسا على يديه كتب جالينوس، كما درسا طب العيون على ابن وصيف ثم انصرفا عائدين إلى الأندلس فدخلاها في عصر الخليفة الحكم المستنصر سنة ۳۵۱ هـ / ۱۸۸۸ م، حيث أنزلهما منزلًا كرما ورفع مقامهما بين علماء بلائدهما.

وكان الأخوان أحمد وعمر يجتهدان في رفع مكانتهما العلمية بين علماء عصرهم، ويسعيان إلى إرضاء ميول الخليفة الحكم المستنصر في ميدان العلم والبحث ولم يزل حالهما على هذه الصورة حتى إحق عمر مرض شديد توفي على أثره. ويقي أخوه أحمد على منزلته العالية لدى الحكم المستنصر حيث أسكنه في قصره بمدينة الزهراء، ووصف أحمد بالمتمكن العريق في الطب والبراعة في طرق العلاج المختلفة فضلاً عما عرف به من الورع وحسن السيرة.

وكان لما تمنعه أحمد من صفات العالم الماهر أثره الكبير في إعلام منزلته لدى الحكم المستنصر، فقد سمح له الحكم المستنصر أن يقيم خزانة طبية بالقصر رتب فيها أثاث عشر صبي طباخين للإشربة صائعين للمعجونات، ونظراً لما جبل عليه من حسن الخلق فلم يكن يدخل بشيء من العلاج على المرضى من الفقراء والمساكين الذي كانوا يتدردون على هذه الخزانة الطبية حتى كان يستقبلهم ويكشف عليهم ويصف لهم العلاج الناجح. وكان مهارته في طب العيون أن أشتهر بذلك وذاك صيته بين الناس.

(1) ابن جلجل: طبب العلماء، ص ۱۱۲ - ۱۱۳ - ابن الآبار: التكملة ج ۱، ص ۱۵ - فرات. 
فائق: الكمال عند العرب، ص ۳۶.
(2) ابن جلجل: نسج المصادر، ص ۱۱۲.
(3) ابن جلجل: المصدر السابق، ص ۱۱۲ - ابن أبي يصلبة: عيون الابناء، ص ۴۸۷.

۳۵۰
ويضح لنا من سيرة ذلك الطبيب خاصته الأثر الأخلاقي الحميد الذي
كان يصبح سيرته العلمية وما كان يتمتع به أطباء ذلك العصر عامة من أخلاق
حديدة وحسن معاملة لمرضاهم، مما كان له الأثر البالغ في نفسيات المرضى
وفي الإسراع بشفائهم.

ولع من الأطباء في تلك الفترة محمد بن عبدون الجبلي. وقد رحل ابن
عبدون إلى المشرق سنة 247 هـ / 958 م، وفي البصرة التقى بالكثير من
العلماء وأخذ عنهم الكثير من المعارف، وفي عودته إلى وطنه عرج على مدينة
الفسطاط بمصر وتولى إدارة بimarستانها(1).

وهذا بلا شك يعطينا دليلا واضحا على ما كان له من معرفة واسعة
بالطب، فإن توليه لذلك المنصب لدليل على منزلته العلمية وعلوها بين أطباء
العالم الإسلامي، كما يثبت تفوق الشخصية الأندلسية.

وبعد عودة ابن عبدون إلى الأندلس سنة 260 هـ / 970 م لقي من
الخليفة الحكم المستنصر ما يتاسب مقامه العلمي وحظي لديه وُلِد أبنه هشام
بمنزلة رفيعة وخدمهما بالطب. وقد وصف ابن عبدون بالبراعة في الطب
وحسن العلاج(2).

كما أشتهر الطبيب أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني
(ت 458 هـ / 1065 م) الذي جمع في علمه بين الرياضيات والفلسفة والطب
بالمهارة في ميدان الجراحة الطبية، وكان له (تفوق مشهور في الكي والقطع
والشق والبط وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية)(3).

(1) ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص 116.
(2) ابن جلجل: نفس المصدر والصفحة، ابن أبي اصبيعة: مريب الأنباء، ص 497 - 498.
(3) المقرئ: دفع الطب ج 2، ص 101 - 102.
(4) المصدر السابق، ص 484 - 485.
- 135 -
وبرز أبو بكر حامد بن سمحون في صناعة الأدوية المفردة وأفعالها، وقد عرف بالتمكن في معرفتها وتقصى أنواعها، وله كتاب في ذلك وصف بالجدية والقيمة العلمية العالية(١). وقد ألف ذلك الكتاب في عصر الحاجب المنصور الذي لم يكن عصره أقل مما سبقه في عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر من أزدهار في المعرفة والعلوم، ولا بن سمحون أيضا من كتب الطب كتاب الاقرباء(٢).

ومن مع أيضا من أطباء عصر الخليفة سعيد بن عبدالرحمن بن محمد ابن عبد ربه (ت ٣٤٧ هـ) الذي كانت له طرق مختلفة اختص بها في معالجة لبعض الأمراض. ومنها طريقته في مداواة الحميات إذ كان يخلط بالبرادات شيئا من الحور، وقد وصفت طريقته تلك بالصواب والاتفاق(٣).

ومما يذكر عنه أن أحد أصحابه وهو الفقيه سليمان بن أيوب مرض بالحمى وطال أنه، حتى إذا كان في أحد الأيام التقى والده بالطبيب سعيد بن عبدالرحمن فسائه عن علة ابنه ثم بعث إليه بعد ذلك بثمانية عشرة حبة من حبوب مضرة وأمره أن يشرب منها كل يوم شيئا معينا، فما أكملها حتى زال مرضه وذهبته أوجاعه(٤).

ومن هذا من خلال هذه القصة ما بلغه الطب أتاك من أزدهار ومدى ما وصل إليه ميدان العلاج الطبي من تطور، فالعلاج المذكور أشبه ما يكون بما يتناوله المرضى في عصرنا هذا من الحبوب، فالداء كان على صورة حبوب في شكل مدور ثم إن تناولها كان على فترات معينة، وبمقدار محدود، ولو

(١) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ٥٠٠.
(٢) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ٥٠٠.
(٣) ابن جلجل: المصدر السابق، ص ١٤٠ - ١٠٥، صاعد: المصدر السابق، ص ١٠٤ - ١٠٥.
(٤) ابن جلجل: المصدر السابق، ص ١٠٥ - ١٠٥.
تصورنا، البعيد الزمني بيننا وبينهم، لأننا نعلم فيما يخص الطب كانوا نرى
فضل عظيم في تطور هذا العلم وازدهاره وبلغه هذا المستوى الذي ننعم به
الآن.

ومن الحق أن نقول في الختام أنه برز في عصر الخلافة أعداد كبيرة من
الطباء بذلوا جهوداً مثمرة في ميدان الدراسات الطبية وذلك اكتسبناه وأبرزهم
وأكثرهم تأثيراً في تطور الطب آنذاك.

وما من شك أن ما ذكرناه من جهود الأندلسين في هذا الصدد كان
شيئاً يبعث على الإعجاب، فما قدمه أبو القاسم الزهراوي من دراسات وأبحاث
 قيمة في تطور الطب والجراحة، وما قدمه غيره من الاطباء كعريب بن سعيد
وابن جلجل، وابن يونس الحرازي وغيرهم كان عملاً عملياً لا ينساه العلم لهم
ولا يزال الكثير من أبحاثهم ودراساتهم العلمية يستمر على إعجابنا ويستمد
لهم بعلو كعبهم في ميدان الطب والصيدلة، ونذكر أن نخلصنا هذا الحديث
عن أطباء الأندلس بما ذكره عنهم أحد الكتاب الغربيين وهو روبرت بريفالت
الذي يقول (كان الحكام المسيحيون يفوضون تعليم أولادهم إلى الأساتذة
العرب وإذا أصبحوا يتوعك معنا ذهبوا بأنفسهم إلى قونفهذه لأستشرة أشهر
الأطباء فيها) (1).

(1) أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ص 177.
ب الرياضيات والفلسفة:

تأخر الاستغلال بالرياضيات والفلسفة وسبب ذلك: ازدهار الدراسات الرياضية والفلسفية في عصر الخلافة الإسلامية، الارتباط الوثيق بين الرياضيات والفلسفة آنذاك. مدرسة مسلمة يُجري رفيق في الرياضيات والفلسفة وجهوده العلمية: ابن السبع الفنواطري - ابن الصفار - أبو مسلم بن خلدون - الكورتي - السري - أحمد بن نصر - الأسقف بن زيد.

٣٥٥
الرياضيات والفلك :

لم يكن لإسبانيا قبل فتح المسلمین لها نشاط يذكر في ميدان العلوم القديمة ومنها الرياضيات والفلك. فقد كانت في قديم الزمان خالية من تلك العلوم ولم يشتهر أحد من أهلها بالاشتغال بأي منها واستمر ذلك الوضع حتى فتحها المسلمون (فتمت على ذلك أيضاً، لا يعني أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة إلى أن توطد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفترة فتحرك ذوا الهمم منهم لطلب العلوم وتنبها لإشارة الحقيقة).

وعل من عوامل تأخر الاشتغال بتلك العلوم ما ذكرناه عند الحديث عن الفلسفة من انسحاب الأندلسيين بعلوم الدين، وما كانوا يكرون لبعض العلوم القديمة من كرایة وامتعاض مما أدى إلى تأخير حركة الاشتغال بها، وبخاصة الفلسفة والفك والتنجيم.

وقد جانب آنخل بالانتها الصواب عندما أشار في معرض حديثه عن الرياضيات إلى أن الفقهاء كانوا يتلذدون في الاشتغال بالرياضيات ولم يكونوا يبحثون إلا الحساب في مسائل الميراث.

وهذا بلا شك مخالف للحقيقة، فالرياضيات لم تلق من التحريم والكراهة ما لديته الفلسفة والفك مثلًا، كما نعلم أن الرياضيات علم هو أبعد ما يكون من مجال الإحرار العقائدي والمساس بعقيدة المشتغل بها، والرياضيات تتضمن الحساب والهندسة وهمان أشتكى بهما الأندلسيون واحتاجوا إليهما، فالحساب احتاجوا إليه في ميدان الفرائض والضرائب وغيرهما من المياذين التي تنتشر في نشاطها إلى الأرقام الحسابية، والهندسة.

---

(1) صدر: طبقات الم، ص 37 – 84
(2) تاريخ الفكر الأندلسي، ص 447
احتاجوا إليها في ميادين البناء والعمرارة والري، وعندما ازدهرت علوم الرياضيات اعتمدت عليها الفلكيون في ممارسة نشاطهم وأبحاثهم الفلكية، وهو أمر لم يتحقق إلا في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

ويتضح من تتبيع حركة الدراسات الرياضية والفلكية أن تلك العلوم لم تزدهر وتنمو إلا في عصر الخلافة، وهو العصر الذي ازدهرت فيه الحركة العلمية بشكل عام، ومن الطبيعي أن تشمل في ازدهارها علوم الرياضيات والفلك.

وما من شك في أن للتطور الحضاري أثر في اتساع أفوق الدارسين والإقلاع من نظرة الكراهية لتلك العلوم، فمن دلالات وعي الحضاري وحرية الفكر أتت علماء بارعين في الفلك والرياضيات، وفي نفس الوقت كانوا مبرزين في علوم الدين حتى تولى بعضهم القضاء. ومن هؤلاء العلامة محمد ابن أحمد بن الليث (ت 540 هـ / 1146 م) الذي وصف بالتتمكن في الفلك والرياضيات، وقد تقلد قضاء شروان من أعمال بلنسية، ومثله مختار بن شهر الرعيني (ت 543هـ / 1150م)، الذي تقلد القضاء وجمع إلى علمه في الدين براعته في الهندسة والفلك.

وكان للرحلات العلمية أثرًا عظيمًا في ازدهار تلك العلوم. فكان الأندلسيون المهاجرين من المشرق يحملون معهم ما اكتسبوه من علوم ومعرفة من إخوانهم المشارقة في بلادهم وبين تلاميذهم. كما كان لوفود العلماء المشارقة إلى الأندلس أثر بارز في نشاط تلك الدراسات وتطورها بما كان يحمله أولئك العلماء من ألوان المعرفة وحضارتهم العلمية.

وإذا أضافنا إلى ذلك كله موقف الخليفة الحكيم المستنصر من العلوم وعنايته الكبرى بذلك الميدان العلمي المهم لا تضح لنا مدى ما وصلت إليه

(1) صاعد: طبقات الأمم، ص 61-67.

- 307 -
الدراسات الرياضية من رقي وازدهار، فقد برع فيها الكثير من العلماء الذين أثروا ذلك الميدان بدراساتهم وأبحاثهم القيمة.

كما ازدهر الفلك في عهد الحكم المستنصر، فقد أولاه رعايته وأحاطه بتشجيعه، واستجلب من العراق ومصر أهم الكتب الأساسية فيه قديماً وحديثاً، وقد أدى ذلك إلى نبوع الكثير من الفلكيين الذين تخصصوا في مراقبة حركات النجوم واستخدام الآت المرصد وأثبتوا نبوعهم وعبقريتهم في ذلك المجال بما قاموا به من تصحيح وتحسين الجداول الفلكية، وتقويم نتائج من سبقهم (1).

وتغطي الارتباط الشديد بين الدراسات الرياضية والفلسفية قسم نح scraps أن العديد من العلماء بل أكثرهم قد جمعوا إلى مهاراتهم في الرياضيات براعتهم في الفلك. وهذا راجع بلاشك إلى حاجة الفلكي إلى الحساب والهندسة لمعرفة مواضع الكواكب، فالزئبق وسيلة من الوسائل المهمة في الدراسات الفلكية، وقد عرف به ابن خلدون بأنه: صناعة حسابية على قوانين عددة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وطريقة واستقامة ورجل ونحو ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلالها (2).

وبناءً على ما تقدم فمن الصعوبة أن نفرق بين الفلكي والرياضي فكل منهما يعتمد في عمله على نصيب كبير من علم الآخر.

وبعد أن ازدهرت الدراسات الرياضية والفلسفية أصبحت تدرس في الجوانب جنبًا إلى جنب مع العلوم الدينية والأدبية واللغوية، فكانت قروطية (1) مبادئ بناكروا: المؤلفات الأولى عن الاستعراض في إسبانيا العربية، مقال لمجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، السبتمبر-J. 1، ص 197.

(2) المصدر: ص 488 ـ 489.
والكثير من مدن الأندلس تعج بالرياضيين والفلسفين الذين انصرفوا إلى تدريس تلك العلوم في جوامعها وبشئاً بين طلبة العلم، فقد كان أحمد بن محمد الأنصاري ضليعاً في الرياضيات ماهر في الفلك، وكان يجلس لتعليم ذلك في جامع قرطبة في عصر الخليفة الحكم المستنصر، وقد شهد له أستاذته مسلمة المجريتي بالتوفيق الكبير في الهندسة والعلوم الرياضية.

والجدير بالذكر أنه قد ظهر في قرطبة مدرسة علمية كبيرة في الرياضيات والفلسفة كأن بها أكبر الأثر في نشاط تلك العلوم وتخفير أفواج كبيرة من الرياضيين والفلسفين، وهذه المدرسة العلمية هي مدرسة العلامة مسلمة بن أحمد المجريتي (ت 398 هـ / 1007 م) الذي كان أمام الرياضيين في الأندلس في وقته وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك، وكانت له عنانية بإشراف الكواكب وشفط بفهم كتاب بليموس المعروف بالجستفي.

ويتجلى من خلال هذا النص النشاط العلمي الواسع الذي كان يتمتع به مسلمة ومدى تعمقه في علم الرياضيات والفلسفة، ومنافته كبيرة في رصد الكواكب وما يتعلق بذلك من النشاط الفلكي بمناهجه المختلفة.

وقد ألف مسلمة كتاباً في الرياضيات والفلسفة في علم العدد وهو المعروف لدى أهل الأندلس بالعاملات.

---

(1) صاعد: المصدر السابق، ص 91 ظل ابن الآبار: الكتلة ج 1، ص 14.
(2) صاعد: المصدر السابق، ص 92 - ابن أبي أصبية: عيون الآباء، ص 482 - 483.

يلاحظ ورد اسم مسلمة المجريتي في أكثر من علم، والسبب في ذلك أن هذا العلماء قد اتصف بالإغريقية العالية في أكثر من علم كعلمهم في علم الرياضيات والفلسفة والكيمياء وعلم الحيوان والجغرافيا. وهي صفة تتصف بها الكثير من علماء المسلمين، وكانت سمة من سمات الحياة العلمية عند المسلمين آنذاك.

(3) تصنيف الحساب في عاملات العدد في الرياضيات والفلسفة والكيمياء وعلم الحيوان والبيات والمعابد والزكوات، من ما يعتبر فيه العدد من العاملات (ابن خلدون: المقدمة، ص 484).

- 359 -
وقد اثنى ابن خلدون على تفوق الأندلسيين في هذا الميدان حيث قال:
(ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الأندلس تأليف فيها متعددة من أشهرها معاملات الزهاوي وأبن السمح وأبي مسلم بن خلدون من تلاميذ مسلم المجريطي).

وكان مسلمًا جهده موفقة في ميدان الدراسات الفلكية، وكان تضلعله في ذلك العلم أثر مهم في نظرته العلمية إلى دراسات من سبقة من العلماء في الفلك فقد ألف كتابًا اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البلتاني.

كما اهتم بزيج العلماء المشرقي الرياضي محمد بن موسى الخوارزمي وترجم تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة، وأضاف إليه من علمه جداول حسنة وشير القاضي صاعد إلى وقوع مسلمة رغم علمه الواسع في نفس الأخطاء التي وقع فيها الخوارزمي، وأنه قد نبه إلى ذلك في كتاب ألفه في الفلك.

ومما يؤكد مكانة مسلمة العلمية وعظم تأثيره في ازدهار الفلك والرياضيات ما حظيت به مجالسه العلمية من الشهرة وبعد الصيام حتى ازدحمت حلقات درسه بأعداد هائلة من طلبة العلم، فكان له تلاميذ نجوماء أخذوا عنه العلم وقاموا بدورهم في بث تلك المعارف ونشرها في الأوساط العلمية في مختلف أرجاء الأندلس وسوف نشير إلى أهم تلاميذه في خاتمة الحديث عنه.

(1) المقدمة : ص 484.
(2) البلتاني : هو جعفر بن سنان من أشهر علماء الرياضيات والفلسفة بين المسلمين كان حيا في القرن الثالث الهجري : التاسع الميلادي. (منبع: طبقات الأمم، ص 75).
وبالإضافة إلى ما تقدم من جهود مسلمة العلمية تتسب إليه دراسات على تأليف عربي مفقود أصله اليوناني، وقد ترجمه إلى اللاتينية هرمان الألماني وكذلك يوحننا الإسباني، وموضوع الكتاب حول استخدام الإسطرالاب (1)
المسطح (2).

ويشير بياسكروزا في معرض حديثه عن نشاط الأندلسيين في ميدان الدراسات الفلكية إلى ما قام به مسلمة من دراسات علمية في ذلك بقوله: (3)
(1) وإذا كانت هذه المؤلفات من عمل مسلمة فإنه يكون بذلك أول من ألف عن الإسطرالاب في الأندلس ولكن يحوز الشك بهذه النسبة لسببيين: أولهما أن ابن سعيد الطليطي وهو خير مرجع لهذه الدراسات لم يذكر عن مسلمة أنه قام بعمل تأليف عن الإسطرالاب، عالدها على عدم وجود إشارة كهذه في الكتب العربية الأخرى، والسبب الثاني: هو عدم وجود أصل عربي له، إذ أن كل ما نعرفه هو إشارات في الترجمات اللاتينية ويجاب ألا يقرب عن البال أن كثيراً من هذه الترجمات اللاتينية تخلط بين المؤلفين الأصليين للكتب (4).
والحق أن ما أدل على بياسكروزا ليجب من الصحة إلا أن ما ذكره ليس كافياً في القطع بأنه لم يكن مسلمة تأليف عن الإسطرالاب. ذلك أن صاعدة في كتابه طبقات الأمام لم يحظ بكل ما ألفه الأندلسيون في كل علم من العلوم القديمة، وذلك لا يكتره كتابه حجة في قوله قد استقصى كل ما ألفه في ذلك، فمثلما كان مسلمة كتب أخرى لم يذكرها صاعد كتابه "ربة الحكم و "ملخشير الإحجار" و "غابة الحكم"، ولا يدفعنا عدم ذكر صاعد لهذه
(1) الإسطرالاب: معناه مقياس النجم وهو باليونانية، إسطرالابون واصطناع هو النجم ولايون
هو الراية (الخوارزمي: مفاتيح العلم، ص 178).
(2) قادر الطوقان: تراتب العرب العلمي، ص 267.
(3) المؤلفات الأولى عن الإسطرالاب في أسبانيا العربية، مقال بجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الثالث، ج 1، ص 192- 193.
(4) ص 361.
الكتاب أن نشط في نسبتها إلى مسلمة. كما أن السبب الآخر ليس قاطعا في ذلك المجال، فإن عدم وجود أصل عربي للكتاب لا يعني أنه مستحيل كونه أصلًا نقلًا علميًا. فمن الجائز أن أصله العربي ضاغط أو فقد كما ضاع الكثير من كتب الأندساسيين الذين تعرضوا على مسار تاريخهم للكثير من ضروب الفتن والكوارث إلى جانب ما نعرفه من تعصب النصارى ضد التراث الإسلامي وإحرقهم إياه بعد كل نصر يحرؤونه على المسلمين.

وأما يوضح هذا الأمر ما ذكر عن الفلكي الأندساسي ابن الزرقال الذي عاش في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي من أن له كتابًا في الكواكب السيارة وكيف ضاع أصله العربي ولا يوجد منه إلا ترجمة عبريًا.

هذا بالإضافة إلى أن أخْلَق بالنُّنُوَّا أَسْأَلَ أن من بين مؤلفات مسلمة رسالة في الاسترلاك. ولا شك أن شهادة بالنُّنُوَّا في هذا الميدان لها قيمتها وثقلها في مساحة من يذهب إلى مشاركة مسلمة في التأليف العلمي حول الاسترلاك.

وكان لملسة دور كبير في تعريب بعض الكتب اليونانية في الفلك. فقد ترجم كتاب «قبة الفلك» Planis Phaerium. وقد نشرت ترجمته Sphaetas atqua astroum coelestium ratio, naturae motus.

أي سرعة أفلَاك السماء ونجومها وطبقتها وحركتها. ومترجمها إلى

Rudolf of Burges.

(1) أَخْلَق بالنُّنُوَّا: تاريخ الفكر الأندساسي، ص 451، ج، رقم 2.
(2) نفس المرجع، ص 448.
(3) أَخْلَق بالنُّنُوَّا: المرجع السابق ص 449 - 449.
(4) قدرى طوقان: تراث العرب العلمي، ص 207.
وكان لطول ارتباط مسلمة بالدراسات الفلكية وإطلاعه على الكثير من أسرار هذا العلم أن دفعه ذلك إلى تأليف كتاب أسماه "غاية الحكم" الذي ضمنه الكثير من المعلومات الفلكية. ولكنه صبيغ ذلك بصيغة تنفي حرقه هذا العلم إذ شاب كتابه المذكور الكثير من النصوص المتعلقة بالطلسوم والتعاون.
فهو القائل في مقدمة كتابه المذكور (أعلم أن الداعي الذي حركتي إلى تأليف هذا الكتاب الذي سميته بـ "غاية الحكم") (1). وكان تأليفي لهذا الكتاب سنة ثلاثين وسبعين وثلاثمائة عند فراغي من تنفيح كتابي رتبة الحكم واتمته في أربع وسبعين وثلاثمائة والمحرك إلى تأليفه ما رأيت أكثر أهل زمانا يبحثون عنه من أمور فنون أنواع السحر وهم لا يعلمون ما يفعلون (2) ولا في أي سبيل يقصرون (3).

وقد قسم كتابه المذكور إلى أربع مقالات يتضح من خلالها مدى ما كان يعتقده الأرئيل في الكواكب وعمق تأثيرها في حياة الناس وارتباط ذلك التأثير بالآلون من الشعوذة التي تنافى حقائق العلم وتعليم الدين.

والمكتب رغم هذا يحوي الكثير من المعارف المهمة في الكيمياء والفلسفة والجغرافيا والطب والنبات وغير ذلك من المعلومات القوية التي تلقي الضوء على نواحي من العلم والعرفة تقيدنا في دراسة تلك العلوم وتوضيح نشاط الأندلسية في ذلك.

(1) في الأصل رتبة الحكم الصحيح ما أثبتتاه إذ أن حديثه عن كتاب غاية الحكم وليس رتبة الحكم، وقد يكون ذلك الخلط عامدا إلى الناصري أو غير ذلك.
(2) في الأصل توجد كلمة غامضة، والكلمة التي بين الحاشرين تتمشى مع مفهوم النص وبديهة الكلام.
(3) مسلمة المجريي: غاية الحكم (مخطوطة) ورقة 1 أ.
- ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية بأمر من الملك الفونسو وذلك عام 1252 م، تاريخ تارخ Picatrix وتحت عنوان("على الدفاع: أمام علماء المغرب في العلوم التطبيقية المجريي " المجريي: مقال نشر بجلة الفيصل، الدعاء 56، صفر سنة 1432 هـ.
- 363 -
ونسب إليه البغدادي في هديته العارفين تأليف كتاب "إخوان الصفاء وخلاص الوفاء" وإذان أن هذا الكتاب لم يكن من تأليف بل كان من تأليف بعض علماء المشرق، وقد نسب إدخال ذلك الكتاب إلى العلامة الأندلسي الكرماني تلميذ مسلمة، وذكر عبد الحليم منتصر أنه من الجائز أن مسلمة وضع بحثًا في ذلك في قالب مبسط خالٍ من التعقيد.

وكان لمكانة مسلمة العلمية وتفوقه في الفلك أن ذكره ابن حزم بقوله:
(سمعت من أثق به، وثنيه من أهل العلم فمن اتفق على رسوخه فيه يقول: أنه لم يؤلف في الأزجج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمع وهما من أهل بلدنا).

ولم يفارق مسلمة الدنيا حتى خلف من بعده تلاميذ نجوم حملوا الرسالة العلمية من بعده، وكانوا هناك نيراً لغيرهم من العلماء.

ومن ألم تلاميذ مسلمة بل كبيرهم أصبغ بن محمد بن السبع المهرى القرطبي (ت 426 هـ / 1034 م)، وكان متضمنًا في الرياضيات رأسخًا في علم الفلك بالإضافة إلى مهارته الفائقة في ميدان الطب.

وأما من شك أن تلقى العلم على يد مسلمة المجربي ومالزمه إليه قد عاد عليه بفائدة جليلة. ومعارف حجمه بدت علاماتها واضحة في سيرته العلمية وفيما قدمه من جهود عالمة تتمثل في تأليفه العلمية المتعلقة بالفلك والرياضيات والطب.

(1) تاريخ العلم، ص 181.
(2) القاضي: النفح، ج 3، ص 176 (نقل عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس).
(3) مصدر السابق، ص 92.
(4) مصدر السابق، ص 93 – ابن الأبار: الكتلة، ج 1، ص 276 – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 484 – ابن الخطيب: الإحالة في أخبار غرناطة، ج 1، ص 428.
وكان للفتنة التي اجتاحت قروطبة بعد زوال النفوذ العامري أثر في تبهره لما أصاب تلك المدينة من كوارث، مما أثر على نفسه فخرج من قروطبة إثر ذلك واستقر بغرناطة حيث نزل ضيفا على أميرها حبوب بن ميكنن الصنهاجي الذي أنزله منزلا كيما ورفع مكانته بين علماء بلاته (1).

وفي هذا إشارة إلى ما نجم عن الفتنة من تفرق العلماء في مختلف أقطار الأندلس وانتشارهم في مدنه المختلفة.

وأسهم ابن السمح الذي جمع في علمه بين الرياضيات والفلك والكيمياء في حركة التأليف العلمي، فألف كتابا في الهندسة "الدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب أقليدس " (2). كما ألف كتابا اسمه " شار العدد " والمعروف بالعمالات، وكتاب " طبيعة العدد "، بل كان لاهتمامه بالهندسة أن ألف فيها كتابا كبيرا تقصى فيه أجزاء من الخط المستقيم والمقوس والمنحنى، أما فيما يتعلق بالدراسات الفلكية فقد صنف كتابين في آلة الأسطرلاب، أحدهما في التعريف بكيفية صنعها على مقالتين. أما الآخر فمؤلف في كيفية العمل بها والتعريف بجوانب ثمارها، وهو مقسم على مائة وثلاثين. كما أنه صنف ريجا وذلك على طريقة الهند المعروفة بالسند هند (3)، وهو كتاب كبير يقع في جزئين أهدهما في الجداول، والآخر في رسائل الجداول (4).

(1) ابن الآبار: التكلمة، ج 1، ص 207.
(2) هذا الكتاب مصنف في أصول الهندسة، واقليدس من علماء الرياضيات اليونان (الخوارزمي: المصدر السابق، ص 167.
(3) نكر القاضي صاعد في كيفية انتقال السند هند إلى المسلمين نقا من أحد العلماء أنه قدم على الخليفة العباسي المنصور رجل من الهند عالم بالحساب، ولفظه كتاب في الفلك اسمه السند هند. في حركات النجوم ومبادئها بها من مسائل رياضية أثبتا عماريا، فأثاره المصور بترجمة ذلك الكتاب وألق عليه العلامة محمد بن الفارزي كتاباً بعنوان "السند هند الكبير"، ثم اختصره الخوارزمي وأضاف إليه الكثير من المسائل. أنظر: طبقات الآدم، ص 77- عبيد الله مبشر: علم الفلك والتجمد عند أهل الهند والسند (مقال باللغة العربية) السنة الرابعة، العدد 11، ص 58.
(4) صاعد: طبقات الآدم، ص 96- ثروت طوفان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص 236.
وقد اثني ابن حزم الأندلسي على زيج ابن السمح وأنه لم يؤلف مثله هو زيج أستاذته ملحة كما سبق أن أشارت.

ولم يكن ابن حزم هو الوحيد الذي أثبأ على ابن السمح، فقد وصف ابن الخطيب مؤلفاته بالحسن والجودة وإنها عظيمة الفائدة، كما أشار إلى أن له مصنفاً كبيراً في التاريخ، وأنه لنزله العلمية وعلو مقامه يعد من سنا الأندلس (1).

وشارك ابن السمح في ازدهار حركة الدراسات الرباطية والفلكية صديقه أحمد بن عبد الله بن عمر القرطبي المعروف بابن الصفائر (ت 460 هـ / 1064 م) الذي لم يكن باقلاً عطاء من ابن السمح، فقد أسهم في نشر علمه وبحث معارفه حتى اتخاذ له موضعاً في جامع قرطبة يلقى فيه دروسه ويعمل فيه التلاميذ (2).

وصنف ابن الصفائر العديد من المصنفات من بينها تأليفه لزيج مختصر على مذهب السيد هند، كما ألف كتاباً في العمل بالإسترلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ (3).

وأمايست أن كتابه الأخير لا يزال محفوظاً وموجوداً بين أيدينا، وهو كتاب صغير الحجم إلا أن ما ضمنه من معلومات حول العمل بالإسترلاب تعد من أهم المعلومات وأعظمها فائدة في هذا الميدان. يشير مياس بيكروز الذي

(1) الإحالة ، ج 1، ص 284.
(2) مصنف : المصدر السابق، ص 93 - 94 - ابن بشكول : المجلة ج 1، ص 42 - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص 484.
(3) مصنف : المصدر السابق، ص 93 - 94 - ابن أبي أصيبعة : عصر كحالة : العلوم البحثة، ص 189.
نشر ذلك المخطوط في مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد(1). إلى أن الكتاب ترجمه إلى اللاتينية بلاتوف تينوس في الثالث من القرن الثاني عشر الميلادي، وأن الكتاب ترجمه أخرى إلى اللغة العبرية(2).

ولكن بعد إطلاع على مخطوطة الكتاب ومقارنتها بما نشره بياكروزا لوحظ اختلاف كبير بين ما هو في المخطوط وما نشر، ففتوح المخطوط الكثير من المواضيع التي لم ترد في النسخة المنشورة.

والمخطوط يقع في 18 لوجه. وبعد البسملة والصلاة على النبي، ءامن، ذكر نسبة الرسالة إلى ابن الصفاف ثم بيدا الحديث عن الإسطوانات والآتى ومهمة كل منها. ويشير من أسلوب المؤلف أن الكتاب الذي ذكر موجه لطلبة العلم والمشتغلين بالفلسفة في صورة توجيهات وإرشادات فهو يصدر كل باب من رسالته بقوله: "إذا أردت - مثلًا - كذا وكذا فافعل كذا .."، وهو بهذا يرسم الطريقة العلمية الصحيحة للمشتغلين بالفلسفة، وكيف يتبعون أحسن السبل في ممارسة نشاطهم العلمي. كما يتضح من دراسة ذلك المخطوط المهارة الفائقة والتطبيق العملي الذي كان يعرفه ابن الصفاف في محاولة منه للخروج بيئع الثورات وأهم النتائج.

ويوضح ابن الصفاف في رسائله الكيفية العملية السليمة لمعرفة الأوقات والتحديد مواعيد الشمس من ذلك البزوغ ومعرفة أوقات النهار وما يمر من ساعات وتعيين وقت الظهير والعصر، بل إنه يعين جزئيات ساعة واحدة من الليل والنهاد. ثم يتابع دراسته العملية في توضيح ارتفاع الشمس وكيف يتم ضبط ذلك، وكيف تتم معرفة درجة الشمس الجهولة من قبل ارتفاع نصف.

(1) ابن الصفاف: العمل بالإسطوانات، العدد الثالث، ج 1، ص 47 - 67.
(2) مياس بياكروزا: المؤلفات الأولى عن الإسطوانات في إسبانيا العربية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الثالث، ج 1، ص 163.
نهارها، ويستمر في توضيح الكثير من المعلومات المتعلقة بدرجات طلوع الشمس والتعريف بالكواكب الموضوحة في الشبكة إلى معرفة وقت طلوع أول درجة من البروج، ومع أي درجة يتوقف السماء أي كوكب، لينتقل إلى موضوع تعيين القبلة في الليل والنهار. يمضى المؤلف ليعين الطول وكيفية أخذه ويوضح مدى الطول بقوله: (وعلم أن الطول هو ما بين نصف نهاري، ونصف نهار بلد آخر من دائرة معدل النهار).

كما ينعب إلى معرفة كيفية معرفة الظل من قبل ارتفاع الشمس ومعرفة ارتفاع الشمس من قبل الظل. يسير المؤلف على هذا النهج حتى يصل إلى كيفية معرفة موسم القمر من البروج، ومواضع الكواكب السيارة فيها، وفي باب آخر معرفة سعة المشرق، ثم يمتد إلى باب آخر في معرفة دخول السنين العجمية بجهودها فيقول: (إذا أردت في أي يوم يدخل فيه ينير (يناير) من أي عام أردت من أعوام تاريخ الهجرة فاعرف تلك السنة الداخلة كم هي من تاريخ مولد المسيح عليه السلام) ويدعو المؤلف كتابه بصورة فلكية دائرة موضحا أعلاها مواضع الشهور والفصول.

ومن العجب أن ابن الصفارة يشترك مع ابن السمح في كثير من الحقائق فكلهما يذكر أنسلم الجريتي، وكلاهما برع في الفلك والرياضيات، وكلاهما خرج من قرطبة بعد الفتنة فابن السمح خرج إلى غرناطة، وابن الصفارة خرج إلى دانية)، وكلاهما توفي في سنة 426 هـ/1034 م.

(1) ابن الصفارة: العمل بالإسترالب (مخطوطة) ورقة 7 ب.
(2) ابن الصفارة: نفس المصدر . ورقة 117.
(3) هذه خلاصة موجزة وإشارة سريعة لمعنويات ذلك المخطوطة.
(4) دانية مدينة بشرقي الأندلس (الحميري: الروض المطهر، ص 77).
وكان ابن الصفوك تلاميذ بارعين في الفلك والرياضيات، كما كان له أخ يسمى محمد وصف بالمهارة في علم الفلك، واشتهر بصناعة الإسطرلاب وأنه  
(لم يكن بالأندلس قبله أجمل صنعا فيها منه) (١).

هيرز إلى جانب من تقدم الكثير من الرياضيين والفلكيين، ومنهم الحسن  
ابن علي الزهراوي. وكان الزهراوي بارعاً في الرياضيات ماهرًا في الفلك وله  
مصنف ممتاز في المعاملات على طريق البرهان، وهو الكتاب المعروف بكتاب  
» الأركان«، والزهراوي هذا من تلاميذ مسلمة المجريطي (٢).

ومن تلاميذ مسلمة المجريطي أيضاً العالمة أبو مسلم بن خلدون الذي  
سبقت الإشارة إليه في علم الفلسفة، فبالإضافة إلى مهارته في الفلسفة فقد  
كان بارعاً في الهندسة والفلك، وكان جم النشاط في بما علمه ومعارفه حتى  
لازمته الكثير من طلاب العلم، فكان له تلاميذ كثيرون أخذوا عنه العلم ونشروه  
عليه (٣).

وكأ حد عادلة عبد الحليم منتصر وقرى طوقان الصوواب (٤) عندما أشار  
إلى أن من تلاميذ مسلمة المجريطي ابن خلدون صاحب المقدمة، فصاحبهما  
أبو مسلم بن خلدون كان يعيش في القرن الرابع الهجري: العشيرة المليادية،  
وأما ابن خلدون صاحب المقدمة فقد كان يعيش في القرن الثامن الهجري /  
الرابع عشر المليدي، وتوفي في مصر سنة (٨٠٨ هـ / ١٤٠٢م)، فالفرق الزمني  
واضح جداً، ولعل الذي أوقفهمما في هذا اللبس توافق الاسم لأب كل من  
العالمين المذكورين فظاً أن ابن خلدون الرياضي هو صاحب المقدمة المشهورة.

(١) مصاعب: المصدر السابق، ص ٢٩٣ - ٣٤ - ابن أبي أصيبة: المصدر السابق، ص ٤٨٤  
(٢) مصاعب: المصدر السابق، ص ٣٤ - ابن أبي أصيبة: المصدر السابق، ص ٤٨٤  
(٣) المقرئ: الفتح، ج ٣، ص ٢٧٦  
(٤) الأول في كتابه تاريخ الفلك، ص ١٨٢، والثاني في كتابه تراث العرب العلمي، ص ٢٥٩.
كما لمع أبو الحكم عمر بن عبدالرحمن الكرماني في ميدان الفلك والهندسة. وقد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن الفلسفة وأنه تُسبَ إليه إدخال رسائل إخوان الصفاء إلى الأندلس.

وكان الكرماني متضطلاً بالأخص في ميدان الهندسة حتى قال عنه صاعد (أخبرني عنه تلميذه الحسين بن أحمد بن الحسين بن يحيى المهندس الماجم أنه ما لقي أحداً يجاريه في علم الهندسة، ولا يشق غبارًا في فك غامضها، وتبيين مشاكلها واستيفاء أجزائها) (1).

وكان للخليفة الحكم المستنصر أثر في ازدهار تلك الدراسات الرياضية والترغيب في البحث في مواضيعها المختلفة. ويرى عنه في هذا الصدد أنه كان يعلم العلماء عبد الله بن محمد المعروف بالسريع. وكان السريع بارعاً في الهندسة والحساب، وألف في ذلك كتاباً مشهوراً في البيع. وقد حظي السريع بمنزلة رفيعة لدى الحكم المستنصر الذي كان حريصاً على تقربته إليه للاستفادة من علمه، غير أن السريع كان يفضل العزلة والزهد لورعه (2).

كما برز في عصر الخلافة من علماء الرياضيات أحمد بن نصر الذي ألف كتاباً في الهندسة في المساحة المجهولة. وقد أثنى عليه ابن حزم وعده من مفاخر الأندلس في الرياضيات وأن كتابه المذكور لم يؤلف منه في معداه (3).

(1) طبقات الأمم، ص 112 - 113
(2) مساعده: نجف الصدر، ص 91 - 92، القطبية: أشواه الحكماء ص 242 - ابن أبي أصبهاء: عيون الأنباء، ص 484 - 485 - المقرئ: النفح، ج 3، ص 176، أحمداء: ظهر الإسلام، ج 7، ص 270
(3) الحضري: الجذور، ص 1148 (نقلة عن صديقه ابن حزم في رسالته عن فضيل الأندلس) - المقرئ: نفح الطب، ج 3، ص 171 (نقلة عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس) - 370 -
وكان لبعض أهل الذمة نشاط في هذا الميدان العلمي، ومن بينهم الأسقف القرطبي ابن زيد الذي نال مكانة رفيعة لدى الخليفة الحكم المستنصر وصنف له كتابا في الفلك اسمه (تفصيل الأزمان ومصالح الإبدان)، وفيه ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك مما يستحسن مقصده وتقريبه(1)، وقد ترجمه الى اللاتينية جيراهد الكرموني(2).

وبهاء على ماتقدم يتبين لنا مدى الازدهار الذي نالت تلك العلم على أيدي الإندلسين بما اضافوه الى ذلك الميدان من ضروب التأليف والوان التصانيف التي تشهد بعو كعبهم في الرياضيات والفلسفة.

والحق ان هذا التطور العلمي البناء لم يكن ليتم الا في عصر الخلافة الذي شهد نشاطا علميا شاملا بفضل ماتحته الخلفاء من اجواء علمية مناسبة ترعرعت فيها القدرات العلمية وامرت ثمرات يانع، وخاصة في عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي لم يذكر جهدا في دفع عجلة العلم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف.

(1) زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، ص 506 – عبد الكرم التواني: ماساة انهيار الوجود العربي في الاندلس، ص 177.

(2) المقرئ : النفح، ج 3، ص 181( نقل عن تدبيث ابن سعيد على رسالة ابن حزم فضل الأندلس).
الكيمياء
علم الكيمياء عند المسلمين وتطوره على أيديهم - دور الأندلسيين في ذلك وبداية اشتغالهم بالكيمياء قبل عصر الخلافة - أبو زكريا الكيمياء في عصر الخلافة - مسعود بن أحمد الهجري - ودراسات الكيميائية - عبد الله بن محمد السري - عبد الله بن محمد العباسي - محمد بن الحارث الخشني - أهمية الكيمياء في تيندويل الأدوية وعنابة الاطباء وكمية الطبب خلف بن عباس الزهراوي وابن جلجل.

قبل أن أطرد إلى الحديث عن جهود الأندلسيين في هذا العلم يجدر بنا أن نعرف معنى لفظ كيمياء. فالخوارزمي يذكر أن هذا الاسم عريض مشتق (من كمي) يكمي إذا ستر وأخفى، وقيل: كمي الشهادة يكميها إذا كتمها، والمحققين لهذه الصناعة يسمونها «الحكمة» على الاطلاق وبعضهم يسميها الصنعة).1

وقد ازدهر هذا العلم على أيدي المسلمين ازدهاراً واسعاً، وكان من أواخر المشتغلين بهذا العلم من المسلمين خالد بن يزيد بن معاوية (ت 785 هـ)، ثم ما لبث الحال أن تطور على أيدي علماء آخرين يأتي في مقدمتهم العلامة الباحث جابر بن حيان الذي يعتبر أبو الكيمياء العربي والعديد.2

وذكر محمد الصادق عفيفي نصًا لأحد العلماء الأوروبيين وهو درابر فالهواه: (أن المسلمين هم الذين أنشأوا في العلوم العملية: علم الكيمياء

---

(1) مفاتيح العلم، ص 169.
(2) جلال مظهر: حضارة الإسلام، ص 272.
وكشفوا بعض أجزاءها المهمة ومن اختراعاتهم ماء الفضة (حمض التتريكوزيت) وزيت الزئبق (حمض الكبريتيك) وماء الذهب (حمض النيتروتترعيرك).

وبالإضافة إلى ما نقدم فإن فضل المسلمين على تطور الكيمياء والزئبق دراساتها المختلفة كان كبيرا جدا حتى دفع الغربيين إلى اعتباره علمًا عربيًا.

وما من شك أن الأندلسيين سهم وافر في هذا النشاط العلمي، فقد شاركوا في هذا تطور هذا العلم بما أضافوه إليه من دراسات وأبحاث علمية موفقة، فقبل عصر الخلافة لم اسم العلامة عباس بن فرناس في الرياضيات والفلسفة والكيمياء، وقد أشرت إليه في التمهيد، فيما ينسب إليه من جهود علمية في ميدان الكيمياء اختراعه صنع الزجاج من الرمال والحجرة، وكان لاكتشافه هذا أثر كبير في تطور صناعة الزجاج، ونتيجة لاحتراعاته المدهشة في الكيمياء والفقه أن دفع الفقهاء إلى التأدب ضده وإتهامه بالزندقة، ولكنه رغم ذلك نجا من تآمرهم ضده.

وفي عصر الخلافة شهد علم الكيمياء نشاطًا طيبًا حيث برع فيها العلامة مسلمة بن أحمد المجريطي (ت 398 هـ / 1007 م)، وكان مسلمًا من شام كبير في ازدهار علم الكيمياء في الأندلس إذ انصرف إلى دراسة الكثير من الظواهر الكيميائية وأبدى رأيه في نتائج ما أجريه من تجارب.

---
(1) تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص 159.
(2) قدرنا طوقيان: العلوم عند العرب، ص 20.
(3) محمد عبد الله عثمان: ترجمات إسلامية، ص 217، 269، 376.
ومن مصنفاتك في الكيمياء كتاب "رتبة الحكيم" الذي ضمته خبراته
وتجارب العلماء، ففي مقدمة كتابه المذكور يقول: بعد الحمد لله والصلاة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، (أعلم أنها الحكيم الطالب
للعلوم الأهلية والأسرار الطبيعية أن لكل أمر سبب، والدي دعائي إلى تأليف
هذا الكتاب الذي وسمته بمدخل التعليم وسميته رتبة الحكيم أني رأيت أهل
زماننا يتحلون الحكمة ويعاطون الفلسفة وهم في بيد الحيرة تامين. وفي
غرمة الضلالة خائفين، يقرؤون ما لا يفهمون، ويطلبون ما لا يعلمون)
(1).

ثم يذكر المجريطي ما عليه حكمة عصره من إدراكاء للحكمة، وهم أبعد
ما يكونون عن ذلك ويوضح صفة الحكمة المخلصين بأنهم الذين (ذلوا أنفسهم
بالدخل في جملة العوام وشرحوا صورهم للأمام) فهم الذين يسمون بالعقلاء
النبيلا إذا ظهر عليهم رسم من رسوم الحكمة ستراه بأصغر منه وأقرب لعقل
أهل زماننا فهم محمودون - عند العامة، ومفضلون عند الخاصة للزومهم
الطريقة الوسطى التي هي خير الأمور)
(2).

ويتبين مما ذكره من المجريطي في مقدمة كتابه المذكور عنايته بتوضيح
صفات الحكيم الماهر من غيره من مدعى الحكمة، والأسس الأخلاقية التي إذا
انتفت عن المشتغل بالحكمة يكون قد غري من صفة الحكيم.
ولكن ما يثير الشك في نسبة ذلك الكتاب لسلامة المجريطي هو إشارة
المؤلف في مقدمته إلى أنه ألفه ما بين سنتي (395 - 444 هـ / 1004 -
1051 م)، إذ يقول (وكتابنا هذا سميئا رتبة الحكيم اقتضيناها من تلك

(1) رتبة الحكيم: (مخطوطة) ورقة 11.
(2) رتبة الحكيم: (مخطوطة) ورقة 1 ب.
الرسائل الكثيرة وبدعنا بجمعه في أول عام تسعية وثلاثين وأربعمائة لتاريخ العرب وأتممناه في عام 444 هـ(1). فكيف يصح هذا القول ونحن نعلم علم اليقين أن مسلمة بن أحمد الجريطي توفي سنة 398 هـ / 1007 م 8. إن هذا القول يجعلنا نحتفظ في نسبة ذلك الكتاب إلى الجريطي، ولكن من جهة أخرى لا تصفنا كتابه الآخر "غاية الحكم" لوقفنا على ما يدلنا من حقية الأمر في نسبة كتاب رتبة الحكم للجريطي فهو يقول في مقدمة كتابه المخطوف "غاية الحكم" ما نسمه (وكان تأليف لهذا الكتاب سنة ثلاثين وسبعين وثلاثمائة) عند فراغي من تنقيح كتابي رتبة الحكم(2).

ولا شك أن هذا النص دليل قوي على أن كتاب رتبة الحكم من تأليف مسلمة الجريطي وأن تأليفه سابق على تأليف كتابه الثاني "غاية الحكم".

وبناء عليه فإن تاريخ تأليف كتاب رتبة الحكم الذي تضمنته مقدمته لا يستند إلى شيء من الصحة لأنه متاخر على تاريخ وفاة الجريطي بأكثر من أربعين سنة. وإذا سلمنا جدلاً بما أورده في مقدمة كتابه "ربة الحكم" عن تاريخ تأليفه له، أي فيما بين عام 369 هـ وعام 444 هـ فإن هذا يجعلنا نشك في أن مخطوط كتاب "ربة الحكم" الذي ننقل عنه ليس للمجريطي، ومن المحتمل أن يكون كتاباً آخر لمؤلف آخر وإن طابق اسمه اسم كتاب المجريطي. غير أن ذلك الافتراض يبدو صعباً إذ أن مخطوط كتاب "ربة الحكم" منسوب إلى المجريطي باسمه الكامل. هذا ومن المحتمل أيضاً أن يكون أحد تلاميذ المجريطي هو الذي ألف هذا الكتاب في الكيمياء وأراد أن يمنحه جلال

(1) نفس المصدر: ورقة 12 ب 2.
(2) غاية الحكم: (مخطوطة) ورقة 11.

- 378 -
أستاذته المجريطي ومنزلته العلمية فنسب إليه ذلك الكتاب مع احتفاظه هو
بتاريخ تأليفه الحقيقي.

ولكن رغم هذه التساؤلات والافتراضات العديدة فإن الراجح أن ذلك
الكتاب من تأليف مسلم المجريطي، وهو أمر أقره المؤرخون الثقات كابن
خلدون والقلقشندي وحاجي خليفة وغيرهم.

وينذك أبن خلدون في معرض حديثه عن ذلك الكتاب أن كلام المجريطي
غيره من العلماء في الكيمياء إنما هو (اللغز يتعرز فهمها على من لم يعان
اصطلاحاتهم في ذلك) (1).

ويمكن أن نرجع ذلك إلى تعمده الكيماويون التنسيق على أبحاثهم العلمية
بالتكتم والأخفاء في محاولة للحفاظ على سلامتهم من المعارضين لعلومهم هذه.
فكلامهم لا يكاد يعرفه إلا المشتبهون بتلك العلوم والعارفون بمصطلحاتها،
وبذلك كانوا يضمنون عدم الكشف عن حقائق علمهم هذا، وخصوصًا إذا علمنا
أن شايب تلك الدراسات الكيميائية بعض صور الشعوذة والخرافات كتحويل
بعض المعادن الرخية إلى ذهب. كما أنه من الجائز أن يكونوا بطرقهم تلك
يستهدفون العلم بمكانتهم العلمية والحفاظ على أسرار صناعتهم. فإن في
إفساحهم لأسرار ذلك العلم والكشف عن معارفهم في ذلك مدعومًا إلى بروز
الكثير من العارفين بذلك ينافسونهم مكانتهم العلمية ويجبرونهم من استيائهم
العلمية. وقد أشار المجريطي إلى ذلك بقوله (أن الكلام في ذلك تبين وكشف
لأسرار) هذه الصناعة فكان الذي يأخذ بابن كتب من كتبهم فيقرأه فيجد

(1) المقدمه: ص 504.

(2) في الأصل، وكشف الأسرار، والصحيح ما ورد في المتن.
العلم واضحًا بينًا فلا يكون لذلك فضل لعالمٍ(6) على جاهل فقطعوا القول
صيانة منهم وصيانة عن العامة(1).

وقد أشار القلقشندي إلى كتاب "رتبة الحكيم" في حديثه عن الكيمياء
ووصف ذلك الكتاب بأنه من أهم ما كتبه المسلمون في ذلك العلم(2).

وبينصيج المجربطي كل مشتغل بالكيمياء أن يدرس العلوم الطبيعية
والرياضية وأن يقرأ كتب من تقدم من العلماء كأرسطو طاليس وسقراط
وهرمس(3) وغيرهم ثم يعود يديه على العمل والتجربة والنظر العميق حتى
تتجلى له حقيقة ذلك العلم مع معرفة ما ذكره العالمان المسلمان جابر بن حيان
ومحمد بن زكريا الرازي في هذا الميدان العلمي، كما يرشد إلى وجب معرفة
المعادن وتركيبها وكيفيتها وأوزانها(4).

والحق أن كتاب رتبة الحكيم بما حواه من معارف وخبرات علمية ليدل
دلالة واضحة على ما تمت به مسلمنة المجربطي من براعة تامة في الكيمياء
ومعرفة واسعة بمسائلها ليس في مجال الدراسة والنظر فحسب وإنما أيضاً
في ميدان التجربة العملية.

ومن التجارب العلمية التي أجرها المجربطي ما ذكره في كتابه المذكور
من أنه أخذ ربع رطل من الزئبق الرجراه الخالي من الشوائب وضعه في آنية
زجاج ثم وضعها داخل إبرة أخرى وضع ذلك على نار هادئة لمدة أربعين يومًا ثم

(6) في الأصل، فضل العالم على جاهل، والصحيح ما ورد في المتن.
(1) رتبة الحكيم (مخطوطة) ورقة 12، 475.
(2) صحيح الإنس الأعمال، ج 1، ص 178.
(3) التعريف بهؤلاء الفلاسفة، انظر المبشر بن فاتك: مختار الحكم ومحاسن الكلم، ص 178.
(4) رتبة الحكيم (مخطوطة) ورقة 17، 18 و 27 و 18.
أخرج ذلك الآله بعد تلك المدة ونظر في الزينق فوجدته قد تحول إلى مسحوق أحمر، ثم وزنه بعد ذلك فلاحظ احتفاظه بوزنه الأصلي من غير زيادة ولا نقصان(1).

ولا ريب أن المجريطي قد تتبه إلى ناحية من نواحي العمليات الكيميائية وهي ملاحظة ما يطرأ على أوزان المواد الكيميائية التحليلية. ولو كان المجريطي قد قام بهذه التجربة في حيز محدود من الهواء مع مراعاة التحوط للأمور التي أشير إليها لكان من المؤكد أن يخرج بالمهمة التي حصل عليها الكيميائي لافوزيي بعده بستة قرون وكان من أسباب شهرته العلمية(2).

وهكذا نلحظ ما كان يتمتع به ذلك العلامة الأندلسي من تفوق علمي في إجراء التجارب العلمية. وهو بهذا يعتبر أستاذ عالمي الكيمياء بريستلي ولافوزيي، وإن تجربته السابقة تعتبر أساسا لما قام به هذان العالمان فيما بعد من دراسات وبحوث علمية في الكيمياء(3).

ويشمل كتاب رتبة الحكم على الكثير من الدراسات العلمية المهمة في ميدان الكيمياء، كظاهرة تنقيه الذهب والفضة وما لا يعد عن الوسائل الحديثة في ذلك من طرق تنقيه هذين الفلزين وما لا يخرج في بحره ما هو معروف في عصرنا عن طريقة فصل هذين الفلزين أحدهما عن الآخر في سبائكهما بواسطة الحل بحامض الأزوتิก(4).

(1) رتبة الحكم (الخليفة) برقة 1388 ق.م.
(2) عمر كماله: العلوم البحتة، ص 260.
(3) محمد المصريي: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، ص 195 -علي عبده الدفاع: أئم علوم المغرب في العلم التطبيقية المجريطي، مقال بمجلة الفيمس، العدد 56، صفر سنة 1402 ه.
(4) عمر كماله: العلوم البحتة، ص 260.
كما أن المجريطي أشار إلى المياه المعدنية ومدى تأثيرها في ذلك بما تحيو الأرض من المعادن التي تكسو الأحجار والصخور (1).

ويحدثنا المجريطي عن كيفية تكون الزئبق ومدى تأثير الشمس في ذلك وكيف أن الماء الراين في جوف الأرض في أماكن ملموسة إذا قابلته الشمس استمر ذلك الموضوع وقل الماء لم أصابه من الحرارة وصار بخارا صاعدا حتى إذا انقطعت الحرارة بذلبه الشمس عاد ذلك الماء متقلبا في موضعه وقد تأثر بالحرارة، فإذا عادت الشمس تكررت الحال على تلك الصوره حتى يقلل الماء ويتحول ما بقي منه إلى سائل غليظ، فلا تعود الحرارة تؤثر فيه لغلاظته حتى بيبس ليتحول في نهاية الأمر إلى زئبق (2).

وبناء على ما تقدم فإن المجريطي بجهوده المثمرة في علم الكيمياء قد أضاف الكثير من الخبرات والتجارب العلمية التي كان من شأنها أن تدفع عجلة الدراسات الكيميائية إلى الأمام.

ويظهر في مؤلفه "رتبة الحكيم" مدى تقدم علم الكيمياء بعد جابر بن حيان في فترة المائة والخمسين سنة التي تفصل بينهما (3).

وفي كتاب المجريطي الآخر "غاية الحكيم" معلومات هامة عن الكيمياء، كحديثه عن خواص المعادن وتأثيرها وما ينتج عن المزج بينها، ويفقول في ذلك (4) واللازورد إذا جمع مع الذهب ازداد حسنا … والفضة إذا شبيت براحة الكبريت أسودت، وإلى غير ذلك من الدراسات العلمية والإشارات المهمة في ميدان الكيمياء.

(1) رتبة الحكيم، ورقة 40 ب.
(2) نسخ الصدر السابق، ورقة 45، 46 ب.
(3) محمد الحسيني: المرجع السابق، ص195 – تدري طوقان: تراث العرب العلمي، من 582.
(4) ورقة 13812.
ومن خلال ما تقدم نلمس مدى ما كان للتجربة العملية من أهمية في دراسات وأبحاث المجريسي، فقد كان يعتبر على التجربة العلمية في استخراج النتائج العلمية الصحيحة والتي كان للكثير منها أهمية بالغة في الكشف عن بعض حقائق هذا العلم (1).

وببرز الكثير من تلاميذ المجريسي في علم الكيمياء وأضافوا بجهودهم العلمية في هذا المجال مزيدا من العطاء. وبورض ابن خلدون رسالة لأحد تلاميذه المجريسي يتحدث فيها عن علم الكيمياء وقواعده وغاياته، وتلك الرسالة يذكرها أبو بكر بن بشرون، ويقول فيها (إن هذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الأمويون، واقترض جميعها أهل الفلسفه من معرفة تكوين المعدن وتخليق الأحجار والجوهر وطباع البقاع والأماكن فمنعنا استهلاها من ذكرها، ولكن ابن لق من هذه الصناعة ما يحتاج إليه فتبدأ بمعرفتها فقد قالوا ينبغي لطالب هذا العلم أن يعلمها أولا ثم خصائل أولها هل تكون، والثانية من أي تكون، والثالثة من أي كيف تكون، فإذا عرف هذه الثلاثة وأحكمها فقد ظفر بمطوليه وبلغ نهائته من هذا العلم، وأما البحث عن وجودها والاستدلال عن تكوينها فقد كفيناها بما بعثنا به إليك من الأكسير (2).

وبriages من خلال هذه الرسالة ما اتصف به أولئك العلماء من علم واضح بهذا العلم ودراسةه، وكيف أنهم كانوا يعتمدون على التجربة العلمية والملاحظة للوصول إلى نتائج دراستهم العلمية، وتضم الرسالة الكثير من التجارب العلمية في دراسة المواد الكيميائية وتحليلها والوقوف على خواصها.

(1) المجريسي تأليف كثيرة غير ما ذكرناه، ككتاب مفاةة الأحجار، وروضة الحدائق ورياض الخلاق، وكتاب في الطبيعة وتأثير الشاء والبيئة على الكائنات الحي، والرسالة الجامع، انظر إلى النيابة: أمام علماء المغرب في العلوم الطبيعية المجريسي مقال بهبة الفيصل، العدد 56، صدر سنة 1402 هـ. انظر أيضاً الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 244.

(2) المقدمة: ص 505، وانظر بقية هذه الرسالة العلمية فيما يلي ذلك من الصفحات.
وقد كان ابن خلدون بعد تلك الرسالة ترأيه في علم الكيمياء فيصفها بأنها ليست صناعة طبيعية أي من اجتهاد البشر أنفسهم بل إنها من جنس آثار النفس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة أما من نوع الكرامة إن كانت النفس خيره أو من نوع السحر إن كانت شريرة (1).

والحق أن صناعة الكيمياء لا تتعلق بشيء مما ذكره ابن خلدون الذي أدل على برآيه السابق تحت تأثير ما كانت تتصف به الكيمياء في بعض وجهها بصور من الشعوذة والخرافات كتحويل المعادن الرخيرة إلى معادن نفيسة. فعلم الكيمياء له قواعد وقوانين علمية متينة تقوم على معرفة خواص السوائل وتحليلها وتأثير بعضها في بعض بالمزج وغيرها من العمليات الكيميائية والتي تقوم على الملاحظة والتجربة العملية بعيدا عن الصورة القديمة التي خلّها بعض الأدنى على هذا العلم المهم وصيغته بصورة تنافية حقيقة أمرها.

ولى جانب من ذكرنا من المشتغلين بالكيمياء برز آخرون تعرفنا عليهم من خلال تراجمهم وليس من خلال مؤلفاتهم وتصانيفهم في علم الكيمياء. فمن هؤلاء العلامة عبدالله بن محمد المعروف بالسري الذي أشرنا إليه كأحد الرياضيين (وكان ينسب إليه العلم بصناعة الكيمياء، وكان الحكم المستنصر بالله يعظمه ويؤثره ويقوم الاستكثار منه فيقبض عنه ورغمه ويكفه عن مداخلته زهدته (2).

كما أن عبدالله بن محمد الأزدي المعروف بالذهبي (ت 456 هـ / 1361 م) كان مشتغل بالكيمياء، كثير الاهتمام بدراسةها والبحث في ظواهر المواد الكيميائية، ووصف بالاجتهاد والنشاط التام في ذلك (3).

____________________

(1) المصدر السابق، ص 132.
(2) صاعد: طبقات الأمم، ص 90-91.
(3) ابن أبي اصبيعة: عيون الأنباء، ص 487.

٣٨٤
كما نسب إلى الفقيه المؤرخ محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت 361 هـ / 971 م) الاستغلال بالكمياء، وقد وصف بأنه كان (يعمل بالأدهان ويتصرف في ضروب من الأعمال الطيفة) (1).

ولعل من دواعي الاهتمام بالكمياء ارتباطها الوثيق بعلم الصيدلة وتحضير الأدوية وما يدخل في ذلك من عمليات التقطير واستخلاص السوائل من الأعشاب والنباتات والمزج بينها. كما أن الصيادلة المسلمين عنوا بالكمياء ورأوا ضرورة معرفتها لما لها من العلاقة الوثيقة بما يقومون به من تجارب علمي، ولا أدل على ذلك من أن الزهراري صاحب كتاب "التصريف لم عجز عن التأليف" قد أفرد مقالة من مقالات كتابه المذكر في إصلاح الأدوية وحرق الأحجار المعدنية. ولا ريب أن اهتمامه بالأخجاء المعدنية ودراسته لها ومعرفته خواصها يقوده إلى طريق باب الكمياء ويؤكد حاجته إلى معرفة قواعدها.

وقد أشار بن جليل إلى أهمية ما تحويه الأرض من نباتات وحيوانات وما بها من خواص الشفاء والدواء، كما أشار إلى ما تختزنه الأرض من المعادن التي فيها شفاء ورحمة، وهذا أمر يؤكد حاجة الصيدلي في عمله إلى معرفة الكمياء وقوانيها ليتم له استخلاص العناصر الدوائية من المعادن. وما من شك في أن ارتباط الكمياء بالصيدلة قد أدى إلى ازدهار علم الكمياء وتطوره، ولهذا تلتح بروز بعض الأطباء الذين جمعوا بين مهاراتهم في الطب براعتهم في الكمياء، كابن الزهبي الأزدي، وابن السري وقدم ذكرهما.

(2) ابن الفضلي: تاريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 113

- 385 -
وبناء على ما تقدم فإن علم الكيمياء قد شهد ازدهاراً كبيراً وتطوراً
ملحوظاً في عصر الخلافة، وما ذاك إلا عائد إلى بروز بعض العلماء ممن
أسهموا في تطور ذلك العلم وشاركوا في بناء كيانه.
والحق أن المجريطي بما أسداه من جهود علمية موفقة يعتبر نخير
الأندلس في هذا العلم وفارسها الذي لا يبارى في ذلك الميدان، وأن كتابه رتبة
الحكيم لجدير بالدراسة العلمية الدقيقة من قبل علماء الكيمياء في عصرنا
ليطلعوا على مدى ما كان لأولئك العلماء في الأندلس من فضل عظيم في ارساء
قواعد علم الكيمياء الحديث.
والجدير بالذكر أنه لولا ما أصاب هذا العلم من ضروب التضييق والمعت
والسعي في احرق كتبه - باعتبار ما دخل عليه من الشعوذة والخرافات لوقفنا
على تراث علمي كبير للأندلسيين في هذا الميدان، ولتبين لنا حقيقة جهودهم
العلمية ومدى إسهامهم الواسع في تقدم علم الكيمياء، ولكن حسبنا أن ما
آشرنا إليه فيه ما يقتعنا بعظم ما قدموه في هذا المجال.
وخلاصة القول أن العلوم التجريبية من طب وصيدلة وذلك ورياضيات
وكمياء قد لقيت من الأندلسيين كل اهتمام وعناية.
ففي الطب أسدى علماء الأندلس من الأطباء جهوداً واضحة في سبيل
تطور هذا العلم وازدهاره، بل إنا لا نبالغ في القول إذا أشرنا إلى أن
الأندلسيين يحتفلون بحق تقدمهم على غيرهم في تطوير "الجراحة الطبية"
ووضع أسسها وقواعدها، وهو ما قام به فخر الجراحة الطبية خلف بن عباس
الزهراوي.
ولم يكن الزهراوي يقف وحده في هذا الميدان بل وقف معه الكثير من علماء الأندلس الذين اثبتوا قدراتهم العلمية الواسعة وبرهنوا على أنهم أهل للوقوف مع أبرز علماء الطب في تاريخه الطويل، ومن هؤلاء ابن جلجل، وعريب بن سعید وابن يونس الحرازي وغيرهم كثير، وألحق أن ميدان الطب نال من الأندلسين عناية فائقة حتى لا نقلح إذا قلنا أنه هو العلم الذي منحه الأندلسيون نشاطا أكثر من العلوم التجريبية الأخرى.

وفي ميدان الفلك والرياضيات قدم الأندلسيون روائع من إنتاجهم العلمي، وقد أشارنا إلى الرابطة القوية بين علمي الفلك والرياضيات عند علماء الأندلس، وتمثلت هذه الصفة بوضوح في السيرة العلمية للعلامة مسلمة الجرخجي الذي يعتبر بجهوده ونشاطه العلمي مدرسة قامة بذاتها كان لها أعظم الأثر في تطور تلك الدراسات العلمية. وقد أبدع الأندلسيون في تلك العلوم، وإنما بقي من إنتاجهم العلمي في الفلك والرياضيات لشاهد قوي على عمق عطائهم وعظم مشاركتهم في ازدهارها وتطويرها.

وفي علم الكيمياء أكد الأندلسيون تفوقهم العلمي وقردتهم الواسعة على الوصول إلى نتائج علمية مهمة في ذلك، فكان لهم إسهاماً وافراً في تطور الكيمياء وإن ما قدمه الجرخجي في هذا الحقل العلمي المم لدليل على مشاركة الأندلسين الجادة في تقدم علم الكيمياء، فجهود جابر بن حيان في الشرق قد قابلتها في الأندلس جهود مسلمة الجرخجي الذي أضاف الكثير من الخبرات والمعرف لهذا العلم، وكان بنشاطه العلمي في الكيمياء جدير بأن يشار إليه بالبنان كأحد من تقوم على تجاربهم العلمية في الكيمياء الكثير من الدراسات العلمية الكبائدية في عصرنا الحالي.
الخاتمة
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه خاتمة البحث، وقد تضمنت النتائج المثبتة عن دراستنا لموضوع "الحياة العلمية في عصر الخليفة الأموي في الأندلس".

ففي بداية البحث والذي كان عن الحياة العلمية في عصر الإمارة تلاحظ أن النشاط العلمي في تلك الفترة كان يدور بشكل مكثف حول علوم الدين باعتبارها العلوم المثبتة عن عقيدة المسلمين الفاتحين. فقد كان المسلمون آنذاك يسعون سعياً حثيثاً نحو الاهتمام بالدراسات الدينية بالإضافة إلى عنايتهم باللغة بتوضيح تعاليم الدين الحنيف لأهل البلاد المفتوحة إنطلاقاً من حرجهن الشديد على نشر الإسلام، وليستنى أهل البلاد الدخول في الإسلام وفهم تعاليمه فهماً صحيحاً. وقد سبقت الإشارة إلى أن الجيش الفاتح كان يضم أعداداً كبيرة من العلماء وفي مقدمتهم أحد الصحابة الكرام وهو الميذر الأفريقي وعبداً من التابعين الإجلاء.

ولما كانت لغة الفاتحين هي اللغة العربية بالإضافة إلى أهمية ارتباطها بعلوم الدين فقد لقيت اللغة العربية وآدابها عناية بالغة فأقبل الأندلسيون على دراسة اللغة العربية والبحث فيما تتضمنه من نحو وآداب وأستطاعوا أن يقدموا الكثير من الدراسات المهمة المتعلقة بذلك.

وهكذا فإن ميداني العلوم الدينية واللغة العربية وآدابها يعتبران في مقدمة ما أولاه الأندلسيون اهتمامهم العلمي فكان لهم في تلك العلوم إنتاج

- ٣٩٠ -
علم نفي. ويمكن أن نشير في ميدان العلوم الدينية إلى زيد بن عبد الرحمن الهاشمي الذي نسب إليه إدخال موطأ ماك، وقد نسب ذلك أيضاً إلى معاصره الغازي بن قيس والذي كان له جهد كبير في تطور علم القراءات.

ومن أكبر علماء الدين في ذلك العصر العلامه بقي بن مخلد الذي وصف ابن حزم جهوده العلمية ومؤلفاته بأنها قواعد للإسلام.

وفي ميدان اللغة العربية وآدابها مع اسم محمد بن يحيى المعروف بـ (القلفاط) المتوفي سنة 202 هـ / 914 م والذي كان ينشر علومه في النحو واللغة وتلقى العلم على يديه الكثير من طلبة العلم. كما أنه كان للفقيه عبدالملك ابن حبيب جهد عظيم في رقي الدراسات اللغوية. ولا يفوّت المطلع على الدراسات الأدبية آنذاك أن يذكر الأديب فرج بن سلام الذي نقل الكثير من كتب الجاحظ إلى الأندلس والتي كان لها آثار عظيمة في تعريف الأندلسيين بالإنتاج الأدبي الشرقي، وبالتالي انطلاقهم في ميدان البحث والدراسات.

أما فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية والعلوم التجريبية فإن الامشغال بها بصورة كبيرة لم يتم إلا في العصر التالي لعصر الإمارة وذلك بعد أن استمع دائرة البحث العلمي باتساع آفاق الأندلسيين في دراسة العلوم القديمة وتغييرت النظرة التي تميز بها الكثير من الفقهاء قبل عصر الخلافة والتي اتسمت بكبراهة البحث في تلك العلوم.

والجدير بالذكر أن الأندلسيين استطاعوا إبان عصر الخلافة أن يطبقوا أبواب المعروفة المختلفة وأن يثبتوا غيرهم من المسلمين في الأقطار الأخرى أنهم لا يقلون في عطائهم العلمي عنهم. ولا تقل ذلك من غير بيئة فإن من يطلع على الإنتاج العلمي لأهل الأندلس سيقف على جليّة الأمر وصدق المقال.

٣٩١
ويتبّع من تتّبع سير الحركة العلمية في ذلك العصر أن هناك مظاهر

جلية للنشاط العلمي تستحق من الباحث الوقوف عندها ودراسة بصورة

واية.

فمن تلك المظاهر عناء الخلفاء بالحركة العلمية ومدى ما بذلوا في ذلك
من جهود في سبيل ازدهار الحياة العلمية، ولا يري أن الخليفة عبد الرحمن
الناصر بعده من إقرار الحالة السياسية للبلاد، واهتمامه بسياسة الأمن
والامتنان ربيع الأندلس قد هيا الجو المناسب والمناخ الملائم لنمو الحركة
العلمية وازدهارها فانصرف الناس في عهده الزاهر إلى تحصيل العلوم
والآداب وطرق أبواب المعرفة المختلفة، فكانوا يجوبون مدن الأندلس وينقلون
بين أطرافها المختلفة في آمن ويسير، وهو أمر بناشك كان له أكبر الأثر في
رقي العلوم والأدب، بل إن مصر عبد الرحمن الناصر شهد وفود الكثير من
طلبة العلم من أوروبا لينهوا من معين العلم وليأخذوا عن الأندلسين علمهم
وآدابهم، فكانت قرطبة في عهده درة مضيئة ومورداً عامداً لكل متعطش للعلم
والمرعة.

وعندما تولى ابنه الحكم المنتصر الخلافة سعي وهو الخليفة العالم إلى
تشجيع العلماء وتبسيّر سبيل التعليم لرعيته وكانت له في ذلك جهد مثير،
وأصبحت الأندلس في عهده دار علم فلا يكاد أن يسمع منها إلا ما يُنتج إلى
العلم والمرعة، وتمكنت الأندلس في عصره من الوصول إلى مستوى الإبداع
فبرزت شخصيتها العلمية المتلألئة القادرة على إثبات ذاتها في ميدان البحث
والإنتاج العلمي.

٣٩٢
خلف الحكم المستنصر ابن هشام المؤيد ولكنه كان بعيداً عن زمام الأمور لهيمنة الحاجب المستنصر على شؤون الدولة. رغم أنه المستنصر سلك طريقاً في الوصول إلى سدة الأمر لا يرضاه التاريخ إلا أنه مع ذلك استطاع أن يبلغ بالأندلس في عهده قمة القوة والعزة بينما عاش خصوم الأندلس من المالك الأسبانية النصرانية منتهي الذل والإنكسار، وكان المستنصر إلى جانب تفوقه في ذلك كبير العناية بالعلم والأدب وقد شهد ميدان الأدب في عصره ازدهاراً كبيراً وحفل عصره بأهل الأدب والشعر والإبداعات التأليفية الأدبية بتشجيع منه.

وفي عصر الخلافة يقف المتحب لسير الحركة العلمية على أهمية الرحلات العلمية التي كان يقوم بها أهل الأندلس إلى المشرق، وما نجم عن ذلك من تأثير علمي كبير كان له أعمق الأثر في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس وفي تعريف الأندلسيين بمناهج البحث والدراسة التي سبقهم إليها أهل المشرق. ثم لما لبث الأندلسيون بعد ذلك أن نافسوا إخوانهم المشاركين في الميدان العلمي، ونسنا في حاجة في هذا الموضوع أن نسبر ما سبق التعرف به من أمثلة دالة على ما كان يعتمدون في نفوس الأندلسيين من محاولة الوقوف موقف الندى مع أهل المشرق، فقد كان الأندلسيين آثار علمية قيمة تبرهن على نضوج الشخصية العلمية الأندلسية في عصر الخلافة.

وكان من دلائل النهضة العلمية آنذاك ظاهرة الاهتمام بالكتاب وإنشاء المكتبات في صورة قلما نجد لها نظيراً على وجه التقريب. وقد قدم الباحث في هذا الميدان من الدلائل والشهادات ما يثبت ذلك وبخاصة في عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي كان له جهود موفقة في جمع الكتب، فقد جمع منها أعداداً...
هائلة في مختلف فروع العلم كما كان شديد الحرص على إقتناء نفائس الكتب ونوادر التصانيف حتى وصفه أحد الكتاب الغربيين بأنه "ردة كتب". رغم ما أحق مكتبه من مأساة في عهد الفتنة إلا أن تفرق كتبها بين الأندلسين وتناثرها بالتالي في مختلف أنحاء البلاد كان له إيجابي في توسيع دائرة الاهتمام بالكتب، وفي رقي الحركة العلمية في أقطار الأندلس المختلفة.

وإلى جانب الخليفة الحكم المستنصر حفظ التاريخ أسماء الكثير من هؤلاء جمع الكتب في الأندلس آنذاك وقد أورد الباحث الكثير منهم، ومن الطبيعي أن يستتبع الاهتمام بالكتب نشاط حركة الورقة وما تشمله من تجارة الكتب ونسخها وتجليدها وهي حرفية لقبت من الأندلسين كل عناية واهتمام.

وقد شهد مصر الخليفة نشاط حقل التعليم، كما أثبت الأندلسيين آنذاك أنهم شعب قاريء - إذا صبح التعبير - فكان لاهتمام الخلفاء وفي مقدمتهم الخليفة الحكم المستنصر بالعلم والمعرفة أكبر كبير في إقبال الناس على العلم وسعيهم الحثيث إلى اكتساب المعرفة. ولعل من أعظم ما يحفظه التاريخ من جهود مشكورة للخليفة الحكم المستنصر فتحه العديد من المدارس لأبناء الفقراء وتوفر التعليم لهم مجاناً، بل إن التاريخ يحدثنا أنه وقف حوالتي السراجين على تعلم أطفال المسلمين الفقراء، وقد أشار الباحث إلى ذلك عند الحديث عن التعليم.

وأما فيما يتعلق بالنشاط العلمي في العلوم والآداب فإن الأندلسين بنشاطهم العلمي الكبير قد تمكنوا من إلغاء المكتبة الإسلامية بالإنجاح العلمي النفسي والذي يبرهن بوضوح على نفوذهم العلمي وعلى ما كانوا يتمتعون به من قدرات علمية كبيرة. ففي ميدان العلوم الدينية نبغ الكثير منهم ممن لا تزال آثارهم العلمية تحوز على إعجاب المسلمين إلى يومنا هذا، ففي الفقه يلمع اسم الفقيه محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة الذي صنف كتاباً في الفقه على المذهب المالكي أسماه المنتخب، وقد أثنى عليه ابن حزم وقال عنه ما رأيت.
فمن الملاحظ أن الدي يخرج من خلال المكسيك الوردي الذي كان ملصق العلمي من أشهر المجاهد في قرطبة، ويرفع في الفقه الفقيه محمد بن عمر المعروف بابن الفخور الذي كان يُعرف بأنه استلم في مسجد النبي محمد، بالمدينة. ومن أشهر فقهاء الأندلس ابن البر التميمي الذي كان يميل إلى مذهب الشافعي وكانت له تأليف على المذهب المالكي، والفقيه المشهور ابن حزم الذي نجح طريق الظاهرة في الفقه وكانت له تأليف عديدة في الفقه والحديث وفي مختلف فروع العلم، حتى عد من أكثر علماء الإسلام تخصصًا.

وفي ميدان الحديث، مع اسم الحديث محمد بن عبدالله بن أيمن والصديقه قاسم بن أصبح اللدان يعتبر من أكبر الحديثاء في عصر الخلافة وكان تلك منهما تأليف في الحديث أخذت عنهما ولقيت كل ثان وتقدير من علماء عصرهم وأثنى عليهما ابن حزم وأتشاد بتخصصيهما وقد كان لأسرة الباجي أثر عظيم في ازدهار الحديث وعلومه، فقد انجبت تلك الأسرة العديد من العلماء الحديثين الذين حملوا رسالة العلم وعملوا على نشرها بين الناس. كما برز غيرهم العديد من الحديثاء في عصر الخلافة وقد أورد الباحث أعدادا كبيرة منهم واسنا في هذه الخاتمة تصدع إعادة ذكر أسمائهم وجهودهم العلمية.

وفي ميدان التفسير وعلوم القراءات قدم الأندلسيون نتائج علمية مشرقة.

ففي القراءات برز العديد منهم وفي مقدمتهم أحمد بن محمد الطلمفي الذي صنف في القراءات كتبًا كثيرة ذات قيمة كبيرة، وقد عاصره المقرئ الشهر أبو عمر عثمان بن سعيد الدالي الذي لا يفigte أي دارس للنشاط العلمي لعلوم القرآن في الأندلس، فله من التصانيف في ذلك مقدار كبير ينم عن علم واسع ومعرفة تامة بعلوم القرآن.

٣٩٥
ومن علماء القراءات مكي بن أبي طالب، وقد عرف بالنزلة الرفيعة في علوم القرآن، وكان له إنتاج علمي نفيس يشهد له بالتبحر في تلك العلوم والدراية الناتمة بها.

وفي ميدان التفسير أظهر العديد من علماء الأندلس نبوغًا كبيرًا، ومنهم أحمد بن بقي بن محمد الذي ورد عن أبيه سعة العلم والبراعة في التفسير. كما أنه كان ملكي الآفة الذكر تأليف في التفسير تدل على سعة علمه. والعلامة محمد بن عبدالله المري كتاب في تفسير القرآن الكريم، وقد عرف عن المري تضطلع في علوم القرآن.

أما فيما يتعلق بعلم الكلام فإنه لم يوجد في الأندلس أرضاً خصبة نظراً لوقف الأندلسيين منه وسعىهم إلى تضييع الخناق على المشتغلين به، ورغم ذلك فقد عرف عن بعض الأندلسيين الاستغلال به وقد أورد الباحث عددًا منهم.

وفي ميدان الآداب واللغة كان للأندلسيين إنتاج أديب رفيع، وياتي في مقدمتهم الأديب أحمد بن عبد ربه الذي ترجع شهرته الواسعة إلى كتابه القيم «العقد».

كما أن إسماعيل بن القاسم المعروف بالقالي كان له جهود كبيرة في ازدهار الآداب واللغة، ومن أشهر تصنيفاته الذائعة الصيت كتاب «الأمالي».

ويأتي بعد القالي الأديب صاعد بن الحسن الشعبي الذي صنف كتاباً في الآداب واللغة أسماه «الفصوص» وهو من الكتب الفريدة في ميدانه، وفي الشعر برز العديد من شعراء الأندلس ياتي في مقدمتهم يوسف بن هارون الرمادي، وأحمد بن دارج القططلي الذي قيل أنه الأندلس كالنتيبي بالشرق.

وفي ميدان اللغة والنحو يلمع اسم اللغوي ابن القوطية، ومحمد بن الحسن الزبيدي، ولكن أشهرهم في ذلك ابن سيده الأعمى الذي لا تزال بعض تأليفه محظوظاً الباحثين ودارسي اللغة العربية.
وفيما يتعلق بالعلوم الإنسانية أظهر الأندلسيين مهارة فائقة في التاريخ والجغرافيا، والفلسفة. ففي الدراسات التاريخية نبغت أسرة الرازي وكان أشهراً أحمّد بن محمد الرازي الذي كانت له جهود علمية كبيرة في رقي هذه الدراسات وفي تطورها، فقد نقل عنه الكثير من العلماء وأشادوا به وجهوده في ذلك، وياتي المؤرخ ابن حيان في مقدمة من أنجبيته الأندلس في ميدان التاريخ كما يقف موقف الند مع ابن الأثير المؤرخ المغربي بما تميز به من أسلوب بديع في الكتابة التاريخية وما تميز به من قدرة على التحليل التاريخي للأحداث إضافة إلى صدقه وصراحته في إيراد المعلومات التاريخية.

وفي علم الجغرافيا يلمع اسم المؤرخ محمد الرازي الذي صنف كتاباً في التاريخ والجغرافيا أسماء الرايات والذي يحتوي الكثير من المعلومات الجغرافية المهمة. كما برز محمد بن يوسف الراوي في ميدان الجغرافيا، فكانت له تأليف قيمة في ذلك وقد اعتمد عليها من أثر بعده من الجغرافيين كالبكرى. كما برز الجغرافي أحمد بن عمر بن أنس العذري الذي صنف الكثير من الكتب الجغرافية التي للاستفادة لم يصلنا منها إلا أجزاء بسيطة. وظهر من أسلوبها العذري في الكتابة الجغرافية مدى ما تميز به من علم واسع ومعرفة كبيرة بعلم الجغرافيا.

كما أظهر بعض الأندلسيين مقدرة كبيرة في دراسة الفلسفة، ولكن نظراً لما عرف من الأندلسيين من كراهية لهذا العلم فإن حركة الإشغال به كانت بطيئة ومتعثرة، ورغم ذلك فقد أظهر الفقيه ابن حزم الظاهري قدرة مذهبة في بحث ودراسة الفلسفة، وكان له جهد بارز في الفصل بين النظريات المعرفية قبل الفيلسوف الأندلسي «كانت» الذي نسب إليه هذه النظريات على غير حق.

وفيما يتعلق بالعلوم التجريبية استطاع الأندلسيون أن يخوضوا هذا الميدان وأن يخرجوا باروع النتائج العلمية في كل علم منها. ففيما يتعلق
بالرياضيات والفلسفة نبع الكثير من العلماء ويأتي في مقدمتهم العالم الذي
الصيني مسلم بن أحمد المجريطي الذي وصف بالتمكن في الرياضيات والفلسفة
وأنه إمام الرياضيين في الأندلس إلى جانب تضلعه في الكيمياء وعلم الحيوان
والنبات وكان له في كل ذلك تصنيف قيمة وجهود رائعة. وكان المجريطي
بمثابة مدرسة تخرج منها الكثير من العلماء وفي مقدمتهم أصيب بن السمح
اللالي الذي أثني على ابن حزم وذكر عنه أنه ألف في الأزياء زيجا لم يلف
مثله، والعلامة أحمد بن عبد الله بن الصفر الذي تبقي في الرياضيات والفلسفة
وكان يلقى دروسه في جامع قرطبة. وفي ذلك دليل واضح على تغيير النظرة
القديمة نحو تلك العلوم إذ أصبحت تدرس وتبحث مسألاتها في الجامع بقروطبة
جنبًا إلى جنب مع العلوم الأخرى. كما برز علماء آخرين في الرياضيات
والفلك منهم أبو مسلم بن خلدون أخذ عنه الكثير من العلماء علمه في تلك
العلوم. وفي ميدان الهندسة أظهر عروبة بن عبد الرحمن الكرماني قدرات
كبيرة حتى وصف بانه لم يجاريه أحد في مصنفته.
وفيما يتعلق بالطب فقد أنجنبت الأندلس أعدادًا كبيرة من الأطباء ويكفيها
فحرا أنه خرج منها نابغة الجراحة الطبية وواضع أسسها الصحيحة
أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الذي أثني عليه الأطباء في عصره وما
بعده حتى وصفه أحد الكتاب الغربيين وهو ستارلي فتناول بقوله أنه هو الجدير
بلقب »أبي الطب« وأن كتابه «التصريف من عجز عن التأليف» والذي لا يزال
مخطوطا أعظم شاهد على نبوغه في الطب وبحبكة في ميدان الجراحة وأنه
بالتالي أعظم جراح في تاريخ الطب الإسلامي.
وقد ظهر إلى جانب الزهراوي الكثير من الأطباء ومنهم سليمان بن
حسان »ابن جلجل« الذي كانت له جهود مشكرية في ازدهار الدراسات
الطبية وخاصة فيما يتعلق بتكريب الأدوية ومعرفة النباتات الطبية ولا تزال
بعض تصانيفه محفوظة إلى يومنا في بعض الكتبات الإسلامية، ومنع عاش في ذلك العصر الطبيب عرب بن سعد الذي أظهر براءة في ميدان طب الأطفال بما صنفه في ذلك، فقد ألف كتاب «خلق الجنين وتدبير الحبالي والمولود» وفيه الكثير من الدراسات الطبية القيمة التي تثبت ما كان عليه من دراية واسعة بالطب وتضطلع في علومه وخاصة ما يتعلق بالأطفال.

وأظهر الم),$العالمية عباس بن فرنسا من علماء عصر الإمارة نبوغا في ذلك وكانت له تجارب مهمة ولكن عصره اتسم بالنظرة المحدودة نحو ذلك العلم فكان لا يمارس نشاطه العلمي في الكيمياء إلا في الخفاء. وفي عصر الخلافة غل اسم العلامة مسلمة المجربزي الذي صنف كتابا في ذلك اسمه (رتبة الحكيم) ضمته الكثير من تجاربه العلمية التي تشهد له بطول الباع كما ضمن كتابه المذكور الكثير من الإرشادات والتوجيهات لدراسة الكيمياء. وفي كتابه الآخر غاية الحكيم الكثير من الدراسات المتعلقة بالكيمياء مما يثبت بلائده ما كانت عليه حال الدراسات الكيميائية في ذلك العصر وأنها نالت الكثير من الجهد وليقت عناية واهتمامًا بالغين.

وإلى جانب مسلمة عرف عن العلامة عبد الله بن محمد السري الاشتغال بالكيمياء، وكان الخليفة الحكم المستنصر يقره ويبدع منزلته، كما وصف عبد الله بن محمد الذهبي بالبراعة في دراسة الكيمياء والبحث في مسائلها.

وما من شك أن المختصين بالطب وتركيب الأدوية هم أكثر حاجة إلى معرفة الكيمياء لصلتها الوثيقة بتركيب الأدوية، وهو ما نعلمه عند تصفحنا لكتاب الزهراني «التصريف» فقد أفرد مقالة في إصلاح الأدوية وحرق الأحجار المعدنية.

- ۳۹۹ -
وهكذا يتضح لنا مدى عناية الأندلسيين بالعلوم والآداب وما أملوها من اهتمام حتى تم لهم الوصول إلى درجة كبيرة في تلك العلوم، فكان لهم فيها إنتاج علمي نفيس لايزال بعضه بين أديتا رغم ما أصاب الكتب الأندلسية من كوارث الكثير منها كان متمتعا حتى قال أحد الكتاب الغربيين وهو كونديه (Conde) إن الإنسان عندما استولوا على قرطبة احرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب فيها ما يزيد عن مليون وخمسين ألف مجلد (انظر: أثر الرفاعي، الإنسان العربي والحضارة، ص 164). فضلا عن ذلك بعد ذلك عند خروج المسلمين من الأندلس من إحراق مئات الآلاف من الكتب عند باب الزمل بغرناطة بأمر الكرنفال تسنيروس الذي لم يكن له من دافع نحو ذلك سوى حقده على الإسلام والمسلمين والتراث الإسلامي.

والجدير بالذكر أن من شواهد النهضة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس مدى التأثير العلمي للأندلسيين في أوروبا آنذاك. وأن من يطلع على كتب الحضارة الأندلسية ليقف بجلاء على عمق التأثير العلمي للأندلسيين في أوروبا، فبأه الكتب الغربيين وهو لويس يونغ يشير في كتابه العرب وأوروبا 160 إلى ذلك بقوله (شهد القرن العاشر انتقال العلم العربي بصورة مبكرة إلى اللورين مما جعلها مركزا ثقافيا هاما ل مدته قرنين). وفي ذلك إشارة هامة إلى سرعة التأثير العلمي للأندلس في أوروبا وأن ذلك لم يكن متأخرا بل كان في فترة مبكرة.

وإذا كانت قرطبة قد استقبلت آلاف العلماء وطلاب العلم من المسلمين فإن التاريخ لم يغفل عن حفظ أسماء الكثير من الأوربيين الذين أدهشتهم حضارة الأندلس وما وصلت إليه من ازدهار علمي فاقبوا يهلوون من معين علومهما وأدابها المختلفة. وكانت الأندلس آنذاك - وخاصة عاصمتها قرطبة - سوقا

- ٤٠٠ -
نافقة في العلم فجذبت الأوروبيين نحوها وهو أمر اعترف به الكتاب الغربيون كريغريد وونكة، وستانلي لين بول، ورويم لايند، وليون تونغ، وغوستاف لوبن. ففي كتابه: العرب وأوروبا (ص 125) يشير يونغ إلى أن العلامة المسيحي جيربرت GERBERT البابا سلفستر الثاني - قد عاصر النهضة العلمية في الأندلس وأنه سافر بين عامي 977 و 999 م إلى هناك حيث درس العلوم على أيدي علماء الأندلس في فرع في الرياضيات وألف فيها حين عودت كتابه شرح فيه استخدام الأرقام العربية. إلا أن الأوروبيين لم يطلبوا إلى سيرته لاحتكاكه بالمسلمين ونسجوا حوله الأساطير المختلفة.

ويشير ماهر حماد في كتابه (المكتبات في الإسلام) ص 126 إلى أن الإمبراطور أتو الكبير أرسل بعثة سياسية إلى الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة (342 هـ / 955 م) وكان على رأسها شخص يسمى جان غورنتز اللوريني وحدث أن شد انتباهه الادهان العلمي الذي كان سائدا في الأندلس آنذاك فتمكنت في تربتي وغيرها تعلم فيها اللغة العربية وفي عدته إلى ألمانيا سنة (345 هـ / 958 م) حمل معه كتابة كبيرة من الكتب، ويظهر أن أكثرها كان في العلوم التطبيقية وخاصة الرياضيات ويدل على ذلك الادهان الكبير في دراسة تلك العلوم في القرن التالي (الحادي عشر) في مدارس مقاطعة اللورين. وعليه فإن ما ذكرناه من الأمثلة على ظاهرة التأثر العلمي للأندلس في أوروبا إنما هو شيء قليل من كثيرة وهو بالشكل أبهران ساطع على ما كانت تتمتع به الأندلس من حضارة زاهرة وتفكر عظيم.

وإذا كان عصر ملوك الطوائف يفخر بما حاوه من نشاط علمي كبير فإن الكثير من الفضل في ذلك يعود إلى عصر الخلافة. فكم هو معلوم أن جزيرة آنذاك كانت تمثل حاضرة الخلافة وأنها بذلك قد استقطبت العلماء من شتى
بلاد الأندلس بل ومن خارجها فقد كانت مزداتا بنمذجة الحضارية وتألقها العلمي حتى أصبح العلم سمة من سماتها الحضارية وعلماً واضحًا من معالمها. وبعد رؤى الخلافة الأموية وحدود الفتنة في قرطبة خرج منها آلاف العلماء إلى غيرها من المدن الأندلسية الأخرى التي توفر فيها مظهر الاستقرار والأمن الذي يكفل لهم الانصراف التام نحو البحث والتحصيل العلمي، وهو ما وجدوه في رحاب ملوك الطوائف الذين رحبوا بمقدمةهم وأخذوا في تشجيعهم واغاثة الصالات عليهم مقابل ما يبذلونه من جهود علمية.

هذا بالإضافة إلى ما ترتب على حصول الفتنة في قرطبة من تفرق الكتب العلمية وانتشارها في كافة أقطار الأندلس وخاصة بعد تفرق محتويات مكتبة الحكم المستنصر وما نجم عن ذلك من توسيع دائرة الاهتمام العلمي بالكتب في مختلف أنحاء الأندلس بعد أن كان النشاط العلمي مركزًا في قرطبة عاصمة الخلافة.

وبناء عليه فإن عصر الخلافة كان يمثل بحق عصر العلم الذي كان له بلا ريب أثر كبير فيما تلاه من نشاط وازدهار كبير في عصر ملوك الطوائف.

وأخيراً فإن ما قدمه الأندلسون في عصر الخلافة يعد بصدق صفحة مشتركة من صفحات التاريخ والحضارة الإسلامية تبرز قيمتها فيما أسود الإنسانية من ثمرات الفكر العلمي التي لا تزال آثارها واضحة المعالم بيئة الآثار في حضارة اليوم وتشهد المسلمون بعظم الفضل وروعذة العطاء في تقديم الحضارة الإنسانية.
الملاحظات
ملحق رقم (1)
رسالة ابن حزم في فضل الأندلس

قلت: وقد رأيت أن ذكر رسالة أبي محمد ابن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل علماء الأندلس، لاشتمالها على ما نحن بصدد، وذلك أنه كتب أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الريب القرواني إلى أبي المغيرة عبدالوهاب بن أحمد بن عبدالرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمنا وسائر فضائلهم وسير ملوكهم، ما صورته:

كتبت يا سيدي، واجعل عدي، كتب الله تعالى لك السعاده، وأدام لك العز والسيادة مسائلا مسترشدا، وعذب مستنبرا، وذلك أني فكرت في بلادكم إذ كانت قرارة كل فضل، ومنه كل خير، ومقصدم كل طرره، ومورد كل تحفة، وغاية آمال الراغبين، ونبيا أماني الطالبين، أن بارت تجارة فإليها تجلب، وإن كسبت بضاعة ففيها تنفق، مع كثرة علمنا ووفر أدبنا وجلالة ملوكها، ومحببهم في العلم وأمه، يعظمون من عظمه علمه، ويرفعون من رفعه أديبه، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب، يقدمون من قدمته شجاعته، وعظمت في الحروب نكاية، فشجع الجبان، وأقدم الهمبان، ونبيا الشام، وعلم الجاهل، ونطق العبي، وشعر البكي، واستنسر البغاء، وتتبع الحفات، فتنافس الناس في العلم، وكثر الحذاق في جميع القرون، ثم هم من ذلك على غاية التقصير ونهاية التفريط، من أجل أن علماء الأمصار دونوا فضائل أمصارهم، وخلدوا في الكتاب مثاير بدانهم، وأخبار الملوك والأمراء، والكتاب والوزراء، والقضاء والعلماء، فاقتبوها ثم ذكرنا في الغابرين يتجرد على مر الليالي والأيام، ولسان صدق في الآخرين يتأكد وصرف الأعوام، وعلماكم.

المقرئ: نفح الطيب، ج 2، ص 156، 179، 405.
مع استظهارهم على العلوم كل أمر، منهم قائم في ظله لا يبرح، ورئب على كعبه لا يتزحزح. يخفف إن صنف أن يعرف، وإن عرف أن يكافح، ولا يؤلف، أو يخطف الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، لم يتعبد أحد منهم نفسه في جمع فضائل أهل بلده. ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكة ولا بل قلما بمناقب كتابة ووزرائه، ولا سود قرطاسيا بمحاسن قضائه وعلمانه، على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال من لسانه. وبسط ما قبض الإحساس من بيانه، لوجد للقول مساغا، ولم تضيق عليه المسالك، ولم تخرج به المذهب ولا أشتبه عليه المصادر والموارد، ولكنهم أظهروا أن طالب شأى من تقدمه من العلامة ليجوز السبق، ويفوز بقدح ابن مقبل، وياخذ بكف دغل، ويصير شجا في حلق أبي القميل، فإذا أدرك بغيته، واحترمه منيته، ومن معه أحب به عمه، فمئات ذكره، وانقطع خبره، ومن قدمتنا ذكره من علماء الأموار أحتلوا لبقاء ذكراه.

احتيال الاعتقاس، فاقوا دعاوى بميهم بها ذكر مجدد طول الأبد.

إذا قلت: إنه كان مثل ذلك من علمائنا، وألقوا كتبنا لكنها لم تصل إليكم، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق، لأنهم ليس بتنا وبيتنكم غير روحية راكب، أو رحلة قارب، لو نفت من بلدكم مصدر، لا سمع من بلدنا في القبور، فضلا عنك في الدور والقصور، وتبغوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد، على أنه يلحق فيه بعض اللوم، لاسيما إذا لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده، ومناقب ملوكة يتبنيه سلكه، أكثر الحز واخطأ الفصل وأطل الهز لسيف غير مصدق، وعقبه ما يقدر بأصحابه من ترك ما يعنيهم، واغفال ما يهمهم، فارشد أخاك أرشدك الله وأهده هداك الله إن كانت عندك في ذلك الجليل، وبيدك فصل القضية، والسلاح عليك ورحمة الله وبركاته.

(1) انظر ميدان الأدب وازدهاره في عصر الخلافة.
فكتب الوزير الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه:
الحمد لله رب العالمين، صلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الأكرمين، وأزواجه أممات المؤمنين، وذرية الفاضلين الطيبين.
أما بعد يا أخي يا أبا بكر، سلام عليك سلام. أخ مشوق طالت بينه وبينك الأماني والفراسخ، وكذرت الأيام والليالي، ثم لقيك في حال سفر ونقلة، ووافق في خلال جولته ورحلته، فلم يقض من مجاورتك، ولا بلغ في محاورتك مطلبًا، وأتي ما أحتلت بك وجهتي في مكان كتب، ومضمون دراويك، ملحت عيني في تضاعيفها درجا، فتاملته فإنه فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاصيني في الدار أهل أفريقيا، ثم من بقية حاضرة قريبانهم، إلى رجل أندلسى لم يعينه باسمه، ولا ذكره بنسبه، وينكر له فيها أن علماء بلدنا بالأندلس، وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفائين العلم، وفي الخالصة القصوى من التحكم على وجود المعارف، فإن همهم قد قصر عن تخليد ماثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضايتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم، ثم تعود ذلك إلى أن أخل الأرباب العلم منا من أن يكون لهم تأليف يحي ذكرهم، ويبقى علمهم، بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فذن علمه معه، وحقق ظنه في ذلك، واستدل على صحته عند نفسه بأن شيئا من هذه التأليف لم كان منا موجودا لكان إليهم منقولا، وعندهم ظاهرا لقرب المزار، وكثرة السفارة، وترددتهم إليهم، وتكبرهم علينا، ثم لما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، والمشهد الآله بالأنواع العلم، والنصير المعصور بإفائات الفضائل، وال منزل المحفوف بكل طليعة وسعة من دقيق المعاني وجليل المعالي، قرارة المجد ومجلب السديد، ومحط رجال الخائنين، وملقي عصار التسيار عند الرئيسي الأجل الشريف قديمه، وحسبه الرفيع.
حديثه ومكتسبه، الذي أبلغه عن كل خطة يذكره فيها من لا توازي قومته نومنه، ولا يتأمل حضرته هويناه، وأربعاً به عن كل مرتية يلحقه فيها من لا يسمو إلى القدر سموه، ولا يدنو من المعالي دنوه، ولا يعلو في حجيد الخلال علوه، بل اكتفى من مده باسمه المشهور، واجتاز من الإطالة في تقرينه بمنتهى المذكور، فحسب بذ nok المولين دليلاً على سعيه المثير، وفضله المشهور، أبي عبدالله محمد بن عدالله بن قاسم صاحب البوتي أطل الله بقاءه، وأدام اعتلاءه، ولا عدل المامدين من تفكيهم بحلاه، ولا أخيل الأيام من تسينها بعلاه، فرأيت معي الله تعالى حريصاً على أن يجاوب هذا المخطوب، ورغباً في أن يبين له ما لعله قد رأه فنسى أو بعد عنه ففخري، فتناول الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخطوب قد مات رحمنا الله تعالى وإياه، فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابل له مغنية، فلستنا بمسعين من في القبور، فصرفت عن الخطاب إليه، إذ من قبل صبرت إلى الكتاب المجاوي عنه، ومن ذلك وصلت إلى الرسالة المعارضة، وفي وصول كتابي على هذه الهيئة حينما وصل كفاية لمن غاب عنه من أخبار تأليف أهل بلدة مثل ما غاب عن هذا الباحث الأول، والله الأمر من قبل ومن بعد، وإن كنت في إخباري إياك بما أرسمه في كتابي هذا كمهد إلى البركان نار الحساب، وباتي صوب في مهج القصد اللاعب، فإنك وإن كنت المقصود والمرجع، وإنما المراد من أهل تلك الناحية من نأي عنه علم ما استجلبه السائل الماضي وما توقيفي إلا بالله سبحانه.

فاناً متأثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتاب
جمهور منها: كتاب ضخم ذكر فيه مسائل الأندلس ومراسليها، وأمهات مدناها
وجمالها الستة، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره، وهو
- ٤٠٨ -
كتاب مريج مليح (1)، وآنا أقول: لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله ﷺ يبشر
به ووصف أسلفنا الماجدين فيه بصفات الملوك على الأسرة في الحديث الذي
رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أمر حرام بنت ملحان زوج
أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه فمنهم أجمعين حدثته به عن
النبي ﷺ أنه أخبرها بذلك لكفف شرفها بذلك يسر عاجله، وينبغي أن نعلمه، فإن
قال قائل: فجعله صلوات الله تعالى عليه إذا عن ذلك الحديث أهل صقلية
واقترافش، وما الدليل على ما أدعه من أنه ﷺ عن الأندلس حتى؟ ومثل
هذا من التأويل لا يتسلجم فيه ذو وع شين وبرهان واضح، وبيان لائحة، لا
يحمل التوجيه ولا يقبل التجريح، فالجابر - وبالله التوفيق - أنه ﷺ قد أودى
جوم الكلم وفصل الخطاب، وأمر بالبيان ما أوجهي إليها، وقد أخبر في ذلك
الحديث المتصلى سنة بالعدل، عن الدول بطاائفين من أمه يركبون ثبب هذا
البحر غزاة واحدة بعد واحدة، فسألته أم حرام أن يدعو وجه تعالى أن يجعلها
منهم، فأجابها ﷺ وخبره الحق بأنها من الأولين، وهذا من أعلام نبوته ﷺ،
وهو إخباره بالشيء قبل كونه، وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من
الغزاة إلى قبرص، وخرج عن بغلتها هناك، فتوافيت رحمه الله تعالى، وهي
أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقين أن الغزاة إلى قبرص هم
(الآلوتون الذين يبشر بهم النبي ﷺ، وكانت أم حرام منهم كما أخبر صلوات
الله تعالى وسلم Był عليه، ولا سبيل أن يظن به وقد أودى من البلاغة والبيان أنه
يذكر طائفتين قد سمى إحداهما أولى والتالية لها ثانية، فهذا من باب الإضافة
وتكرير العدد، وهذا يقتضي طبيعة صناعة المنطق، إذ لا تكون الأولى أولى إلا
ثاني، ولا الثانية ثانية إلا أولى، فلابنابيل إلى ذكر ثالث إلا بعد ثان ضرورة،
وهو، ﷺ، إنما ذكر طائفتين وبشر بفضتين وسمي إحداهما الأولين،

(1) انظر الحديث عن هذا العالم في ميدان التاريخ والجغرافيا في عصر الخلافة.
فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين، والآخر من الأول هو الثاني الذي أخبر
بأنه خير القرن بعد قرته، وأولى القرنين بكل فضل بشهادة رسول الله صلى
بنته خير من كل قرن بعده، ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبدالملك
إلى القسطنطينية، وكان الأمير بها في تلك السفن هبيزة الفزارى، وأما
صقلية فإنها فتحت صدر أيام الأغالبية سنة 212، أيام قاد إليها السفن غازيا
أسد بن الفرات القاضي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى، وبها مات،
وأما أقريطش فإنها فتحت بعد الثلاث والمائتين، افتتحها أبو حفص عمر بن
شعبيع المعروف بابن الغليظ، من أهل قرطبة بطرق من عمل فحص البلوط
المجاور لقرطبة من بلاد الأندلس، وكان من فل الريضيين، وتناولها بنوه بعده
إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنى في أيام عمرانوس بن
قسطنطين ملك الروم سنة 305، وكان أكثر المفتتحين لها أهل الأندلس، وأما
في قسم الأقاليم فإن قرطبة مسقط رأسنا، معق تماينة، مع سر من رأى
في أقليم واحد، قلتنا من الفهم والإذكاء ما اقتضاه إقليمنا، وإن كانت الأنوار لا
تأتينا إلا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور، وذلك عند البحرين للحكم
التاج عليها الكواكب ناقص من قوى بلاتها، فإنها من ذلك على كل حال
حظ يفوق حظ أكثر البلاد، بارتفاع أحد الثيرين بها تسعين درجة، وذلك من
أدلة التمكن في العلوم والتفاض فيها عند من ذكرنا، وقد صدق ذلك الخبر،
وابنائه التجربة، فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات وحفظ
كثر من الفقه والبصر والتحو والشعر واللغة والخبر والطقب والحساب والنجوم
بمكان رحب الفناء واسع العمق متنائي الأقطار فسيح المجال، والذي نعاه
علينا الكاتب المذكور له كان كما ذكر لنا فيه شركاء لأكثر أمهات الحوائر
وجلالة البلاد ومتسعات الأعمال، فهذه القريبان بلد الخاطف لنا، ما أذكر
أني رأيت في أخبارها تأليفها غير «المغرب» عن أخبار المغرب» وحاشيا تواليف
- 410 -
محمد بن يوسف الوراق، فإنه ألف للمستنصير رحمه الله تعالى في مسائل أفريقية وممالكها ديوانًا، وفي أخبار ملكها وحروبهم والقائمين عليهم كتب جمة، وكذلك ألف أيضًا في أخبار تيهر وهران ورباس وساسيماه ونكر والبصرة وغيرها تواليف حسانا، ومحمد هذا أندلسي الأصل والفرع أباؤه من وادي الحجاز، ومدفنه بقبرطة، وهجرته إليها، وإن كانت نشأته بالقروان(1).

ولا بد من إقامة الدليل على ما أشار إليه هاهنا إذ مرادنا أن نأتي منه بالطلب فيما يستانت إن شاء الله تعالى، وذلك أن جميع المؤرخين من أشباه السلفي والباقيون دون محاشاة أحد بل قد تيقنا اجتهامهم على ذلك، متفقون على أن ينسوبا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكانها إلى أن مات، فإن ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عليهم صدروا بعلي وأبن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم، وإنما سكنوا الكوفة خمسة أعوام وأشهرًا، وقد بقي 88 عامًا وأشهرًا بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى وكذلك أيضًا أكثر أعوام من ذكروا، وإن ذكروا البصريين بدأوا بعمران بن حصن وأنس بن مالك وهشام بن عامر وأبي بكرة، وهماء موالدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف، وجمهورة اعماارهم خلت هنالك، وإن ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وأبي الدرباء وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية، والتمر في هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم، وكذلك في المصريين عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدو، وفي المكينين عبد الله بن عباس وعبد الله ابن الزبير، والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا، فمن هاجر إلينا من سائر البلاد فنحن أحق به، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا الذين اجتمعهم فرض اتباعه، وخلقه محرم اقترانه، ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظ لنا فيه، والمكان الذي اختاره أسعد به.

(1) انظر الحديث عن ذلك العالم وكتبه في ميدان التاريخ والجغرافيا في عصر الخليفة.
فَكَمَا لَا نَدْعُ اسْمَاعِيْلَ بْنَ الْقَابِسٍ (۱) فَكَذَلَكَ لَا نَتَناَعُ فِي مُحَمَّدٍ بْنَ هَانِيٍّ (۲) سَوَانَا، واَلْعَدَّلُ أَوْلِيَاءُ مَا حَرَصُ عَلَيْهِ، وَالنَّصْفُ أَفْضِلُ مَا دَعَى إِلَيْهِ، بَعْدَ الْتَفَقِّيْلَ الَّذِي لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ، وَعَلَى مَا ذَكَّرَاهَا مِنَ الإِنْسَاقِ تَرَاضِيِ الْكَلِّ.
وَهَذِهِ بَغْدَادُ حَاضِرَةُ الدِّينِ وَمَعْدُنُ كُلِّ فَضْيَةِ، وَالْمَلِكَةُ الَّتِي سِبَقَ أَهْلُهَا إِلَى حَمْلِ أَلْوَآِيِّ الْمَعَارِفِ، وَالْتَدْقِيقِ فِي تَرَمْشُ الْعُلُومِ، وَرَايَةِ الأَلْحَاقِ وَالْنَبَاهَةِ، وَالذَّكَاءِ وَجَدَةُ الأَفْكَارِ وَنِفَاذُ الخَوَاطِرِ، وَهِذَهِ الْبَصِرَةُ وَهِيَ عِنْ المَعْمُوْرِ فِي كُلِّ ما ذَكَرْنَا، وَمَا أَعْلَمُ فِى أَخْبَارِ بَغْدَادٍ تَأْلِيفًا غَيْرَ كِتَابٍ أَحْمَدٍ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ وَأَمَا سَائِرُ التَّوْارِيْحُ الَّتِي أَلْفَهَا أَهْلَا فَلُمْ يَخْصَصُوْنَ بِهَا دُنْ سَائِرِ الْبَلَادِ ولا أَعْلَمُ فِى أَخْبَارِ الْبَصِرَةِ غَيْرُ كِتَابٍ مَلِكٍ بْنَ شَبْهٍ وَكِتَابٍ لَرْجَمِ مِنْ وَلِدِ الرَّبِيعِ ابْنِ زَيَادٍ الْمَنْسُوبِ إِلَى أَبِي سَفِيْنَ فِى خُطْطِ الْبَصِرَةِ وَقَطْعَائِها، وَكِتَابٌ بِنَسْبِ أَرْمَيْنِيَّةٍ وَأَذَرِيْجِيَّةٍ وَأَيْنُكَ المَلَاكُ البَكْرَى الْمَضْحَمَةُ فَلَا أَعْلَمُ فِى شَيْءٍ مِنْهَا تَأْلِيفًا قَضِيدَ بِهِ أَخْبَارُ مُلُوكِ تَلَّكَ النَّواَيِ، وَعُلَمَائِهَا وَشُعُورَاهَا، وَأَطْبَائِهَا، وَلَقَدْ تَأَقَّتَ النُّفُوسُ إِلَى أَنْ يَتَصِلُّ بِهَا تَأْلِيفٌ فِى أَخْبَارٍ فَقِهَاءٍ بَغْدَادٍ، وَمَا عَلَمَاهَا عَلَّمُ، عَلَى أَنْهُمُ الْعَلَّمَاءُ الرَّؤْسَاءُ، وَالْأَكَابِرُ العَظَمَاءُ، وَلَوْ كَانَ فِى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَأْلِيف لُكَانَ الحَكَمُ فِى الأَلْغَاءِ أَنْ يَلَغَنُ كَمَا بَلَغَ سَائِرُ تَأْلِيفُهُمُ، وَكَمَا بَلَغَنَا كِتَابُ حَمَّزَهُ بَنَّ الْحَسَنِ الْأَصِبَهَانِيِّ فِى أَخْبَارِ أَصِبَهَانِ، وَكِتَابُ المُوْصِيِّ وَغَيْرُهُ فِى أَخْبَارِ مَصرَ، وَكَمَا بَلَغَنَا سَائِرُ تَوَالِيفُهُمُ فِى أَنْحَاءِ الْعُلُومِ، وَقَدْ بَلَغَنَا تَأْلِيفُ الْفَقَاهِي بَنِي الْعَبَاسِ مُحَمَّدُ بْنُ عِبْدُوْنَ الْقِيَوَانِيِّ فِى الْشَّرْجَةِ وَاْتَّعَرَّضَهُ عِلْى الْشَافِعِيِّ رَحْمَهُ خَالِدًا، وَكَذَكَّلِ بَلَغَنَا رَدُّ الْفَقَاهِيِّ أَحْمَدُ بْنُ طَالِبِ الْتَمْمِيِّ عِلْى أَبِي حُنَيْفَةِ (۲) انْتَظِرُ تَرِجُمَةَ هَذَا الْأَلْبَابِ الْلَّغَيْرِ فِى مِيْدَانِ الْأَلْبِ وَاللَّغَةِ فِى عَصَرِ الْخَلَافَةِ.
(۱) انتَظِرُ تَرِجُمَةَ هَذَا الْأَلْبَابِ الْلَّغَيْرِ فِى مِيْدَانِ الْأَلْبِ وَاللَّغَةِ فِى عَصَرِ الْخَلَافَةِ.
(۲) انْتَظِرُ الحَدِيثَ عَنْ هَذَا الْشَاعِرِ فِى بَابِ الْشَعْرِ فِى عَصَرِ الْخَلَافَةِ
وتشيعه على الشافعي، وكتب ابن عباس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوام.rnn

وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به مثل السائر. أزهد الناس في عالم أهله. وقرأ في الأنجيل أن عيسى عليه السلام قال: لا يفقد النبي حرمته إلا في بلده. وقد تبقينا ذلك بما لقي النبي. كل، من قريش وهم أوفر الناس أحلاما وأصبحهم عقولا وأشدهم تثبيتا مع ما خصوا به من سكنائهم أفضل البقاع، وتغذيتهم بأكرم الميا. حتى خص لله تعالى الأرض والخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس، والله يؤتي فضله من يشاء، ولا سيما ابن حسننا فإنها خصت من حسن أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناتهم، وتتبعهم سقطاتهم وعثراتهم، وأكثر ذلك مدة حياتها، بضائع ما في سائر البلاد، إن أجاد قالوا: سارق مغير ومنتجل مدع، وإن توسط قالوا: غبار بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيتا لقصب السباق قالوا: متي كان هذا؟ ومتى تعلم؟ وفي أي زمان قرأ؟ ولأمه الهبل. وبعد ذلك إن واجه به الأقدار أحد طريقين إما شغوفا بانثا يعيده على نظاره أو سلكوا في غير السبيل التي عهدوها فهناك حمي الوطيس على البائس وصار غريضاً للأقوال وهداه للمطالب ونصبها للإنسا. وعشرة للطرق إلى عرشه، وربما نحل ما لم يقل ووطوق لم يتقلد والحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه. وبالحرى وهو السابق المبرز إن لم يتعلق من السلطان بحث أن يسلم من المتنافر وينجوم من المخلاف، فإن تعرض لتحليف غمز ولون وتعرض وهم وانتشار عليه وعلم يسب خبئه، واستشعرين، حين سقطه وذهب محاسه ودستت فضائله ونهض ونودي بما أغلق، فتنكس لذلك همه وتكمل نفسه وتبدر حميته، وهكذا عندما نسب من ابتداً يحوك شاعراً، أو يعمل رسالة، فإنه لا يقلت من هذه الحبال، ولا يخلص من هذه النصب إلا الناهض الفائز والمتفنف المستولي على الأمة.

- ٤١٣ -
وعلى ذلك فقد جُمع ما ظنه الطائع غير مجموع، وألفت عزدنا تأليف في
غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها: فمنها كتاب "الهداية" لعبيسي بن
دينار(1)، وفي وقعت كيف جمعت في عتنا على مذهب مالك وابن القاسم،
وجمعها المعاني الفقهية على المذهب، فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب
الجدار في الأقضية وكتاب النكاح والطلاق، ومن الكتب المالكية التي ألفت
بالأندلس كتاب القطني مالك بن علي(2)، وهو رجل قرشي من بني فهر لقي
 أصحاب مالك وأصحاب أصحابه، وهو كتاب حسن فيه غزارة ومستحسنات
من الأسرائل المولدات، ومنها كتاب أبي إسحاق يحيى بن إبراهيم بن مزين(3)
في تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعاني الموطأ وتوصول مقتطعاته من تأليف
أبي مزين أيضاً، وكتابه في رجال الموطأ وما مالك عن كل واحد منهم من
الأثاث في موطأه.

وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بن مخلد(4) فهو الكتاب
الذي أقطع قطعا لا استثنا فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا
تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره. ومنها في الحديث مصنف الكبير
الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فروى فيه عن ألف
وثلاثمائة صاحب ونفي، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب
الأحكام فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحدهم. ومع ته وضطه
واتقانه واحتفاله في الحديث ووجهة شيوخه، فإنه روى عن مائتين رجل وأربعة
وثمانين ريال ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير، ومنها
مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أرى فيه على مصنف

(1) فيRYPT الحدث عن هذا الفقه وكتابه المتذكر في باب الفقه في عصر الخلفاء.
(2) فيRYPT الحدث عن هذا الفقه وكتابه في شرح الموطأ في باب الفقه في عصر الإمارة.
(3) فيRYPT الحدث عن هذا الفقه وكتابه في شرح الموطأ في باب الفقه في عصر الإمارة.
(4) فيRYPT الحدث عن هذا العالم في باب التفسير في عصر الإمارة.

٤٤٣ - ٤٤٣
أبي بكر ابن أبي شيبة ومصنف عبدالرزاق بن همام ومصنف سعيد ابن منصور رغيرة وانتظم علماء عظيما لم يقع في شيء من هذه فصلات تأليف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لنظر لها، وكان متخيرا لا يقل أحدا وكان ذا خاصية من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه(1).

ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجازي، وكان شافعي الذهب بصيرا بالكلام على اختياره، وكتاب القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد، وكان داردي الذهب قويأ على الاختصار له، وكلاهما في أحكام القرآن غابة، ولنذكر مصنفات منها كتاب «البيان عن حقائق أصول الديناء»(2).

ومنها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبدالملك بن أبي(3)، وهما مصنفان رفيعان احتوتا من صحيح الحديث ورغببه على ما ليس في كثير من المصنفات ولقاسم بن أصبغ هذا تأليف حسان جدا، منها أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل وكلاهما ومنها كتاب «المجتبي على أبواب كتاب ابن الجارود المتتلى» وهو خير منه وأ تنقى حديثا وأعلى سنة وأكثر فائدة، ومنها كتاب في فضائل قريش وكتانه، وكتابه في الناسخ والمنسوخ، وكتاب غليل حديث مالك بن أسس مما ليس في الموطأ، ومنها كتاب «التمهيد» لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبدالبر(4)، وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة، وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث منه أصلا فكيف أسعد منه، ومنها كتاب «الاستذكار» وهو اختصار التمهيد المذكور، ولصاحبنا أبي عمر ابن عبدالبر

(1) انظر الحديث عن تأليف هذا العالم في باب علم الدين وخاصة الحديث والتفسير.
(2) انظر الإشارة إلى كتابه في أحكام القرآن في باب التفسير في عصر الخلافة.
(3) انظر الحديث عنه ومن تأليفهما في باب الحديث في عصر الخلافة.
(4) انظر الحديث عن هذا العلماء وتأليف المخالفة في باب الفقه والحديث والتاريخ في عصر الخلافة.

- 415 -
المذكور كتب لا مثيل لها: منها كتابه المسمى بالكافى في الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمس عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالفقي الحاجة إليه ويوبه وقربه فصار مغنية عن التصنيفات الطوال في معتناه، ومنها كتابه في الصحبة ليس لأحد من التقدمين مثله على كثرة بما صنفوا فيها، ومنها كتاب الاكتفاء في قراءة ثانع وأي عمر وابن العلاء، والحجة لكل واحد منها، ومنها كتاب بهجة المجالس وأ/autoconference المجالس مما يجري في المذاكرات من غير الأبيات وتوادر الحكايات، ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته، ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال، ولم يبلغ عبدالغني الحافظ البصري في ذلك إلا كتابين، وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم منه في فتحه البتة، ومنها تاريخ أحمد بن سعيد (2)، وما وضعت في الرجال أحد مثله إلا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي، ولم أره، وأحمد بن سعيد هو المتقدم إلى التأليف القائم في ذلك، ومنها كتب محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرح القاضي (3)، وهي كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهرى، وما يتعلق بذلك شرح الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي (4)، فما شاه أبو عبيد إلا يتقدم العصر فقط، ومنها في الفقه الواضحة (5) والمالكين لا يتناثر بينهم في فضلها واستحسنهم إياها ومنها المستخرج من الأسمعة، وهي المعروفة ب-

(1) انظر الحديث عن هذا العلماء في باب الحديث في عصر الخلافة.
(2) انظر أيضا عن هذا العلماء وكتابه في باب الحديث في عصر الخلافة.
(3) انظر ترجمة هذا العالم في باب الحديث في عصر الخلافة.
(4) انظر الحديث عن هذا العلماء في باب الحديث في عصر الأمة.
(5) انظر الحديث عن هذا الكتاب في باب الفقه في عصر الأمة.
العتبية»، ولها عند أهل أفريقية القدر العالي الطيران الحثيث، والكتاب الذي جمعه أبو عمر أحمد بن عبدالمك بن هشام الإشبيلي المعروف بابن المكي، والقرشي أبو مروان المعيطي (1) في جمع أقاويل مالك كله على نحو الكتاب «البار» الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن الحداد البصري أقاويل الشافعي كلها، ومنها كتاب «المتخب» الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة (2) وما رأيت لمالك قط كتابا أتيل منه في جمع روايات المذهب وشرح مستنقعها وتقريع وجوها، وتاليه قاسم بن محمد (3) المعروف بصاحب الوثائق، وكلها حسن في معناها، وكان شافعي المذهب نظارا جاريا في ميدان البغداديين.

ومنها في اللغة الكتاب «البارع» الذي ألفه إسماعيل بن القاسم (4) يحتوي على لغة العرب، وكتابه في المقصر والمعروض والمهموم لا يؤلف منه في بابه وكتاب «الأفعال» للعثيم بن عمر بن عبدالميز المعروف بابن القوطية (5) بزيادت ابن طريف مولى العبابين فلم يوضع في فنه منه، وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن النقاني (6) في اللغة لم يؤلف منه اختصارا وإكتارا وثقة نقل وهو أظن في الحياة بعد. وهنالك قصة لا ينبغي أن تخلو رسائلنا منها، وهي أن أبا الويلد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثي أن أبا الجحش ماجاهه صاحب الجزائر ودانية وجه إلى أبي غالب أيام غلبه على مرسية، وأبو غالب مساقن بها - ألف دينار.

(1) انظر ترجمة هذين العالمين في باب اللغة في عصر الخلافة.
(2) انظر الحديث عن هذا الفقه في باب اللغة في عصر الخلافة.
(3) انظر الأشارة إلى هذا الفقه في باب اللغة في عصر الأموية.
(4) انظر تاليه في باب الأدب واللغة في عصر الخلافة.
(5) انظر ترجمة هذا العالم في باب اللغة والتاريخ وعن كتابه المذكور انظر باب اللغة في عصر الخلافة.
(6) انظر الحديث عن هذا اللغوي في باب اللغة في عصر الخلافة.
أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش ماجدة فرد الدنانير وأبي من ذلك ولم يفتح في هذا بابا النهار. وقال:
(وأله له بنذو لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكتب، لأنني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب)، فاعجب لهذه هذا الرئيس وعُنها، وأعجب لنفس هذا العالم ونزايتها.

ومنها كتاب أحمد بن إبان بن سيد(1) في اللغة المعروف بكتاب «العالم» نحو مائة سنة في الأجناس في غاية الإعجاب، بدأ بالفلك وخشتم بالذرة، وكتاب «النوادر» لأبي علي إسماعيل بن القاسم، وهو مبهر لكتاب الكمال لإبي العباس البرد، ولعمر ين كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً، وخبراً فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً وكتاب «الفصول» لصاعد بن الحسن الربيعي(2)، وهو جار في مضمار الكتبين المذكورين.

ومن الأعذار تفسير الجرافي لكتاب الكسائي حسن في معناه، وكتاب ابن سيده في ذلك المثير بـ«الطعام والمتعلم» وشرح له كتاب الأخفش(3).

وأما في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الأندلس ككتاب حسن، وكتاب «الحدائق» لأبي عمر أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لأبي محمد بن داوود رحمة الله تعالى، إلا أن أبا بكر إنهما أدخل مائة باب في كل باب مائة بيت، وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر ولم يورد فيه لغير أندلسين شيئاً.

(1) انظر ترجمته في باب اللغة في عصر الخلافة.
(2) انظر الحديث عن هذا الأدب، وكتابه المذكور في باب الأدب في عصر الخلافة.
(3) هذه الكتب لأن سيد أحمد بن إبان ليس له ابن سيده انظر الجمادي. الجذوة، ص 405.
(4) فضل الطيب، ج 3، ص 172.
(5) وفصول المفيد، ص 385 و 386.
(6) انظر الحديث عن هذا الأدب، وكتابه المذكور في باب الشعر في عصر الخلافة.
ومنها كتاب التشبیهات من أشعار أهل الأندلس (1)، جمعه أبو الحسن علي ابن محمد بن أبي الحسن الكاتب، وهو حي بعد، وربما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد الأفلافي (2) لشعر المتنبي، وهو حسن جدا.

ومن الأخبار (3) تواريخ أحمد بن محمد موسى الرازي في أخبار ملوك الأندلس، وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم، وذلك كثير جدا، وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد، وذكر منازل صحابية أبي جعفر المنصور بها، وتواريخ متفرقة، رأيت منها: أخبار عمر بن حفص بن الرازي بيره ورائعه وسيره وحروبه وتاريخ آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف، وفي أخبار بني قسي والتجيبيين وبنى الطويل بالغر، فقد رأيت من ذلك كتب مصنفة في غاية الحسن، وكتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تأليف إسحاق بن سلامة بن إسحاق البندقي، وكتاب محمد ابن الحارث الخشني في أخبار القضاء بقرطبة وسائر الأندلس، كتاب في أخبار الفقهاء، وكتاب لأحمد بن محمد بن موسى في أنساب مشاهير أهل الأندلس، في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتب في الأنساب وأوسعها وكتاب قاسم بن أصيب في الأنساب في غاية الحسن والإبعاد والإيجباز، وكتابه في فضائل بني أمية، وكان من الثقافة والجلالة بحيث أشتهر أمره وانتشر ذكره، ومنها كتب مؤلفة في أصحاب المقاتل والأجناد ألست بالأندلس، ومنها كتب كثيرة جمعتها فيها أخبار شعراء الأندلس.

(1) هناك كتاب بهذا الاسم للإمام عبد الله محمد بن الكاتبي، وحسن الحظ أنه وصلنا وقد أشرنا إليه في باب الشعر في عصر الخلافة.

(2) انظر عن هذا الباب اللغة في عصر الخلافة.

(3) انظر ما ورد ذكره من كتاب التاريخ في بابه في عصر الخلافة.
لمستنصر رحمة الله تعالى، رأيت منها "أخبار شغفاء بالبيرة" في نحو
عشرة أجزاء ومنها كتاب "الطواف" في أنساب أهل الأندلس ومنها كتاب
التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس تأليف أبي مروان بن حيان نحو
عشرة أساطير من أجل كتاب ألف في هذا المنهي. وهو في الحياة بعد لم
يتجاوز الاكتهال.

وكتاب "المافر العامري" لحسين بن عاصم في سير ابن أبي عامرة
وأخباره، كتاب الأشتي خان بن عاصم النحوي في "طبقات الكتاب
بالأندلس"، كتاب سكن بن سعيد في ذلك، كتاب أحمد بن فرج في "المتزين
والقائمين بالنحالات وأخيارهم". كتاب أخبار أطباء الأندلس لسليمان بن
جلجل(1).

وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن إسحاق(2) وهي كتاب رفيعة حسان
وكتب محمد بن الحسن المذحجي، كتاب الله تعالى، وهو المعروف بابن
الكاني(3) وهي كتاب رفيعة حسان. كتاب التصرف لأبي القاسم خليف بن
عياش الزهراوي(4)، وقد ادركتاه وشاهدنه، ولئننا أنه لم يؤلف في الطب
أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لتصدق، وكتب ابن الهيثم في
الخصائص وسموم والعقاقير من أجل الكتب وأناجها.

وأما الفلسفة فإني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن
فتحون السريقي المعروف بالحوار دالة على تمكنه من هذه الصناعة، وأما
رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمهمورة
مذدالة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعه(5).

(1) انظر ترجمة هذا الطبيب في باب الطب في عصر الخلافة.
(2) انظر ترجمته في باب الطب في عصر الخلافة.
(3) انظر ترجمته في باب الطب في الخلافة وخاصة في عهد النصور.
(4) انظر ترجمته الواقية في باب الطب في عصر الخلافة.
(5) انظر ذلك في باب الفلسفة في عصر الخلافة.
وأما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفادا، ولا تحققنا به فلسنا نثق بأنفسنا في تميز المعين من المقرر في المؤلفين فيه من أهل بلدا، إلا أنني سمعت من أثق بعلقه ودينه من أهل العلم من أنفعت على رسوخه فيه يقول: أنه لم يمؤلف في الأزيج مثل زهير مسلمة وزهير ابن السمح، وهم من أهل بلدا، وكذلك كتاب المساحة المجهولة لأحمد بن نصر فيما تقدم إلى مثله في مغانه.

وإمما ذكرنا التأليف المستحقة للذكر، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم إلا في أحدها، وهي إما شيء لم يسبق إليه خبره، أو شيء ناقص يتهه، أو شيء متغفل يشربه، أو شيء طويل يختصره دون أن يدخل شيء من معانيه أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مخلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصحه وما التوافل المقرر عليه من مراتب غيرها فلم تلتقي إلى ذكرها، وهي عدننا من تأليف أهل بلدا أكثر من أن نحيط بعلمها.

وأما علم الكلام فإن بلدا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختفت فيها النحل، فقد لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عري عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظر على أصوله، ولهم فيه توليف، منهم خليل بن إسحاق، وحيى بن السمينة (2)، والحاجب موسى ابن حيدر وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد، وكان داعية إلى الاعتزال لا يستمر بذلك ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه (3) من مذهب أصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى، وهو وإن كان صغير الجرم قليل عدد الوق، يزيد على

(1) انظر الحديث عن مسلمة المجبرلي وأبي السمح في باب الرياضيات والفقه في عصر الخلافة
(2) انظر الحديث عن زمن ذكره هنا في باب علم الكلام في الأندلس ومؤلف الأندلسيين منه
(3) انظر الحديث عن مذهب ابن حزم في باب الفقه في عصر الخلافة.

- 431 -
المائتين زيادة بسيطة فعظم الفائدة لاننا أستقنا فيه المشاغب كلها، وأضمنا عن التدوين جملة، واقتصرنا على البراهين المتبقيات من المقدمات الصاحبية الراجعة إلى شهادة الحس وديه العقل لها بالصحة، ولنها فيما تحققنا به تأليل جمة، منها ما قد تم، ومنها ما فيرشه، ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على بديهه، لم نقصد به قصد مباهه فذكروا، ولا أردنها السمعة فنسموها، والرائد بها ربا جل وجهه، وهو ولي العون فيها، والليم بالمجازاة عليها، وما كان لله تعالى فسبيده، وحسيننا الله ونعم الوداع.

وبلدها هذا، على بعد من ينبوع العلم، ونثأه من محلة العلماء، فقد ذكرنا من تأليف أهلها ما إن طلب مثلها بفاطرة والأهواد وديار ربيعة واليمن، والشماع آخور وجود ذلك، على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم، وذويه ومراد المعارف وأرائها.

وإن إن إذا ذكرنا أبا الأجرب جعوه بن الصمة الكلاهي في الشعر لم نباها به إلا جريبا والفرزيق، كونه في عصرهما، ولأنا في استشهده شعره، فهو جار على مذهب الأوائل، لا على طريقة المتحدثين، وإذا سميتنا بقي بن مخلد لم نسابق به إلا محمد بن إسمايل البخاري، وسليم بن الحاج، النيسابوري وسليمان بن الأشعث السجستاني، وأحمد بن شعيب النسائي، وإذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباها به إلا القفال ومحمد بن عقيل الفريباي، وهو شريكنا في صحبة المزني أبي إبراهيم واللتمدة، وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن بن الفلس، وال ديماجي وروهم بن أحمد، وقد شاركهم عبدالله في أبي سليمان، وصحبه، وإذا أشرتنا إلى محمد بن عمر بن لبابة وعمه محمد بن عيسى وفضل بن مسلمة، لم ننطف البهم إلا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن...
عبدوس، وإذا صرحتنا بذكر محمد بن يحيى الرباني وأبي عبدالله محمد بن عاصم لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد البرد.

ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج القططلي(1) لما تأخر عن شارب بشار بن برد وحبيب والمنتيبي، فكيف لنا معه جعفر بن عثمان الحاجب، وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شبيب، ومحمد بن شخيص، وأحمد بن فرج، وعبد الملك بن سعيد المرادي، وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه، وحصان ممسوح الفرقة.

ولنا من البلاغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد(2) صديقنا وصاحبتنا، وهو حي بعد لم يبلغ سن الاكتمال، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعاعها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل، ومحمد بن عبدالله ابن مسرة(3) في طريقه التي سلك فيها، وإن كنت لا ترضى مذهب، في جماعة يكثر تعدادهم.

وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان، ولم نتزيد فيما فيه إلا ما دعت الضرورة إلى ذكره لتعلقه بجوامع، والحمد لله الموفق لعلمه، والهادي إلى الشرعية المزمنة منه والموصلة، وصلى الله على محمد عبده ورسله وآله وسلم، وشرف وكرم، انتهت الرسالة.

(1) أنظر ترجمته في باب الشعر في عصر الخلافة.
(2) أنظر ترجمته في باب الأدب فيما يتعلق بالتأليف الأدبي وكذلك في الشعر في عصر الخلافة.
(3) أنظر الحديث عنه في باب الفلسفة في عصر الخلافة.
ملحق رقم (2)

صورة لبعض الآت الجراحية التي استعملها الزهراوي في ممارسة العمليات الجراحية (التصوير مرن عجز عن التأليف).

جهز رسم الباحث "
أداة من أدوات الكي يكون بها الرأس والجبهة (1). أداة من أدوات الكي تسمى المسامية يكون بها الرأس أيضًا (2). من أدوات الكي تسمى النقطة يكون بها منطقة الأذن (3). أداة يكون بها الناصور وهو يوم يصيب الوجه (4). قمع يستعمل في صب الرصاص المذاب على موضع الناصور لازالتته (5). أداة الكي الخنازير. وهي مفتوحة الطرفين لبخرج الدخان من الطرف الآخر (6).
أداة تستخدم في جراحة الأنف وإزالة ما يزيد من الزوائد لحمة

(1) ص 38 (2) ص 49 (3) ص 51 (4) ص 57
(5) ص 80 (6) ص 90 (7) ص 97 (8) ص 99

- 466 -
من أنواع جراحة العين

أدوات تستخدم في جراحة الأسنان ونظفها وتسمى الواحدة مجرد

كلاليب تستخدم في جراحة الأسنان وخلعها.

(1) ص 98 (2) ص 108 (3) ص 110 (4) ص 114 (5) ص 117

- 427 -
أدوات مختلفة الأشكال تستخدم في جراحة الأسنان وخلعها وتنظيفها (1)

آداة تستخدم عند فحص فم المريض فيكبس بها اللسان إلى أسفل (2)

آداة تستخدم في جراحة اللوز وازالتها (3)

آداة تستخدم في علاج ورم اللهبة بوضع الدواء في طرفها الشبيه بالملعقة (4)

آداة تستخدم في علاج ورم اللهبة أيضاً ويكون العلاج بواسطة البارخ (5) الذي يمر من قدر به دواء مطبوع لنافذ من الآلة المشار إليها ويكون طرفها الدائرى في فم المريض حيث يتسبب البارخ إلى اللهبة فتعم على إزالتها.

(1) الأولى والثانية ص. 118، والثالثة ص. 119، الرابعة والخامسة ص. 120
(2) ص. 124، (3) ص. 125، (4) ص. 128، (5) ص. 129

- 428 -
آلة جراحية تستخدم في إخراج ما يكون في الحلق من أشياء تسد وكطرفيها أنسان صغيرة بحيث تتعلق بالشيء المراد وتثبت به.  

\[...\]

آلتان تستعملان في جراحة الأورام وشقها. هذه الأدوات تستخدم في جراحة الأورام وشقها ويطلق على واحدة صنارة. 

\[...\]

صنارتان ذاتاً مخاطف متعددة لأغراض الجراحة. 

\[...\]

مشرط يستخدم في شق الجلد وسلخه وجرحه الأورام. 

\[...\]

آلة تسمى مخدع وتستعمل في إزالة الأورام وسلخها. 

\[...\]

أداة تسمى مبضع وتستعمل في بطن الأورام. 

\[1\] ص 148  
[2] ص 147  
[3] ص 146  
[4] ص 145  
[5] ص 144  
[6] ص 143  
[7] ص 142  
[8] ص 141
الثانى يستخدمان في قطع نزف الدم ويسمى واحدة محجم

مقص يستخدم في عملية التطهير

آلة تسمى المحقن وتحني بها المثانى

آداة تسمى مبضع وتستعمل في العمليات الجراحية المتعلقة بالإخراج الحصى من المثانى

آلة تسمى مشعب وتستعمل أيضاً في إخراج الحصى من المثانى

آداة تستخدم في تسهيل عملية الولادة وإخراج الجنين

آلة تسمى الواحدة منها مبضع وتستعمل في علاج الولادة العسيره

صورة محقن يستخدم في حقن المقمدة لمنع انتشار أمراض باتلية كالإسهال وغيره من آلام البطن.

(1) ص 168 (2) ص 171 (3) ص 176 (4) ص 174 (5) ص 171
(6) ص 214 (7) ص 224 (8) ص 224

٤٣٠
آلاتان تستخدمان في قطع العظام وجرجتها (1).

صورة مجرد تحد به رؤوس المفاصل إذا فسدت (2).

صورة آلة تقطع بها العظام وتسمى مقطع (3).

آلاتان تستخدمان في جذب السهام من أصيب بها (4).

آلة تسمى المثقب تستخدم في ثقب العظام (5).

أداة تستخدم في العمليات الجراحية المتعلقة بالولادة العسيرة وتسمى هذه الأداة مشدخ حيث يشد بيا رأس الجنين (1).

(1) ص 219 ، (2) ص 250 ، (3) ص 251 ، (4) ص 278 ، (5) ص 210 ، (6) ص 325

- 431 -
قائمة المصادر والمراجع
ا-المخطوطات:

- الأشبيلي، محمد بن إبراهيم (من علماء القرن السادس الهجري)

1 - رياحنة الألباب وريعان الشباب، مخطوطة بالكتبة الملكية بالرباط رقم (١٤٠٦)

- الخشني، محمد بن الحارث بن أسد (١٣٦١)

2 - تاريخ علماء الأندلس، مخطوطة بالكتبة الملكية بالرباط، رقم ١٩١٦

- الربيعي، صاعد بن الحسن (ت تقريباً ٤١٠ هـ)

3 - القصور، مخطوطة بمكتبة الخزانة العامة بالرباط، برقم ١٦٦٨

الزهراوي، خلف بن عباس (ت ٤٠٣ هـ)

4 - التصريف لم عجز عن التأليف، الجزء الأخير، مخطوطة بالكتبة الملكية بالرباط برقم ١٣٤.

- ابن الصفار: أحمد بن عبد الله بن عمر (٤٧٦ هـ)

5 - رسالة الإسطرلاب، مخطوطة بالكتبة الملكية بالرباط، برقم ٣٨٨.

- القرطي، عريب بن سعد (من علماء القرن الرابع الهجري)

6 - خلق الجنين وتذبير الحبالي والولود، مخطوطة بمكتبة الاسكوريال، برقم (١٨٣٩) في مجموع.

- المجريطي، مسلمة بن أحمد (ت ٣٩٨ هـ)

7 - رتبة الحكيم، مخطوطة بالكتبة الملكية بالرباط، برقم ١٨٤٢

8 - غاية الحكيم، مخطوطة بالكتابة الملكية بالرباط، برقم ٣٩٨
بـ المصدر المطبوعة:

- ابن الأتِبار (ت 68 هـ)

9 - الحلة السيراء، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، شركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط الأولى، 1963 م.

10 - التكملة لكتاب الصلة، على بن شريف، صحبه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة بمصر، 1955 م.

- ابن الأثير (ت 632 هـ)

11 - الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1386هـ.

- ابن الأزدي (ت 612 هـ)

12 - بدائع البدائع، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة الأندلusa، القاهرة، سبتمبر، 1970 م.

- الأصفهاني (ت 597 هـ)

13 - خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عمر دسوقى، عبد العظيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر.

- ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ)

14 - عيون الأدباء في طبقات الأدباء، شرح وتحقيق د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965 م.

- ابن البتاري (ت 577 هـ)

15 - نزهة الأدباء في طبقات الأدباء، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الناشر، مكتبة بغداد، ط الثانية، 1970 م.

- 435
ابن يسري: (ت 542 هـ)

16 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. القسم الأول المجلد الأول والثاني. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. المجلد الأول 1358 هـ والمجلد الثاني 1361 هـ. القسم الرابع. المجلد الأول. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1364 هـ.

ابن بشكوال: (ت 788 هـ)

17 - الصلاة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطبعة سجل العرب. القاهرة، 1966 م.

البغدادي: (ت 1379 هـ)

18 - هديه المعارف في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين. طبع بعناية وكالة المعارف استانبول 1955 م. منشورات مكتبة المثنى. بيروت.

البكري: (ت 487 هـ)


20 - التنبيه على أوهام أبي على القاضي في أماله. إعداده وصححه محمد عبدالجدد الأصمعي، دار الكتب العربي. بيروت. مطبعة دار الكتاب المصرية.

ابن تغرري بردى: (ت 748 هـ)

21 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج 4، طبعة مصرية مصورة عن مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر مطبعة كونستانتسوماس وشركاه. مصر. القاهرة.
- التهاني: (ت في القرن الثاني عشر الهجري)

22 - كشاف اصطلاحات الفنون. تحقيق. د. طلبي عبد البديع ترجم النصوص الفارسية. د. عبد العزيز محمد حسن.

راجعه: الاستاذ أمين الخولي. وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

المؤسسة المصرية العامة للتالفيف والترجمة والطباعة والنشر.

1382 هـ - 1963 م.

- الثعالبي: (ت 429 هـ)

23 - يتيمة الدهر في حيوان أهل العصر. حققه وفصله وضبطه

وشرحه. محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. القاهرة.

ط الثانية. 1375 هـ - 1955 م.

24 - فقه اللغة. دار مكتبة الحياة. بيروت، مطبعة مصطفى اليابي.

الحلب، ط. 1318 هـ.

- ابن الجزري: (ت 832 هـ)

25 - غاية النهاية في طبقات القراء. عني بشره ج. برجستراسر.

طبع لأول مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجي بمصر سنة

1351 هـ - 1932 م.

- ابن جلجل: (ت القرن الرابع)

26 - طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد أمين المخطوطة بدار

الكتب المصرية، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

القاهرة. 1955 م.

- ابن الجوزي: (ت 597 هـ)

27 - نظم الهوى. تحقيق مصطفى عبد الواحد. مراجعة محمد

الغزالي. دار الكتب الحديثة، مطبعة العامة. ط. الأولى 1381 هـ.

- 437 -
- حاجي خليفة: (ت 1076 هـ)

28 - كشف الطونين عن أسماء الكتب والفنون. تقديم السيد شهاب الدين النجفي. أعادت طبعه بالورق.
- ابن حزم: (ت 456 هـ)

29 - جمهرة أنساب العرب. تحقيق وتعليق عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر. ط الثالثة 1391 هـ.
- الفصل في الملأ والأهواء والنحل. دار المعرفة الخاصة للطباعة.
- والنشر، بيروت. ط الثانية. 1395 هـ- 1975 م.

30 - طوق الحمامة في الألف والآلاف. حقيقه وصوبه وفهرس له. حسن كامل صيرفي. قدم له إبراهيم الابيباري. مطبعة الاستقامة.
- القاهرة. طبع 1383 هـ / 1964 م.

- الحمدي: (ت 488 هـ)

31 - جزءة المقتبس. الدار المصرية للتأليف والترجمة. مطبعة سجل.
- العرب. القاهرة. 1966 م.

- الحميري: (جمعة سنة 866 هـ)

32 - صفة جزيرة الأندلس. منتخب به من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار. نشر وتصحيح وتعليق حواشيه 1. ليفي بروفنسال.
- القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. 1977 م.
- ابن حوقل: (من أهل القرن الرابع الهجري)

34 - صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. 1979 م.
- ابن حيان : ( ٤٦٩ هـ )

- المقتبس . تحقيق د. محمود علي مكي . الناشر دار الكتاب العربي
  بيروت ١٣٩٢ هـ .

- المقتبس . تحقيق د/ عبدالرحمن الحجي . نشر وتوزيع دار
  الثقافة . مطبعة سمياء . بيروت . أغسطس ١٩٦٥ .

- المقتبس الجزء الخامس . نشره ب. فاليتا ف. كورنثيو .

- صحيح . المعهد الإسلامي العربي للثقافة - مدريد ١٩٧٩م . كلية
  الآداب بالرباط .

- الخشني : ( ط ١٣٦١ هـ )

- قضاء قرطبة . الدار المصرية للتأليف والترجمة . مطبع سجل
  العرب . ١٩٦٦ م .

- الخطيب : ( ط ٤٦٣ هـ )

- الرحلة في طلب الحديث . حقيقه وعلق عليه نور الدين عتر . يطلب
  من دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولي ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- ابن الخطيب : ( ط ٧٧٦ هـ )

- أعمال الإعلام في من بوع قبيل الاحتلام من ملوك الإسلام . تحقيق
  وتعليق . أ. ليفي بروفيسال . بيروت . دار المكشف . ط الثانية
  ١٩٥٦ م .

- الإحاطة في أخبار غزانوة . حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد
  عبد الله عنان . ج ١ . ط الثانية ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م ، ج ٢ . ط
  الأولي ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م . الناشر مكتبة الخانيجي . القاهرة .

- الشركة المصرية للطباعة والنشر . القاهرة .

- ٤٣٩ -
ابن خلدون: (ت 808 هـ)

40 - المقدمة. المكتبة التجارية الكبرى بمصر روجعت هذه الطبعة  

وقبلت على عدة نسخ بمراعاة لجنة من العلماء.  

41 - العبر وريوان المبتدأ والخبر. دار العلم للملاليين. لبنان. بيروت.  

ابن خلكان: (ت 681 هـ)

42 - وفيات الآيتان. وأبناء الزمان حققه. إحسان عباس. دار  

صحار. بيروت. ج 1. 2. 3. 4. 1398 هـ/ 1978 م. ج 5.  

1397 هـ. المجلد السادس والسابع والثامن بدون تاريخ طبع.  

الخوارزمي: (ت 387 هـ)

43 - مفاتيح العلوم. تقديم وإعداد د. عبد الظيف محمد العبد. الناشر  

دار النهضة العربية. القاهرة. المطبعة الكمالية.  

ابن خير: (ت 575 هـ)

44 - فهرسة مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم  

وأنواع المعارف. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط  

الثانية 1399 هـ/ 1979 م.  

ابن دراج: (ت 421 هـ)

45 - ديوان ابن دراج القسطلي. حققه وعلق عليه وقدم له د. محمود  

علي مكي. المكتب الإسلامي. ط الثانية 1389 هـ.  

الذهبي: (ت 748 هـ)

46 - تذكرة الحفاظ. صبح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة  

الحرم المكي تحت إشارة وزارة المعارف الهندية. دار إحياء التراث.  

( بدون طبعة).
الزبيدي : (ت ١٧٩ هـ)

٤٧ - طبقات النحوين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
دار المعارف بدمشق.

ابن زيد : (ت ٨٠٠ هـ)

٤٨ - محسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمر الأوزاعي، قدم له
وعلى الأمير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة.
بيروت، مطبعة فؤاد بيان وشركاه ١٩٩٧م.

السبكي : (ت ٧٧١ هـ)

٤٩ - طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد الطناحي.
عبدالفتاح محمد الطروط، ط الأولى ١٢٨٤ هـ، مطبعة عيسى
البابي الدلبي وشركاه.

ابن سعيد : (ت ٦٨٥ هـ)

٥٠ - المغرب في حلي المغرب. تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف. دار
المعارف بدمشق، ط الثانية ١٩٦٤م.

السلفي : (ت ٢٧٦ هـ)

٥١ - أخبار تراجم أندلسية. مستخرج من معجم السفر للسلفي.
أعدها وحققوها إحسان عباس، دار الثقافة لبنان، ط الثانية
١٣٩٩ - ١٩٧٩م.

ابن سعد : (ت ٤٥٨ هـ)

٥٢ - شرح مشكل شعر المتنبي. تحقيق محمد رضوان الداية، دار
المؤمن للتراث، دمشق.
السيوطي: (ت 911 هـ)

35- تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. مطبعة
الفجالة الجديدة القاهرة، ط. الرابعة، 1389 هـ، 1979 م.
44- بفية الوعاء. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى
البائي الطلي وشركاه، ط. الأولى 1384 هـ / 1964 م.

الصفدي: (ت 472 هـ)

56- الواقي بالوفيات. الطبعة الثانية باعتناء هلموت ريتز. المجلد الأول.
ط 1381 هـ/ 1962 م. المجلد الثاني والثالث والرابع والخامس.
طب الثانية باعتناء س. ريدينغ. المجلد السادس باعتناء إحسان
عباس الثامن باعتناء محمد يوسف نجم. التاسع باعتناء يوسف
فان أسك. دار النشر فرانزشتاينفيسباندن.

ابن عبد ربه: (ت 278 هـ)

67- العقد الفريد. الطبعة الأزهرية المصرية. ط. الأولى 1326 هـ.

ابن عذاري: (ت القرن السابع الهجري)

58- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج.
س. كولان وليفي بروفيتال. دار الثقافة. بيروت.

ابن العمام: (ت 1089 هـ)

59- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، متنوعات دار الأفاق الجديدة.
بيروت.

الغزالي: (ت 505 هـ)

60- إحياء علوم الدين. دار المعرفة للطباعة والتوزير. بيروت.

842 -
- ابن فرحون: (ت 799 هـ)

61 - düwāj al-maṣūm فـي معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق وتعليق
د. محمد الأحمد. دار التراث للطباعة والتشرير القاهرة. طبع
بطبعة النصر.

- ابن الفرضي: (ت 403 هـ)

62 - تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتاليف والترجمة. مطبوع
سجل العرب 1966م. القاهرة.

- القاليسي (ت 356 هـ).

63 - الأمالي. دار الكتاب العربي. بيروت لبنان. (بدون طبعة).

- ابن قتيبة: (ت 776 هـ).

64 - المعارف. تصحيح وتعليق ومراجعة محمد اسماعيل الصاوي.
دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط. الثانية 1390 هـ.

- القرويني: (ت 1283 هـ).

65 - آثار البلاد وأخبار العباد. دار بيروت للطباعة والتشرير بيروت
1399 هـ - 1980 م.

- اللفظي: (ت 346 هـ).

66 - أخبار العلماء بأخبار الحكماء. يطلب من مكتبة المثنى بغداد.
ليبيزج 1902 م.

- القلقشندي: (ت 821 هـ).

67 - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. نسخة مصورة عن المطبعة
الأميرية. المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة
والنشر القاهرة.

6443 -
-Shirt

- ابن قنفذ:

68- الوافيات. تحقيق عادل نريهض. منشورات دار الآفاق الجديدة.

بيروت. ط الثانية. 1978 م.

- القسيسي: (ت 437 هـ).

69- الإبانة عن معاني القراءات. حقيقه وقدم له محيي الدين رمضان.

دار المأمون للتراث. دمشق. ط الأولى. 1399 هـ.

- ابن الكتاني: (كان حيا في القرن الرابع الهجري).

70- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. تحقيق إحسان عباس.

دار الثقافة. بيروت. مطبعة سيما.

- الكتبي: (ت 74 هـ).

71- فوات الوافيات. حقيقه وضبطه وعلق حواشيه محمد محيي الدين

عبدالحليم. مكتبة النهضة المصرية. مطبعة السعادة بمصر 1951 م.

- ابن كثير: (ت 774 هـ).

72- البداية والنهياء. مكتبة المعارف. بيروت. ط الأولى.

- المسعدي: (ت 246 هـ).

73- مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيي الدين

عبدالحليم. ط الرابعة 1284 هـ- 1964 م.

- المراكشي: (ت 247 هـ).

74- المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق الاستاذ محمد العريان.

مطابع شركة الأعلانات الشرقية. القاهرة ـ 1382 هـ.

- 444 -
المقدسي: (ت 380 هـ)

75 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع بمدينة ليدن، بمطبعة برويل سنة 1909 م.

المقرئ: أحمد بن محمد التلمساني (ت 401 هـ).

76 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق إحسان عباس.

دار صادر، بيروت 1388 هـ 1968 م.

مؤلف مجهول:

77 - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم طبع بمدينة مجريت، بمطبعة سيدنير 1867 م.

ابن نباته: (ت 78 هـ)

78 - سرح العيون وشرح رسالة ابن زيدون. ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي العلي وأولاده بمصر، ط الأولى 1377 هـ 1957 م.

النباهي: (كان حيا سنة 1793 هـ)

79 - تاريخ قضاة الأندلس. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

التوييري: (ت 732 هـ)

80 - نهاية الأدب في فنون العرب. نسخة مصوررة عن دار الكتب المصرية، مطبع كوستننسوماس وشركاه، القاهرة.

ابن الوردي: (ت 749 هـ)

81 - تاريخ ابن الوردي. إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي. توزيع دار البناز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الناشر دار المعرفة، بيروت، ط الأولى 1389 هـ.

- 445 -
- ياقوت : (ت ١٣٦ هـ)

82 - معجم البلدان . دار صادر . بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

83 - معجم الأدباء . دار الفكر للطباعة والنشر . ط الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

- المراجع الحديثة:

- إبراهيم الشريقي:

1 - التاريخ الإسلامي خلال ١٤ قرنا . مطبع شركة المدينة للطباعة والنشر . ط الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٩ م . جدة .

- حسن عباس:

2 - تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة . دار الثقافة . بيروت . ط الخامسة ١٩٧٨ م .

- أحمد أمين:

3 - ظهر الإسلام . ج ٢ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة . ط الثالثة . ١٩٦٦ م .

- أحمد حسن الزيات:

4 - تاريخ الأدب العربي . دار الثقافة . بيروت . ط . السادسة والعشرون .

- أحمد عطية الله:

5 - القاموس الإسلامي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . صدر في محرم ١٣٨٣ هـ .

- أحمد علي ملا:

6 - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية . دار الفكر (بدون طبعه) .
١ - أحمد مختار العبادي:

٧ - في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية.

( بدون طبعه )

٢ - أحمد هيكل:

٨ - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط. السادسة ١٩٧١م.

١ - ارنولد وآخرون:

٩ - ترات الإسلام، عربه وخلق جواشي جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط. الثانية ١٩٧٢م.

٣ - اعتماد القصيري:

١٠ - فن التجليد عند المسلمين، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٧٩م.

٤ - أغنياطيوس كراتشكونسكي:

١١ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين غسان هاشم، مراجعة إيفور بلياف، اختارته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مطبعة لجنة التأليف والتراجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

٥ - آنخل جونثال بالنتيا:

١٢ - تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسنين محسن، ملتزم - الطبعة والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
-

أنور الرفاعي:

13. الإنسان العربي والحضارة، دار الفكر.

أنس الفصولي:

14. الدولة الأموية في قرطبة، طبع بالطبعة العصرية بغداد 1926م.

جبن. س. بادو وآخرون:

15. عبقرية الحضارة العربية ينبع التهذبة، ترجمة صلاح جلال وآخرون، مطبعة معهد ماساتشوسيت ستي، كمبردج، لندن، 1978م.

جبرائيل جيور:

16. ابن عبيده وعقده، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، ط. الثانية 1979م.

جلال مظهر:

17. حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، الناشر مكتبة الخاتم، القاهرة، دار مصر للطباعة.

18. علوم المسلمين أسس التقدم العلمي الحديث، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

ج. س. كولان:

حسن إبراهيم حسن:


حنا الفاخري:

21 - تاريخ الأدب العربي. المطبعة البوسنسية. بيروت. لبنان (بدون طبعة).

خالد المصرف:

22 - تاريخ العرب في إسبانيا (جمهورية بني جهور). دمشق. 1959.

خير الدين الزركلي:


روبرت بريفالت:

24 - أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية. ترجمة أبو النصر الحسيني. دار الكتب الحديثة. شارع الجمهورية عابدين.

روبن لانسون:

25 - الإسلام والعرب. ترجمة منير بعلبكي. دار العلم للملائيين. بيروت. ط الأول.

زكريا هاشم زكريا:

26 - فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم. راجع هذا الكتاب. وقدم له وأشرف على إخراجه محمد أحمد محمد المهدي. دار نهضة مصر للطبع والنشر. القاهرة.
زيغريد هونكه:

27 شمس العرب تسطع على الغرب، تعرب فاروق بيضون. كمال
دسوقي. راجع ووضع حواشيه فاروق عيسى الخوري.
منشورات المكتب التجاري، بيروت. الطبعة الثانية 1969 م.

سامي مكي الغانى:

28 دراسات في الأدب الأندلسي. ساعدت الجامعة المستنصرية على
نشره، 1978 م.

ستانلي لين بول:

29 قصة العرب في إسبانيا. ترجمة علي الجارم. دار المعارف بمصر.

ط النائعة.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

30 أوروبا العصور الوسطى. ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

ط السادسة 1975 م.

السيد أحمد الهاشمي:

31 جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. أشرف على تحقيقه
وتصحيحه لجنة من الجامعيين منشورات مؤسسة المعارف، بيروت.

سيد أمير علي:

32 مختصر تاريخ العرب. ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين.

بيروت. ط الثالثة 1977 م.

سيد حسين نصر:

33 العلم في الإسلام. ترجمة مختار الجوهري، الدار العربية
للكتاب، ليبيا. تونس 1978 هـ، 1978 م.

400
السيد عبدالعزيز سالم:

٣٤ - قرطبة حاضرة الخلافة، دار النهضة العربية للطباعة والتشر. بحث، ١٩٧٢ م.

- شكري ارسلان:

٣٥ - الحبل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة بحث، بحث.

- شوقي ضيف:

٣٦ - المدارس النحوية، دار المعارف، ط الثالثة، القاهرة.

- عباس العقاد:

٣٧ - أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط الثانية، ١٩٦٣ م.

- عبد الحليم منتصر:

٣٨ - تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف، بحث.

- عبد الرحمن بدوي:

٣٩ - دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط الثانية، ١٩٦٧ م.

- عبد الرحمن الحجي:

٤٠ - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ساعدت جامعة بغداد علي نشره، دار العلم، دمشق، بحث، بحث.

دار القلم، الرياض الكويت، ط الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

٤٠١
عبد الرحمن حميدة :

41  ألان째 الجغرافيين العرب. دار الفكر، ط الثانية 1400 هـ/1980 م.

عبد الكريم التواني :

42  مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس. مكتبة الرشاد، الدار البيضاء. ط الأولي 1967 م.

عبد اللطيف شرارة :

43  ابن حزم رائد الفكر العلمي. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

عز الدين فراج :

44  الطب الإسلامي. دار الفكر العربي، القاهرة.

عمر رضا كحالة :

45  مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام. مطبعة الحجاز بدمشق 1394 هـ-1974 م.

46  العلوم البهتة في العصور الإسلامية. مطبعة الترقي دمشق.

عمر فروخ :

47  تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون. دار العلم للملايين، بيروت 1392 هـ-1972 م.

48  عبقرية العرب في العلم والفلسفة. ط الثالثة، بيروت 1389 هـ-1969 م.

علي أدهم :

49  منصور الأندلس. سلسلة أعلام الإسلام. مطبع الهيكل العامة للكتاب، القاهرة. 1974 م.

42 -
- فرنسية غومس:

- الشاعر الأندلسي. ترجمة حسين مؤنس. مكتبة النهضة المصرية.
  ط. الثالثة 1969 م. القاهرة.

- غوستاف لويسون:

51 - حضارة العرب. ترجمة عادل زعيتر. طبع بمطبعة عيسى البابي
الطليبي وشركاه.

- فرات فائق خطاب:

52 - الكحالة عند العرب، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية.
سلسلة المكتبة الفلكلورية، دار الحرية للطباعة، بغداد 1975 م.

- قدي رطان:

53 - تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلكل، دار الشروق، بيروت.
القاهرة.

54 - الخالد ل العرب، دار القديس للطباعة والتوزيع، بيروت.

55 - العلم عند العرب، دار مصر للطباعة، مطبوعات مكتبة مصر.

- كارل بروكلمان:

56 - تاريخ الأدب العربي، الأجزاء الثلاثة الأولى والثانية ترجمة
عبدالله الوجاز. والرابع والخامس ترجمة السيد يعقوب
ورمضان عبد القادر. دار المعارف، ج 1 ط الطبعة، ج 2 ط
الثالثة ج 3 ط الطبعة ج 4 ، 5 ط الثانية ج 6 ط طالعة 1977 م.

- كردي علي:

57 - الإسلام والحضارة العربية، مطبوعة لجنة التأليف والترجمة والتونر.
القاهرة 1968 م.

- 453 -
- كمال اليزجي وانطوان غطاس:
  58 - أعلام الفلسفة العربية، دار المكتشوف، مكتبة انطوان ولبنان،
    بيروت، ط الثالثة 1968 م.
- لطفي عبد البديع:
  59 - الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف
    والترجمة والتشر، القاهرة، ط الأولى 1958 م.
- لوثر رابينورا:
  60 - حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، علق عليه الأمير
    شكري ارسلا، دار الفكر للطباعة والتشر، بيروت، القاهرة،
    ط الرابعة 1394 هـ/ 1974 م.
- لويس يونس:
  61 - العرب وأوروبا، ترجمة ميشيل ازراق، دار الطباعة للطباعة والتشر.
    بيروت،
- ليدي بروفيسنال:
  62 - حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوكان قرقوق، مكتبة دار
    مكتبة الحياة، بيروت، مطبعة النجوى، بيروت.
- محمد أبو زهرة:
  63 - ابن حزم، حياته ومصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي
    1377 هـ/ 1958 م.
- محمد إسماعيل إبراهيم:
  64 - معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي القاهرة،
    دار الهنا للطباعة.
محمد الحسيني عبد العزيز:

65 - الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت 1973 م.

محمد عبد الله عنان:

66 - ترجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط الطبعة الثانية 1390 هـ 1970 م.

67 - دولة الإسلام في الأندلس، عصر الخلافة والدولة العامة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط الطبعة 1289 هـ 1969 م.

محمد الصادق عفيفي:

68 - تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة دار نافع للطباعة 1976 م.

محمد كرو:

69 - ابن هاني الأندلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط الطبعة الثانية 1977 م.

محمد ماهر حمادة:

70 - المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1398 هـ 1978 م.

محمد بن محمد مخلوف:

71 - شجرة النور النزكية في طبقات الملكية، طبعة جديدة بالفست عن الطبعة الأولى 1349 هـ. الطبعة السلفية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الطبعة الأولى 455.


76 - Thomas Ballantine Irving: Falcon of Spain, Lahore, Pakistan, 1962.

دسيرة:

- بطرس البستاني:

1- دائرة المعارف، طبعة بيريت 1876م.

- حسين موسى:

2- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الثالث، ج. 7- 8–1955م.

- خالد ناجي:

3- الزهراوي وعمليات الغفة الدرقيه، مجلة المؤرخ العربي العدد السادس عشر 1981م. بغداد.

- خوليان ريميرا:

4- المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محروس، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، المجلد الخامس الجزء الأول ذو القعدة 1378هـ–1959م.

- السيد عبد العزيز سالم:

5- قرطبة في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي العدد الثالث عشر، بغداد.

- ضياء الدين الريس:

6- الكتب نقد وعرض (أحمد بن عمر بن انس البذري– نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنوع الآثار والبستان في غرائب البلدان، والمسلك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الإهوازي)، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ج. 12، 1965م–1966م.

457-
عبدالله مبشر الطرازي:

7 علم الفلك والنجوم عند أهل الهند والسند واستفادة العرب منه,
المجلة العربية، السنة الرابعة، العدد الحادي عشر.

عبدالعزيظ بن عبد الله:

8 الفكر العلمي في المغرب الأقصى وتكامله مع المسار الحضاري
الحديث، مجلة الدار، العدد الرابع، السنة الرابعة محرم
1978هـ-1399م.

عبدالعزيظ بن عبد الله:

9 الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، مجلة الدار.
العدد الثالث، السنة الخامسة، ربيع الثاني 1400هـ-1980م.

عبدالجليل الراشد:

10 التقدم الفكري عند أهل الأندلس حتى عصر المرابطين المؤرخ
العربي، العدد الثالث عشر، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد
الординين العرب، بغداد.

علي عبد الله الدفاع:

11 إمام علماء المغرب في العلوم التطبيقية المجري، مجلة الفيصل.
العدد 56 صفر 1402هـ.

12 الزهراوي الزائد الأول للجراحة، مجلة الفيصل، العدد 42.

عمر الدقاق:

13 مغامرة العرب عبر بحر الظلمات، مجلة الفيصل، العدد 46.
ربيع الثاني 1401هـ.

408
- محمد رضا عوضين:

۱۴ صفحة من تراثنا الطبي. مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي.
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة. مكة
المكرمة. العدد الأول ۱۳۹۸ هـ.

- محمد عبدالعزيز عثمان:

۱۵ المرأة العربية في الأندلس. المؤرخ العربي. العدد الثالث عشر,
بغداد.

- مياس بياكروزا:

۱۶ نشر مخطوطة ابن الصفار في كيفية العمل بالإسطرلاب - مجلة
معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد الثالث، ج. ۱,
۱۹۰۵.

۱۷ المؤلفات الأولى عن الإسطرلاب في إسبانيا الإسلامية مجلد معهد
الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد الثالث، ج. ۱, ۱۹۰۵.

- أ. شاهين:

۱۸ أثر العرب في الطب. محاضرة القية بجامعة اسكتس ۴ نوفمبر,
۱۹۷۱ م.
القـهـوس

<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>7</td>
<td>المقدمة</td>
</tr>
<tr>
<td>32</td>
<td>تمهيد: الحياة العلمية في عصر الإمارة</td>
</tr>
<tr>
<td>65</td>
<td>القسم الأول</td>
</tr>
<tr>
<td>65</td>
<td>دراسة لأهم مظاهر النشاط العلمي</td>
</tr>
<tr>
<td>65</td>
<td>في عصر الخلافة</td>
</tr>
<tr>
<td>67</td>
<td>الفصل الأول</td>
</tr>
<tr>
<td>67</td>
<td>(اهتمام الخلافة بالحركة العلمية)</td>
</tr>
<tr>
<td>68</td>
<td>ـ الخليفة عبدالرحمن الناصر</td>
</tr>
<tr>
<td>72</td>
<td>بـ الخليفة الحكم المستنصر</td>
</tr>
<tr>
<td>79</td>
<td>ـ الخليفة هشام المؤيد (عصر الحاـب المنصور</td>
</tr>
<tr>
<td>81</td>
<td>ـ وابنه عبد الملك )</td>
</tr>
<tr>
<td>81</td>
<td>ـ قيام الفتنة وسقوط الخلافة وأثر ذلك على الحركة</td>
</tr>
<tr>
<td>81</td>
<td>العلمية</td>
</tr>
<tr>
<td>89</td>
<td>الفصل الثاني</td>
</tr>
<tr>
<td>89</td>
<td>(الرحلات العلمية وأثرها في النهضة</td>
</tr>
<tr>
<td>91</td>
<td>العلمية في الأندلس)</td>
</tr>
<tr>
<td>91</td>
<td>ـ ارتحال علماء الأندلس إلى الشرق في طلب العلم</td>
</tr>
<tr>
<td>94</td>
<td>ـ نتائج الرحلات العلمية للأندالسيين إلى الشرق</td>
</tr>
<tr>
<td>99</td>
<td>ـ بروز الشخصية العلمية الأندلسية في عصر الخلافة</td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>الصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الثالث</td>
<td>111</td>
</tr>
<tr>
<td>(الكتب والمكتبات في الأندلس)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أ - عناية الأندلسيين بالكتب</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ب - اهتمام الأندلسيين بجمع الكتب واقتنائها، وانشاء المكتبات</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ج - عناية الخلفاء بالتعليم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>القسم الثاني</td>
<td>151</td>
</tr>
<tr>
<td>نشاط العلوم والإداب في عصر الخلافة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الأول</td>
<td>152</td>
</tr>
<tr>
<td>(العلوم الدينية)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أ - الفقه</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ب - الحديث</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ج - علوم القرآن</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>د - علم الكلام وموقف الأندلسيين منه</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الثاني</td>
<td>201</td>
</tr>
<tr>
<td>(الادب واللغة والنحو)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أ - الأدب</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1 - النثر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>2 - الشعر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ب - علوم اللغة والنحو</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

- 462 -
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الفصل الثالث</td>
<td>263</td>
</tr>
<tr>
<td>(العلوم الإنسانية)</td>
<td>264</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ التاريخ</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ـ الجغرافيا والرحلات الجغرافية</td>
<td>285</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ الفلسفة</td>
<td>286</td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الرابع</td>
<td>319</td>
</tr>
<tr>
<td>(العلوم التجريبية)</td>
<td>322</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ الطب</td>
<td>326</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ الرياضيات والفلک</td>
<td>370</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ الكيمياء</td>
<td>390</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ الخاتمة</td>
<td>400</td>
</tr>
</tbody>
</table>

ملحق رقم ١ (رسالة ابن حزم في فضل الأندلس) ـ ٤٦٤
ملحق رقم ٢ (صور لبعض آلات الجراحات التي استعملها الزهراوي في ممارسة العمليات الجراحية) ـ ٤٦٣
قائمة المصادر والمراجع ـ ٤٦١
فهرس الرسالة ـ ٤٦٤
خريطة للأندلس ـ ٤٦٣
مكتبة جامعة أم الفلكى

مكتبة عامة

رقم 8-14-03-960

0292142

Biblioteca Alexandrina